

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: التاريخ

التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

العنوان

تطور المدن في الجزائر خلال العهد الاستعماري - مدن حوض الشلف نموذجا

ORLEANSVILLE – AFFREVILLE -RELIZANE- 1843 - 1962م

إشراف : أ.د. ميسوم ميلود

إعداد الطالب: صحراوي صالح

اعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	جامعة	الصفة
أحمد رنيمة	استاذ محاضر - أ.	جامعة وهران 1	رئيسا
ميلود ميسوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	مقرا
صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	ممتحنا
جيلالي تکران	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	ممتحنا
بلعربي خالدي	أستاذ محاضر - أ.	جامعة الشلف	ممتحنا
معمر شعشوع	أستاذ محاضر - أ.	جامعة الشلف	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442هـ - 1443هـ / 2021م - 2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

انقدم بالشكر الجزيل الى استاذنا القدير "ميسوم ميلود" عرفانا له لما قدمه لي من نصائح

وارشادات وتوجيهات لإخراج هذا العمل المتواضع وهذا رغم ضيق وقته وكثرة مشاغله والتزاماته ،فقد كان حريصا اتم الحرص على مراقبة كل صغيرة وكبيرة وزودنا بما تزخر به ذاكرته من معارف ومعلومات وتحتويه مكتبته من كتب ووثائق وهو مشكور على ذلك.

كما اشكر لجنة المناقشة الموقرة على قرائتهم لهذا العمل وتمحيصه واستخراج اخطائه ونقائصه رغم ضيق وقتهم وكثرة التزاماتهم.

كما لا يفوتني ان اسدي اسمى عبارات الشكر والتقدير الى كافة الطاقم الاداري لثانوية الشهيد بوشورور قدور بسنجاس على الدعم والمساعدة التي قدموها لي خلال انجاز هذا العمل.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين اللذين بفضل تعبهما وسهرهما وصلت إلى رتبة استاذ في التعليم الثانوي وفي المستقبل استاذ جامعي إن شاء الله تعالى و إلى زوجتي الغالية التي صبرت عليّ حتى انهيت هذا العمل وإلى ابني الحبيب " **محمد المنصف** " الذي أتمني أن يكون انسانا صالحا لدينه ومجتمعه.

كما اهدي هذا العمل كذلك إلى كل الاساتذة الذين تتلمذت عندهم ونهلت المعارف والاخلاق الطيبة منهم وخص بالذكر الأساتذة التالية اسمائهم: **بوكنة عبد العزيز ، احمد مريوش ، طهراوي احمد ، خالد كبير علال ، شهبي عبد العزيز ، بوقجاني احمد .**

كما اهدي هذا العمل إلى اساتذتي بقسم العلوم الانسانية والاجتماعية وهم كالاتي : **مخلوفي جمال ، سريج محمد ، خالد بلعربي** وإلى كافة الطاقم الاداري والعمال بقسم العلوم الانسانية كما لا انسى كافة الطاقم الاداري والتربوي العامل بثانوية الشهيد بوشورور قدور بسنجاس على رأسهم السيد المدير **سايح عبد الهادي** وإلى كل الاصدقاء والتلاميذ الذين ادرسهم.

شكر خاص إلى السيد **طبيي احمد محمد** والسيد **عمير عبد الحميد** اللذان ساعداني في لخراج هذا العمل بواسطة جهاز الاعلام الالى فلهما مني اجزل الشكر والتقدير.

كما اشكر السيد محمد طياب على المجهودات التي قدمها لنا طيلة انجاز هذا العمل

قائمة المختصرات:

2- اللغة الفرنسية:

N :	Signe	Signification
01	A .W.C	LES ARCHIVES DE LA WILAYA DE CHELEF
02	A.W.R	LES ARCHIVES DE LA WILAYA DE RELIZANE
03	A.C.F.C	LES ARCHIVES DE CONSERVATION DES FORETS A CHLEF
04	A.C.F.R	LES ARCHIVES DE CONSERVATION DES FORETS A RELIZANE
05	A.N.O.M	LES ARCHIVES NATIONALE D'OUTRE MER
06	B.O.A	BULLETIN OFFICIEL DE L'ALGERIE
07	B.S.G.A	BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE ET D'ARCHEOLOGIE
08	C.M	COMMUNE MIXTE
09	C.E.R	COMPTOIR ESCOMPTE DE RELIZANE
10	C.R	CREDIT AGRICOLE
11	C.L	CREDIT LEONNAIS
12	C.P.E	COMMUNE DE PLEINE EXERCICES
13	D.I	DECRET IMPERIAL
14	D.A.W.O	DIRECTION DES ARCHIVES DE LA WILAYA D'ORAN
15	Edit	EDITION
16	Ibid.	IBIDEM
17	IMP	IMPRIMERIE
18	N	NUMERO
19	N.E	NOUVELLE EDITION
20	P	PAGE
21	PR	PREFACE
22	R .A	REVUE AFRICAINE
23	S.A	SANS AUTEUR
24	S D	SANS DATE
25	S.C	SENATUS CONSULTE
26	S.E	SANS EDITION
27	S.G.A	SOCIETE GENERAL ALGERIENNE
28	S.H.D	ARCHIVE DE CHATEAU DE VINCENNE
29	S.N.E.D	SOCIETE NATIONALE D'EDITION ET DE DIFFUSION
30	T	TOME
31	VOL	VOLUME

1- اللغة العربية:

الرقم	الرمز	معناه
01	تر	ترجمة
02	تح	تحقيق
03	تع	تعليق
04	تق	تقديم
05	ج	جزء
06	ش و ن ت	الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
07	ص	صفحة.
08	ص ص	صفحات
09	ط	الطبعة
10	ط خ	طبعة خاصة
11	ع	العدد
12	كلم	كيلومتر
13	م	مجلد
14	م و د ب ح و ت ث	المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954
15	م و د ت	المركز الوطني للدراسات التاريخية
16	م و ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
17	ش و ن ت	الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
18	ن / كلم"	نسمة في الكيلومتر المربع الواحد
19	د ر ك	دار الرائد للكتاب
20	د غ إ	دار الغرب الاسلامي
21	د ت	دون تاريخ
22	د م ج	ديوان المطبوعات الجامعية

مقدمة

مقدمة:

منذ أن تمكّنت القوّات الفرنسيّة الاستعمارية من غزو مدينة الجزائر في 5 جويلية 1830 باشرت سلطات الاحتلال الفرنسي سياسة استعمارية في الجزائر شملت مختلف المجالات، السياسية والإداريّة والعسكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة بغية تنفيذ المشروع الاستعماري في الجزائر، وفي هذا السياق حظي الجانب العمراني في الجزائر باهتمام المسؤولين الفرنسيين العسكريين والمدنيين على حدّ سواء، لما له من أهمية بالغة في تجسيد المشروع الاستيطاني، لذا شهدت الجزائر المستعمرة ميلاد العديد من المراكز الاستيطانية والتي تطوّرت فيما بعد وأصبحت تجمّعات عمرانيّة أخذت مقاييس المدن، وشأنها كباقي مناطق ربوع الوطن، فإنّ منطقة حوض الشلف قد عرفت سياسة عمرانيّة واسعة خاصّة بعد وقوعها تحت السيطرة الاستعماريّة خلال الأربعينات من القرن 19م، فلم يكاد ينقضي القرن 19م حتّى ظهرت في منطقة الشلف شبكة من التجمّعات العمرانيّة شكّلت الوعاء الحضري للموجات البشريّة القادمة من أوروبا وفرنسا خلال فترة القرن 19م.

أهمية الموضوع:

وفي هذا الإطار يأتي موضوعنا " تطور المدن في الجزائر خلال العهد الاستعماري: مدن حوض الشلف نموذجا (orleansville-affreville-relizane) 1843-1962" الذي يعتبر أحد المواضيع الحسّاسة، بل يمكن القول بأنّه موضوع الساعة، لما ترتب عنه من آثار جانبيّة نتجت عن الحركة الاستيطانية الفرنسيّة الأوروبية في الجزائر، ويعتبر كذلك من المواضيع التي ما تزال تستقطب اهتمام الكثير من الباحثين والدّارسين على حدّ سواء.

لا جرم أنّ موضوع السياسة العمرانية الفرنسية في حوض الشلف موضوع متشعب، وقد عشت معه خلال مرحلة الماستر حيث تقدّمت بمذكرة موسومة بـ "السياسة الاستيطانية الفرنسية في منطقة حوض الشلف 1843-1900م"، والتي مكنتني من الاطلاع عن كثب على تطوّر سياسة الاستيطان في منطقة الشلف بصفة خاصّة، على اعتبار أنّ السياسة العمرانيّة وليدة السياسة الاستيطانية، كما أسلفنا سابقا، فإنّ المراكز الاستيطانية التي أقدمت سلطات الاحتلال الفرنسي على إقامتها في منطقة حوض الشلف شكّلت الوعاء، الذي احتوى الكمّ الهائل المتدفّق من المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين الذين جاءوا من الضفّة الشماليّة للمتوسّط، واستقرّوا في

الجزائر عامّة ومنطقة الشلف خاصّة، وشكّلوا أداة أساسية للمشروع الاستعماري في الجزائر، فقد صرّح الجنرال بيجو في 14 ماي 1840م قائلاً: "لابدّ من احتلال واسع في إفريقيا يشبه ما فعله الرومان والقوطيون، بدون ذلك لا يمكنكم تحقيق أي شيء...لابدّ لكم من جلب مستوطنين، وتوطينهم في ظروف جدّ ملائمة، ومن أجل ذلك لابدّ من نداء مغربي..".

لقد سمح لي موضوع رسالة الماجستير المشار إليه سابقاً على التعرّف على سلسلة المراكز الاستيطانية التي ظهرت في منطقة الشلف خلال القرن 19 م، وفي نفس الوقت فتح لي شهية البحث في أهمّ المراكز الاستيطانية في المنطقة، والتي تطوّرت مع مرور الوقت وأصبحت مدن ذات أهمية كبرى، وهي أورليان فيل - افروفيل وغليزان.

قبل الشروع في تفاصيل ما تقتضيه المقدمة لابدّ من الإشارة إلى الحيز الجغرافي المتعلق بالموضوع "منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري"، فحوض الشلف المقصود به واد الشلف وضافه الشمالية (جبال الظهرة) والجنوبية (جبال الونشريس)، أما من الناحية الإدارية فالبحث يركز على ثلاث وحدات إدارية، وهي Orleansville- Affreville- Relizane، حيث أخذنا مدينة من الأقسام الثلاثة لحوض الشلف، فمدينة افروفيل واقعة في القسم الأعلى من حوض الشلف، ومدينة أورليان فيل واقعة في القسم الأوسط منه، بينما مدينة غليزان واقعة في القسم الأسفل منه، وهذا لا يعن إقصاءنا أو تجاهلنا لباقي المدن الأخرى، فطبيعة البحث وشساعة الحيز الجغرافي وضيق الوقت وقلة الإمكانيات فرض علينا التركيز على نماذج محددة في المنطقة.

أمّا ما تعلق بالإطار الزمني للبحث، فإنه يشمل الفترة التاريخية الممتدة من 1843 إلى غاية 1962 م، وهي فترة وقوع منطقة الشلف تحت السيطرة الاستعمارية وتأسيس مخيم أورليان فيل في منطقة الأبنام إلى غاية سنة الاستقلال، أنّ هذه الفترة الزمنية حافلة بالعديد من الأحداث الجسام السياسية والعسكرية، كما عرفت تطورا السياسة العمرانية، حيث عرفت منطقة حوض الشلف سياسة تعمير واسعة، مازالت ملامحها ماثلة للعيان حتى اليوم ممثلة في تلك المنشآت والمباني التي بنيت خلال الفترة الاستعمارية، والتي شكلت بدورها نواة لسياسة التعمير في المنطقة بعد الاستقلال.

دواعي اختيار الموضوع:

يعود اختياري لموضوع تطور المدن في الجزائر خلال العهد الاستعماري، مدن حوض الشلف نموذجاً 1843-1962 Orleansville- Affreville-Relizane إلى جملة من الدوافع أوجزها فيما يلي:

1. اهتمامي بأحداث الفترة المعاصرة من تاريخ الجزائر، خاصة منطقة الشلف وما صاحبها من تطورات عرفت إبان الاحتلال الفرنسي، وقد تأكد هذا الميل خلال تحضير لي لرسالة الماجستير وبعد القراءات المتعددة التي عرفتني بمدى التحولات التي شهدتها المنطقة في ظل الوجود المكثف للمستوطنين سياسياً، عسكرياً اقتصادياً، اجتماعياً وثقافياً وعمرانياً.

2. لقد زاد تعلقي بالموضوع، عندما اكتشفت أن منطقة حوض الشلف لحد الساعة لم تحض بدراسة أكاديمية تتناول السياسة العمرانية الفرنسية.

3. لا يمكن أن ننكر بأنّ هناك بعض الكتابات، قد تناولت الاستيطان الفرنسي الأوروبي في الجزائر، لكن تلك الدراسات كانت شاملة للقطر الجزائري بينما نحن نحرص على أن تكون معالجتنا للموضوع في إطاره الجغرافي المحدود، والتي بإمكانها إبراز خصوصيات المنطقة وما لحق بها من تغييرات وتحولات في ظلّ السياسة العمرانية الفرنسية.

4. هناك بعض الطروحات ترى بأنّ الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر قد أسهم في إحداث نهضة اقتصادية، واجتماعية، وحضارية، إنّ دعاء تمجيد الاستعمار في الجزائر يمارسون التّظليل، ويروجون لمغالطاتهم، وهذا التجنّي على الحقيقة التاريخية هو الذي دفعني لخوض هكذا موضوع.

غني عن القول أن العمران الفرنسي في الجزائر كان مرتبطاً بالاستيطان الأوروبي، والذي كان بدوره هو الآخر مرتبطاً بالاحتلال العسكري الذي عرفته الجزائر سنة 1830، والذي عرفته منطقة الشلف خلال الأربعينات من القرن 19م، ومن ثمة فإن السياسة العمرانية هي رديفة الاحتلال العسكري، إلا أنّه يجب التذكير بأنّ التعمير الفرنسي في المنطقة لم يحدث دفعة واحدة، بل حدث على عدة فترات لارتباطه بالسياسة الاستيطانية التي كانت هي الأخرى متوالية على فترات متلاحقة من جهة، ومن جهة أخرى أن مشاريع التعمير تتطلّب وقتاً لتجسيدها، زيادة على ذلك ضخامة التكاليف المالية التي تضخ في هذا الإطار، الأمر الذي جعل وتيرة التعمير في المنطقة تسير بوتيرة رتيبة.

الإشكالية:

جاء موضوعنا ليعالج إشكالية رئيسية هي: ماهي ملامح السياسة العمرانية في منطقة حوض الشلف في ظلّ الوجود الاستعماري 1843-1962؟ وقد تفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات تزيد موضوع الدراسة وضوحا وجلاء هي:

- ماهي التغيرات الكبرى التي مست حوض الشلف بعد تجسيد السياسة العمرانية في المنطقة من 1843 إلى 1962؟

- إلى أيّ مدى استفاد سكان حوض الشلف من المشاريع العمرانية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، التي قامت بها السلطات الاستعمارية في المنطقة؟

- هل راعى المشروع التعميري الفرنسي خصوصيات العمران المحليّ المستمد من الثقافة العربية الإسلامية للمجتمع العربي الإسلامي في حوض الشلف؟

المنهج المعتمد في الدراسة:

ولدراسة موضوع تطور المدن في منطقة الشلف خلال الفترة الاستعمارية (1843-1962م)، اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي، وذلك لوصف الأحداث حسب تسلسلها الزمني كما اعتمدنا على المنهج المقارن، وذلك من أجل المقارنة بين الوضع المعيشي بين أهالي المنطقة والمستوطنين، أمّا المنهج الإحصائي فلقد اعتمدنا عليه لدراسة المعطيات الإحصائية (أرقام، الجداول، نسب مئوية)، ومن أجل فهم وتسهيل الدراسة وظّفنا المنهج التحليلي ليتمّ الربط بين الوقائع التاريخية.

لقد قمنا بدراسة تطوّر المدن في الجزائر خلال العهد الاستعماري، مدن منطقة الشلف

نموذجا 1843-1962: Orleansville-Affreville-Relizane متبعين الخطة التالية:

المدخل: وهو بمثابة تمهيد للموضوع، تناولت فيه نظرة عن جغرافية المنطقة من حيث الموقع والتضاريس والمناخ والتربة، كون هذه العناصر الجغرافية شكّلت مجتمعة عنصر جذب للتوطن البشري عبر مختلف العصور، كما زادت المنطقة أهمية اقتصادية واستراتيجية جعلتها محل الأطماع الاستعمارية الفرنسية، كما تناولنا أيضا نبذة عن تاريخ المنطقة عبر العصور، حيث استعرضنا مختلف المراحل التاريخية التي مرّت بها المنطقة وصولا إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي لها سنة 1843، معرجا في ذات الوقت على التحوّلات الكبرى التي عرفتتها المنطقة في ظلّ تعاقب العديد من الشّعوب والحضارات عليها مشكلة موروثا حضاريا جزائريا بحثا وهو

الوعاء الذي سيشكل مخبرا لمختلف التجارب التي سيقوم بها الاحتلال الفرنسي في حق الشعب الجزائري عامة وسكان حوض شلف خاصة، والتي تمت مواجهتها من طرف السكان الأصليين. وحاولت تتبّع تطوّر المدن في منطقة الشلف ضمن الفترة المخصّصة للبحث متجاوزا هذه الفترة عندما يتعلّق الأمر بالرجوع إلى بعض المسائل التي لها علاقة مباشرة بفترة البحث. تضمن خطة البحث مقدّمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وقائمة لبعض الملاحق التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

الفصل الأوّل: جاء موسوما "بالمدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري"، حيث تناولنا في عموميات عن المدينة وأهم خصائصها ووظائفها، كما تناولنا فيه أيضا المدينة في الجزائر خلال العهد العثماني من حيث خصائصها وتطورها، وأخيرا تناولنا المدينة الكولونيالية في الجزائر من حيث خصائصها وتطورها.

الفصل الثاني: خصّصته للحديث عن العمران في منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي، إذ ركّزنا على أهمّ المدن، والتي كان لها شهرة علمية أو عسكرية أو اقتصادية، ومن هذه المدن لدينا: مدينة مليانة في القسم الأعلى من حوض الشلف، مدينة تنس وهي مدينة ساحلية تقع ضمن نطاق حوض الشلف الأوسط، وأخيرا مدينة مازونة، والتي تقع ضمن نطاق حوض الشلف الأسفل.

وقد تناولنا هذه المدن من الناحية الجغرافية، خاصة فيما يتعلّق بالموقع والتضاريس، والمناخ، والتربة، وكذا أهمّ الأحداث التاريخية، التي مرّت بها هذه المدن منذ الفترة القديمة إلى غاية سنة الاحتلال الفرنسي لها.

ثم عرّجنا بدراسة وصفية للنسيج العمراني لهذه المدن، خاصة وأن هذا النسيج مستمد من الثقافة العربية الإسلامية، وهو متميّز عن الطابع الأوروبي الذي سيظهر في المنطقة في فترة الاحتلال، وقد تعمّدنا التطرّق إلى مسألة العمران المحلي قبل الاحتلال، حتى يتسنى لنا التعرف على أهمّ التحوّلات التي مسّت العمران المحلي في ظلّ الوجود الاستعماري.

أما الفصل الثالث: فقد أفردناه للحديث عن المدن الكولونيالية التي ظهرت في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري، وقد ركّزنا على ثلاث نماذج هي مدينة أورليان فيل ORLEANSVILLE، ومدينة أفروفيل AFFREVILLE، ومدينة غليزان RELIZANE حيث تناولنا هذه المدن من الناحية الجغرافية والإدارية، وتطرّقنا إلى تطورها الديمغرافي وأهمّ الأنشطة الاقتصادية، كالزراعة، وتربية المواشي، والنشاط الصناعي، والتجاري، وطرق المواصلات، ومنشآت الريّ التي ظهرت بها وأخيرا ألقينا نظرة على التطور العمراني لهذه المدن.

أما الفصل الرابع: فقد ضمّناه أهمّ الانعكاسات التي ترتب عن ظهور المدن الكولونيالية في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري، خاصة ما تعلّق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والعمراني والثقافي، فقد تغيّرت ملامح المنطقة وصبغت بصبغة أوروبية محضة خاصة ما تعلّق بشكل البنايات وطرزها العمراني والمعماري.

أما الخاتمة، فقد خصّصتها للنتائج المتوصل إليها، والتي لم تخرج عن الآثار السلبية التي ترتبت عن الوجود الكولونيالي في الجزائر عموما، ومنطقة الشلف المدروسة خصوصا طيلة الوجود الاستعماري.

وقد ضمنت هذا العمل جملة من الصّور والخرائط والرّسومات البيانية الوظيفية التي من شأنها أن تثري الموضوع وتسدّ خلله، كما أدرجت فهرسا بأسماء الأماكن والأعلام التي سترد في متن الأطروحة.

ويهدف هكذا موضوع إلى تغطية النقص الموجود في الدّراسات المتعلّقة بالمنطقة من حيث انعكاسات السياسة العمرانية على مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

ولعلّ من جملة المشاكل التي صادفتني منذ أن باشرت العمل حول هذا الموضوع، هي ندرة المادّة العلميّة في الجزائر حول الموضوع، ولذا قمت برحلة بحث إلى فرنسا سنة 2016 أين زرت بعض المراكز الأرشيفية، ومن ضمنها أرشيف ما وراء البحار بمدينة أكس أون بروفنس (Archive D'outre Mer – Aix En province)، وأرشيف وزارة الحربيّة بقصر الإنسان (Château De Vincennes)، كما قادني البحث أيضا إلى أرشيف ولاية الجزائر ووهران، والذي خلفه الفرنسيون في الجزائر بعد استرجاع السيادة، والحقيقة لم أعثر في ولاية الشلف على أثر للأرشيف ولعلّ مردّ ذلك حسب القائمين عليه إلى أن المنطقة تعرّضت إلى زلزالين أتيا على

مدخراتها الثقافية، فالأول حدث في سبتمبر 1954 والثاني في أكتوبر 1980، هذا بالإضافة إلى عدم الاهتمام ونقص العناية بذلك الموروث المادي.

من زاوية أخرى وحينما حاولت استقصاء المصادر التي تناولت الموضوع تصادفت مرة أخرى مع شح المادة العلمية المتعلقة بتاريخ الاستيطان بمنطقة الشلف والانعكاسات التي خلفها، لاسيما ما تعلق بالمصادر الجزائرية أو العربية التي لم تتناول الموضوع لا من قريب ولا من بعيد، وأما بالنسبة للمصادر الأجنبية وخاصة الفرنسية منها، فقد وجدت أنها هي الأخرى قد تناولت الموضوع في سياقه العام باستثناء الدراستين الفريدتين اللتين قدّمهما الأستاذ كزافيي ياكونو (Xavier Yacono)، الأولى بعنوان: المكاتب العربية، وتطور أنماط الحياة لدى الأهالي غرب منطقة الجزائر (الظهرة . الشلف - الونشريس . السرسو) (Les bureaux Arabes Et L'évolution Des genres De vie D'indigènes A L'ouest D'alger - Dahra-orleansville-l'ouarnisse-sersou)، والثانية وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه قدّمها سنة 1955 بعنوان: الاستيطان في سهل الشلف من جندل إلى واد مينا (La Colonisation De La Plaine De Cheliff - de lavigerie au confluent de la mina)، وهما الدراستان اللتان غطتا إلى حدّ كبير الجوانب الهامة من هذا الموضوع ولكن وفق منظور استعماري يسعى إلى تمجيد الاستعمار والتّركيز على محاسنه وإنجازاته.

في نفس السّياق، فإنّ المقالات التي تمّ نشرها في المجلة الإفريقية فإنّه وإن كانت قد تناولت المنطقة بنوع من التّفصيل، فإنّها لم تتعرض لموضوع الاستيطان في حدّ ذاته.

كما لا يفوتني أن أشير إلى الإحصائيات، التي كانت تصدرها الولاية العامّة بالجزائر خلال فترة الاحتلال والتي سلّطت الضوء على بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة.

وفي ذات السّياق، فإنّ رسائل الماجستير التي تمّت مناقشتها خلال العشرين سنة الأخيرة، والتي لها صلة بالموضوع في سياقه العام شكّلت بالنسبة لنا ذخرا ومادة علمية ساهمت إلى حدّ ما في إتمام هذا العمل.

مدخل

دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف.

1-دراسة جغرافية

1-1 الموقع الجغرافي والمساحة

1-2 التركيبة الجيولوجية

1-3 النشاط الجيولوجي بالمنطقة

1-4 التضاريس

1-5 المناخ

1-6 المجاري المائية

2- دراسة تاريخية:

2-1 الفترة القديمة

2-2 الفترة الوسيطة

2-3 الفترة الحديثة

3- دراسة بشرية:

3-1 الوضع الديموغرافي

3-2 الوضع الاجتماعي

3-3 الوضع الاقتصادي

1: دراسة جغرافية:

لكي نتمكن من التعرف على مدن منطقة الشلف عبر مختلف العصور، وبالأخصّ خلال الفترة الاستعمارية كان لابد من تسليط الضوء على جغرافية منطقة الشلف، وذلك من خلال التطرّق إلى الموقع، التضاريس، التّكوين الجيولوجي للمنطقة وتفاعل عناصر المناخ، والتّربة، وأثرها على الإنسان، والحيوان، والنبات، لكون هذه العوامل وغيرها لها تأثير بارز على النّشاط البشري على وجه الخصوص منذ الفترات القديمة إلى يومنا هذا.

1-1 . الموقع الجغرافي والمساحة:

تشمل المنطقة الحيز الجغرافي الواقع في الجزء الشمالي من القطر الجزائري والذي يضمّ أجزاءً واسعة من الجزائر الوسطى والغربية والمطلّ على البحر المتوسط، وبعبارة أخرى هي تلك المناطق الواقعة بين ضفتي وادي الشلف الشمالي والجنوبي، وهذا انطلاقاً من بلدة قصر البخاري ووصولاً إلى مصبّ الوادي شرق مدينة مستغانم، ويتألف هذا الإقليم من مجموعة من المدن السّهلية والجبلية، كما يتشكل أيضاً من نطاقات جغرافية متباينة بين سهول السّاحل الضيّقة المحصورة بين البحر وسلسلة الطّهرة، وسهول الدّاخل المفتوحة على الغرب والمحاصرة شرقاً بجبال الأطلس البلديي والسّلاسل الجبلية الموجودة على الأطراف في شكل أسوار طبيعية تحمي الإقليم من التّيّارات البحرية القادمة من الشّمال، ومن المؤثّرات الصّحراوية القادمة من الجنوب، لكنّ هذه الحواجز الطبيعية أثرت في مناخ المنطقة التي جعلت منه مناخاً صحراوي في فصل الصّيف بالرّغم من أنّ مدنه الداخليّة لا تبعد عن البحر سوى 50 كلم، كما جعلت من مناخه بارداً قارساً في فصل الشّتاء¹.

أما حدود المنطقة فهي السّواحل الجنوبية للمتوسط والممتدة من مصبّ وادي الشلف غرباً إلى مدينة شرشال شرقاً من جهة الشّمال، أمّا من جهة الجنوب فنجد سلسلة جبال الونشريس الممتدة من جبال بني شقران غرباً إلى مرتفعات المدينة شرقاً مشكلة طوقاً منيعاً، كما تظهر المنطقة مفتوحة من جهة البطحاء وسهول وهران غرباً بينما محصورة من جهة الشّرق بجبال الأطلس البلديي، أي عند نهاية سلسلة جبال زكار الشّرقية².

والى الجنوب من كتلة جبال زكار في الشّرق وجبال الطّهرة في الغرب يمتد سهل الشلف بأقسامه الرّئيسة الثلاثة الأعلى والأوسط والأسفل، بدءاً من جندل شرقاً إلى غليزان غرباً على مسافة

1- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع حسين داي ، الجزائر، 2009، ص189.

2- محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د ط، د م ج، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص133.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

تزيد عن 100 كلم، تمتاز تربته الرسوبية بالخصوبة العالية خاصة على ضفتي واد الشلف التي تكونت عبر آلاف السنين نتيجة انجراف التربة من جبال الظهرة وزكار شمالا والونشريس جنوبا.

1-2 . التركيبة الجيولوجية للمنطقة:

حسب الدراسات التي أجريت على الجانب الجيولوجي للمنطقة، فإن تكوينها يعود إلى الزمن الجيولوجي الثالث، أما كتلتها التضاريسية تتم عن سيادة العصر الطباشيري أكثر من غيره من العصور سواء في الأجزاء الشمالية أو الجنوبية من المنطقة، كما يظهر العصر الكريتاسي في جبال الظهرة خاصة في أجزائها الغربية، كما يظهر كذلك في بعض المناطق داخل سهل الشلف مثل الحمادنة ووادي سلي والأصنام، كما يظهر العصر الجوراسي كذلك في بعض أجزاء المنطقة بالجبال المتوسطة الارتفاع القريبة من مدينة جديوية، كما يظهر أيضا عصر البليوسين الأدنى في بعض الكتل الجبلية الصلبة، مثل جبل تمولقة، وجبل دوي بعين الدقلى.¹

كما تظهر تكوينات الميوسين في جبال الظهرة أيضا وفي تنس وفي أجزاء من سهل الشلف خاصة في الهوامش الشمالية، حيث نجد بعض الصخور الجيرية، والكلسية فضلا عن صخور طينية في أنحاء مختلفة من المنطقة.²

1-3 . النشاط الجيولوجي بالمنطقة:

تصنف منطقة الشلف ضمن المناطق الزلزالية النشطة في الجزائر، ويعود ذلك إلى التقاء الفيحتين القاريتين الإفريقية والأوراسية، إذ تتزلق تلك الصفيحتين في اتجاه بعضهما البعض، فينتج عن ذلك هزات زلزالية متباينة الشدة، فمرات تكون قوية ومرات أخرى تكون خفيفة، وهذا ما يدل على حداثة التكوين الجيولوجي للمنطقة، وهذا ما يبينه التاريخ الزلزالي للمنطقة بدءا بزلزال الأصنام الأول في 09 سبتمبر 1954م والثاني في 10 أكتوبر 1980 الذي كانت شدته أكثر من 07 درجات على سلم ريشر.³

1 -Xavier yacono, La colonsation des plaines du chélif (de louer génie au confluent de mina), imp E. lembert, Alger, 1955, p70.

2- عبد القادر حلومي، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968، ص12.

3 - سجية بولرياس، "أثر الزلزال على مدن الشمال الجزائري مدينة الشلف نموذجا"، حوليات التاريخ والجغرافيا الصادرة عن مخبر التاريخ والجغرافيا بالمدرسة العليا للأساتذة، العدد5، جوان 2012، ص479.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

وانطلاقاً من ذلك تكون المنطقة منطقة زلزالية بشكل واسع مقارنة بمناطق أخرى عبر الوطن، وفيما يلي جدول يوضح أهم الهزّات الزلزاليّة، التي تعرض لها سهل الشلف منذ أن بدأت عملية الرّصد الزلزالي.

مركز الهزّة الزلزالية	تاريخ الهزّة الزلزالية	درجتها على سلم ريشر	آثارها
شرشال	1846	07 درجات	تدمير المباني
تنس	1922	5.1 درجات	عشرات الضحايا وتدمير المباني بتنس ¹
العطاف	07 سبتمبر 1934	05 درجات	انزلاقات أرضية، تهديم المباني ² .
الأصنام	09 سبتمبر 1954	6.7 درجات	أكثر من 2000 قتيل ³
الأصنام	10 أكتوبر 1980	7.4 درجات	أكثر من 3500 قتيل، 8369 جريح، عدد كبير من المفقودين ⁴ .

يبدو جلياً من خلال الجدول أنّ منطقة الشلف، قد تعرضت للعديد من الهزّات الزلزالية العنيفة التي كانت آثارها خطيرة على السّكان خاصة الزلزال الأخير، كما أنّ هناك هزّات ارتدادية تتفاوت شدّتها، وهي لا تشكل خطراً في غالب الأحيان، كما يلاحظ أيضاً أنّ غالب الهزّات الزلزالية تصيب المنطقة في فصل الخريف.

1- سجية بولرياس المرجع السابق، ص474.

2 -Xavier yacono,op-cit,p81

3- أحمد بوشعال، "فاجعة الأصنام، جريدة البصائر"، السنة الرابعة، السلسلة الثانية، العدد 275، 20 محرم 1374هـ/17 سبتمبر 1954م، ص 1.

4- جريدة الشعب، العدد 5271، 13 أكتوبر 1980، ص 2.

4-1 التّضاريس:

يمكن أن نميز العديد من المظاهر التّضاريسية بمنطقة الشلف من المرتفعات إلى السهول والمجاري المائية، والتي نبيّنها كآآتي:

1-4-1 . الشّريط السّاحلي:

هو الشّريط المحاذي للبحر يمتدّ على طول 120 كلم تقريبا من القلّنة في الجهة الغربية إلى شرشال في الجهة الشرقيّة تكثر به التّعاريح، يتميّز قسمه الغربي بطابعه الرّملي أما قسمه الشرقي، فيغلب عليه الطّابع الصّخري يعود تكوينها إلى الزّمن الرّابع¹.

1-4-2 - السّهول:

يمكن أن نميّز بين نوعين من السّهول في منطقة الشلف سهول ساحليّة، وسهول داخليّة نستعرضها كما يلي:

1-2-4-1 سهول ساحليّة:

تتحصّر بين البحر شمالا وسلسلة الأطلس التّلي جنوبا، تتميّز بالضيق حيث لا يزيد عرضه عن 1 كلم من البحر إلى السلسلة الجبليّة، تتّسع كلّما اتجهنا نحو الغرب تضيق كلما اتجهنا نحو الشّرق، تحتوي على التّربة الرملية في الغالب إلى جانب التّربة الحمراء، مثل ما هو الحال بالنّسبة للمناطق الواقعة غرب تنس كعين حمادي والمرسى، وفي الجهة الشرقيّة انتشار لزراعات البيوت البلاستيكيّة على حساب المساحات الغابيّة التي انتزعت منها الكثير من الأشجار الطبيعيّة، كالصّنوبر والعرعار والبّلوط².

1-2-4-2 سهول داخليّة:

يمثّل سهل الشلف بأقسامه التّلاثة، وهو في واقع الأمر امتداد لسهول وهران، ينحصّر بين السلسلتين الجبليّتين جبال الظّهرة وزكار في الشّمال وجبال الونشريس في الجنوب، تتخلّله بعض الكتل الجبليّة، وهي منعزلة عن السلسلتين السالفتي الذّكر مثل كتلة جبل دوي³.

1- عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق، ص ص 43، 44.

2- محمد عيساني، تطور النشاط الاستيطاني الاوروبي والفرنسي في منطقة الشلف 1843-1962، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر، 2012، ص 15.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

يخترق وادي الشلف السهول الداخلية من الشرق إلى الغرب من جندل شرقا إلى واد مينا بغليزان غربا، وقد استفادت المنطقة من تدفق الوادي، في ظهور بعض الزراعات المسقية على ضفافه من الخضر والفاكهة، حيث ساعد وجود الماء والسهول الواسعة على الاستقرار البشري، لا سيما في العهد الفرنسي إذ ظهرت العديد من المدن الاستيطانية بأسماء أوروبية توسعت على حساب الأراضي الصالحة للزراعة.¹

تمتد سهول منطقة الشلف من الغرب إلى الشرق إذ يصل ارتفاعها ما بين 250 إلى 270م عن مستوى سطح البحر هذا في منطقة جندل أما ارتفاعها من جهة الغرب فلا يكاد يتعدى 100م². من خلال التمعن في خريطة تضاريس المنطقة، نلاحظ الانبساط واضح في حوض الشلف وأنه كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا اعترضتنا مرتفعات الأطلس التي فضلا عن ظهور روابي وهضاب متوسطة الارتفاع، التي تظهر بكثرة في القسم الشرقي من المنطقة نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتلة جبل دوي بعين الدفلى التي يصل ارتفاعها 1039م³، وكذلك جبل تمولقة بالعطاف والتي يصل ارتفاعها إلى 500م، وهي عبارة عن نتوء صخري يمتد من واد الفضة غربا إلى العطاف شرقا وفي الجهة الغربية تظهر سلسلة جبلية أخرى تتوسط سهول البطحاء تنطلق من منطقة الحمادنة غربا إلى غاية سنجاس شرقا تربتها جيرية تعود إلى العصر الكريتاسي⁴.

1-4-3. السلاسل الجبلية:

تسود منطقة الشلف سلسلتين جبليتين تمتدان من الغرب إلى الشرق السلسلة الأولى تمتد بمحاذاة الساحل من مستغانم غربا إلى جبال زكار شرقا، تتخللها تقطعات وأخاديد تظهر في شكل أودية مرّة تتجه من الشمال إلى الجنوب لتصبّ في واد الشلف، ومرّة أخرى تتجه من الجنوب إلى الشمال لتصبّ في البحر وكلها تتحدر من جبال الظهرة، والسلسلة الثانية تعرف بجبال الونشريس، والتي تمتد من جبال بني شقران غربا إلى جبال المدية شرقا، وكلا السلسلتين تقعان ضمن ما يسمّى

1- من أهم المدن الاستيطانية خلال العهد الفرنسي لدينا خميس مليانة، affre ville، عين الدفلى، duperre، الشلف الحالية orleans ville، واد رهيو ain kerman، للمزيد أكثر انظر محمد عيساني، المرجع السابق صص 66-67

2 -Xavier Yacono,op –cit p,34

3 -Djilali sari ,l home et l erosion dans l ouarsenis algerien ,S.N.E.D,alger,1977,p17

4- تم استغلال حجارة جبل دوي وتمولقة في استخراج الحصى الذي يستخدم في الإسمنت المسلح وكذا تعبيد الطرقات، أما تربة السلسلة الثانية فقد استعملت كطبقة صلبة في الطريق السيار شرق غرب من طرف المتعاملين الأجانب.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

بسلسلة الأطلس التلي¹، بالإضافة إلى هذين السلسلتين توجد كتل جبليّة معزولة بعضها ذو طبيعة صخريّة والبعض الآخر جيرية بالإضافة إلى الرّوابي والتلال التي تتميز بصالحيتها للزّراعة.

1-3-4-1 سلسلة جبال الظّهرة:

تمتد من مستغانم غربا إلى غاية جبال زكّار شرقا متوسطة الارتفاع إذ يصل ارتفاعها عند جبل بيصة شرق تنس بـ 1048م، تتميز السلسلة بأنها صخور جيرية شديدة الالتواء، تنتهي جبال الظّهرة عند جبل زكّار الشّرقي الذي يبلغ ارتفاعه 1579م، وجبل زكّار الشّرقي، كما هو معلوم أعلى من جبل زكّار الغربي².

تبدو جبال الظّهرة في الجهة المقابلة للبحر مكسوة بغطاء نباتي كثيف، وهي غابات البحر المتوسّط الدائمة الإخضرار مثل أشجار الصنوبر والفلين والبّلوط والعرعار، غير أنّه في الجهات الغربيّة تبدو جرداء من الغطاء النباتي، ونفس الظّاهرة نسجّلها في الجهة الجنوبيّة المقابلة لسهول الشلف الداخليّة، لكن كلّما اتّجهنا نحو الشّرق ازداد الغطاء النباتي كثافة، ويعود هذا إلى كثرة التّساقط في الجهة الشرقيّة وندرته في الجهة الغربيّة³.

1-3-4-2 سلسلة جبال الونشريس⁴:

كتلة صخرية كبيرة في المنطقة تتطلق من جبال بني شقران وجبال فرندة غربا إلى جبال المدية شرقا على مسافة تقارب 170 كلم تحدها جنوبا هضبة السرسو، أمّا من الشّمال فيحاصرها واد الشلف ومن الغرب واد مينا، وهي بمثابة سدّ منيع يحمي المنطقة من الجنوب، تسودها العديد من القمم العالية منها جبل سعديّة الذي يصل ارتفاعه إلى 1193م، وجبل تمدرة الذي يتراوح علوه بـ 1192، وهناك قمّة الونشريس التي تعلو كلل قمم المنطقة، والتي بها كاف سيدي اعمر حيث يصل ارتفاعها إلى 1983⁵، وإلى الشّرق منها نجد سلسلة سيدي عبد القادر بارتفاع 1707م وجنوب كاف سيدي اعمر تقع قمة راس بخيرة التي يقدر ارتفاعها بـ 1550م، ثم إلى الشّرق من هذه

1 -Djilali sari , op-cit , p17

2- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 190.

3- المرجع نفسه، ص 196.

4- الونشريس حسب اللغة المحلية تفيد بان المكان ليس أعلى منه، انظر جيلالي صاري، الونشريس مهد كفاح بعيد وقریب، مجلة الأصاله، العدد83، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص 26.

5- سحنون سعيداني، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرّسو 183-1930، مذكرة ماجستير معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008، ص 10.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

المرتفعات نجد قمم أخرى باسقة مثل قمّة جبل المداد بثنيّة الأحد التي يقدر علوها بـ 1780م، وهناك قمم جبليّة أخرى تبدو متوسّطة الارتفاع في الغرب إن لم نقل من مثيلاتها في الشرق¹.
يجدر الإشارة هنا إلى أن سلسلة الونشريس تتوفر على منابع مياه معدنية بنيت عليها حمّامات أهمّها حمّام سيدي سليمان الواقع في السفوح الجنوبية لجبال الونشريس شرق بلدية برج بونعامّة، والذي يعود تاريخه إلى العهد العثماني².

تغطي سلسلة جبال الونشريس غابات صنوبرية وأشجار العرعار، البلوط، أشجار الأرز التي تغطي جبال المداد شرق الونشريس، والظاهر أنّ الغطاء النباتي يزداد كثافة في سلسلة جبال الونشريس، كلّما توجّهنا نحو الشرق، وذلك راجع إلى كثرة التساقط حيث نلاحظ أن الثلوج تغطي قمم الجبال في الجهات الشرقية بدل الجهات الغربية³.

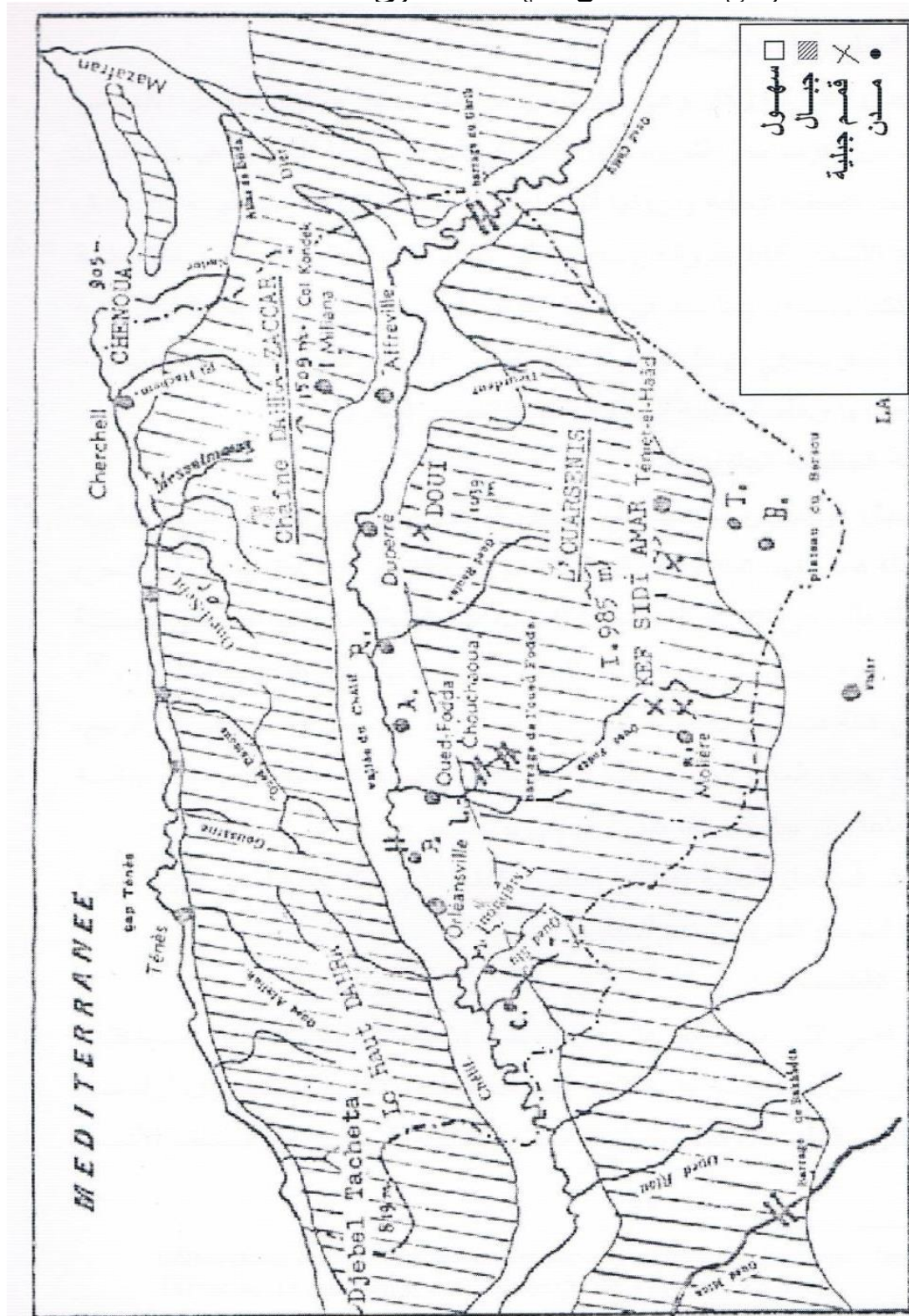
1 -Jaques lizot, *Mitidja Un Village Algerien De l Ouarsenis*,S.N.E.D,alger.1973,pp13,14.

2 -*Ibid*,p14.

3 -Djilali sari,*op-cit* , pp129,139.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

خريطة لمنطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري¹



1 - سحنون شرايف، دراسة مونوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني 146-429م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2011م، ص 8.

1-5 . المناخ:

يمكن أن نميز بين ثلاثة نطاقات مناخية متباينة في المنطقة من حيث الخصائص، والامتداد هي كما يلي:

1-5-1- مناخ البحر الأبيض المتوسط الرطب:

ينحصر هذا المناخ بين البحر، وسلسلة الظهرة من أهم خصائصه أن أمطاره تصل إلى 600 ملم خلال فصل الشتاء، أما درجة الحرارة فتبلغ عند المناطق الساحلية خلال نفس الفصل 15 درجة أما في فصل الصيف فتصل درجة الحرارة إلى 20 درجة تتصف المنطقة بكثرة الرطوبة، التي تبدأ في التناقص كلما اتجهنا نحو الداخل، والظاهر أن ما يميز المناطق الساحلية بمنطقة الشلف هو قلة التساقط في الجهة الغربية مقارنة بالجهة الشرقية، وهذا ما يعكسه الغطاء النباتي في هذا النطاق¹.

1-5-2- المناخ الجبلي:

يسود هذا النوع من المناخ سلسلة جبال الظهرة، وسلسلة جبال الونشريس، يتميز بشتائه البارد كثير المطر، وغالبا ما تشهد هذه السلاسل تساقط الثلوج في فصل الشتاء، والتي تستمر عدة أيام ثم تأخذ في الدوبان بفعل الاحتباس الحراري، وهناك ظاهرة أخرى تزيد من انخفاض الحرارة بالمناطق الجبلية، وهي عند سقوط الثلج ثم يتلوه الصقيع فإن ذلك يتحول إلى جليد وهذا له آثار سلبية على الكائنات الحية².

أما في فصل الصيف فإن منطقة الظهرة، والونشريس نجد مناخها ألطف نسبيا من المناطق الداخلية، وهذا راجع إلى قرب الظهرة من البحر وارتفاع جبال الونشريس.

1-5-3 المناخ القاري:

يسود هذا النوع من المناخ المناطق الداخلية المنحصرة بين جبال الظهرة في الشمال وجبال الونشريس في الجنوب، وهذا رغم أن المناطق الداخلية لا تبعد عن البحر سوى 50 كلم مدينة تنس مدينة الشلف غير أن المؤثرات البحرية، لا تكاد تصل إلى المدن الداخلية الموجودة على طول سهل الشلف مثل غليزان، وادي رهيو، الشلف، العطاف، خميس مليانة، وقد عبر عنها الباحث xavier yacono أن الصحراء الصغرى استقرت بالتل يمكن أن نبين بعض خصائص هذا المناخ، كما يلي:

1 عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق، ص ص 68،69.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

. شتاءه بارد قليل المطر نسبيا أمطاره تتراوح بين 400 ملم إلى 500ملم، والشهور المطير هي: نوفمبر، ديسمبر، جانفي، فيفري، مارس، وأحيانا أبريل.
. في شهر جانفي تصل درجة الحرارة إلى 10 درجات، وكذلك الحال بالنسبة لفيفري ثم ما تلبث في الارتفاع¹.

. صيف حار وجاف حيث تصل درجة الحرارة في شهري جويلية وأوت إلى أكثر من 45 درجة. وخلاصة القول أنّ ما يسود منطقة الشلف الداخلية من مناخ قاري، هو يشبه في خصائصه إلى حدّ ما المناخ الصحراوي الذي يتّصف بالصّيف شديد الحرارة والشتاء القارس البرودة، ويرجع هذا كون المنطقة الداخلية ممنوعة من استقبال المؤثرات البحرية بواسطة حزام جبلي منيع يتمثل في سلسلة جبال الظهرة في الشمال.

1-6- المجاري المائية:

يأتي في مقدّمة المجاري المائية بمنطقة الشلف واد الشلف وأهم روافده، يبلغ طوله نحو 700 كلم وهو أطول الأودية في المغرب العربي ينبع من سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، جبال عمور في الجنوب الغربي للجزائر، يكون اسمه حينها الواد الطويل ولما يصل إلى منطقة قصر البخاري يتّجه غربا عندها يصبح اسمه واد الشلف، ويخرق سهل الشلف بأقسامه الثلاثة إلى غاية نقطة التقائه بواد مينا بغليزان ليتجه نحو الشمال ليصب في البحر في مستغانم².

يتصف نظام جريان واد الشلف بالتذبذب وعدم الانتظام، فهو نشيط في فصل الشتاء نظرا لغزارة التساقط وجاف في فصل الصيف، حيث يعرف الوادي أقصى فيضاناته خلال الشهور التالية: ديسمبر، جانفي، فيفري إلى مارس ثم لا يلبث أن تنحصر مياهه، وتظهر بسريره الرمال والحصى ولا يكتب لمياهه الوصول إلى المصب بل تظل حبيسة المجرى بل تتأثر بعملية التبخر³.
وما يلاحظ على الوادي أنه يتغذى من روافده الشمالية والجنوبية وروافده الجنوبية أكثر من الشمالية، التي نذكر منها واد زدين، ووادي تيكزال وواد، تسيغاوت، وواد سلي، وواد رهيو، وواد جديوية، وهي بالكامل تتبع من السفوح الشمالية لجبال الونشريس لتزيد من منسوبه إلى غاية تقاطعه مع واد مينا⁴.

1 -Xavier yacono,op-cit,pp108,109..

2- أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ط1، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص ص 42،41.

3- عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق، ص 62.

4 - Djilali Sari,op-cit,p19.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

وبعد استعراض أهم ملامح الوسط الطبيعي للمنطقة لا يمكننا القول أن للعوامل الطبيعية دور في استقطاب المستوطنين الفرنسيين؟

2- دراسة تاريخية:

2-1- الفترة القديمة:

عرفت منطقة الشلف¹، كغيرها من مناطق الوطن توطنا بشريا يعود إلى فترات تاريخية قديمة، وهذا حسب ما تؤكده الدراسات والأبحاث الأثرية التي أجريت على العديد من الجهات في المنطقة، ومما لا شك فيه أنه للعوامل الطبيعية دور في جذب العنصر البشري بهذه المنطقة، فهي تترع على مساحة قدرها 12200 كلم²، الأمر الذي أدى إلى تنوع المظاهر التضاريسية من جبال وسهول، وما زاد من أهميتها واد الشلف الذي يخترق المنطقة على مسافة 200 كلم من منطقة lavigerie² (جندل) حاليا إلى واد مينا بغليزان rélizan غربا.

شكّلت المنطقة مسرحا خصبا لمختلف المجموعات البشرية، التي اتخذت من سهل الشلف ميدانا لأنشطتها نظرا للتنوع الطبيعي والجغرافي، بما فيها توفر التربة الخصبة على ضفتي وادي الشلف، وهذا رغم ادّعاءات بعض الفرنسيين أن مدينة الشلف، مثلا حديثة النشأة ارتبط وجودها بوصول الفرنسيين إليها عام 1843، وهذا بهدف تأكيد الدور الحضاري للاستعمار، فإننا نجد بعض الآثار تثبت غير ذلك فقد عثر على مواقع وسكنات وبقايا قبور ونقود تعود إلى الفترة الرومانية.

وحسب الدراسات، فإن الرومان بعد أن أحكموا سيطرتهم على ميناء تنس لمدة تزيد عن القرن فإنهم واصلوا التوغل نحو الداخل وتمكنوا من بناء معسكر لهم في مدينة الشلف الحالية، وذلك عام 97م، أطلق على هذه القلعة اسم كاستيليوم تانجيتيليوم Castelum tingitanum أي القلعة الطنجية³، وقد اختار الرومان هذا الموقع نظرا لاستراتيجيته، فهو ملتقى الطرق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما أنه يشرف على أهم طريق حيوي لموريطانيا القيصرية، ويشرف على مسلكين هامين واحد جنوبي يؤدي إلى تسيغاوت (سنجاس) وآخر شمالي يؤدي إلى ميناء تنس.

لم تتوقف السيطرة الرومانية على حوض الشلف الأوسط، بل امتدت إلى الحوض الأسفل من الشلف في نواحي وادي رهيو وغليزان، حيث كانت هذه المنشآت كلها ذات طابع عسكري من أجل

1- Max marchon, **petite histoire du département de chélif**, Oran, 1959, p8.

2 - Xavier yacono, **op-cit**, p59.

3- **Ibid**, p176.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

التصدي للغارات التي كانت تشنها القبائل الأمازيغية ضد الرومان كالقبائل المتواجدة في الظهرة شمالا والونشريس جنوبا¹، وفي إطار سياسة الرومنة وسياسة التوسع التي مارسها الرومان في المنطقة، فإننا نجد أنّ المعسكر الذي انشئ عام 97م يتوسع شرقا وغربا فقد عثر في مدينة وادي سلي الحالية على ضيعة رومانية وقرية رومانية صغيرة بالقرب من واد راس القريب من بلدية الصبحة بالإضافة إلى العديد من القلاع والحصون التي عثر عليها في منطقة واد رهيو وغيليزان، والتي أخذت كلها طابعا عسكريا من أجل الدفاع، ومن أجل الوقوف في وجه المحنل الغازي وتحقيق الاستقلال، والتصدي لسياسة الرومنة قامت العديد من الثورات المحلية ضد الرومان، وذلك منذ القرن الأول ميلادي في مقدمتها ثورة ايدمون من أتباع بطليموس عام 40م، الذي قاد ثورة محلية في حوض الشلف الأسفل في عهد الإمبراطور الروماني كاليغولا، وقد استمرت ثورته مدة أربعة سنوات اتبّع فيها سياسة الأرض المحروقة، وتحطيم المنشآت الرومانية كما استطاع أن يحرض العديد من القبائل الأمازيغية ضد الاحتلال الروماني².

وقد استمر لهيب المقاومة مشتتلا في المنطقة ضد الرومان، حيث شهد القرن الرابع الميلادي ظهور المقاومة في حوض الشلف الأوسط على يد الثائر الأمازيغي فيرموس خلال سنوات 372م و375م، ليواصل أخوه جلدون المقاومة الوطنية ضد الرومان إلى غاية نهاية القرن الرابع الميلادي³.

وبعد نهاية الوجود الروماني تعرضت المنطقة إلى نوع آخر من السيطرة، ألا وهو الاحتلال الوندالي الذي تميّز هو الآخر بالوحشية، والخطرة ضد سكان المنطقة من نهب وقتل ومصادرة الأملاك والأراضي.

وقبل دخول العرب المسلمين الذين قادوا حركة الفتح الإسلامي في منطقة المغرب الإسلامي كانت مدينة الشلف الحالية قد فقدت الكثير من الخصوصية الرومانية، وبقيت على شكل أطلال الأمر الذي أدى بهؤلاء الفاتحين، يطلقون اسم الأصنام عليها نظرا للمخلفات، والآثار الرومانية المتبقية.

1- ليلي بلقاسم، المراكز الاستيطانية وتطورها في منطقة غليزان 1850 - 1900، رسالة ماجستير غير منشورة الموسم 2012 - 2013، جامعة وهران، ص 16.

2- سحنون شرايف، المرجع السابق ص 134.

3- المرجع نفسه، ص 136.

2-2- الفترة الإسلامية:

شهد القرن السادس ميلادي والأول هجري مجيئ الفاتحين المسلمين، حيث عمدت الكثير من القبائل في المنطقة إلى اعتناق الإسلام حيث تعتبر قبيلة مغراوة أولى القبائل التي اعتنقت الإسلام بالمنطقة وساهمت بجيوشها مع جيش موسى بن نصير في دكّ الحركات المناوئة لقادة الفتح الإسلامي، وتعتبر فترة موسى بن نصير من أهمّ الفترات التاريخية في تاريخ المغرب عامة ومنطقة الشلف خاصة إذ انتشر الإسلام بشكل واسع، وكذا ظهور مذهب الخوارج، وبالتالي تعدد الطوائف والطرق ببلاد المغرب الأوسط، فكانت المنطقة ميدانا خصبا لظهور هذه الفرق القادمة من المشرق الإسلامي الأمر الذي أدى إلى دخول موسى بن نصير في صراع مع هذه الحركات المناوئة وكما أشرنا سابقا، فقد ساندت قائد الفتح قبيلة بني زروال، وهي فرع من فروع قبيلة مغراوة¹، ومع قيام الدولة الرستمية 160هـ-776م، وانتشار المذهب الخارجي الإباضي على يد عبد الرحمان بن رستم الذي اتخذ من تيهرت عاصمة له، والتي أقامها على سفح جبل كازول، فإننا نجد أنّ المنطقة تدين للحكم الرستمي حيث انتشر المذهب الإباضي في بطون قبائل المنطقة، مثل مغراوة ومكناسة ومطماطة ومع الزحف الفاطمي على بلاد المغرب الإسلامي 297هـ-910م سجلت قبائل المنطقة رفضها للوجود الفاطمي من ذلك المعارك التي دارت بين محمد بن خزر الذي سير جموع مغراوة وزناتة ضدّ جيش مصالة الذي عينه عبيد الله المهدي الفاطمي ولم ترسخ المنطقة للفاطميين، وبقي الحال غير مستقر بين الفاطميين والسكان المحليين إلى غاية انتهاء الوجود الفاطمي عام 361هـ-971م.²

1- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص 80-81 .
2- المرجع نفسه، ص 141.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

لتقوم الدولة الزيرية خليفة الدولة الفاطمية، هذا فإنه كذلك الدولة الزيرية دخلت في صراع مع قبائل المنطقة من ذلك موقعة البطحاء سنة 360 هـ - 970م¹ بنواحي حوض الشلف الأسفل (غليزان) بين بلوغين بن زيري ومحمد بن خير الدين بن خزر، ودارت بينهم حروب شديدة، ويؤكد هذا المزاري بقوله "التقى الجمعان بالبطحاء ووقعت الدائرة على محمد بن خير الدين بعد أن وقعت بينهما الحروب العظام، ويقال أن الخزر دس من عسكره وذبح نفسه سنة 630 هـ - 970م².

ومع إعلان المعز بن باديس الصنهاجي الأمازيغي التمرد على الفاطميين، وتقديمه الولاء للعباسيين، فما كان على الفاطميين سوى السماح لبعض القبائل العربية للهجرة نحو بلاد المغرب، وهي قبائل بني هلال وبني سليم كأداة عقابية رادعة للمعز بن باديس³. وقد وصلت بعض فروع هذه القبائل إلى منطقة الشلف، ومن هذه الفروع فرع سويد، وفرع الديالم التي توطنت في ضواحي وادي مينا ومنطقة غليزان⁴، ومع قيام الدولة المرابطية ودخولها المغرب الأوسط التي شمل نفوذها الونشريس، ومنطقة مينا ومازونة خلال فترة يوسف بن تاشفين، وخلال الصراع المرابطي الموحي كانت المنطقة ميدانا لهذا الصراع، هذا وقد دانت المنطقة للنفوذ الموحي حيث خضعت لهم بما فيها الونشريس وفي سنة 565 هـ - 1170م تمكن القائد المغراوي ابن منديل بن عبد الرحمن المغراوي من بناء مدينة مازونة⁵، وخلال هذه الفترة اقتطعت الدولة الموحدية ليغمراسن بن زيان بنواحي حوض الشلف الأسفل ووادي مينا وأحواز غليزان، فاستطاع أن يثبت قدمه بتلك الجهات.

- 1- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ح جليل شحادة، ط2، ج7، دار الفكر بيروت، 1988، ص 204.
- 2- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، ت و د، يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص 122.
- 3- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، 1 2 دار البصائر، الجزائر، ط 2009، ص 131.
- 4- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 24.
- 5- المرجع نفسه، ص 25.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

كما شهدت المنطقة كذلك الصّراع الحفصي المريني الزّياني، حول حوض الشلف في ظلّ الضّعف الذي أصاب الموحدّين، حيث بايعت مغراوة الحفصيين مخالفة سياسة بني عبد الواد، وفي فترة حكم أبي زكريا الحفصي تمّ الاستيلاء على نواحي الشلف¹، وقد شددت منطقة وادي رهيو إليها يغمراسن بن زيان، وهذا ما ذكره المزارى: "وارتحل لزيارة أبي اليمان القطب الشّيخ واضح بن عاصم المكناسي بجبل وافرشان من وادي رهيو لنيل الفضل منه"².

وفي سنة 681 هـ - 1283م توفي يغمراسن من بلاد مغراوة وخلفه ابنه عثمان الذي عمل على إخضاع المنطقة لسلطانه، فدانت له مغراوة وبني توجين ومازونة³، ومع بداية القرن السّادس عشر ميلادي تعرضت الجزائر إلى التحرّش الإسباني في إطار ما يسمى حروب الاسترداد حيث لم تسلم منطقة الشلف من الاحتلال الإسباني فقد تعرض ميناء تنس إلى الغزو سنة 1507م.⁴ الذي كان تحت نفوذ الأمير الزياني يحيى الثّابتي المتصارع مع عمه أبو حمو الثّالث حول العرش الزّياني، هذا فإنّ الإسبان دخلوا إلى تنس دون مقاومة تذكر إذ عمدوا إلى استمالة الأمير الزياني ودعمه ضد عمه أبو حمو الثّالث.

2-3 العهد العثماني:

ما تجدر الإشارة إليه أن المنطقة عرفت تدفقا للهجرة الأندلسية، مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16 م إذ نزلت بموانئ تنس وشرشال العشرات من العائلات الأندلسية القادمة من الأندلس بعد أن تعرّضت للتهديد الإسباني والممارسات الوحشيّة المفروضة من قبل محاكم التفتيش في إسبانيا⁵، وفي ظلّ هذه الأوضاع التي تميّزت بالفوضى وعدم الاستقرار بسبب الصّراع داخل العرش الزّياني، وكذا التحرّشات الإسبانيّة على المنطقة ظهر الأتراك العثمانيون على مسرح الأحداث، الذين كان لهم دور كبير في رسم ملامح المغرب الأوسط عموما ومنطقة الشلف خصوصا، فبعد المجهودات المعتبرة التي بذلها الأخوين بربروس عروج وخير الدين في تحرير العديد من الثغور في المغرب الأوسط من قبضة الإسبان، إلا أنّهم لم يتمكّنوا

1- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 26.

2- بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص 164.

3- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 207.

4- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة برياروس 1512 - 1543، دار الأصاله، الجزائر، ط1، 2011 ص 105.

5- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 - 1830، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 19.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

من إحكام سيطرتهم الكاملة على المنطقة بسبب مقاومة سكان المنطقة لهم ممثلة في قبيلة أولاد قصير، وبذلك ظلّ نفوذ الأتراك في منطقة مليانة من الناحية الشرقية في منطقة مازونة في الناحية الغربية¹.

ومع نهاية الوجود العثماني في الجزائر الذي تزامن مع مجيء الغزاة الفرنسيين عام 1830م تعرضت المنطقة للتهديد الفرنسي، وما تجدر إليه الإشارة أنّ منطقة الشلف الحالية لم تخضع للسيطرة الفرنسية إلا في عام 1843م، وإقامة أول معسكر فرنسي الذي أخذ اسم أورليان فيل. الذي كان بمثابة النواة الأولى لتشكل المراكز الاستيطانية الفرنسية في المنطقة، والتي سنحاول أن نتعرض لها بالدراسة في هذا العمل.²

أنّ تعدّد المجموعات البشرية التي استوطنت بمنطقة الشلف يعكس مدى أهميتها من الجانب الطبيعي، فكثير ما شكلت العوامل الطبيعية من موقع جغرافي ملائم، كالقرب من المسطحات المائية مثلا واعتدال المناخ وخصوبة التربة، وتوفر الغطاء النباتي، وسهولة التضاريس عوامل جذب للسكان يضاف إليها توفر المنطقة على الموارد الاقتصادية، التي تشكل محركا للنشاط البشري من صناعة وتجارة، ولم يقف دور هذه العوامل في جذب السكان فقط بل ساهمت في إثارة شهية الغزاة، فمثلا المدّ الاستعماري في القديم والحديث ما كان يهل إلى المناطق التي تتوفر على هذه العوامل السابقة الذكر، وطبيعي أن الجزائر عموما ومنطقة الشلف خصوصا عند تعرضها إلى المدّ الاستعماري قديمه وحديثه لدليل على توفرها على عناصر الجذب والاستقطاب، وهو ما سوف نتطرق إليه بنوع من التوضيح في الفصل التمهيدي الخاص بالإطار الطبيعي والبشري للمنطقة.

1- محمد عيساني، المرجع السابق ص 15.

2-Paul Azan, *Conquête Et Pacification De L algerie*, paris ,1931,p232.

2-1الوضع الديموغرافي:

سبق وان اشرنا عند حديثنا عن التطور التاريخي للمنطقة انها عرفت توطنا للعديد من المجموعات البشرية منذ فترات تاريخية قديمة ونحن سوف نركز تبيان التجمعات البشرية في المنطقة نهاية العهد العثماني ، فقد تربعت في المنطقة اهم قبيلة امازيغية الا وهي قبيلة مغراوة التي انحدرت منها منه العديد العديد من الفروع منها عرش اولاد خويدم ،عرش اولاد فارس ، عرش اولاد اولاد سيدي لعريبي وعرش اولاد عباس ،العطاف هاشم ،سويد جندل اولاد قصير حيث تعتبر هذه الاخير من اهم الاعراش التي سكنت المنطقة والتي تفرعت عنها العديد من الفروع مثل الحضر والحبائر في منطقة مازونة والظهرة ،اولاد سيدي احمد بن عبدالله في مجاجة ،اولاد سيدي لزرق والدقااشة في مرتفعات الونشريس¹ .

1- ليلي بلقاسم،المرجع السابق،ص 25.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

وفي ما يلي جدول يحتوي احصائيات للقبائل والمساحة في منطقة حوض الشلف حلال

سنتي 1845 و 1848م¹

جدول سنة 1848		جدول سنة 1845		القبائل
المساحة	تعداد السكان	المساحة	تعداد السكان	
10000	3994	10000	1686	جندل
8200	2292	8200	609	هاشم
3200	2238	3200	948	الزمول
3000	269	3000	92	عريب
23216	4674	23216	2336	اولاد عيسى، اولاد يحي، الاحرار، بني
46000	9416	46000	5500	بويكني
38440	8288	38440	8953	العطاف
11820	2295	11820	2700	اولاد قصير
12000	1530	12000	1800	اولاد عباس
19200	4410	19200	3870	اولاد خويدم
5220	1210	5220	1878	عكرمة الشراقة
2300	1755	2300	498	اولاد سيدي لعربي
5400	1440	5400	1164	اولاد احمد
5046	785	5046	558	المحال
6720	1220	6720	1236	اولاد سويد
199762	46416	199762	33888	الصحاري المجموع

إن الاحصائيات الواردة في الجدول السابق هي أرقام لوثيقتين متباينتين في الاطار الزمني ، فالوثيقة الأولى عبارة عن جدول تم اعداده في الفترة 1844/1845 من طرف مارغريت وسالنيك في مليانة وريتشارد في الشلف و بوسكي في مستغانم وكل هؤلاء عمال في المكاتب العربية اما الجدول الثاني فقد تم اعداده عام 1848.

وما يمكن استنتاجه من خلال الجدولين ان المنطقة كانت اهلة بالسكان وهذا يفند تلك الاقاويل القائلة ان المنطقة غير ماهولة ويرجع الفضل للفرنسيين في تعميمها ، اما اذا امعنا النظر في الاحصائيات الواردة في الجدولين فاننا نلمس نوعا من التباين بينهما ، فمثلا الكثافة

1-Xavier yacono ,La Colonisation,T1, op-cit, pp 210-211.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

السكانية من خلال الجدول الاول لعام 1844/1845 قاربت 16.9 نسمة/كلم/بينما الكثافة السكانية في الجدول الثاني لعام 1948 بلغت 32.2 نسمة/كلم/ ويعود سبب هذا الاختلاف كون هنالك تباين في تعداد السكان لبعض القبائل، فمثلا الجدول الاول احص لقبيلة عريب 92 نسمة يقطنون مساحة قدرها 3000هـ، اما الجدول الثاني فاننا نجده يحصي لنفس القبيلة تعداد سكاني قدره 269 نسمة، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان التوقيت الزمني الذي اجري فيه الاحصاء ان يختلف هو كذلك، فبالنسبة للجدول الاول صادف قيام ثورة الشيخ بومعزة في المنطقة وكذلك الدراسة لم تكن ميدانية بشكل كبير نظرا لعدم تجاوب السكان مع اعوان المكاتب العربية اما الجدول الثاني فقد صادف انتهاء مقاومة الامير عبد القادر ومقاومة الشيخ بومعزة وعرفت المنطقة نوعا من الاستقرار الامني وبالتالي فتح المجال امام اعوان المكاتب العربية لإلمام بأكبر قدر من المعطيات الديمغرافية حول المنطقة كما اننا نسجل كذلك ان الجدول الثاني قد اهمل قبيلتين من اهم قبائل المنطقة وهي قبيلة اولاد فارس وقبيلة الصبيح، وبالتالي فالمساحة الاجمالية للمنطقة ليست دقيقة وهذا يؤدي كذلك ان الكثافة السكانية للمنطقة ليست 23.2 وانما تزيد عن ذلك¹.

شكلت منطقة الشلف عبر مختلف المراحل التاريخية مجال عبور للعديد من الغزاة و القوافل البشرية سواء من الشرق إلى الغرب أو من الجنوب إلى الشمال أو العكس ، و لكن أيضا حركة داخلية من السهول إلى المرتفعات المجاورة و العكس أيضا ، وعلى الاقل فإنه و إلى غاية قدوم العرب الفاتحين مع نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن للميلاد ، حيث وقع نوع من الانسجام و الانصهار فيما بينها و بين القبائل المحلية ، فإن معظم قبائل المنطقة كانت تنحدر من قبيلة مغراوة الأمازيغية.²

1 -Xavier Yacono,La Colonisation,T1,op-cit,p213

2-Xavier Yacono,Les Bureau Arabes Dans L oust Du Tell Algerien –Dahra,Chélif,Ouarsenis,Sersou,edition Larose ,paris,1953,p36.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

وقد شكل توافد القبائل المحلية على اعتناق الدين الاسلامي و توحد لسانها إلى اللسان العربي عامل وحدة وانسجام فيما بينها ، بالرغم من كل تلك الصراعات و الحروب التي ما فتئت تشتعل ثم تخفت ثم تشتعل مرة أخرى بينها منذ القرن التاسع و إلى غاية بداية القرن السادس عشر الميلاديين اي مع بداية التواجد العثماني بالجزائر ، سواء تحت دافع فكري عقائدي أو صراع مواقع ، فعشية الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت المنطقة تعدّ ما لا يقل عن عشرين قبيلة رئيسية تتحدر منها ما يناهز المائة قبيلة فرعية و من أبرز القبائل الرئيسية نجد أولاد قصير، أولاد فارس اولاد عباس ، العطاف أولاد خويدم ، أولاد سيدي لعربي ، البراز ، عريب، جندل، هاشم الزمول ، أولاد سويد الصبيح، عكرمة ، أولاد احمد ، جندل، المهل ، الصحاري ، بني زروال، بني مناصر.. إلخ.¹

صحيح أن الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م ثم نشأة دولة الامير عبد القادر الجزائري و بداية المقاومة بعد ذلك قد أحدثا تغييرا جذريا على الوضعية الديموغرافية للمنطقة و لكن لا يمكن في كل الحالات القبول بالطرح الذي حاولت بعض الاقلام الاستعمارية الترويج له و الذي مفاده أن منطقة الشلف لم تكن مأهولة عشية الاحتلال الفرنسي مما يمنحهم شرعية و شرف تعميرها ، فهذا الطرح مردود على أصحابه ، فالمنطقة مجال عبور استراتيجي نحو مختلف مناطق الوطن و هي تتمتع بإمكانيات و ثروات طبيعية متعددة جعلتها منطقة جذب واستقرار للسكان ولا يعقل حينئذ التصديق بهذا الطرح ، و الخريطة التالية تبين تعداد و توزيع القبائل الرئيسية على المنطقة.

1-Boudjemaa Hichour , *Trubuts ET Mode de vie dans la vallee du chelif*, Article de presse Apparut au Journal El Moudhahid du 20/07/1997,p15.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

من زاوية أخرى فقد شهد شاهد من اهلها ذلك أن الماريشال بيجو و اثناء عبوره المنطقة في ربيع سنة 1842 و مشاهدته للزراعات الواسعة المنتشرة فيها كتب يقول أن المنطقة يسكنها العديد من السكان ، كما أن خليفة الامير عبد القادر القائد ميلود بن عراش تمكن في نفس الفترة من جمع ما لا يقل عن 9500 مقاوم من أبناء المنطقة لصد تقدم الفرنسيين هذا مع الاخذ في الحسبان أن هؤلاء المقاومين كلهم من جنس ذكر وهم بالغون أي دون حساب الاناث و الاطفال.¹

لكن و بعيدا عن الانطباعات التي قدمها الماريشال بيجو عن تعداد سكان المنطقة فإننا و بالعودة إلى لغة الأرقام نجد كل الحجج التي تثبت أن هذه المنطقة لم تكن مأهولة حسب غير صحيحة ، فعلى العكس من ذلك كانت تنتشر فيها أكبر نسبة للكثافة السكانية في الجزائر خلال تلك الفترة على العكس مما كنا نعتقد فإن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كثيرة و لكن ينبغي التعامل معها بنوع من التمحيص و ايضا المقارنة.

الوثيقتين الاكثر قدما و التي تناولتا هذا الموضوع هي أولا : إستمارة مؤرخة في 1833/04/30 تضمنت قبائل منطقة وهران حيث ان سلطة بايلك وهران كانت تمتد إلى منطقة جندل و قد أعدها نقيب في القوات الملكية لقيادة الاركان في الجيش الفرنسي يدعى (Tatareau)، و الثانية عبارة عن جدول إحصائي تضمن القبائل الرئيسية لمنطقة وهران و قد نشر هذا الجدول في المجلة الأسوية لسنة 1835 من طرف (Marcel) والتي حسب صاحبها فقد اعتمد فيها على وثائق عربية تم جمعها من طرف ضابط في قيادة أركان الجيش الفرنسي في وهران، المعلومات التي تضمنتها الوثيقتين تركزت أساسا على عدد المشاة والخيالة

1-Marcel Emirit, L algerie A L époque D abd-El-Kader, paris, 1951, p102.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

لدى كل قبيلة¹ باعتبار هاذين المعيارين شكل الشغل الشاغل لقوات الاحتلال ، و الجدول الآتي يستعرض مضامين هاتين الوثيقتين:²

إن نظرة دقيقة على الجدول المذكور أدناه تبين لنا هشاشة الارقام التي قدمها (Tatareau) والتي لا تسمح في كل الحالات بالوصول إلى استنتاج معقول،³ فمن ضمن ثمانية قبائل لم يذكر إلا ثلاثة فقط وبالمقابل فإن الارقام التي قدمها (Marcel) و التي مجموعها 27912 مقاتل هي في الواقع تمثل تعداد الذكور البالغين فقط، وإذا اعتبرنا أن هذا العدد يمثل ثلث السكان فقط فإن التعداد الاجمالي للسكان هو في حدود 83736 نسمة⁴ أي بكثافة سكانية تقدر ب: 58.6 ن/كلم على اعتبار أن مساحة الاراضي هي في حدود 142880 هكتار كما هو موضح على الجدول إلا ان هذا العدد وهذه النسبة يبدو أنه مبالغ فيهما إذا اعتبرنا أن القائد ميلود بن عراش خليفة الامير عبد القادر قد تمكن سنة 1840م من جمع 9500 مقاوم في المنطقة

جدول يمثل أهم القبائل و تعداد جنودها من الخيالة و المشاة.⁵

المساحة بالهكتار	وثيقة TATAREAU		وثيقة MARCEL		القبائل
	المشاة	الخيالة	المشاة	الخيالة	
6720	100	12	الصحاري
5400	1000	800	المحال
3300	3000	1500	اولاد احمد
19200	400	800	3000	1000	عكرمة شراقة
1200	1000	500	اولاد خويدم
11820	200	800	3000	1000	اولاد عباس
38440	600	900	2000	1000	اولاد قصير
46000	6000	3000	العطاف
142880	1200	2500	19100	8812	المجموع

1- Journal Asiatique ,Socité Asiatique, paris,1835,p74-86.

2-Gouvernement General D algerie ,Tableau Général Des communes de plein exercice ,mixtes et indigènes des trois province ,territoire civil et militaire avec indication du chiffre de la population et de la superficie ,imp de l'association ouvrière ,Alger ,1884,p10-12.

3 Boudicour, La Colonisation de l algerie s l m p ,paris ,1860,187.

4 Boudicour ,ibid,p191.

5-Xavier Yacono,La Colonization T1 ,op-cit,P208.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

هناك وثيقتين أخريتين يرجع تاريخهما إلى سنة 1839م ، الأولى عبارة عن جدول إحصاء

لقبائل منطقة وهران والوثيقة الثانية تنسب إلى (Warnier) الذي كان خلال هذه الفترة برفقة (Daumas) في منطقة معسكر، و قد تضمنت هاتين الوثيقتين أيضا تعداد الخيالة و المشاة لدى كل قبيلة من قبائل المنطقة كما يوضحه الجدول الموالي

جدول مقارنة يمثل أهم القبائل و تعداد جنودها من الخيالة و المشاة¹

حسب وارني WARNIER			حسب 1839			القبائل
الخيالة	الفرسان	الخيم	الخيالة	الفرسان	الخيم	
100	200	300	40	100	160	الصحاري
-	-	-	70	140	300	عكرمة
-	-	-	70	160	250	المكاحلية
30	70	100	30	70	100	اولاد احمد
30	110	140	30	100	150	اولاد سيدي لعرابي
-	300	320	70	100	200	اولاد خويدم
40	100	250	30	100	200	المحال
30	90	120	40	80	150	اولاد سويد
150	150	640	50	100	200	اولاد عباس
-	300	300	-	-	-	اولاد قصير
60	200	300	60	200	300	العطاف
			480	1150	2010	المجموع
			1630			

1-Xavier Yacono ,La Colonisation,T1op-cit,p209.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

هاتين الوثيقتين بدورهما نسجل عليهما مآخذ عديدة ، فبالنسبة لجدول سنة 1839م فقد أهمل قبيلة نحسبها من أهم و أكبر قبائل المنطقة و هي قبيلة أولاد قصير¹ والتي كانت تمتد رقعة انتشارها من مدينة واد الفضة شرقا إلى غاية مدينة واد سلي غربا على مسافة تزيد عن 35 كلم تقريبا و هي تضم 18 قبيلة فرعية مما يجعل الارقام المقدمة ضمن الجدول تفتقد إلى المصادقية.

من زاوية أخرى فإن الارقام التي قدمها (Warnier) تبدو هي الاخرى بعيدة عن الحقيقة بالنظر إلى العدد الكبير من قوات المقاومة التي تمكن الامير عبد القادر الجزائري و سيدي لعربيي من جمعها بالمنطقة.² الدراسة الثالثة التي تناولت الموضوع تم إعدادهما من طرف مسؤولي المكاتب العربية، الجدول الاول تم إعداده سنة 1845/1844 من طرف كل من (Margueritte) ثم (Salignac) في مليانة و (Richard) في مدينة شلف و (Bosquet) في مدينة مستغانم و اما الجدول الثاني فقد تم إعداده سنة 1848 و الجدول الموالي يوضح نتائج الدراستين السالفتي الذكر³

إن الظاهر من خلال استقراء الارقام المبينة في الجدول أدناه هو أنها تبدو أقرب إلى الواقع⁴ وذات مصداقية أكثر من الدراسات السابقة ، فبالنسبة لجدول سنة 1845/1844 اين بلغت الكثافة السكانية 16.9ن/كلم بإعتبار تعداد السكان كان يقدر بـ 33878 نسمة⁵ موزعة على مساحة تقدر بـ 199762 هكتار تبدو هذه الكثافة السكانية مقبولة إلى حد ما لكن و بالعودة إلى الجدول فإننا نسجل بعض المآخذ و من بينها أن هناك تباين واضح بين تعداد سكان بعض القبائل مقارنة بالمساحة المحتلة ، فبينما نجد مثلا قبيلة عريب التي تضم 92 فردا فقط حسب ما هو مبين في الجدول تملك مساحة قدرها 3000 هكتار نجد في المقابل قبيلة سيدي عبد الله أو سيدي لعربيي التي هي من بين أهم قبائل المنطقة حيث يبلغ عدد

1- Xavier Yacono ,La Colonisation,T1op-cit -Ibid,p210.

2- هنري تشارلز تشرشل ، حياة الامير عبد القادر،تحقيق ابو القاسم سعد الله ،الدار التونسية للنشر،تونس،1974،ص54.

2-Xavier Yccono,la colonisation T1,op-cit,p215.

3-Mandeville Et Demontes, Etude De Démographie Algerienne ,s l m p ,paris ,1900,p19.

4-Lahouari Addi,De L algerie Pre-colonial A L algerie coloniale , Entreprise National Du Livre ,Alger ,1985,pp 69-70.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

سكانها 1878 نسمة اي 20 ضعفا عدد سكان قبيلة عريب لا تملك إلا 5220 هكتار اي أقل من ضعف مساحة القبيلة المذكورة.

جدول يمثل مقارنة لتعداد سكان اهم القبائل في حوض الشلف خلال سنتي 1845 و1848¹

جدول سنة 1848		جدول سنة 1845		القبائل
المساحة/هك	السكان	المساحة/هك	السكان	
10000	3994	10000	1686	جندل
8200	2292	8200	609	هاشم
3200	2238	3200	984	الزموال
300	269	3000	92	عريب
23261	4674	23216	2336	اولاد - عيسى الاحرار
46000	9416	46000	5500	العطاف
38440	8288	38440	8953	اولاد قصير
11820	2295	11820	2700	اولاد عباس
12000	1530	12000	1800	اولاد خويدم
19200	4410	19200	3870	عكرمة الشراقة
5220	1210	5220	1878	اولاد لعريبي
2300	1755	2300	498	اولاد احمد
5400	1440	5400	1164	المحال
5046	7851	5046	558	سويد
6720	1120	6720	1236	الصحاري

1 -Xavier Yccono, la colonisation T1, op-cit, p210-211.

2-3 الوضع الاجتماعي:

ما ينبغي الإشارة له أيضا في هذا السياق إن تعدد القبائل و تفرعها في منطقة الشلف لم يمنع في الواقع ابدأ من وجود تعايش و تكامل فيما بينها ليس من منطلق أنها تقطن منطقة واحدة فحسب و لكن أيضا من منطلق التباين المسجل في الإمكانيات المتوفرة داخل حدود انتشار أو استقرار كل قبيلة سواء في المناطق المرتفعة الجبلية أو المناطق المنبسطة السهلية،¹ الأمر الذي جعل من هذا التكامل ضرورة ملحة وساهم إلى حد كبير في تركيب النسيج الاجتماعي لقبائل المنطقة ، فوجد مثلا بعض فروع قبيلة البراز المنتشرة في المرتفعات الشمالية الشرقية يستقرون لدى قبيلة عبيد في المنطقة السهلية بالقرب من خميس مليانة ، كما نجد أيضا قبائل بني مناصر في المرتفعات الشمالية الشرقية و كذا قبائل بني وعزان و شوشاوة في مرتفعات الونشريس يستقرون لدى قبيلة عريب حيث كانوا يستغلون ثلث أراضي هذه الأخيرة في الرعي.²

نفس الملاحظة نجدها لدى عرش أولاد قصير المنتشرة بين منطقة واد الفضة و واد سلي حيث هي في الأصل تتكون من 18 قبيلة فرعية 12 منها على الأقل قادمة من المناطق الجبلية و على سبيل الذكر لا الحصر نذكر مثلا قبائل الحضرة و الحباير من منطقة مازونة و جبال الظهرة ، أولاد سيدي أحمد بن عبد الله من منطقة مجاجة أولاد سيدي لزرق و الدقاقتة من المرتفعات الوسطى للونشريس.³

بالموازاة مع ذلك فقد كانت قبائل المناطق السهلية الوسطى أثناء فترات الجفاف تدفع من جهتها بقطعانها نحو قبائل المجاورة بالمناطق المرتفعة من أجل الرعي نتيجة تضائل أو انعدام الكلاء بالمناطق السهلية الداخلية.

1-S A, Principales Tribus Septentrionale Et Particulièrement De L algerie ,imp impéria ,paris ,1853,pp66-71.

2-Xavier Ycono ,Les bureaux ,op-cit,pp348-352.

3-Boudjamaa Haichour, "Trbuts Et Mode De Vie Dans La Vallee De Chlelif", Article de presse Apparut Au Journal El Moudjahid le 20/07/1997, p15.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

هذه الحركة الدؤوبة بين قبائل المنطقة سمحت أيضا بقيام مبادلات تجارية فيما بينها عن طريق الأسواق التي كانت منتشرة هنا وهناك في مدينة جندل (سوق الاربعاء) و مدينة شلف (سوق الاحد) وتتس و بالقرب من واد مينا و عبر كامل منطقة الشلف ، هذه الاسواق التي كان يلتقي فيها الوافدون من كل حدب و صوب تبقى أحسن شاهد على التكامل القائم بين تلك القبائل و نظرا للأهمية التي اكتسبتها هاته الأسواق من حيث المنتجات المعروضة فقد كانت تقصدها أيضا خلال فترات معينة من السنة بعض القبائل القادمة من الاطلس التلي والصحراوي، فكانت القبائل الجبلية و التلية و الصحراوية تتزود بالحبوب و الكلاً وبعض منتجات قطعان الحيوانات من جلود و صوف و حتى مادة الزفت لمعالجة بعض أمراض الحيوانات وبالمقابل كانت قبائل المناطق السهلية تتزود من بعض منتجات الصناعات التي كان يغلب عليها الطابع التقليدي خاصة بعض لوازم الخيول و الألبسة التقليدية و الخيم والملح و التمور و الأواني الفخارية ولكن أيضا الخضروات و الفواكه و التوابل التي كانت تنتجها سواعد القبائل الجبلية و كذلك تلك المنتشرة عند منحدرات المناطق المرتفعة.¹

1-Xavier Yacono, Les bureaux ,op-cit,348-352.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

3-3 الوضع الاقتصادي:

لقد كانت زراعة الحبوب والأرز و كذا بعض الاشجار المثمرة بالإضافة إلى حرفة الرعي هي ميزة النشاط الاقتصادي لسكان المنطقة ، ذلك أن توفر الاراضي الفلاحية الخصبة و المياه التي كان يوفرها واد شلف من جهة وكذلك شاسعة المناطق الرعوية من جهة ثانية شكلت كلها مناخا ملائما لانتشار هاذين النشاطين وبدرجة أقل كانت تنتشر أيضا بعض الصناعات التقليدية كالصناعات النسيجية وكذا لوازم الخيول ، و صناعة الملح بسبخة بن زيان بالقرب من واد مينا،¹ و إذا كنا نفتقد إلى بيانات حول المنتجات الصناعية للمنطقة فعلى العكس من ذلك هي متوفرة بالنسبة للمساحات الزراعية وتعداد الثروة الحيوانية وهذا ما يعكسه الجدولين المواليين.²

جدول يمثل جدول إحصائي يمثل الثروة الحيوانية سنة 1848. 70

الثروة الحيوانية						القبائل
الجمال	البغال	الخيول	الابقار	الماعز	الاعنام	
40	70	50	700	250	5252	الصحاري
15	20	75	600	15000	المحال
...	10	60	280	2300	اولاد احمد
...	80	300	2000	2500	12000	اولاد سيدي لعربي
15	20	110	290	8000	اولاد عباس
70	42	417	2030	855	11480	عكرمة الشراقة
....	8	80	980	2995	5530	اولاد خويدم
...	14	153	1279	2124	2153	اولاد فارس
....	95	427	4095	4095	12715	اولاد قصير
.....	390	108	2592	1438	16868	العطاف

1 -Lhouari Addi,op-cit,pp69-71.

2 -Xavier Yacono,La Colonisation,T1,op-cit,p226.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

تابع للجدول السابق

القبائل	الثروة الحيوانية				
	الاجنام	الماعز	الابقار	الخيول	البغال
البراز	19085	...	2612	69	418
عريب	1100	64	1	9
الزمول	7281	...	1003	48	102
هاشم	7095	1995	33	258
جندل	9117	...	2973	105	250
المجموع	144976	14257	23493	2036	1786

و لما كان النشاطين السالفي الذكر الأكثر ممارسة و انتشارا في المنطقة فقد أدى ذلك إلى تكوين نمطين من التجمعات السكانية ، الأولى تجمعات سكانية مستقرة تشتغل بالزراعة و هي تنتشر في المناطق السهلية الداخلية و كذا بعض المناطق الجبلية خاصة الشمالية ، و الثانية تجمعات سكانية رعوية متنقلة تشتغل بالرعي و تنتشر في المرتفعات التلية أو بالقرب من المنحدرات الجبلية.

إلا أننا نعتقد أن هذا التقسيم نسبي إلى حد ما و هذا بالنظر إلى الحركة الدؤوبة لقبائل المنطقة كما اسلفنا الذكر وحينئذ يمكننا الحديث عن تجمعات سكانية شبه مستقرة أو تجمعات سكانية شبه متنقلة (بدو رحل) أو تزواج بين حياة الاستقرار و الترحال.

و قد انعكس هذان النمطان من التجمعات على طبيعة السكنات التي ميزت المنطقة باستثناء بعض المدن أين كانت المساكن لها مدلول الاستقرار الفعلي كما هو الحال في مدينة مليانة و مازونة و تنس و التي كانت تشكل مناطق إشعاع علمي و ثقافي ، حيث كانت هذه المنازل مبنية بالحجارة و لها سطوح فإن بقية المساكن كانت عبارة عن خيم أو بيوت مبنية بالقش¹ عادة ما كانت تنتشر حول منازل كانت تسكنها العائلات الشريفة و العائلات الاقطاعية التي ازداد نفوذها في عهد العثمانيين اللذين اقتصر وجودهم كما هو معروف على المناطق

1 -Reuss L.M,A Travers L algerie,librairie Generale De Vulgarisations,paris 1884,pp130-140.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

الساحلية في الوقت الذي كانت تمثل هذه العائلات سلطتهم في المناطق الداخلية مقابل الحصول على امتيازات متعددة و منها المساحات الشاسعة من الاراضي الزراعية الخصبة و القطعان المتنوعة من الماشية و أيضا المساكن الجميلة والرحبة.¹

و من بين تلك العائلات التي كان حكامها برتبة قياد أو آغوات أو باشغوات نجد مثلا عائلة

سيدي لعريبي في منطقة مجاجة و عائلة بن يحي بين منطقتي العطاف و الروينة ، و عائلة

بن سماعيل في منطقة الخميس وعائلة البغدادي بين منطقتي العطاف و واد الفضة و أيضا

عائلة بوعلام بن شريفة بمنطقة مليانة ، لقد ظلت هذه العائلات طيلة العهد العثماني و كذا فترة

الاحتلال الفرنسي تمثل بحق الطبقة الأرستقراطية في المنطقة.²

إلا أن هذا لا يعني أبدا أن هذه العائلات و من ورائها القبائل التي كانت تتحدر منها لم

تكن بحوزتها أراضي ملكية خاصة بها ، بل على العكس من ذلك و كما لاحظنا في الجدول

السابق فإن جميع قبائل المنطقة كانت تحوز على أراضي خاصة بها على اختلاف مساحاتها

وإلى جانب ذلك كانت تنتشر أيضا أراضي البايك أو السلطة العثمانية و أراضي العرش، و

لعل هذا التقسيم و التنوع هو الذي كان وراء ترسانة القوانين التي سنتها سلطات الاحتلال تباعا

في إطار مصادرتها للأراضي في المنطقة لوضعها تحت تصرف المستوطنين.³

1 - عبد اللطيف بن اشنهو، تكون التخلف في الجزائر، ر مجموعة من الاساتذة، ش و ن ت ،الجزائر، دت، ص27
2-Xavier Yaccono ,La Colonisation T1,op-cit,222.

3 -عدة بن داهة،الاستيطان والصراع حول ملكية الارض ابان فترة الاحتلال الفرنسي1830-1962،ج1،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر،2008، ، ص336.

خلاصة المدخل

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

نستخلص مما سبق ان منطقة حوض الشلف باقسامه الثلاثة الاسفل والاوسط والاعلى ،انها منطقة تتميز بموقع استراتيجي مميز ،علاوة على اشرافها على شريط ساحلي معتبر ،فانها منطقة اتصال بين العديد من الجهات الهامة في القطر ،في تربط بين مدينتين هامتين في الجزائر خلال خاصة خلال العهد العثماني ،مدينة الجزائر العاصمة والتي كانت عاصمة السلطة الحاكمة وتسمى بدار السلطان ،ومدينة وهران التي كانت عاصمة بايلك الغرب ،بالاضافة الى الربط بين مدينة تنس الساحلية التي كانت تتوفر على ميناء مهم واهم المناطق الداخلية على غرار مدينة تاهرت في سهول السرسو جنوب سلسلة الونشريس،بالاضافة الى الخصائص الطبيعية الهامة التي ساعدت على التوطن البشري منذ القديم ،كتوفر التربة الخصبة واتساع السهول ،وملائمة المناخ الذي يتميز بالاعتدل خاصة في المناطق الساحلية ،يضاف الى هذا ،وجود واد الشلف ،الذي يعتبر من اهم الاودية في الجزائر ،والذي شكل شريانا حيويا للزراعة في المنطقة منذ الفترات القديمة ،الامر الذي جعل منطقة حوض الشلف تعرف توطنا بشريا منذ القديم ، فقد توطن الانسان الامازيغي بها وترك اثارا تؤرخ لوجوده في المنطقة،كما عرفت المنطقة توافد عناصر اجنبية عبر التاريخ امتزجت مع العنصر المحلي ،على غرار الرومان الذي وصلوا الى المنطقة ،اذا لا تزال البقايا والشواهد الاثرية شهادة على الوجود الروماني ،كما تعرضت المنطقة الى الغزو الوندالي وتبعه الغزو البيزنطي ،الذي لم ينته الا بالفتح الاسلامي لبلاد المغرب خلال القرنين الاول والثاني للمنطقة ،فقد عرفت المنطقة العديد من الكيانات الاسلامية على غرار الدولة الرستمية ،ودولة الاغالبة ودولة المرابطين ودولة الموحيدين الذين كانت لهم سيطرة على المنطقة عبر الحقب التاريخية المختلفة ،كما عرفت المنطقة سيطرة الزيانيين خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر ميلادي ،ومع مطلع القرن السادس عشر عرفت المنطقة السيطرة العثمانية والتي لم تنتهي الا مع الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

مدخل: دراسة جغرافية وتاريخية وبشرية لمنطقة حوض الشلف

لقد ساهمت الخصائص الطبيعية والجغرافية في صنع تاريخ منطقة حوض الشلف بصيغة

مباشرة او غير مباشرة ،شأنها في ذلك شأن باقي مناطق ربوع الوطن

الفصل الأول

المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري.

1-عموميات حول المدينة وتطورها:

1-1-مفهوم المدينة.

1-2-أنواع المدينة.

1-3-التطور التاريخي للمدينة .

2-مظاهر الحياة العمرانية في الجزائر خلال العهد العثماني.

2-1-مكونات النسيج العمراني للمدينة الجزائرية خلال العهد العثماني:

2-2-وضع الملكية العقارية في الجزائر خلال العهد العثماني.

2-3-التشريع العمراني في الجزائر خلال العهد العثماني.

3-التحولات العمرانية في الجزائر خلال العهد الاستعماري الفرنسي:

3-1-تعريف المدينة الكولونيالية.

3-2-خصائص المدينة الكولونيالية .

3-3-الهندسة المعمارية خلال العهد الاستعماري.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

1- عموميات حول المدينة وتطورها:

1-1- مفهوم المدينة:

كتب ابن منظور الإفريقي عن كلمة المدينة أنها مشتقة من الفعل "مدن"، ويقول العرب: "مدن بالمكان أي أقام به"، وتجمع على مدائن ومدن، والمدينة هي الحصن يبنى في أصطمة الأرض.... والنسبة إليها مديني¹.

وبناءً على ما ورد في لسان العرب نلاحظ أن المدينة مرتبطة بالاستقرار البشري في المكان، المسجد في الحصن، لأنّ المدن كانت منذ فجر التاريخ عبارة عن حصون وقلاع، والعالم الإسلامي لم يشذ عن ذلك بما في ذلك الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.

وقد تلتقي لفظة المدينة بلفظة الحاضرة²، وكلاهما يدلّان على تجمع بشري دائم، إلا أنّ البعد البشري الذي ركّز عليه علماء الإسلام مثل ابن خلدون والفارابي والمقرئزي وأبو حنيفة، لم يكن كافياً عند الباحثين والمفكرين في موضوع المدينة في العربية الإسلامية، فقد عرفها بعضهم أنها المكان الذي تقام فيه الحدود وتؤدّى فيه صلاة الجمعة، فلذلك هي مرتبطة بمسألة القضاء والعدالة والشعائر الدينية الجماعية.

وذهبت بعض الدراسات المعاصرة إلى اعتبار المدينة تجمعاً سكانياً كبيراً غير متجانس، يعيش على قطعة أرض محدودة نسبياً، وتعتمد هذه الوحدة السكانية على الصناعة أو التجارة أو عليها معاً كما تمتاز بالتخصّص، وتم الاتفاق على اعتبار كل تجمع سكاني يزيد عن عشرين ألف نسمة، مدينة³.

1-1-1 تعريف المدينة عمرانياً ومعماريًا:

1-1-1-1 تعريف Aldo Rossi: "هو فضاء لممارسة العديد من الأنشطة".

1-1-1-2 تعريف Lévy: "فضاء تكون عبر الزمن مشكلاً وحدة اجتماعية ومكانية".

1- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهرسه علي شيري، المجلد 13 حرف الميم، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م، ص 55.

2- الحاضرة مشتقة من حضر حضور، أي أن ساكن المدينة دائم الحضور بها، لذا يطلق عليه "الحضري أي المديني"، والحضر يشكلون فئة متميزة بحضورهم وسلوكهم وافكارهم

3- شوقي عبد المنعم، مجتمع المدينة - الاجتماع الحضري، ط7، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 27.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

1-1-2 تعريف المدينة اجتماعيا:

1-1-2-1 تعريف Max Weber: "تنوع فب ممارسة الأنشطة والمهن في مكان متباين الأبعاد"¹.

1-2- وظائف المدينة:

تتعدّد وظائف المدينة كفضاء يأوي العنصر البشري الذي تتعدّد أنشطته وسلوكياته ويمكن أن نبيّن أهمّ الوظائف كالآتي:

1-2-1 الوظيفة السكنية:

يرى أغلب علماء الاجتماع أنّ المسكن يعتبر أحد أهمّ الحاجات الأساسية للإنسان وعنصر هام يحدّد نوع الحياة، فهو يقدم المأوى ويوفّر مختلف الإمكانيات التي تميز الحياة المنزلية من راحة وطمأنينة، ويرى M.Bryee أنّ المكان الذي يسكن فيه الفرد يعدّ أمرا حيويا في تكوين شخصيته وعاملا مؤثرا في صحّته النفسية والجسدية والاجتماعية².

وتوفر المدينة السكّن لأفرادها، بحيث تحتلّ المساكن الجزء الأكبر من رقعتها، فنجد هذه المناطق السكنية تتركز في أحياء حول وسط المدينة ثم تتخذ في الاتّساع نحو الأطراف تحت ضغط الأنشطة التجارية والخدمات محدثة تغييرات جديدة في أنماط توزيع السكان وانتشارهم، لذلك فالمساكن تشغل أكبر نسبة من استخدامات الأرض في المدن³.

1-2-2 الوظيفة الصناعية:

تعتبر الصناعة هي الوظيفة الأساسية للنمو الحضري الحديث، وستظلّ بإمكانها الحافز على خلق مدن كثيرة أو على الأقلّ لها قابلية على خلق الأحياء العالمية التي قد تتحوّل إلى مدن مستقلة والتي كان لها الفضل في تفجير العديد من المدن التقليدية خلال القرن 19م.

إنّ تموقع الصناعات المختلفة داخل المدن أمر بالغ التعقيد، ففي المدن الصناعية تنتشر المصانع في كلّ رقعة من المدينة، بحيث لا يخلو شارع من مصنع أو معمل، أمّا المدن التي لا تطغى فيها الصناعة على بقية الوظائف فإنّ مواقع الأحياء يتوقف على طبيعة الصناعات

1-Bourouai Ibtissem ,Croissance De Petites Villes Algeriennes , cas de el harouche,memoire de magister , université de Constantine,2007, p35

2- صبرينة معاوية، التطوير الحضري والتنمية المستدامة في المدن الصحراوية، مدينة بسكرة نموذجا، رسالة دكتوراه في

علم الاجتماع البيئية، جامعة بسكرة ، الموسم 2016/2015 ص: 29

3- المرجع نفسه، ص: 33.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

ذاتها. فالصناعات غير النظيفة المحدثة للضوضاء تجبرها القوانين على القيام بأطراف المدينة¹.

1-2-3 الوظيفة السياسية:

كانت الإدارة ضرورة أولية منذ نشأة المجتمع المستقر، وكان لا بد لها من أن تمارس في نقطة مركزية، فهي من الوظائف الأساسية ومن أمثلتها جميع عواصم الدول في العالم وتشمل مقرات وحدات الحكم والإدارة وكذلك الأمن والقضاء، وغيرها من أجهزة الحكم².

2-4 الوظيفة التجارية:

تعدّ التجارة وظيفة أساسية لا يمكن تجاهلها، فهي عصب الحياة في المدن، وقديما كانت من ضرورات الحياة الاجتماعية، ومكانا لتصرف حاجياتها، ويتطور وسائل النقل المختلفة تطوّرت التجارة واتّسعت لتؤدي بدورها إلى قيام مراكز تجارية تخدم التجارة العالمية³، وتتافس الأنشطة التجارية بقية النشاطات الأخرى في المدينة.

كما تلعب القوى الاقتصادية والاجتماعية دورا مهما في تغيير التوسع الجغرافي لهذه الأنشطة فالازدحام الحاد الذي تتعرض له أغلبية أوساط المدن تتدهور حالتها الاجتماعية من جهة، بالإضافة إلى الافتقار إلى المشاريع الخاصة بالتطور الحضري وبرامج التجديد والتحديث، الأمر الذي أدى إلى تحوّل بعض الأنشطة التجارية من مراكز المدينة إلى الأطراف والضواحي لتشكل مناطق تجارية ثانوية⁴.

1- صبرينة معاوية، المرجع السابق، ص 51

2- المرجع نفسه، ص: 52.

3- المرجع نفسه، ص 52.

4- عبد الحميد دليمي، دراسة في العمران، السكن والإسكان، منشورات مخبر الإنسان والمدينة، قسنطينة، 2007، ص 30.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-5 الوظيفة الدينية والثقافية:

ظهرت المدن الدينية منذ القدم، ذلك أن الدين كان مسؤولاً عن نشأة العديد من المدن، فالسومريون أسسوا مدنهم للعبادة، وفي أوروبا ساهمت الكنيسة في إحياء مدن العصور الوسطى كما كانت الكنيسة هي أحد الأسس التي كانت حولها المدينة المسيحية كان كذلك المسجد الجامع أساس إنشاء المدن في العالم الإسلامي، كالمسجد النبوي الشريف ومكة المكرمة والمسجد الأقصى وغيرهم.¹

2-6 الوظيفة الصحية والترفيهية:

تتوفر في كل مدينة مجموعة من المستشفيات والمستوصفات ومراكز الرعاية الصحية داخل الأحياء وفق عدد السكان من ناحية وعوامل البعد والاستفادة من هذه الخدمات من جهة أخرى لذلك أقيمت العديد من المدن الصحية، مدن المصحات، مدن الحمامات المعدنية وأقيمت المدن الترفيهية استجابة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الحضارة الغربية، بالإضافة إلى الوظائف التي سبق ذكرها هناك خدمات النقل والمواصلات المتمثلة في محطات السكك الحديدية ومواقف السيارات والمطارات والموانئ وغيرها.²

3- تطور المدينة عبر العصور:

3-1 مدن حضارة بلاد ما بين النهرين:

هي الحضارة التي نمت في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات، حيث كانت المنطقة محل استقرار العديد من المجموعات البشرية مثل السومريين الذين استقروا في جنوب العراق وامتحنوا حرفة الزراعة، وتحكموا في الفيضانات وشيدوا المدن المحصنة مثل أور ولاغاش ونيبور وغيرها، وبعد عدة قرون استقر من الساميين في شمال العراق وعرفوا فنون الزراعة، وأسسوا مدن لهم مثل كيش واكاد وبابل وغيرها³، حيث تعتبر مدينة أور من أهم المدن في تلك المنطقة، والتي يرجع تاريخها إلى 6000 سنة ق م، وهي أكبر مدينة في التاريخ، إذ كان للمدينة مرفأ يقع عند ملتقى نهري دجلة والفرات غربي البصرة، وقد بنيت المدينة على شكل بيضوي ولها

1- عبد الحميد ديلمي، المرجع السابق، ص 30

2- المرجع نفسه، ص 31.

3- الموسوي هاشم، العمارة وحلقات تطورها في القديم، دار دجلة، ط1، العراق، 2011، ص 31.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

أسوار من الآجر، يتخلّلها بوابتان، كما كانت المدينة محاطة بالمياه من كافة الجوانب، وفيها ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام.¹

كما تعد مدينة بابل كذلك من أهمّ المدن في حضارة بلاد ما بين النهرين، إذ أنشأت عام 3000 قبل الميلاد، وكانت تحتوي على مباني هامة مثل برج بابل، والمدينة مربعة الشكل، شوارعها تتقاطع عمودياً، وقد بنيت في عهد حمورابي، لها سوران الخارجي بني من الآجر ومزوّد بأبراج، أمّا الداخلي فبني من الطين وبينهما خندق عرضه 25 م، كما كان السور الخارجي محاط بقناة طولها 8 كلم، ويحتوي على مائة بوابة من البرونز، وفي سنة 600 ق م أصبحت عاصمة لإمبراطورية نبوخذ نصر.²

3-2 مدن حضارة وادي النيل:

حضارة وادي النيل هي الحضارة التي نمت بمصر، حيث كان للمعتقد الديني دور لنشأة المدن في وادي النيل، فالمعبد المصري يمثل مركز الحياة وال عمران في المدينة المصرية القديمة، حيث يقع في وسط المدينة ومن حوله المباني ويشرف على الحقول الزراعيّة.³ ظهرت المدن حول نهر النيل وعلى هضبات مرتفعة، وكانت المدن الهامة تحصّن جسورها لدفع خطر مياه النيل، كما تقسم المدن المصرية القديمة إلى قسمين هما:

1- مدن الأحياء: بها ساحات تدريب الجند والعربات الحربية واسطبلات الجياد، كما تضمّ العواصم في العصور المزدهرة ومدن شمال دلتا النيل في عهد الاقطاع.

2- مدن الموتى: وهي مدينة البقاء وتضمّ الأهرامات والمصاطب والمغارات، يتمّ الوصول إليها عن طريق طرق مرصوفة بالحجر، بجوارها توجد مساكن الحرس الخاص بالمقابر.⁴ ومن أهمّ مدن حضارة وادي النيل مدينتان:

1- فواز مصطفى، مبادئ تنظيم المدينة، ط1، بيروت، لبنان، 1980، ص 23.

2- فواز مصطفى، المرجع السابق، ص24.

3- الشاورة علي، التخطيط العمراني الريفي والحضري، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2012، ص 96.

4- البقري ابو العطاء عبد اللطيف، الموسوعة الهندسية المعمارية، المجلد الاول، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2006، ص 246.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

1-مدينة منف: حيث أقيمت حولها حصون كبيرة، كما كانت مبانيها تتكون من الأكواخ المبنية من الطين الذي تدعمه الأعشاب والشجيرات وأساساتها تدعم بقطع من الحجارة غير منحوتة، أما المحلات التجارية فكانت توجد عند تقاطع الطرق حول ميدان عام، والذي يمثل السوق، وفي وسط المدينة يوجد المعبد وبجواره قصر الحاكم ومرافق الحكومة¹.

2-مدينة كاهون: هي مدينة سكنية للعاملين في بناء الهرم الخاص بسونسرت الثاني، تتميز شوارعها بالتخطيط الشطرنجي، حيث في وسط كل شارع توجد قناة حجرية تستعمل للصرف الصحي، بعض مساكنها سقفاها مبني من الطوب النيء على شكل عقود².

3-3 مدن الحضارة الإغريقية:

تتميز المدن الإغريقية بطابع عمراني بسيط في نشأتها الأولى، ثم تطورت مع بداية الاهتمام بالمعابد من حيث الزخرفة والموقع ومواد البناء، ومن أشهر المهندسين الإغريق بيركاس هيبو داموس الذي خطط مدينة ميلتوس، حيث كان تخطيط المدن يتضمن الطرق الواسعة المستقيمة وميادين تتوسط المدن وتحتوي على الأسواق، ومعظم مدنها بنيت في مواقع حصينة يسهل الدفاع عنها³.

تتميز شوارع المدينة اليونانية بالتقاطع العمودي، حيث تنتهي الشوارع الرئيسية عند الساحة المركزية المسماة بالأغورا Agora، التي هي مركز النقاء ديني وسياسي واقتصادي، لذا صممت لتكون بحجم خمس المدينة لتتسع لمعظم سكان المدينة.

شيدت المدينة اليونانية على سفح الجبل لدواعي أمنية، ومن معالم المدينة وجود مياه الشرب ونظام صرف صحي وأماكن جمع النفايات ووجود أنظمة بناء ونظام الضرائب، ومن أهم المدن اليونانية لدينا مدينة البيريه Pyree ومدينة ميليه Milet التي خطتهما اليوناني هيبو داموس، ومن أشهر ما خلفه الإسكندر مدينة الإسكندرية التي بنيت عام 331 ق م، حيث

1 الشاوررة علي، المرجع السابق، ص 97.

2- البقري ابو العطاء عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 249.

3- الدلمي خلف، التخطيط الحضري أسس ومفاهيم، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2002، ص36.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

شارعها الرئيسي طوله 2500م وعرضه 30 م، والشوارع الأخرى بعرض 15 م، كما كان للمدينة مرفأناً لأغراض أمنية ومناخية.¹

يتميز الطابع التخطيطي للمدن الإغريقية بالخصائص التالية:
* التركيز على أهمية الموقع.

* المدن تنمو بشكل عضوي، وحسب الحاجة.

* المدن محصنة بسور غير منتظم.

* البوابات في الأسوار لا تقع على الطرق المؤدية إلى مركز المدينة.

* الشوارع متأثرة بالطوبوغرافية ويستخدم فيها النظام الشبكي المتعامد الذي اعتمد لتوزيع الأبنية.
* تتميز المدينة بالقلعة الحصينة وهي الأكربول، محاطة بسور منيع بأعلى منطقة بالمدينة، حيث طوبوغرافية الأرض تساعد على ذلك، كما لها مداخل وبوابات كبيرة والوصول إليها يتم عن طريق مدرجات.

* الأغورا، وهي مركز المدينة وتعني مجلس الشعب، وهي مركز اجتماعي وتجاري، تأخذ الشكل المربع أو المستطيل، كما تتوزع حولها الأبنية العامة والإدارية والمعابد والأسواق وأماكن الترفيه.
* المدن تشدّ على المنحدرات لتصريف مياه الأمطار ولدواعي أمنية.

* استخدام المقياس الإنساني في منحوتاتهم ومعابدهم.

* المسارح منحوتة على التلال الصخرية، تمثل نصف دائرة غير مغلقة وتتسع للآلاف من الأشخاص.

* ضوابط البناء التي وضعت شكلت أساساً للتشريعات اللاحقة للمباني ومراعية لتخطيط المدينة.²

1- فواز مصطفى، المرجع السابق، ص 24.

2- الديلمي خلف، المرجع السابق، ص 37.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-4 مدن الحضارة الرومانية:

تعدّ الحضارة الرومانية من أهمّ الحضارات القديمة، التي اشتهرت بالازدهار الاقتصادي والمادي، حيث بدأت هذه الحضارة في حدود عام 300 ق م، حيث تميّزت بعدة مميّزات ومباني هامة كالمعابد والحمامات والمسارح والمدرجات والأضرحة والمقابر والقصور والجسور والقناطر والتآفورات العامة.¹

يتميّز تخطيط المدينة بالوحدة في التخطيط، حيث المسقط المربع والتخطيط المتعامد، الذي يظهر في مدينة تيمقاد في شمال أفريقيا، كما يتأثر تخطيط المدينة بعاملين هما العامل العسكري والعامل الديني، فالمدن الداخلية غالبا ما تكون مفتوحة، أمّا المدن الدفاعية فتكون على شكل مربع مقسم إلى أربعة أقسام بواسطة شارعين رئيسيين متعامدين في الاتجاهات الرئيسية، أمّا الطابع الديني فتكون المدينة على شكل المربع ومدخلها الرئيسي تعلوه عربة حربية تجرّها بقرة، وتضمّ المدينة معابد ومذابح التي تراعى فيها الشروط الصحية.²

ومن أمثلة المدن الرومانية، مدينة روما التي كانت محاطة بسورين، السور الأول بناه الملك سرفيوس بعرض 15 مترا، أمّا السور الثاني فبناه الامبراطور أوليانوس سنة 247 م، كما ضمت روما مبنى مجلس الشيوخ الذي بناه يوليوس قيصر وجواره بنى أغسطس أو أغسطس قسرا، الذي قام بتزيين روما بالبواكي وأروقة والأعمدة، وميدان الإله مارس ومدراج الكولوسيوم.³

ومن خصائص العمارة الرومانية الخصائص التالية:

- *تعود أصول البناء الروماني إلى الطابع التروسكاني الذي سبق الطابع الإغريقي.
- *تمّ تطوير استعمال القوس والعقد واختيار طراز الأعمدة والسطح المعمد.
- *استخدام الهياكل الانشائية الضخمة وأعمدة متراكبة فوق بعضها لدعم الأقواس.
- *استعمال البناء المتعدّد الطوابق وجدران الأبنية الرومانية بنيت من الحجر أو الخرسانة.
- *ظهور أكبر ابتكار إنشائي، وهو الخرسانة الذي ساعد على صياغة طراز العمارة الرومانية.

1- الموسوي هاشم، المرجع السابق، ص 311.

2- البقري ابو العطاء عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 256.

3- المرجع نفسه، ص 260.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-5 المدينة العربية الإسلامية:

3-5-1 نشأ وتطور المدينة الإسلامية:

نشأت المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها، والتي تحولت إلى مدينة بمفهوم حضاري واضح، سعى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحقيقه، فكان أساسه الدعوة إلى الإسلام، ذلك الدين الذي بدأت في ضوء قيمه وتعاليمه عملية تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضرية تلازمت اهتمامه بالكيان المادي للمدينة، فأدى ذلك تدريجياً إلى تكامل المراكز الحضرية الإسلامية.¹

قام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأول عمل عمراني، وذلك ببناء المسجد الجامع وهو المسجد النبوي الشريف، الذي يعد نواة أساسية لتوسيع نسيج المدينة ونقطة ارتكاز تنطلق منها تقسيمات الأرض إلى خطط أو أحياء، شكلت الوحدة الأساسية في البنية الكلية للمدينة.² كانت مسؤولية توزيع الخطط في يد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باعتباره الحاكم الأول في المدينة، وكان منهجه في توزيع الخطط يهدف إلى تجميع كل قبيلة في خطة خاصة بها، ويترك حرية تقسيم الخطة للقبيلة وفقاً لظروفها وإمكاناتها في الإنشاء والتعمير، ومدى الحاجة إلى ذلك ومراعاة الامتداد العمراني المستقبلي.³

2-5-المبادئ المميزة للمدينة العربية الإسلامية:

3-5-2 الملكية العامة:

يقصد بالملكية العامة الأموال والأموال التي تكون تحت إشراف الحاكم، ويعود الانتفاع بها لعامة المسلمين، حيث تعتبر الملكية العامة من الأسس التي بنى عليها الإسلام نظامه الاقتصادي، إذ راعى الإسلام مصلحة الأفراد وطبيعتهم التي فطروا عليها، كما نظم الإسلام استخداماتها، فالإسلام يهدف إلى الرقي بالمجتمع الإسلامي إلى معالي الأمور وسمو الأخلاق

1- عثمان غنيم، معايير التخطيط (فلسفتها، أنواعها، منهجية إعدادها وتطبيقاتها في مجال التخطيط العمراني)، ط1، دار الفضاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011 ص 45.

2- عثمان محمد، المدينة الإسلامية، ط1، دار الافاق العربية، القاهرة، مصر، 1999، 49.

3- عثمان غنيم، المرجع السابق، ص 49.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-5-3 الخصوصية:

تعرف الخصوصية على أنها من خاصة الشيء وفي اللغة تعني الانفراد والانعسار، وتعني على المستوى الشخصي ستر العورة والملبس وملكية الحرم الخاص للمسكن، وعلى المستوى العام تعني خصوصية الاتصال والتواصل واحترام خصوصية الآخرين وعدم انتهاكها بالنظر أو السمع.¹

3-5-4 الوضوح والتجمع:

تتميز المدينة الإسلامية بوجود المسجد الجامع والسوق المركزي والساحات بمركزها، وهي أماكن تجمع الناس والشوارع الرئيسية تؤدي إليها، وبالتالي سهولة الغياب إليها بكل سهولة كعابري السبيل والتجار وغيرهم.

3-5-5 المحافظة على البيئة:

حرص الإسلام على المحافظة على البيئة، إذ قال تعالى: "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً" الأحزاب 58. ومن هذه المبادئ: *الحفاظ على الهواء: نهى الإسلام عن تلويث الجو بالدخان والروائح الكريهة التي تؤدي الآخرين.

*الحفاظ على الموارد: وضع الإسلام قواعد عامة تحدد مدى استفادة الإنسان من الموارد الطبيعية دون إسراف، لأنها ليست خاصة به وحده بل للمجتمع وللأجيال القادمة، قال تعالى: " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" الأعراف 31.

*الحفاظ على المياه: دعا الإسلام إلى ترشيد استهلاك المياه، حيث قال الرسول الكريم لسعد بن معاذ عندما مرّ عليه وهو يتوضأ: "لا تسرف في الماء فقال معاذ: هل في ماء الوضوء إسراف؟ قال نعم ولو كنت على نهر جار"، ونهى الإسلام عن تلويث المياه كالقاء النفايات فيها.²

1- محمد الملا، المعايير التخطيطية لطرق المدينة الإسلامية في الماضي والحاضر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2002، ص 3.

2- عثمان محمد، المرجع السابق، ص 49.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

* الحفاظ على المساحات الخضراء: اهتم الإسلام بالحفاظ على ديمومة الغطاء النباتي، فنهى عن قطع الأشجار وشجع على الزراعة وغرس الأشجار، فقد قال الرسول الكريم: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ف يأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة".

* الحفاظ على البيئة من التلوث: دعا الإسلام الى تجنب التلوث سواء في الماء أو الهواء وحتى الطريق، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل".¹

3-5-6 التّمية في الضّواحي المحيطة بالمدينة:

اهتم الحكام بضواحي المدينة، حيث تم إنشاء المسجد وأماكن التّعليم وخدمات العلاج والأسواق ورصف الطّرق، حيث تساهم هذه المرافق والمنشآت على الاستقرار البشري وزيادة النمو السكاني والنشاط الاقتصادي والاجتماعي ممّا يسهم في التطور العمراني والمعماري في المدن.

4-مكونات العناصر العمرانية للمدينة العربية الإسلامية:

تعددت العناصر العمرانية للمدينة العربية الإسلامية منذ نشأتها في عهد الدولة المحمدية وتطوّرت هذه العناصر مع مرور الوقت، نحاول أن نسوقها، كما يلي:

4-1 المسجد الجامع:

يعتبر المسجد الجامع من أهم العناصر العمرانية بالمدينة الإسلاميّة، إذ ارتبط المسجد بعدة وظائف منها:

* يعتبر مركز ديني واجتماعي، حيث تقام فيه شعائر الصّلاة وتفسير، ودراسة تعاليم الدين الإسلامي.

* مركز سياسي لإلقاء الخطب وتلقي البيعة وإذاعة البيانات وحشد الجيوش، كما يعتبر مكان للاجتماع واستقبال السفراء، بالإضافة إلى أنه ساحة العدل للحكم بين الناس وإقامة الحدود.

* مركز ثقافي وتعليمي، حيث تقام فيه حلقات العلم والمناظرات بين العلماء.²

1-عثمان محمد المرجع السابق، ص 50.

2- عثمان محمد، المرجع نفسه، ص 51.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

4-2 بيت الحاكم:

في صدر الإسلام مثل بيت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت الحاكم في المدينة المنورة وكان ملاصقا للمسجد النبوي، فكان المسجد وبيت الحاكم في مركز المدينة، فهما يمثلان المركز السياسي والاجتماعي والثقافي للمدينة، وبعد الفتوحات الإسلامية أخذ المسلمون هذا النموذج وطبقوه في المدن الجديدة، التي تم تأسيسها وكان ذلك بمثابة القوة والقيادة السياسية للدولة الإسلامية.¹

4-3 السّاحات العامّة:

ترتبط السّاحات العامّة عموما بالمساجد الجامعة، حيث وظيفة السّاحات العامّة على مرّ العصور هي ممارسة الأنشطة الجماعية لعامّة الناس سواء الدّينية أو الاجتماعيّة أو التجاريّة أو السياسيّة، كما ظهرت أهميّة أفنية المساجد الجامعة، كما استعملت المساحات الصّغيرة أمام المساجد لإقامة أنشطة تجاريّة موسميّة.²

4-5-الخدمات العامّة:

حثّ الإسلام على بناء ما فيه مصلحة المسلمين، ويظهر ذلك جليا في مباني الخدمات العامّة كالأسواق والحمامات والأسبلة والحدائق الثكنات العسكرية، وهذه تعتبر ملك للعامّة لا يجوز الاعتداء عليها حتى من الحاكم.

5- العوامل المؤثرة على تخطيط المدينة العربيّة الإسلاميّة:

هناك عدّة عوامل اثرت في تخطيط المدينة الإسلاميّة منها³:

5-1-الدين الإسلامي:

يظهر تأثير الدين الإسلامي في تخطيط المدينة من حيث المسجد الجامع والساحات التي حوله فهو يعتبر من العناصر العمرانية الرئيسية داخل المدينة، فهو يعتبر نواة المدينة وعلى أساسه تحدد العناصر العمرانية الأخرى، ويظهر ذلك من خلال إنشاء المسجد النبوي في المدينة المنورة.

1- عثمان محمد، المرجع السابق، ص 51.

2- ابراهيم عبد الباقي، التراث الحضاري في المدينة العربيّة المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر الجديدة، مصر، 1968، ص 35.

3- ابراهيم عبد الباقي، المرجع السابق، ص ص 37-40.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

5-2- العادات والأعراف:

للتقاليد والأعراف أثر كبير في تشكيل وتكوين المدينة، حيث يتم توزيع الخطط على القبائل فكل قبيلة خطة خاصة بها، حيث الخطط مرتبطة بشبكة من الطرق تكون الأزقة المتفرعة عنها

5-3- الموقع الجغرافي:

يتحدّد تخطيط المدينة بالموقع الجغرافي والظروف البيئية المحيطة بها، فعادة تقام المدن في المناطق السهلة ومفتوحة الجهات حتى يتم الوصول إليها عبر المسالك والطرق، كما تقام المدن في السواحل والخلجان التي تعمل على حمايتها من الأعاصير والهجمات المعادية.¹

5-4- الظروف الاقتصادية:

أثر الوضع الاقتصادي على تخطيط المدينة، حيث ذوي الدخل المرتفع يسكنون مساكن تقع على الشوارع الرئيسية والقريبة من مركز المدينة والخدمات، أما ذوي الدخل الضعيف فتكون مساكنهم داخل الأزقة، وتمتاز بحرف وتجارة خاصة بها، فتنمو وتتسع حسب نشاطها التجاري.

5-5- مواد البناء:

توفر مواد البناء من الحجارة والأخشاب والطين، الأمر الذي أعطى المدن محدودية الارتفاع مما له من الأثر الواضح في شكل المدينة وأعطى لعناصر المدينة تكوين موحد وذات طابع خاص مميز، كذلك استخدام الجبس وجذوع النخل وسعفه في بناء الواحات السكنية، واستخدام الحجر لإقامة الأساسات.²

5-6- الاستفادة من الحضارات السابقة:

ورث المسلمون مدن قائمة من عهد الفرس والرومان وغيرهم، وقد طوّر المسلمون مدنهم وأنشأوا مدن جديدة، فقد نشأت المدن المخططة بشوارع رئيسية محورية متأثرة بالحضارات القديمة، ومن ثم تحولت إلى النسيج العضوي المتضام مثل مدينة دمشق.³

1- عثمان محمد، المرجع السابق، ص 41.

2- الزبيدي مها، وآخرون، مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية وفق المنظور الإسلامي، منشورات جامعة بغداد، العراق، 2011، ص 14.

3- علي عصام الدين، المعايير التخطيطية للمدينة العربية في ضوء المنهج الإسلامي، منشورات جامعة أسيوط، مصر، 2001، ص 6.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

5-7- الظروف السياسية:

أثرت الظروف السياسية على تكوين المدن، فالفتوحات الكثيرة للمدن والخلافات بين الحكّام تحكّم في شكل المدينة، وما تبع ذلك من تنشيط لحركة العمران والبناء، وكمثال على ذلك إنشاء الخليفة المنصور لمدينة بغداد، التي أنشأها مدورة لتعطي مدلولاً على مركزية الحكم.¹

1- شحادة زياد، أثر التنظيم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010، ص 27.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2- مظاهر الحياة العمرانية في الجزائر خلال العهد العثماني:

تنوّع النسيج للمدينة في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد ضم العديد من العناصر العمرانية المدنية والعسكرية سنحاول استعراضها، كما يلي:

2-1- مكونات النسيج العمراني للمدينة الجزائرية خلال العهد العثماني:

2-1-1- المنشآت المدنية:

2-1-1-2 المنشآت الدينية والثقافية:

انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني مراكز دينية وثقافية كثيرة كان لها دور فعّال في الحفاظ على الشّخصية الجزائرية الضّاربة في جذور التاريخ، كما شكّلت هذه المنشآت في مجملها النسيج العمراني لأغلب المدن في الجزائر العثمانية، ونحن سوف نركّز على أهمّ هذه المنشآت.

2-1-1-1-2 المساجد:

يعتبر المسجد من أهمّ المنشآت العمرانية الدّينية لدينا التي ميزت المدينة العثمانية، حيث ارتبط بالدّين الإسلامي الذي يعتبر الدّين الرّئيسي للجزائر، حيث وجد هناك المسجد الجامع والمساجد الأخرى، كما تنوّعت المساجد من حيث تأسيسها، فمنها من أسسها الحكام والبايات مثل جامع الباي بقسنطينة والجامع الكبير بالعاصمة¹، ومنها ما أسسه كبار الأثرياء للتقرب من الله وكسب تعاطف العامة من النّاس مثل مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة².

وهناك ما أسّسته الهيئات والجمعيات الخيرية، والدّينية، والاجتماعية، كتكملة لما شيّده الحكام والبايات والأثرياء والشيوخ وهي كثيرة منتشرة عبر مختلف ربوع الإيالة³، وسنسوق بعضا من تلك المساجد التي بنيت في مختلف أنحاء الجزائر على النّحو التّالي:

1- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 127.

2- سعاد فويال، المساجد الأثرية بمدينة الجزائر، د ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، ص 9.

3- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 128.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-1-1-1-1 مساجد مدينة الجزائر العاصمة:

2-1-1-1-1-1 المسجد الكبير: هو أعظم مسجد بالعاصمة، مساحته نحو مئاتي متر مربع¹، بني في عهد المرابطين على يد يوسف بن تاشفين، حيث سماه العثمانيون بالجامع الأعظم، وهو موجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مشكلا تقريبا متوازي الأضلاع².

2-1-1-1-1-2 مسجد علي بتشين: نسبة إلى القائد الإيطالي الذي اعتنق الإسلام "PECHININO"، وهو من المساجد الحنفية، تقدر مساحته بحوالي 500 متر مربع، له شكل المساجد العثمانية³، تمّ بناء المسجد سنة 1032هـ/1622م له صحن مربع كبير تعلوه قبة ترتكز على أربعة دعائم والمنارة لها قاعدة مربعة تقع في الزاوية الفاصلة بين نهجي باب الواد والقصبه، وهذا المسجد لم يبين على الأرض بل شيّد على مجموعة من الحوانيت⁴.

2-1-1-1-1-2 جامع كتشاوة:

هو من أشهر الجوامع في الجزائر خلال العهد العثماني، له تحفة معمارية تركية نادرة من نوعها، بني هذا الجامع سنة 1021هـ/1612م، حيث قام حسن باشا بإعادة بنائه وتوسعته وتصميمه وفق مسجد السيّدة سنة 1209هـ/1794⁵، واسم كتشاوة ليس اسم لمصمّمه أو مجدده وإنما نسبة للمكان الذي شيّد عليه.

يتبع الجامع إلى المذهب الحنفي، تطوّقه أربعة أروقة، أضيف إلى الجدار الموازي لجدار القبلة رواق ثان، وهو ما أعطى الجامع شكل المستطيل، هذه الأروقة غطّيت بقباب باقل من مستوى عن القبة المركزية، كما ينتهي الجامع من الناحية الخلفية بالمئذنة الموجودة في الركن الجنوبي والتي تبدو من تصميمها أنها مربعة الشكل على الطراز الأموي ثمّ المغربي فيما بعد⁶، وفي سنة 1844، شرع الفرنسيون في تهديم المسجد لتغيير مخطّطه نهائيا ولم يبق

1- عبد القادر نورالدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 155.

2- سعاد فويال، المرجع السابق، ص 64.

3- المرجع نفسه، ص 63.

4- المرجع نفسه، ص 63.

5- المرجع نفسه، ص 63.

6- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص ص 93-94.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

منه إلا العناصر المعمارية التي احتاج إليها الفرنسيون لتدعيم كنيستهم الجديدة كالأعمدة والمنبر¹.

2-1-1-1-1-1 مسجد خضر باشا:

بني هذا المسجد سنة 1005هـ/1596م، كانت تؤدي فيه صلاة الجمعة والخطبة والتدريس²، يتميز هذا المسجد بنمطه المحلي التقليدي، تغطيه صفوف القرميد، تأسس منذ البداية ليكون مسجدا جامعاً، وحبس له فرن لتجري وإرداته على الخطيب والمؤذن والكناسين، تم هدم الجامع سنة 1836 على يد الفرنسيين وأصبح جزء منه داخل منازل أحد الأوروبيين، وبعضه الآخر داخل في بيعة معبد يهودي.³

2-1-1-1-1-2 مسجد سيدي عبد الرحمن:

هو من أكثر المساجد الشعبية في الجزائر لاحتوائه على ضريح الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، وهو من أئمة وعلماء الجزائر في عهد الباشا مصطفى الذي حكم من 1610 إلى 1613م⁴، كانت مساحته وتوابعه تبلغ حوالي 1.400 متر مربع، له له منارة صغيرة وله قبة مزينة من الداخل، وهي من الحجم الضخم، له مئذنة من أجمل الآثار الإسلامية التاريخية في البلاد، مستوحاة من الطراز المغربي، يفوق علوها 14متراً، تركز على أعمدة أسطوانية مزينة بزليج، أما قاعة الصلاة فهي صغيرة وبسيطة مقارنة بالمساجد الأخرى⁵.

2-1-1-1-1-2 جامع السيدة:

يعدّ من بين المساجد السبعة الرئيسة منذ القرن 16م، تصفه بعض الوثائق أنّه يقع في سوق الخضار قريب من دار السّكة، أعيد بنائه سنة 1781م على يد محمد باشا، اتخذه الباشاوات مصلى لهم لقربه من قصر الجنينة⁶.

1- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 97.

2- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، ص 42.

3- المرجع نفسه، ص 42.

4- سعاد فويال، المرجع السابق، ص 64.

5- المرجع نفسه، ص 93.

6- ابو القاسم سعد الله سعد الله، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-1-1-2 مساجد مدينة قسنطينة:

2-1-1-1-2 الجامع الكبير: يقع ببطحاء السوقية بشارع بن مهدي على اليمين، متوجّه نحو القنطرة القديمة الواصلة بين المدينة ومحطة السكّة الحديدية وحي الأمير عبد القادر¹ بيت الصلاة بالجامع الكبير يكاد يكون شكلها مربع، يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي 22.30م والجنوبي الغربي 22.30م، والشّمالي الشرقي 22.2م، أمّا الغربي فهو الأصغر بـ 20.60م، منبره مصنوع من الخشب، يقع على يمينه المحراب، له باب مزينة بقوس مزينة بزخارف نباتية².

2-2-1-1-2 الجامع الأخضر:

يعود هذا المسجد إلى العهد العثماني، حيث بني سنة 1157هـ/1743 من طرف الداي حسين بن حسين الملقب ببوحنك الذي تولّى حكم قسنطينة من سنة 1736 إلى غاية 1754م³.

يتبع الجامع إلى المذهب الحنفي، له خمس بلاطات، أطلق عليه اسم الجامع الأخضر نسبة إلى أول عالم بالمسجد دفن بفنائيه هو وأفراد عائلته بالطابق السفلي للمسجد، كما سمي بالأخضر أيضا بناء على لونه الأخضر، محرابه يعود إلى العهد العثماني، وهو عبارة عن قوس عرضه 1.85م، وحوضه 42سم، أمّا منبره فهو من خشب وبيت للصلاة لها قبتان أحدهما المحراب والثانية في الوسط، ومئذنة الجامع ذات قاعدة مربعة⁴.

1- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص 93.

2- المرجع نفسه، ص ص 93-94.

3- فهيمة آراب، التراث والسياحة من خلال مدينة قسنطينة، ماجيستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري بقسنطينة 2010-2011، ص 169.

4- كمال غربي، المرجع السابق، ص 110.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-1-1-1-2 جامع سيدي الكتاني:

يقع بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القسبة بجوار سوق الجمعة، أمر ببنائه صالح باي بن مصطفى الزميلي، وهو تركي الأصل أثناء حكمه لقسنطينة 1776م، ويتميز بثروة فنية ذات زخارف نباتية وهندسية¹.

يحتوي المسجد على مجموعة من الأضرحة، أصبح الجامع والمدرسة التابعة له تدعى سنة 1947م بالمعهد الكتاني².

2-1-1-1-2 جامع سوق الغزل:

يقع جامع سوق الغزل أو جامع حسن باي شرق قصر أحمد باي وإلى الغرب من شارع ديدوش مراد، كان من أجمل مساجد قسنطينة وأوسعها، ينسب إلى الباي حسن بوكمية الذي كان حاكما سنة 1713م³.

للجامع عدة واجهات، الواجهة الغربية والشرقية والجنوبية، يمتاز بمحاربه ويقابيه ومنبره وزخرفة جدرانه، يبلغ طول منبره 3.34م وارتفاعه 2.78م وعرضه 0.96م، رواقه وجانباه مزينة بزخرفة منقوشة بمهارة كبيرة، تعرض لعدّة تغيرات وتجديدات مسّت أجزاء كبيرة منه⁴.

2-1-1-1-2 مساجد مدينة وهران:

2-1-1-1-2-1 مسجد الباشا:

تمّ تأسيس المسجد سنة 1796 من طرف الباشا حسن داي الجزائر بعد فتح مدينة وهران الثاني والأخير سنة 1792⁵، أسّس في الشمال الشرقي للمدينة القديمة، يتألّف من قاعة للصلاة متوسطة الحجم، مربعة الشكل تتوسطها قبة عالية وواسعة، توجد في أسفل المسجد مدرسة صغيرة لتعليم القرآن الكريم⁶.

1- فهيمة اعراب، المرجع السابق، ص 171.

2- فهيمة اعراب، المرجع نفسه، ص 103.

3- ابو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر و16-20، ج1، الجزائر 1985 ص 82، 83.

4- غربي كمال، المرجع السابق، ص 122، 123.

5- مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 37.

6- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 60، 61.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

يتميّز هذا الجامع بمنارة مرتفعة وهي مئذنة الطراز على غرار مآذن ذلك العصر، واجهتها مغطاة ببلاطات خزفية، تنتهي بشرفة يقف فوقها المؤذن ليرفع الأذان، ويعتبر المسجد الوحيد الذي سلم من تخريب الفرنسيين أو التحويل إلى كنيسة ولم يلحق به ما لحق بالمساجد الأخرى¹.

2-3-1-1-1-2 مسجد الباي محمد عثمان الكبير:

أسسه الباي محمد عثمان الكبير باي وهران سنة 1792 يقع أسفل جبل المائدة الذي يدعى حاليا بجبل مرجاجو جبل سيدي عبد القادر، وإلى يمين هذا المسجد إلى الجنوب وعلى بعد حوالي 200 متر يوجد مسجد وضريح الشيخ محمد بن عمر الهوّاري².

يظهر من خلال المئذنة أنّ هذا المسجد من أجمل وأحسن مساجد وهران في العهد العثماني من حيث الرونقة والرشاقة والإبداع الفني والاتساع، أما بيت الصلاة فهي مضلعة مساحتها 500 متر مربع³.

2-3-1-1-1-2 مسجد الباي محمد الكبير (مدرسة خنق النّطاح):

يعتبر من المساجد الأربعة العتيقة بوهران، يحمل اسم مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير، يقع في سهل خنق النّطاح إلى الشّرق من مدينة وهران العتيقة، بني ليكون مقبرة للباي وأفراد عائلته، وفعلا دفن به الباي محمد بن عثمان لما توفي سنة 1799م⁴. بني هذا المسجد على أرض سهلية منبسطة واسعة خالية من العمران، في شكل مستطيل، نصفه الشّرقى قاعة متوسطة الحجم وشبه مربعة، والنصف الغربي تتوسطه ساحة صغيرة، أمّا سقف المسجد أو قاعة الصّلاة الحالية، فهي تحتوي على أربعة عشر سارية متوسطة الحجم والطّول أغلبها دائري والباقي مربع⁵.

1- مبروك مهبّرس، المرجع السابق، ص 38.

2- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 46، 47.

3- مهبّرس مبروك، المرجع السابق، ص 40.

4- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 53، 52.

5- المرجع نفسه، ص 53.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

بعد الاحتلال حوله الفرنسيون إلى حمام للجنود، وبقي على حاله طيلة الفترة الاستعمارية إلى غاية الاستقلال حيث استرجع إلى حالته الأصلية كمسجد تصلى فيه الصلوات الخمس والجمعة¹.

2-1-1-1-3-4 مسجد الشيخ محمد بن عمر الهواري:

يعود تأسيس هذا المسجد إلى فترة القرن الرابع عشر ميلادي²، وكان في البداية عبارة عن زاوية للشيخ الهواري، خلال العهد العثماني حولت الزاوية إلى مسجد، وهو لا يبعد عن مسجد محمد الباي الكبير الذي حول إلى مستشفى من طرف الفرنسيين سوى ببضع عشرات الأمتار، يأخذ المسجد شكل المستطيل عدد السّواري به عشرة مزدوجة ومتلاصقة مثنى مثنى تشكّل صفّان، وهو من النّاحية الهندسية والمعمارية من أبسط المساجد العثمانية تتعدم فيه الزّخرفة والنقوش³.

خلال الفترة الاستعمارية اتخذه الفرنسيون مركزا إداريا ومخزنا للعتاد العسكري، وبعد الحصول على الاستقلال أعيد الى حالته الأصلية وأصبحت تقام فيه الصلوات⁴.

2-1-1-1-4-4 مساجد مدينة معسكر:

2-1-1-1-4-1 الجامع الكبير أو جامع مصطفى بن التّهامي:

يقع هذا الجامع في قلب مدينة معسكر، بني سنة 1705 بأمر من الباي عثمان بن إبراهيم، يضم الجامع قاعة الصلّاة بمقاسات 25مترا ارتفاعا و44مترا عرضا، منارة المسجد تطلّ بنوافذها على الشّارع الشّرقي، بها ثلاثة خزائن للكتب، لقاعة الصلّاة ثمانية نوافذ شرقية وستّة على الجهتين الجنوبية والغربية.

كان يعرف هذا الجامع في البداية بالجامع الكبير ولما أدخلت عليه تجديدات أصبح يسمى بجامع مصطفى بن التّهامي صهر الأمير عبد القادر، يلتصق به من الناحية الشماليّة حمام البركة.

1- مبروك مهبّرس، المرجع السابق، ص، 42.

2- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 35.

3- مبروك مهبّرس، المرجع السابق، ص ص 44،45.

4- المرجع نفسه، ص 45.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-4-1-1-1-2 مسجد الباي محمد الكبير:

بنى هذا المسجد الباي محمد الكبير سنة 1781م¹، يقع وسط مدينة معسكر، يبعد بحوالي 200 متر عن السور الشرقي للمدينة، يتألف من قاعة مربعة الشكل تتوسطها قبة صغيرة، ولقاعة الصلاة مدخل واحد على اليمين، زخرف محرابها بنقوش جميلة عليها آيات قرآنية كريمة، وتاريخ تأسيس المسجد ومن أمر بتأسيسه والمشرف على بنائه، وعلى يمين القاعة تقع منارة المسجد المثلثة الأضلاع².

2-1-1-2-2 الزوايا:

تعتبر الزوايا هي الأخرى عنصرا من العناصر العمرانية التي شكلت النسيج العمراني في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، هذا بالإضافة إلى الدور الحضاري والعلمي الذي كانت تقوم به في المجتمع الجزائري، سنسوق بعضا من الزوايا التي ذاع صيتها في مختلف ربوع الوطن، على النحو الآتي:

2-1-1-2-1-2 زوايا مدينة الجزائر العاصمة:

2-1-1-2-1-2-1 زاوية القاضي:

كانت تقع في شارع باب عزون والقاضي المقصود به هو القاضي المالكي، كانت مسكن للطلبة في العهد العثماني³، تأسست سنة 1175هـ/1762م تعرضت للتدمير من طرف الفرنسيين⁴.

2-1-2-1-1-2 زاوية الجامع الكبير:

كان لها مسجد صغير بدون منارة للصلاة، يصلّي فيه الطلبة ويقيمون بها، كانت ملجأ للفقراء وأبناء الزاوية، يرجع تاريخ بنائها إلى سنة 1039هـ/1629م بأمر من الشيخ سعيد قدورة عالم الجزائر ومفتيها الذي توارث أبناؤه التدريس في الجامع¹.

1- من أشهر بايات بابلك الغرب، تولى الحكم سنة 1778، بقي فيه قرابة ربع قرن حتى حام 1799م، حرر وهران والمرسى الكبير من قبضة الاسبان سنة 1792م، أنظر: يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 210.

2- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 210، 211.

3- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق ص 112.

4- كان ذلك سنة 1857، وبرر الهدم من أجل المنفعة العامة، أقيمت في مساحتها منازل للأوروبيين، أنظر المرجع نفسه، ص 112.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-1-2 زاوية سدي عبد الرحمان الثعالبي:

تنتسب إلى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر²، تحتوي الزاوية على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مئمنة الزوايا، أما المحراب فهو مزين بأجور الخزف المستورد من آسيا الصغرى، وبجانبه سريتان صغيرتان من رخام وعدة بيوت ومرافق³، تضم عدة أضرحة أهمها ضريح الشيخ الثعالبي، حولت الزاوية إلى حمام من طرف الفرنسيين سنة 1833، وهدم جزء منها لتوسيع الطريق⁴.

2-2-1-1-2 أهم زوايا في قسنطينة:

2-2-1-1-2 زاوية سيدي عبد المؤمن:

تتسب هذه الزاوية إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل شيخ الإسلام منذ العهد الحفصي، تقع هذه الزاوية وسط المدينة ووسط العديد من البنايات⁵، حيث تتكوّن من طابقين رئيسيين، طابق أرضي وآخر علوي، يقع المدخل الرئيسي في الناحية الغربية للزاوية، عند الدّخول نجد سقيفة مستطيلة الشكل، أما القبة فتتميّز بمنظرها المئمن وزخرفتها البسيطة⁶، تعرّضت الزاوية إلى الهدم خلال العهد الاستعماري⁷.

2-2-2-1-1-2 زاوية النّجارين:

تقع بحي النّجارين، تسمى أيضا بالزاوية الحنصالية⁸، حيث كانت مقرا للطريقة الحنصالية⁹، تقع بيت الصلاة فيها إلى الجنوب من الصّحن في شكل مستطيل تمتدّ عموديا

1- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق ، ص 112.

2- منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16م و19م، بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014/ 2015، ص 129.

3- المرجع نفسه، ص ص 129، 130.

4- ابن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، ط10، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 121.

5- فهيمة أعراب، المرجع السابق، ص 174.

6- كمال غربي، المرجع السابق، ص 170، 171.

7- فهيمة أعراب، المرجع السابق، ص 174.

8- فهيمة أعراب، المرجع السابق، ص 173.

9- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق، ص 149.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

على جدار القبة بها محراب عرف تغيرات بعد الترميمات التي عرفتھا الزاوية، لها صحن مستطيل الشكل¹، وبها بيت لتعليم القرآن للأطفال².

للإشارة أنّ هناك العديد من الزوايا التي كانت منتشرة في إقليم قسنطينة في تلك الفترة ونظرا لحجم الدراسة اكتفينا بالإشارة إلى أهمها تاركين موضع الزوايا لباحثين ومهتمين للتوسع فيها أكثر.

2-1-1-3-المدارس العلمية:

إلى جانب المساجد والزوايا كانت هناك مدارس علمية للتعليم والتدريس منتشرة في مختلف أقاليم الإيالة، فزيادة عن رسالتها العلمية والحضارية التي كانت تقوم بها، فقد شكّلت أيضا عنصرا عمرانيا ومعماريا في المدن التي تأسست فيها خاصة فيما يتعلّق بهندستها المعمارية وطابعها العمراني المتميز، ونحن في هذه المسألة سنركّز على أهم المدارس التي اشتهرت في الجزائر خلال العهد العثماني كما يلي:

2-1-1-3-1-مدرسة الرّحبة:

هي في الأصل مسجد صغير كان يدرس فيه أبناء الأتراك، وكان آخر من أشرف عليه السيّد بن يعقوب، ثمّ صودر من قبل السلطات الاستعمارية³.

2-1-1-3-2-مدرسة الجنيّنة:

تقع بالقرب من زاوية الشرفاء، عبارة عن مدرسة صغيرة أسّسها محمد خوجة بن مصطفى الدّفتر دار بالقصر عام 1709م⁴.

2-1-1-3-3-مدرسة شيخ البلد:

تأسّست محسن، عثر على أسمها في عقد شرعي حرّره القاضي الحنفي في سنة 1162هـ/1748م وهي ملحقة بداره التي تقع في حومة كوشة علي في المنطقة الجبلية، هدمت سنة 1848م⁵.

1- كمال غربي، المرجع السابق، ص 173.

2- فهيمة آعراب، المرجع السابق، ص 173.

3- ابن حموش مصطفى، المرجع السابق، ص 43.

4- المرجع نفسه، ص 127.

5- ابن حموش مصطفى، المرجع السابق، ص 126.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-1-3-4- المدرسة الكتانية:

أسّسها صالح باي، والتي خصّصت لها أوقاف كبيرة شملت الأساتذة والطلّبة، وكان لها نظام داخلي دقيق يضبط أوقات التّدريس وعدد أحزاب القرآن المتلوة كلّ يوم، وشروط الإقامة في المدرسة¹.

2-1-1-3-5- مدرسة مازونة:

كانت من أهمّ المدارس العلمية في غرب البلاد، حيث كان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استمدّتها من صلتها بالتّعليم بتلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، وتعتبر من أقدم المدارس التي تأسّست في العهد العثماني، استمرت بالخصوص بالفقه، والحديث، وعلم الكلام، كانت مقصد النواحي الغربيّة لاسيما مستغانم وتنس وتلمسان ووهران².

2-1-2-1- القصور:

إلى جانب البنايات الدّينية وجدت مساكن لإقامة الحكّام والمسؤولين السّامين في الدّولة، فقد انتشرت في مختلف ربوع الجزائر خلال العهد العثماني عدّة قصور، تميّزت بشكلها العمراني والمعماري، هناك بعض منها ما تعرّض إلى التّخريب والتّحويل إلى مرافق أخرى خلال الفترة الاستعماريّة، وهناك من حافظ على طابعه إلى فترة الاستقلال، سنعرض جملة من تلك القصور على أهميّتها على النحو الآتي:

2-1-2-1-1- أهمّ قصور مدينة الجزائر:

2-1-2-1-2- قصر الدّار الحمراء:

يقع قرب قصور رياس البحر في حي البحرية أو ما يعرف حاليا بالحصن الثّالث والعشرون، وهو مواجه لمسجد علي بتشين³، شيّد هذا القصر سنة 1800 من طرف الدّاي حسين وكان موقوفا على الجامع الكبير⁴.

1- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، المرجع السابق، ص 284.

2- المرجع نفسه، ص 285.

3- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص 32.

4- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 196.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

يتميز بسقيفة صغيرة، أما الطابق الأرضي منه تتوزع فيه الغرف على ثلاث جهات، أما الجهة الزاوية فخاصة بالمطبخ والغرفة الشمالية تبلغ مساحتها بـ 9.40م على 2.90م، والغرفة الغربية تعتبر أصغر غرف القصر¹.

تعرض إلى التثوية من طرف الهندسة العسكرية الفرنسية سنة 1831، ورغم ذلك إلا أنه بقي محافظا على رونقه وجماله وزخرفة أسقفه².

2-1-1-2 قصر خداج العمياء:

يرجع تاريخه إلى منتصف القرن 15م، يتميز بطابقين، حيث تتوزع الغرف في الطابق الأرضي على الجهات الأربعة التي تطوق الصحن، غرفه متفاوتة في الحجم طولا وعرضا³. يأخذ القصر شكل التتبيع، إذ يبلغ طول كل ضلعيه 35م في 25م²، سقيفته صغيرة مقاساتها الأمامية تبلغ 2.60م في 1.90م والسقيفة الكبرى عبارة عن ممر نظرا لطولها وعرضها الضيق 5.12م في 2.00م ورغم ذلك فهي تحتوي على أربعة مقاعد⁴.

2-1-1-2 قصر مصطفى باشا:

بناه مصطفى باشا بعد عام من تنصيبه دايا على الجزائر سنة 1798، يقع في القصبة السفلى بالقرب من جامع كنتشاوة⁵.

تتوزع الغرف في الطابق الأرضي بشكل غير متساوي على الجهات الأربع، يقع مطبخه في الطابق العلوي بشكل غير متساوي الأضلاع قاعدته الكبرى 8م في 7.40م والأخرى طولها 6.40م⁶.

1- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص ص 77،78.

2- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 198.

3- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 68.

4- المرجع نفسه، ص 44.

5- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 198.

6- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص ص 74،84،85.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-2-1-1-4 قصر الآغا:

يقع إلى الغرب من مسجد الداي، يتكوّن من طابقين، حيث يتكون الطابق الأرضي من قاعة معمّدة وخمس قاعات جانبية ومطبخ وخزان ماء¹، يبلغ عدد القاعات الجانبية خمسة، أربعة منها غرب القاعة المعمّدة، وواحدة بالجنوب الشرقي².

يعتبر المطبخ من المرافق الضرورية للقصر، حيث يتكوّن من قاعة مستطيلة تبلغ مساحتها 28.20م² بالجهة الشمالية الشرقية يقع الموقد الذي يبلغ طوله 2.26م وعرضه 2.65م وارتفاع عقده 2.84م وعرض المدخنة 1م³.

2-1-2-1-1-5 قصر الداوي:

يعتبر من أهم القصور لأن كلّ المسائل الإدارية والسياسية للدولة كانت تناقش فيه⁴، يقع باب القصر بالجهة الجنوبية الشرقية، يبلغ ارتفاع اطاره المزخرف 4.87م وعرضه 1.94م وسمكه 0.23م، أما الباب الخشبي فهو مغطى بصفائح من حديد مدعّمة ومزخرفة بمسامير ذات أشكال هندسية⁵.

كانت القاعات الجانبية بالقصر مخصّصة لحرس الداي الذي كان عددهم اثنين وثلاثين، وهم خاصون بالداي ومكلفون بالسّير الحسن للإدارة، كما تعتبر القاعات الأمامية من أهم القاعات التي كانت تستعمل لاستقبال الضيوف بالإضافة إلى الجلسات القضائية والاجتماعات⁶.

1- علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر، مطبعة الديوان للطبع والتوزيع، الجزائر، سبتمبر 2008، ص 86.

2- المرجع نفسه، ص ص 112، 113.

3- المرجع نفسه، ص 87.

4- درقاوي منصور، المرجع السابق، ص 56.

5- علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر، ج2، ط1، دار الضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 167-168.

6- المرجع نفسه، ص ص 181، 193.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-2-1-1-6 قصر البايات:

يقع بالقسم الشرقي من القصبة، يحده من الشرق البطارية الثانية ومخزن الأسلحة ومن الشمال حديقة النعام ومن الغرب مصنع البارود، أما الجهة الجنوبية، فكان يحده الخندق، يتكوّن من ثلاثة طوابق ومنزّه، وبهذا يحتلّ المرتبة الثانية من حيث الأهميّة بقصبة الجزائر¹. يتكوّن الطابق الأرضي من الجناح الخاص بالضّيافة، ويتكون من صحن رباعي الشكل تدعّم أربعة أروقة بأوتاد خشبية بالإضافة إلى جناح للخدم، والذي يتألّف من أربعة غرف²، كما يتألّف الطابق الثاني من غرف النوم، حيث يضمّ جناح للخدم والجناح الخاص يضاف إليهما المطبخ والحمام³، أما الطابق الثالث يحتوي على منزّه والسّطح ويضمّ قاعتين متّصلتين بالجزء الشمالي من السّطح⁴.

2-1-2-1-2-7 قصر حسان باشا:

أمر ببنائه حسان باشا سنة 1791م، بعد تولّيه الحكم، كان هذا القصر مجاورا لجامع كتشاوة، نجد فوق إطار الباب المؤدي إلى السقيفة الكبرى لوحة من الرخام⁵، السقيفة الأمامية للقصر مربعة الشكل 3.40م في 3.40م والسقيفة الكبرى 9.40م في 3.40م وقد أدخلت تغييرات على الطابق الأرضي، فالجانب الشرقي منه مدد وأصبح يتقدم مسجد كتشاوة ببضعة أمتار⁶. مطبخ القصر من المطابخ التي حافظت على بعض ملامحها المعمارية لأنّ السّلطات الاستعماريّة أحدثت فيه تغييرات هامة من بينها نزع المواعد وسدّ المداخل⁷.

1- علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 49.

2- درقاوي منصور، المرجع السابق، ص 57.

3- علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 61.

4- درقاوي منصور، المرجع السابق، ص 57.

5- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 197.

6- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 46، 70.

7- المرجع نفسه، ص 84.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-2-1-2-أهمّ القصور في مدينة قسنطينة:

ذكر الوزان الفاسي بأنّ مدينة قسنطينة كانت تضمّ ثمانية آلاف كانون¹، و ذكر مارمول كرخال عدد الدّور في مدينة قسنطينة في عهده بقوله²: "وعدد دورها المسكونة ثمانية آلاف"، وهو عدد كبير يدلّ على كثرة السكّان في المدينة، أمّا القصور فقد كانت تخص الطبّقة الميسورة جدا من الحكّام وكبار التجّار، وكانت تتكوّن من عدّة طوابق، وبمواد بناء رفيعة كالزّليج والدّهون والخشب الرفيع المنقوش والقرميد الأحمر والبلاطات الرخاميّة وتزيّن بالأشجار مثل البرتقال والنانج والتفّاح والعنب.³

2-1-2-1-2-1-2 قصر الإمارة: من أهمّ القصور التي بناه الموحدون فوق أنقاض المعبد الروماني في مكان القصبّة، وكانت زخارف القصر أنيقة تتألّف من الرّخام والجبس والسقوف الخشبيّة والثريّات النّحاسية التي تزيّن سقف القصر وبيوت الأمراء، تتخلّل القصر وتحيط به أحواض الزهور والأشجار المثمرة تتوسّط الماء التي بها نافورات مائيّة يهبط منها الماء متدفقا ممّا يعطي القصر جمالا وبهاء.⁴

2-1-3-القصبّة:

القصبّة هي مدينة صغيرة محصنة داخل المدينة الكبيرة خاصّة بالحكّام، لها كلّ المرافق من مسجد وأسواق، تخزّن بها الأسلحة والأموال والدّخائر، وهي خاصيّة تميّزت بها المدن في بلاد المغرب الإسلامي كتلمسان والجزائر العاصمة وفاس وتونس وبيجاية وقسنطينة معرض حديثنا.⁵

يعود تاريخ تشييد قصبّة قسنطينة إلى العهد الحفصي، إذ رُممت مرّتين متتاليتين، كان التّرميم الأوّل سنة 685هـ/1286م في عهد السلطان أبي حفص عمر الأوّل (683-

1- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ج2، ط2، الشركة المغربية للنّاشرين المتحدّين، الرباط، 1983، ص 56

2- المصدر نفسه، ج3، ص 11.

3- عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعيّة، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984، ص ص 68-69.

4- المرجع نفسه، ص 56.

5- عبد العزيز لعرج، "العمران الإسلامي وعماراته السكنيّة، قيم دينية ودلالات اجتماعيّة"، الحوليات، العدد 34، جامعة الجزائر، 2002، ص 81.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

694هـ/1284-1295م)، أمّا الترميم الثاني فكان في عهد القائد أبي الفتح نبيل حاكم مدينة قسنطينة خلال القرن الخامس عشر ميلادي.¹

والقصبّة التي كان يوجد بها المعبد الروماني، الذي بنى الموحدون فوق أنقاضه قصر الإمارة تتميز القصبّة بأسوار تفصلها عن المدينة الأمّ، ولها باب واحد وشوارع وساحة داخلية ومسجد خاص بالأمر وحاشيته وكبار موظفي الدولة وتحفظ فيها الهدايا والأموال لحصانتها.²

2-1-4- الحمّامات:

2-1-4-1: حمّامات مدينة الجزائر:

انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني العديد من الحمّامات والفنادق، حيث لعبت الحمّامات دورا هامّا في المجتمع من حيث توفير شروط النّظافة والطّهارة، حيث كانت هناك حمّامات خاصّة بالحكّام وكبار الموظّفين في الدّولة وحمّامات مفتوحة أمام العامّة، كما كانت تتميز هذه الحمّامات ببنائاتها الواسعة والمجهّزة بالماء الساخن والبارد، وتوفير كل ما يحتاجه الرّبون من وسائل الرّاحة والنّظافة، أمّا عن عمران هذه الحمّامات فغالبا ما كانت تتكوّن من ثلاث قاعات منفصلة، القاعة الأولى دهليز يشبه مدخل دار والقاعة الثانية يضع فيها المستحمّون ملابسهم ويرتدون بدلة الحمّام قبل الانتقال إلى القاعة الثالثة، وعادة ما تكون قاعة مظلمة بدون منفذ ظاهر باستثناء المدخل، بوسطها نوع من المنصة المربعة وحولها بلاط من الرّخام.³

ومن بين أهمّ الحمّامات التي كانت موجودة في الجزائر، وذلك بالاعتماد على وثيقة ديفولكس نذكر ما يلي:⁴

- حمّام باب الوادي هدم سنة 1830.

- حمّام يطو هدم قبل سنة 1830.

- حمّام سيدي رمضان.

1- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 66.

2- المرجع نفسه، ص 56.

3- كريم فضيلة، الحمّامات، ترجمة حضرية يوسف، دار النشر، حلب، الجزائر، 2007، ص ص 57.61.

4- ديفولكس البيير، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، تح: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص 49.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

- حمّام الحمير .
- حمّام الجنيّة .
- حمّام باب السّوق .
- حمّام بن جاور علي .
- حمّام القايد موسى .
- حمّام القصبّة .
- حمّام بن عشير .
- حمّام الأزعر
- حمّام سيدي محمّد الشّريف .
- حمّام السبوعّة .
- حمّام فويطة .
- حمّام حمزة خوجة .
- حمّام كتشّاوة .
- حمّام الخضّارين .
- حمّام سر كاجي .
- حمّام فرن النّصارى .
- حمّام باب الجّزيرة .
- الحمّام المالح .

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-4-2 أسس تصميم الحمامات الإسلامية:

- تناول الدكتور عبد الستار عثمان التصاميم العمرانية الهندسية للحمامات الإسلامية في العهد العثماني نذكر منها ما يلي:
- أن يشتمل الحمام على هواء وماء حار.
 - أن تتوفر بالحمام من الداخل فرصة جيدة للتّنفّس الصّحيح، فلا يحدث غثيان أو إغماء.
 - لا يتسرّب إلى داخل الحمام دخان المستوقد أو غيره.
 - ألاّ تتعرّض الوحدات الداخليّة للحمام إلى تيّارات الهواء البارد.
 - توفير أحواض الماء وضرورة حفر آبار مجاورة للحمام توفّر المياه العذبة للمستحمّين.
 - توفّر الحطب كمادّة وقود أساسيّة في الحمام.
 - أن يكون باب المدخل في اتجاه هبوب الرّياح ليستفيد الحمام من التّهوية.
 - أن تكون الأبواب الداخليّة بمقاييس صغيرة في الاتّساع والارتفاع.¹

2-1-4-3 تخطيط الحمامات:

يتمّ إقامة الحمامات بالاعتماد على العديد من الأسس والقواعد العمرانيّة والمعماريّة التي تراعي شروط الصّحة والسّلامة، نذكر منها ما يلي:

-تشكيل حيز فراغي داخل الحمام، محدّد بقياسات في إطار الأبعاد الثلاثة، الطّول والعرض والارتفاع، وتتمثّل وظيفته في توفير مكان للمستحمّين، يخلعون ملابسهم عند الدّخول للحمام ويجلسون فيه بعض الوقت قبل خروجهم حتّى لا يتعرّضون لأذى التيّارات الهوائيّة الباردة.

-البيوت الخاصّة بالاستحمام قد يكون عددها اثنين أو ثلاثة، تتدرّج في درجة حرارتها من المستوى البارد إلى الدافئ إلى الساخن، وهذه البيوت تستعمل في الاستحمام وما يصاحبها من تطهّر ونزع الجنابة وإزالة الشّعر والتّجميل.

-المستوقد، وهو من الوحدات المعماريّة المهمّة التي تزوّد الحمام بالماء والهواء الساخن، حيث يتمّ تسخين الماء بواسطته في أحواض وقدر توضع في موضع أعلاه، ويستفاد من المستوقد في سحب الهواء الساخن بأنابيب لتدفئة بيوت الحمام خاصّة بيت الحرارة.

1- عبد الستار عثمان محمد، "فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 23، أوت 2001، تونس، ص ص 279-299.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

-الممرّات والدّهاليز تربط بين المحيط الخارجي للحمام وبيوت الاستحمام، وهي مشكلة بطريقة تساعد على تحقيق وظيفة الحمام تحقيقا صحيحا، غالبا ما تأخذ شكل حرف، وذلك من أجل تقليل تأثير الهواء عند فتح الأبواب.

-استخدام القباب في التغطية لإستيعاب أكثر كميات بخار الماء وحتى لا يختنق المستحمّ.

-مدخنة بيت النار التي تسمح بصعود الهواء إلى أعلى ليرتفع بناؤها إلى مستوى سطح الحمام¹.

وقد حاول وليام سبنسر Spenser أن يصف الحمامات بمدينة الجزائر بما يلي: "كانت بناياتها واسعة ونظيفة مضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والسّاخن"، كما وضّح لنا سبنسر الحمام من الداخل كالآتي:
*غرفة خارجيّة.

*حجرة عريضة مقسّمة إلى مكعبات تتّسع كل منها لأشخاص يتراوح عددهم بين عشرة إلى اثني عشر، وفي كل مكعب يمرّ الماء السّاخن عبر أنابيب البرونز المقامة على الحيطان.²
2-1-4-2حمامات مدينة قسنطينة:

ذكر مارمول كرخال في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي وجود حمام على عين حارة طبيعيّة بقوله"، وعلى بعد ثلاث قذفات بالحجارة من المدينة يوجد حمام كبير تنبعث منه عين من المياه الحارّة، تنصبّ تلك المياه على صخرة عظيمة، فتكون حوضا تنمو به سلاحف قد يبلغ حجمها مثل الدّرقات المستديرة، يأتي إليها المستحمّون بقوة لأنّ النّاس يعتقدون أنّها الأرواح الشريرة التي بقيت هناك منذ عهد الرومان³.

1- عبد الستار عثمان محمد، المرجع السابق، ص 299.

2- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 92-95.

3- مارمول كرخال، أفريقيا، ترجمة محمد حجي واخرون، ج3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، -دار نشر المعرفة، الرباط، 1989 ص 13.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-1-5-الفنادق:

انتشرت الفنادق هي الأخرى في أغلب المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، فقد كانت تقدّم خدمات هامّة، حيث كانت منزلا للخارجين عن المدينة للإقامة فيها مدّة تواجدهم في المدينة خاصّة التجار والمرضى وعابري السبيل، وكانت هذه الفنادق تتوفّر على غرف للنوم والحمام وكذلك اصطبلات للحيوانات، ومن أهمّ الفنادق التي اشتهرت في مدينة الجزائر نذكر فندق بن تركية يقع خارج باب عزون وفندق يكي مسلمان وفندق شوطبة يقع كذلك خارج باب عزون، وفندق الروز وفندق الزيت وفندق باب الرقي.¹

2-1-5-1-الفنادق بمدينة قسنطينة:

كانت معظم الفنادق في قسنطينة خاصّة الرعايا الأجانب حيث وجدت العديد من الفنادق منها فندق الكتالونيين، وفندق الجنوبيين، وفندق المرسلين، وممثلّ الفندق هو القنصل، وهو وسيط بين التجار والسلطات المحلية، كما يمثلّ الفندق مؤسسة تجارية خاصّة بالأجانب.² وكانت هذه الفنادق تخصّ التجار الأجانب من الفرنسيين والإيطاليين الذين لا يطول بهم المقام بالمدينة، فبمجرد تسويق بضاعتهم وموادّهم التجارية يعودون إلى بلدانهم وذويهم تحت إشراف قنصل معتمد لدى السلطة المحلية، وكان الفندق يتكون من عدة طوابق، حيث الطابق العلوي لسكان التجار، والطابق السفلي مخازن وحوانيت.³

2-2 المنشآت العسكرية:

إلى جانب المنشآت المدنية، وجدت المنشآت العسكرية التي أنشأتها الدولة الجزائرية لأغراض دفاعية وأمنية كالتكنات والقلاع والحصون والأسوار والأبراج، فعلاوة عن الدور العسكري لهذه المنشآت إلّا أنّها شكّلت في مجملها إلى جانب المنشآت الأخرى نسيجاً عمرانياً متكاملًا ومتناسقًا داخل المدن، نعرض نماذج عن هذه المنشآت العسكرية على أهميّتها، كالآتي:

1- نصر الدين براهيم، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، تعليق علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص 177.

2- شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس-الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى 1830 ج2، تعر مزالى محمد، البشير بوسلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 186-187.

3- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 57.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-2- الأسوار:

2-2-1- أسوار مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

اشتهرت مدينة الجزائر بأسوارها العالية التي تحيط بها، والتي تم بناءها مع نهاية القرن 16م واستعملت في بناءها الصخور الضخمة ويبلغ طولها كيلومترين ونصف تقريبا وعلوها من 10 إلى 12مترا وعرضها متران، ويوجد في أسفلها خندق كثير العمق وعريض لصدّ هجوم العدو من البر والبحر¹.

تحتوي هذه الأسوار على فتحات صغيرة يستطيع من خلالها الحراس مراقبة حركة السّكان داخل المدينة وضواحيها، كما خصّصت الفتحات الواقعة من الجهة البحرية لإطلاق طلقات المدافع².

وبفضل هذه الأسوار والخنادق بقيت مدينة الجزائر بمنجاة عن الأعداء طيلة ثلاثة قرون كاملة، رغم كثرة الحملات الهجومية المتكرّرة عليها من طرف السفن الأوروبية، ولهذا سميت مدينة الجزائر بالجزائر المحروسة والجزائر المحميّة³.

2-2-1- أسوار مدينة الجزائر:

2-2-1- أسوار مدينة قسنطينة:

كان سور المدينة حسب وصف الإدريسي في القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي قائلاً: "وليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قائمة إلا من جهة باب ميلة⁴.."، أي في الجهة الغربية من المدينة، وكان يسمى الحنيشة، وهذا السور غير شديد الارتفاع حتى يسهل مطاردة الأعداء من بعد في المنحدرات نحو الحامة، حيث يوجد باب الحامة القريب من باب ميلة في الجهة الغربية فتكون قوة المدافعين أكبر من أعلى إلى أسفل⁵.

1- أحمد السليمانى، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص 23.

2- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر المرجع السابق، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 34.

4- الشريف الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في القرن 6هـ/12م، تحقيق ونقل الى الفرنسية محمد حاج صادق، د م ج، الجزائر، 1983، ص 166

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ص 52.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

أما مارمول كرخال ت979هـ/1571م، فقد قال عن أسوار المدينة: " وأسوارها صالحة جدا في جانبها الشرقيّة وجانبها الشمالي..."¹، وهذا عكس ما ذكره الإدريسي، وهنا يقصد كرخال الأسوار التي بنيت في القصبة من الناحية الشمالية وقرب القنطرة في الجهة الشرقيّة للمدينة، وقال عنها أحمد بن المبارك بن العطار " ومن حسنها أنّه كان بها سور عظيم محيط بها من كلّ ناحية، انهدم لطول زمانه ومرور الدهور عليه وقد بقيت أثاره إلى اليوم."² كما ذكر سورا بقوله: "بها سور آخر الجبل، أعلى الماء الحار من ناحية الجوف (الشمال) ويعرف بباب الزواح بقي اليوم أثره، وبه بعض كوات المكاحل"³، ويقصد بالمكاحل البنادق، ويضيف قائلا: "والله أعلم من بقايا الملوك الحفصيين، لأن الأوائل لا يعرفون المكاحل والمدافع وإنما آله حربهم السيف والرمح والنبل لا غير."⁴

2-2-2 الأبواب:

تميزت أغلب مدن الجزائر خلال العهد العثماني على أبواب تؤدي إلى داخل المدينة، وقد تمركزت هذه الأبواب في غالب الأحيان في الجهات الأربع للمدينة، وأخذت هذه الأبواب تسميات متعدّدة وفي ما يلي نماذج لا هذه الأبواب.

1- مارمول كرخال، المصدر السابق، ج3، ص 11.

2- أحمد بن المبارك العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تص وتحو نورالدين عبد القادر، المدرسة العليا للدراسات العربية، الجزائر، دت، ص 35.

3- المرجع نفسه، ص 37.

4- المرجع نفسه، ص 38.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-2-2-1 أبواب مدينة الجزائر:

2-2-2-1-1 باب عزون:

تعتبر من أهم أبواب المدينة وأكثرها استعمالاً، تقع في الناحية الشرقية للمدينة¹، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى أحد الثائرين من الأهالي ضدّ الحكم التركي²، وتعتبر العصب الحيوي للمدينة بحكم اتصالها بالطرق التجارية نحو مناطق البلاد الداخلية، حيث كان لهذا الباب جسر يرفع أثناء الحظر ويحتوي على أبراج للمراقبة³.

2-2-2-1-2 باب الواد:

تقع في الناحية الغربية للمدينة نسبة إلى الوادي الذي يمرّ بجانب، وهو واد قريش شيدها العثمانيون أوائل القرن 16م وداخل هذه الباب توجد منطقة بناء تشمل أسواق كبرى ومرافق عامة تعرضت للهدم من طرف الفرنسيين سنة 1846م⁴.

2-2-2-1-3 باب الجزيرة:

تقع في اتجاه الشرق، يسمى كذلك بباب الجهاد أو باب الصيادين⁵، كان لها دور استراتيجي هام، حيث تؤدي إلى المرسى ومنها يتم الخروج إلى الجهاد البحري، وفيها يتم تنزيل البضائع، ممّا جعلها تعرف حركة تجارية كبيرة⁶.

2-2-2-1-4 باب الديوانة أو باب السردين:

تقع في الناحية الشمالية الشرقية، كانت مخصصة للتجارة البحرية، ويدخل منها الصيد البحري لذلك سميت بباب السردين، وفيها يتم مراقبة السلع المستوردة من الخارج⁷.

1- شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 336.

2- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 232.

3- المرجع نفسه، ص 232.

4- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 35.

5- المرجع نفسه، ص 33.

6- المرجع نفسه، ص 34.

7- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر المرجع السابق، ص 234.

الفصل الأوّل: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-2-2-2 أبواب مدينة قسنطينة: اشتهرت مدينة قسنطينة بوجود عدة أبواب هي:

2-2-2-2-1 باب القنطرة:

تقع في النّاحية الشّرقية للمدينة، بنيت منذ عهد الرّومان سنة 335 م بالحجارة، وكانت معبر للنّاس وقناة للمياه تزوّد المدينة بالماء، وفي سنة 704هـ/1304 م قام المتمرد أبو البقاء خالد بن الأمير أبو زكرياء بتدميرها.¹

والجدير بالذكر أنّ مارمول كرخال ذكر أن الوصول إلى مدينة قسنطينة لا يتأتى إلا من ممرين ضيّقين، ولمدينة قسنطينة باب رئيسي مبني بالحجارة المنحوتة المزخرفة، والذي يعدّ من زينة المدينة، في حين أنّ الوزان الفاسي خلال القرن 16م لم يذكر إلاّ طريقين صغيرين ضيّقين أحدهما إلى الشّرق والآخر إلى الغرب، وأبواب المدينة جميلة كبيرة مصفّحة تصفيحاً جيداً بالحديد، ولم يذكر أيّ باب بالاسم.²

2-2-2-2-2 باب ميلة:

تقع في النّاحية الغربية، ذكرها الإدريسي في القرن السادس الهجري، الثّاني عشر ميلادي بقوله: "وللمدينة بابان باب ميلة من الغرب، وباب القنطرة من الشّرق"³، ووصفها الحميري بنفس بنفس الوصف قائلاً: "ولها بابان باب ميلة من الغرب، وباب القنطرة من الشّرق"، وسميت بباب ميلة لأنّها تقع في الجهة الغربيّة نحو ميلة مثل كل الأبواب في المدن العربيّة الإسلاميّة.⁴

2-2-2-2-3 باب الحامة:

تقع في الجهة الغربيّة باتجاه الفحص الأبيض أو حامة قسنطينة، كانت ذات أهميّة ثانوية في القرن 14 م، بها سور الحنيشة الذي دخل منه السلطان أبو فارس عبد العزيز في حربه ضد أخيه أبي بكر ليلة الأحد 18 رمضان 798هـ/1395م.⁵

1- النميري ابن الحاج، بن ابراهيم بن عبد الله (ت774هـ/1372م)، فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزّاب، دراسة محمد بن شقرون، د ت، تح: محمد بن شقرون الرباط، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1990، ص ص 119-129.

2- الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص 56.

3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 64.

4- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، د م ج، الجزائر، 2010، ص 166.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 64.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-2-2-4 باب الجابية:

تقع في الجهة الجنوبية، سمّيت نسبة إلى جابية الماء التي بقربها، وهي حوض كبير لتخزين الماء الصّالح للشرب، وكانت تسمّى الباب الجديد لأنه بني في العهد الموحد بسبب اتّساع عمران المدينة وكثرة زوّارها، فعمل الأمراء على تسهيل حركة المرور في المدينة وخارجها، فأضيف هذا الباب، كان بها مسجد سيدي أبي عبد الله الشّريف، وأعلاها توجد حارة الطّبال¹.

2-2-2-5 باب الوادي:

تقع في الجنوب الغربي للمدينة باتجاه وادي الرمال، الذي كانت تتمّ بواسطته جميع الاتّصالات مع الخارج تقريبا، وهو من حيث الموقع يتطابق مع باب ميله، وسمّاه عبد الكريم الفكون باب البلد، ومنه خرج ذات يوم الشيخ عمر الوزان إلى ضاحية الكدية، أين بنيت في مكانها قصر العدالة².

كانت هذه الأبواب جمعيا تغلق في اللّيل، أو عند حدوث اضطرابات اجتماعيّة أو سياسيّة، وبالتالي لها أهمية تنظيميّة من أجل الدّخول أو الخروج إلى المدينة، ومهمّة أمنية للحفاظ على أمن المدينة في اللّيل وفي أوقات الحروب والاضطرابات السياسيّة والتحكّم في الواردات والصادرات³.

2-2-3 الثكنات العسكريّة:

نظرا للأغراض الأمنيّة والدّفاعية، فقد انتشرت العديد من الثكنات العسكريّة والطّاريات الدّفاعية في أغلب مدن الإيالة، والتي كانت تحتوي على الجنود الانكشاريّة ومختلف معدّاتهم العسكريّة نذكر أهمّ الثكنات العسكريّة التي كانت موجودة في مدينة الجزائر، كالآتي:

2-2-3-1 ثكنة المقرنين:

1- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 64.

2- المرجع نفسه، ص 64.

3- المرجع نفسه، ص 65.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

يطلق على الثكنة اسم المقرير باللغة التركية، والتي تعني المكررون أو مقرئ القرآن الكريم، وهذا نظرا لقربها من مسجد عبيد باشا، حيث كانت تتلى آيات من القرآن خلال شهر رمضان وباقي المناسبات الدينية¹.

كان يوجد بهذه الغرفة سبعة وعشرون غرفة بها 899 رجلا، يعود تاريخ إنشائها إلى فترة علج علي في النصف الثاني من القرن 16م.

2-2-3* ثكنة الخراطين:

تعدّ من أقدم الثكنات بمدينة الجزائر إذ تعود إلى فترة حكم حسن بن خير الدين، تتكوّن من 24 غرفة تأوي 1516 جندي مكوّنين من 55 أوجاقا، اتخذت اسم الخراطين نظرا للعدد الكبير من الخراطين الذين كانوا يمتنون هذه الحرفة بجوارها.

2-2-3 ثكنة باب عزّون:

تعتبر من أهم الثكنات بمدينة الجزائر نظرا لكبر مساحتها، وتسمّى أيضا بالثكنة الكبيرة، قام بتشبيدها حسن بن خير الدين سنة 1551، تحتوي على 28 غرفة يسكنها 1661 جندي، بها فتحات مطلة على شارع باب عزّون، نوافذها مسيجة وغرفها مزخرفة أكسبت الثكنة جمالا وأبهة².

2-2-3-4 الثكنة القديمة الفوقانية:

تقع أعلى ثكنة الخراطين، يعود تاريخ بنائها إلى القرن 17م، حيث رمت مرتين 1750 و1791، بها 31 غرفة يسكنها 1089 جندي³، كما توجد هناك الثكنة التحتانية الجديدة وتضمّ 29 غرفة يسكنها 865 جندي⁴، وقد وجدت في مدينة قسنطينة العديد من الثكنات العسكرية نذكر منها:

* ثكنة المالكية يقيم بها فرسان المالكية.

* ثكنة السّكان وهي ذات موقع استراتيجي، تقع أسفل الأسوار الشمالية للمدينة.

1- علي خلاصي ، القلاع والحصون في الجزائر، المرجع السابق، ص 40.

2- علي خلاصي ، القلاع والحصون في الجزائر، المرجع نفسه، ص 41.

3- المرجع نفسه، ص 41.

4- عمر بوي فهيمة، الجيش الاتكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 71.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

*تكنة دار القلعة، تعتبر من أصغر التكنات، وهي محاطة بسور سميك وعالي.¹

2-2-4 أبراج والحصون:

تعتبر أبراج المراقبة والحصون من أهم التعزيزات العسكرية والأمنية التي ركزت عليها الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تركّزت هذه الأبراج غالبا على طول الأسوار وبالقرب من الأبواب المؤدية إلى المدن، إضافة إلى ذلك نجد الحصون التي كانت تعزز الدور الدفاعي والمراقبة خارج المدينة، نذكر بعض الأبراج والحصون التي انتشرت في بعض مدن الإيالة.

2-2-4-1 برج معسكر:

بعد انتقال مقر بايلك الغرب من مدينة مازونة إلى معسكر، والتي لم تكن ملائمة للدفاع، حيث قام الباي ابن اسحاق ابراهيم الملياني ببناء برج في المدينة، ثم الفراغ منه في شهر رمضان 1176هـ.²

2-2-4-2 برج باب الوادي:

بني هذا البرج على صخرة رباعية الشكل لحماية باب الوادي من أي هجوم مثل ما وقع أثناء الحملة الإسبانية سنة 1519م، ولهذا جاء شكله رباعي غير منتظم ليس له فتحات منخفضة، كما تعرّض للقصف من طرف الإسبان سنة 1783م.³

2-2-4-3 حصن القصبة:

مساحته 36 هكتار، طول أسواره 25 متر، به خمسة أبواب تؤدي إلى الجهات الغربية منها باب عزون، باب الوادي، باب الجديد، باب الجزيرة، باب البحر وباب الديوانة، بني هذا الحصن ما بين 1516م إلى 1698م، أصبح بمثابة مجمع عسكري مزود بثمانية وثمانين مدفعا متواجدا في المدينة.⁴

1- ناصر الدين سعيدوني، وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات الضابط هيوليت، ص 09.

2- علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر، المرجع السابق، ص 193.

3- المرجع نفسه، ص 101.

4- نصر الدين براهيم، المرجع السابق، ص 50.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

كما وجدت في إقليم قسنطينة العديد من الأبراج، وكانت هذه الأبراج حجيرات للحراس وموظفي الجهاز المالي، من مكاسين وأهل جباية، يقومون بمراقبة البضائع والسلع الواردة والصادرة منها.¹ نذكر أهم هذه الأبراج والقلاع على النحو الآتي:

2-2-4-4 برج المنصورة:

بني هذا البرج أوائل العهد العثماني لحماية الحامية التركية من هجومات الجزائريين، وقد تعرض لعدة هجومات، تتكون أسلحته حسب هيوليت من أربعة مدافع.²

2-2-4-5 برج عبد القادر:

هو البرج الوحيد الذي كان موجودا في المدينة أثناء الاحتلال الإسباني سنة 1510، وقاموا بتحصينه وجعله من الحصون الهامة بالمدينة، ثم تمكن صالح رايس من الاستيلاء عليه، كان يحوي 20 مدفعا.³

2-3 وضع الملكية العقارية في الجزائر خلال العهد العثماني:

تعددت أصناف الملكية العقارية في الجزائر العثمانية بين أملاك عامة تابعة للسلطة التركية الحاكمة، وأملاك خاصة تابعة للمسؤولين وكبار موظفي الدولة وأملاك خاصة بالجزائريين، وفي ما يلي توضيح لتلك الأصناف:

2-3-1 أراضي البايلك:

وهي الأملاك التي يصطلح عليها في عصرنا بأملاك الدولة، فهذه الأراضي ملك للدولة مخصصة للاستغلال الفلاحي من طرف السكان التابعين للسلطة (سلطة البايلك).⁴

وهذا النوع من الأراضي يمثل وضعيتها القانونية وطبيعة استغلالها أراضي الخرج التي فتحت عنوة، وأصبحت في حوزة بيت المال وتحت تصرف أمير المؤمنين نيابة عن جماعة المسلمين، ولاعتبارات تاريخية لم يعد ممكنا تطبيق الأحكام الإسلامية المتعلقة بالأرض الخراجية، وفي العهد العثماني شمل هذا النوع من الأملاك الأراضي التي استحوذ عليها الحكام الأتراك بداية من القرن 16م عن طريق المصادرة والشراء، وعن طريق طرد سكانها منها

1- حسن الوزان ، ج2، المصدر السابق، ص 56.

2- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 10.

3- المرجع نفسه، ص 11.

4- علوي عمار، الملكية والنظام العقاري في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2006، ص 43.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

لرفضهم دفع الضرائب المفروضة عليهم، أو المتمردين على السلطة المركزية، أو التحالف مع أطراف أجنبية ضدهم، مثل ما وقع مع قبيلتي بني عامر وقلية بالغرب الجزائري عندما تحالفوا مع الإسبان المقيمين بالسواحل الجزائرية ضد الأتراك¹.

وزاد من اتساع هذه الأراضي، تزايد اهتمام الحكام بالمناطق الداخلية من القطر الجزائري وأتباعهم لسياسة صارمة في فرض الضرائب، واستخلاص الجبايات من الجزائريين خاصة في فترة حكم الدايات، من أراضي البايلك هناك جزء منها يسمّى "أراضي العزل"، وهي من أجود الأراضي، كما تعتبر ملكية غير متنازل عليها للبايلك، والتي تقوم باستغلالها مباشرة أو عن طريق إعطائها كهدية أو كإقطاعات لكبار القادة، حيث يقع الجزء الأكبر من أراضي العزل في إقليم قسنطينة والقليل منها في إقليم الجزائر، وقد قدرت مساحتها في إقليم قسنطينة بحوالي 317.390 هكتار².

2-3-2 أراضي الخواص:

وهي الأراضي التي كان يستغلها أصحابها مباشرة، وكان لهم الحق في التصرف فيها حسب إرادتهم، عن طريق بيعها أو تركها للورثة أو استغلالها، بحيث لا يتوجب على مالكيها إزاء الدولة سوى فريضتي العشر والزكاة، باعتبارها في حكم التي أسلم عليها أصحابها. ولأخذ فكرة عن وضعية هذه الملكيات الخاصة المرتبطة بالمدن، فإنها كانت منتشرة داخل المدن الكبرى في الجزائر وعلى حدودها، واستغلال هذا النوع من الأراضي، كان يخضع للقوانين السائدة آنذاك والمرتبطة بالشريعة الإسلامية، كما كانت الأرض تنقل عن طريق الإرث أو الهبة³.

2-3-3 أراضي المخزن:

كان هذا النوع من الأراضي متروك للقبائل العسكرية التي أقامها الأتراك، لتأمين المراقبة على منطقة معينة، وتضم هذه القبائل في نفس الوقت الطابع العسكري والطابع الزراعي، حيث تقوم هذه القبائل بخدمة هذه الأراضي زراعيًا والاستفادة منها مقابل قيامها بإخماد الثورات

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 47.

2- بيزير عيسى، السياسة الفرنسية تجاه الملكية العقارية في الجزائر 1830-1914، مذكرة ماجستير في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم 2007-2008، ص 8-9.

3- رامول خالد، الاطار القانوني والتنظيمي للأحكام الوقفية في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 12.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

والتمرّدات التي تقوم بها بعض القبائل الرافضة للوجود التركي في الجزائر، كما كانت القبائل المخزنية يدّ مسخرة لجمع الضرائب، والضرب بيد من حديد للقبائل الرافضة لدفع الضرائب للسلطة التركية¹.

2-3-4 أراضي العرش:

يشكّل هذا الصّنف إحدى الملكيات العقارية الهامة في الجزائر خلال العهد العثماني، خاصة الملكيات الزراعية التي كانت شائعة في الجزائر منذ القرن 11م، نظرا لاستقرار القبائل وتوطّن العشائر وممارستها لمختلف الأنشطة الاقتصادية، كما كانت هذه الأراضي متمركزة على كافة القطر الجزائري، حيث تميّزت بالطابع الجماعي أو القبلي الذي لا يقبل القسمة ولا البيع وكلّ أصناف التصرف².

2-3-5 أراضي الموات:

وهي الأراضي التي لا تخضع لأيّ تملك من طرف أيّ شخص، سواء كان معنوي أو طبيعي، وتكون مكتسبة لمالكها الأوّل عن طريق إحيائها واستصلاحها، ويدخل في إطار هذه الأراضي تلك التي كانت غير صالحة للزراعة أو التي تركت بدون استغلال، إلى جانب الأراضي الفلاة والغابات، والتي تكون غالبا بعيدة عن التجمّعات السّكنية، وتعتبر هذه الأراضي حيّزة للدولة لعدم وجود مالك لها، ولا تتحول أراضي الموات إلى أراضي ذات ملكية خاصة أو مشاعة، ولا يحق للدولة بأخذها إلا في حالة إحيائها واستغلالها³.

2-3-6 أراضي الحبوس:

وهي نمط آخر للملكية العقارية يندرج تحت التشريع العقاري الإسلامي، وكتعريف مبسط لهذه الأراضي يمكن أن نقول: "هي الأراضي التي يحبسها مالكها للإنفاق على الأعمال الخيرية، فمردودها موجه إلى مؤسسات أو جهات دينية خيرية، وهذا النوع من الملكية متواجد خاصة في المدن والأرياف المحيطة بها، كما أنّ الأملاك الوقفية لا تباع ولا تشتري، ولا يمكن

1- علوي عمار، المرجع السابق، ص 45.

2- رامول خالد، المرجع السابق، ص 2.

3- يزير عيسى، المرجع السابق، ص 12-13.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

حيازتها بتصرف أو استحواذ أو مصادرتها، وبالتالي فهي أفضل طريقة لتمكين أصحاب الأراضي من حفظ أملاكهم، ومن مميزات أملاك الحبوس نجد ما يلي:

* لها دور هام في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان.

* تعتبر تنظيم ناتج عن تطبيق الشريعة الإسلامية.

* تعتبر وسيلة لتجنب قواعد الميراث.

* إنها تقص السوق العقارية.

نستنتج مما سبق أنّ الملكية العقارية في الجزائر خلال العهد العثماني كانت متعدّدة نالا أنّ القاسم المشترك بينه أو عامل الاستقرار، وحسب أرشيف الفترة العثمانية، فقد ضمت الجزائر سنة 1830م ما لا يقلّ عن 40 مليون هكتار من الأراضي الممسوحة، والتي تخصّ مختلف الملكيات العقارية كما هي مبينة في الجدول أدناه¹:

الملكيات	نظام ملك ووقف	نظام عرش	أملاك دولة بايك او مخزن	غابات	مناطق الرعي والحلفاء
المساحة/هكتار	4.5 مليون	8 مليون	1.5 مليون	3 مليون	23 مليون
النسبة%	11.25	20	3.75	7.5	57.5

1- عمار علوي، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

2-4 التشريع العمراني في الجزائر خلال العهد العثماني:

لقد تمّ نشر مئات الوثائق المتعلقة بالتشريعات العمرانية، والتي يعود أغلبها إلى فرمانات السلطانية، كما صنّف الأستاذ يرلسيمور وثائق تعود إلى القرنين 16م و19م، تشمل العديد من المواضيع العمرانية المتداولة في أيامنا هذه¹، وعلى الرّغم من عدم بلوغ هذه التشريعات إلى حدّ التقنين وإرسائها ضمن منظومة قانونية أو تشريعية عمرانية رسمية، على غرار قوانين التخطيط العمراني المعاصر خلال الفترة الاستعمارية، إلا أنها تكشف لنا الطريقة العلمية السليمة لمناقشة مسائل النشاط العمراني بمختلف مستوياتها، ابتداء من تأسيس المدن وانتهاء بأدقّ مسائل التخطيط العمراني التفصيلية، ويمكن للمطلع على هذه الوثائق والمخطوطات أن يعرف مدى ارتباطها بالقضايا العمرانية المعاصرة، ومن هذه الوثائق ما كان يحمل العناوين التالية:

- مميّزات المباني، وهي المتعلقة بتحديد الارتفاعات المسموحة للأبنية، والارتدادات، والأجنحة والمضلات.

- أسلوب البناء، ومواد البناء، والمعايير المستعملة.
 - تبييط الشوارع، والأماكن العامّة، والأرصفة، وتنظيفها.
 - بيع قطع الأراضي لغير المسلمين.
 - مسالة تصنيف الأحياء للمسلمين وغير المسلمين.
 - مسائل المياه: وتشتمل على مسائل توريد مياه الشرب، ومسائل تصريف المياه المستعملة.
 - مسائل الأمن: كتخصيص مناطق سكن للعزّاب، وأمن الأحياء، ومنع الهجرة.
- تعتبر وثائق وأعمال المهندس المعماري الشّهير "سنان باشا" من أهمّ الوثائق التي تؤرّخ للعمران العثماني بصفة عامّة، حيث نشرت أعماله في السنوات الأخيرة في كتاب "تذكرة البنيان وتحفة المعماريين"، حيث يعتبر مرجعا هاما للباحثين والمهتمين بالعمران العثماني².

1- قديد محمود حميدان، التخطيط الحضري ودور التشريعات التخطيطية في النهوض بعملية التنمية العمرانية، إمارة دبي نموذجاً كلية الاقتصاد، إمارة دبي، الإمارات المتحدة، 2010، ص 92.

2- قديد محمود حميدان، المرجع السابق، ص 93.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3: مظاهر الحياة العمرانية في الجزائر خلال العهد الاستعماري الفرنسي:

3-1- تعريف المدينة الكولونيالية:

يعرف BENEVOLO المدينة الكولونيالية بأنها: "عبارة عن مجموعة من الشوارع المستقيمة التي تشبه لوحة الشطرنج، تتشكل من تجمعات سكنية مربعة الشكل داخل وسط المدينة، منفتحة على ساحة واسعة التي تشرف على أهم المنشآت كالكنيسة، دار البلدية، مساكن التجار والمعمرين الأكثر ثراء.¹

3-2- تأسيس المدن الكولونيالية في الجزائر:

منذ قدوم الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر وإحكام سيطرته على جل المناطق الشمالية من البلاد شرعت فريق من المهندسين العسكريين المكلفين بإنشاء المدن الكولونيالية، والتي كانت من بين مهام هذا الفريق العسكري إلى جانب مهام أخرى منها إقامة التحصينات العسكرية الدائمة والمؤقتة وبناء المنشآت والتكنات العسكرية، وتشديد المرافق العمومية كتجسيد الطرقات ومشاريع الري، وقنوات الصرف الصحي.

أسندت مهام إنشاء المدن الكولونيالية والقرى لإيواء المعمرين إلى المهندسين العسكريين وذلك لمعرفتهم بطرق البناء وتخطيط المدن نظرا لاطّلاعهم بهذا الفنّ خلال مسار تكوينهم العسكري خاصة ما تعلّق بالكاستراميتاسون castramétation أين يظهر في مخطط المدينة وإستقامة الشوارع واتّخاذها مربعة الشكل.²

3-3- بنية المدينة الكولونيالية:

3-3-1- المخطّط العام للمدينة:

إنّ المدن التي أسستها الإدارة الاستعمارية في الجزائر منذ عام 1830 أخذت شكلا واحدا وهو طابع التّجميع، حيث قام فرق الهندسة العسكرية برسم مخطّطات المدن على قواعد وأسس دقيقة ومحدّدة، حيث تستجيب هذه المخطّطات إلى المتطلبات التقنية كطول الجادات وعرض الشوارع وتوزيع المرافق وطبيعة المباني المدنية والعسكرية.

1-Benevolo Leonardo, *Histoire De La Ville* , E Parentheses , Marseille , 1994,p12.

2-Bofenara Khadija *Le Rôle Du Génie Militaire Dans La Production Des Villes Coloniales* ,thèse de doctorat , Constantine ,2010,p50.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

إنّ الطّابع العام الذي طبع المدينة الجزائريّة خلال العهد الاستعماري هو انعكاس للنّمت الأوروبّي، الذي كان سائدا في أوروبا خلال القرن 19م وقامت الإدارة الاستعماريّة بنقله وتطبيقه في الجزائر المستعمرة.

إنّ من بين الأسس التي اعتمدت في تخطيط المدن الاستعماريّة هو طابع التّجميع للوحدات السكانيّة وتقريبها من بعضها البعض حتّى تتشكّل تجمعا عمرانيا منتظما.

لقد أخذت أغلب المدن الاستعماريّة الشّكل الشّطرنجي، والذي يتشكّل من محورين رئيسيين: محور شمالي جنوبي ومحور شرقي غربي، وعند تقاطع هذين المحورين نجد السّاحة المركزيّة التي تضمّ العديد من المرافق الأساسيّة والضروريّة.¹

3-3-2-مكوّنات المدينة الكولونياليّة:

تتشكّل معظم المدن الجزائريّة الكولونياليّة في أغلب الحالات بمجموعة من العناصر منها السّاحة المركزيّة، السّور، الأحياء السكنيّة، الشّوارع والجادات، المساحات الخضراء كالحدائق والبساتين وأبواب المدينة، والكنيسة وغيرها من المكوّنات.

3-3-2-1 السّاحة المركزيّة:

تتموقع في ملتقى المحورين السّالفي الذّكر، حيث نجدها تشرف على العديد من المرافق منها فندق المدينة، الكنيسة، السّوق المغطّاة، قاعة الحفلات، سكنات المعمّرين الأثرياء وكبار التّجار.

أخذت هذه السّاحة شكل المربّع 200م/140م، يعبرها الشّارع الرّئيسي التي يؤدّي إلى وسطها، ويعتبر المهندسون والتقنيّون الفرنسيّون المختصّون في المجال العمراني أنّ المدينة العثمانيّة في الجزائر كانت تتميز بعدم الانتظام وفضاءاتها عشوائيّة.²

3-3-2-2 أسوار المدينة:

يلاحظ أنّ أغلب المدن الاستعماريّة في الجزائر قد أحيطت بأسوار، والتي أنشئت لعدّة أغراض منها:

- الدّفاع عن المدينة.

- تنسيق، وتنظيم المنشآت داخل المدينة.

1-Boufenara Khadidja , op.cit, p50.

2-ibid,p61.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

- إعطاء منظر جمالي للمدينة.

- أنشئت للفصل بين المدينة، والحيز الخارجي، والريف الذي يتّصف بعدم انتظام عناصره.

- في بعض الحالات لعبت الأسوار دورا للتجوال والتنزه¹.

3-2-3 الشوارع:

على محورين رئيسيين، محور شمالي جنوبي ومحور شرقي غربي تشكلت معظم المدن الجزائرية خلال العهد الاستعماري، حيث ينتهي كل شارع من جهة أو أخرى بباب، وعادة ما كان يتراوح عرض الشوارع بـ 25 مترا غرست على طرفيها أشجار لغرض التظلّل والتجول². إلى جانب الشوارع الرئيسية وجدت هناك شوارع ثانوية وهي أقلّ عرضا من الشوارع الرئيسية ووضعت لأغراض أمنية، وقد وضعت مقاساتها وفق طريقة Vauban وهي فن عسكري بحيث يسمح عرض الشارع بمرور ثلاث عربات³.

عمل فريق المهندسين العسكريين بغرس الأشجار على حواف الشوارع بغية تلطيف الجو، خلف فضاءات للتنزه، وإعطاء مظهر جمالي داخل المدينة.

3-2-3 الفضاءات الخضراء:

احتوت المدن الكولونيالية على العديد من المساحات أو الفضاءات الخضراء كالحدائق والبساتين والمساحات العامة، حيث أخذت هذه الفضاءات التّمط الإنجليزي⁴، والذي اشتهر في فرنسا ومستعمراتها خلال القرن 19 وبداية القرن 20، كما كانت تلعب هذه المساحات الخضراء والفضاءات دورا هاما كالترفيه والتسلية، وكذا تلطيف الجو للسّاكنة .

احتوت المدن في الجزائر على العديد من الحدائق المشهورة، والتي تعود إلى الفترة الاستعماريّة نذكر منها حديقة لندن ببسكرة، الحديقة العموميّة بمدينة قسنطينة، حديقة التجارب بالحامة بالجزائر العاصمة والحديقة الكبرى العمومية بمدينة وهران وحديقة الاخضرار بمدينة باتنة، وهناك العديد من المساحات والفضاءات العامة في العديد من المدن.

1-Boufennara Khadidja, *op.cit*, p70..

2-Malverti Xavier , **Villes Et Colonisation** vol 2 , thèse de 3 eme cycle en aménagement ,institut d urbanisme , paris,1987,p100.

3-Gugnem Louis , Félix, **L histoire Des Villes Coloniales** , séminaire d histoire de l Amérique colonial , SHAC, France ,1985,p10.

4- استحدث هذا النمط من الحدائق على يد الفونس ويتميز باختلافه عن النمط الفرنسي في تخطيط الحديقة باعتماد الملمح الطولي المستقيم.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-2-3-5 البنايات والمرافق العمومية:

اعتمدت الإدارة الاستعمارية في الجزائر عند استغلالها للأوعية العقارية بغية إقامة المدن على تقسيم الوعاء العقاري إلى ثلاثة أصناف، حيث يشغل الفضاء الأول البنايات الجماعية والسكنات الفردية، في حين يشغل الفضاء الثاني المرافق المدنية مثل فندق المدينة وقاعة الحفلات والكنيسة والسينما... إلخ، في حين يشغل الفضاء الأخير المرافق العسكرية، والتي تشيّد على حيّز واسع لتلبية مختلف الاحتياجات الأمنية والعسكرية.

يلاحظ أنّ كلّ فضاء من هذه الفضاءات العمرانية له خصائصه العمرانية والمعمارية والوظيفية داخل المدينة، وهي في مجملها تشكّل النسيج العمراني للمدينة في الجزائر، الذي يختلف اختلافا جوهريا عن النسيج العمراني للمدينة في الجزائر خلال العهد العثماني، وفي مايلي توضيح للفضاءات الثلاثة:

3-2-3-6 فضاء الإسكان أو الايواء:

أقدمت الإدارة الاستعمارية على منح تراخيص للملاك الوافدين من فرنسا وأوروبا نحو الجزائر من أجل بناء مساكن فردية، وكان لزاما على هؤلاء المستفيدين من تراخيص البناء التقيّد ببعض المعايير والشروط، أثناء تشييدهم لمساكنهم من بينها:

- مراعاة استقامة المباني على طول الشوارع والجادات.
- اعتماد مخطط عمراني صحيح وانتقاء الهندسة المعمارية الرّاقية.
- استعمال مواد البناء الجيدة.
- مراعاة علو البنايات، حسب المعايير المعتمدة من قبل السلطات العموميّة الفرنسيّة.

3-2-3-7 فضاء التّجهيزات العمومية:

ما يلاحظ على المرافق والتّجهيزات العمومية في المدينة الكولونيالية في الجزائر أنّها كانت منفصلة ومحيطة بالفضاءات العامّة والمساحات الخضراء، حيث يتمّ تحديد موقع المرفق منذ المراحل الأولى لتأسيس المدينة، وفي الغالب كانت تشيّد على المحاور الرّئيسية لوسط المدينة

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

كانت مقاسات البنيات العمومية في أغلب الحالات تأخذ 25×60م، والتي كانت متشابهة مع سكنات المستوطنين، ومن بين هذه المباني العمومية نجد الكنيسة، فندق المدينة، المحكمة، الدائرة المّسرح، السّوق المغطى، قاعة الحفلات، السّجن¹. إلخ.

3-3-2-8 المباني العسكرية:

تعتبر المباني العسكرية من أول المباني التي قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بتشييدها في الجزائر، فحسب ROCCA، فإن هذه المباني أخذت شكلا يختلف عن المباني المدنية السّالفة الذّكر سواء التابعة للإدارة الاستعمارية أو تابعة للمستوطنين، كما أنّها شيّدت في مواقع مرتفعة نوعا ما وتحاط بسور كبير يفصلها عن المباني الأخرى ويجمع كل التّكنات التّابعة للمشاة، وجيش الخيالة واسطبلاتها، بالإضافة إلى المستشفى العسكري².

3-3-3 الطّراز المعماري الكولونيالي في الجزائر:

تعتبر المصادر التي تناولت موضوع الهندسة المعمارية الفرنسية في الجزائر نادرة، الأمر الذي يخلق صعوبة لدى الباحثين عند محاولة هذا الموضوع، وعموما يميّز الباحثين في هذا الشّأن بين أربعة أنماط معمارية ارتبطت بالعمران الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، والتي ميّزت أغلب المدن الجزائرية، والتي مازالت بعض ملامحها قائمة إلى اليوم والتي يمكن سياقها، كالآتي:

- 1- الهندسة المعمارية المعدنية (الصّناعية).
- 2- الهندسة المعمارية الكلاسيكية الحديثة.
- 3- الهندسة المعمارية الموريسكية الجديدة.
- 4- الهندسة المعمارية الحديثة³.

نلاحظ أن الهندسة المعمارية الكولونيالية في الجزائر قد مرّت بتطور تاريخي منذ بداية التّعمير الفرنسي إلى الجزائر وإلى غاية الاستقلال، والتي عملت سلطات الإدارة الاستعمارية على تجسيدها في الجزائر من أجل تثبيت الوجود الاستعماري في شقّه العمراني، وكذا القضاء على العمران المحلّي الموروث عن العهد العثماني، كما أنّ هذا التطور الحاصل في الهندسة

1-Malverti Xavier,op-cit ,p120.

2-Rocca Emile,Histoire De La Ville De Setif , imp,artistique Emile Rocca,setif , algerie , 1903, p40.

3-Vacher Hélène ,Projection Colonial Et Ville Rationalisee, publication de department of langages and architectural stadies , alberg university , 1997,p 52.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

المعمارية في الجزائرية كثيرا ما تحكمت فيه المستجدات والتطورات الحاصلة في فرنسا سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وفيما يلي تفصيل لتطور الطراز المعماري الكولونيالي في الجزائر.

3-3-3-1 الهندسة المعمارية المعدنية (الصناعية):

يعتبر هذا الطراز الأول من نوعه المطبق في الجزائر المستعمرة، والذي صادف ظهوره في فرنسا وأوروبا خلال القرن 19م، حيث كانت البدايات الأولى له في العديد من المباني والمنشآت التي شيدها سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، والتي مازالت العديد منها ماثلة للعيان الى اليوم، والتي تؤرخ لحقبة تاريخية من تاريخ الجزائر، ومن بين هذه المباني نجد الأسواق المغطاة، مخازن الحبوب، مستودعات الخضر... الخ.

أما فيما يخص تقنيات إنجاز هذا النوع العمراني، فإن الخبراء المعماريين الفرنسيين قد تأثروا بالثورة الصناعية التي أتت بالعديد من الابتكارات والاختراعات خاصة في مجال التعدين واستعمال المعادن والفحم الحجري، حيث لعبت المعادن دورا أساسيا في إقامة العديد من المنشآت والمباني خاصة في تسقيف تلك المنشآت.

ويعود سبب اهتمام السلطات الاستعمارية إلى الاهتمام بهذا النوع من العمران إلى عدة جوانب منها السرعة في الإنجاز والتجاعة التي تميز بها هذا النمط إضافة إلى متانة وقوة المنشآت المشيدة إضافة إلى كون هذا الأسلوب اقتصادي من الناحية المادية¹.

نلاحظ أنّ هذا النوع من المباني تمت إقامتها بالقرب من الموانئ وسكك الحديد بغرض تسهيل حركيّة نقل البضائع والسلع الأمر الذي يعود بالفائدة الكبيرة على الاقتصاد الاستعماري

3-3-3-2 الهندسة الكلاسيكية الجديدة:

هي طابع فني معماري ظهر في النصف الثاني من القرن 18 وبداية القرن 19 والذي تميّز بالعودة إلى الطابع المعماري اليوناني الروماني.

كما يطلق على هذا النمط من الهندسة المعمارية بنمط المنتصر الذي يعكس التسلط العسكري ويؤكد السيطرة والهيمنة الاستعمارية في المستعمرات، ويعتبر هذا النمط المعماري

1-Sahraoui Rachid, aperçu sur la ville algerienne ,ed D.A.C , Constantine , 2005,p23.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

الصورة الرسمية التي جسدها فرنسا خارج المتوسط خلال القرن 19م، ومن جملة الخصائص التي ميّزت هذا الطابع المعماري ما يلي الهندسة المعمارية الكلاسيكية الجديدة ما يلي:

- إقامة البنايات على شكل مستقيم ومقطّعة إلى أجزاء منتظمة ويفصل بينها شوارع وجادات.
- الاعتماد البنايات على أعمدة أو دعائم ضخمة وقوية.
- اعتماد الزخرفة اليونانية، والرومانية في تزيين الواجهات السكنية.
- إقامة الشرفات، والنوافذ المتعددة الأبواب.

إنّ هذا الطراز المعماري الجديد المجسّد في المدن الجديدة في الجزائر يعكس مدى تحمس الفرنسيين في الجزائر بربط الجزائر المستعمرة بالوطن الأم فرنسا خاصة ما تعلق بالمنشآت والهيئات الإدارية، بحيث كانت لهم الفرصة بإزاحة الهندسة المعمارية المحليّة وتجسيد الهندسة الفرنسيّة الكولونيالية التي كانت الطابع الرسمي لفرنسا، والذي جسّدته في مستعمراتها كما هو الحال في الجزائر، ومن جملة المنشآت التي أقيمت في الجزائر وتضمّنت الهندسة المعمارية الكلاسيكية الجديدة لدينا مسرح الجزائر العاصمة الذي شيّد عام 1858 وكاتدرائية السيّد الإفريقيّة في عام 1870.¹

3-3-3-3 الهندسة الموريسكية الجديدة:

أطلق على هذا النمط من الهندسة المعمارية العديد من التسميات منها: الهندسة المعمارية العربية، المحليّة، أسلوب جونا، نمط المحافظ، الموريسكية الجديدة، وهي عموماً نمط معماري عرفته الجزائر نهاية القرن 19م.

تعتبر الهندسة الموريسكية الجديدة الوجه الثاني الرسمي للاستعمار الفرنسي في الجزائر المستعمرة بعد الهندسة الكلاسيكية الجديدة، حيث تمثّل الموريسكية الجديدة تجسيدا للعمارة الإسلامية منها الأقواس (القوس الفارسي، قوس متعدّد الفصوص)، القباب، السّائر الخشبية، الفسيفساء، الأعمدة الملتوية، المنارات²... الخ.

1-SAHRAOUI ,Rachid, op.cit, p24.

2-Cherif Rokia ,Elévation D un Langage Documentaire Pour La Description De L'architecture Néo-mauresque En Algérie , colloque international "Arabisation et néo-mauresque " Tunis ,2010,p5.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

كان الهدف من تجسيد هذا النمط من الهندسة العمرانية في الجزائر المستعمرة هو إعادة بعث أو إحياء للطراز المعماري المحلي العربي الإسلامي (العثماني والأندلسي والمشرقي)، وكذا إحداث تقارب ثقافي، وديني بين الجزائريين والفرنسيين.

بدأ ظهور هذا النمط المعماري مع زيارة الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث إلى الجزائر سنة 1865م، حيث كانت هذه الزيارة لأغراض اقتصادية وهكذا فقد أعطى الإمبراطور توجيهات خاصة بالمجال العمراني في الجزائر منها:

- حماية وصيانة المباني، والمنشآت العمرانية المحلية.
- تجسيد نمط عمراني عربي إسلامي في المنشآت العمرانية.
- ضرورة إسكان الجزائريين في مساكن لائقة.

لقد جسدت الهندسة الموريسكية الجديدة والكلاسيكية الجديدة امتزاجا لثقافتين متعارضتين ولهندستين مختلفتين، حيث يعتبر عصر الموريسكية الجديدة فترة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر المعاصر خاصة في مجال التعمير والذي سمح بعودة العمارة المحلية الأصلية في الجزائر، والذي سمح بإقامة العديد من المنشآت والمباني في الجزائر تحمل هذا الطراز على غرار البريد المركزي في مدينة الجزائر العاصمة ومقر ولاية الجزائر ومحطة وهران¹.

3-3-3-4 الهندسة المعمارية الحديثة:

مع إحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر عام 1930 توقف العمل بالهندسة الموريسكية الجديدة، وبداية ظهور نمط معماري جديد ألا وهو الطراز العمراني الحديث، وهو آخر أنماط العمارة، والذي سيبقى العمل به إلى غاية استقلال الجزائر عام 1962، حيث برز فيه العديد من المهندسين المعماريين أمثال: Emery، Lalhuillière، Simonet، Bernard، Pouillon، Zehajus، وهؤلاء اعتبروا بناء الجزائر الحديثة، ونلمس من خلال إنجازاتهم وأعمالهم المعمارية والعمرانية أنهم كانوا متأثرين بالنزعة الحديثة في مجال التعمير التي عرفها العالم وفرنسا في تلك الفترة من خلال إقامة الحدائق والبساتين وإقامة الركائز، المخطط الحر (الدعامات والحزم في الأسقف)، السطوح....

1-Driouche Kamel, Réinterpréter Et Valoriser Les Heritages Culturels Dans L urbanisme Et L architecture , Edition PUPS, paris , 2010,p60.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

ويمكن تتبّع تطوّر مراحل هذه الهندسة المعماريّة كما يلي¹:

3-3-3-1 المرحلة الأولى 1920-1925: هذه المرحلة تؤرّخ لظهور التّعمير المكتبي الذي يعتمد على مكاتب خاصّة بالدراسات العمرانيّة من أجل تخطيط المدن، وقد سنت الإدارة الاستعماريّة قانونا يلزم بوضع مخطّط لكل مدينة تضمّ 10.000 نسمة، وإقامة سكنات بأسعار معقولة ورخيصة (HBM) موجهة للأوروبيين والفقراء، وتطبيق نظام التّخطيط النّطاقي أو القطاعي أثناء التّعمير.

3-3-3-2 المرحلة الثانية 1930-1933: تعتبر مرحلة مهمّة في تاريخ التّعمير في الجزائر المستعمرة، حيث عرفت هذه السّنوات بسنوات الورشات في ميدان التّعمير والهندسة المعماريّة.

3-3-3-3 المرحلة الثالثة 1950-1954: شهدت هذه الفترة بناء العديد من المنشآت والتّجمعات الحضرية الكبرى في الجزائر من طرف مهندسين معماريين أمثال: De Miquel, Emery, Pouillon وغيرهم، حيث حملت العديد من المنشآت، كالفنادق، وقاعات الحفلات، والمتاحف، والمباني العمارات نمط الهندسة المعمارية الحديثة والذي مازالت العديد من المباني شاهدة عليها إلى يومنا هذا في مختلف مدن الجزائر خاصة الشمالية منها. إنشاء لجنة بناء المراكز الاستيطانية في الجزائر²:

بغية تأسيس مراكز لاستقبال المستوطنين الأوروبيين الوافدين من فرنسا وأروبا إلى الجزائر أقدمت الوزارة الحربية الفرنسية على إنشاء لجنة تشرف على عملية تنظيم وتجسيد المراكز الأوروبية، حيث قام المارشال سولت ببعث هذه اللّجنة مبدئيا لتأتي مبادرة المارشال كلوزيل الحاكم العام الفرنسي في الجزائر سنة 1838 بتمكين هذه اللّجنة، والتي أوكلت لها مهام إنشاء أول مركز استيطاني في الجزائر، ألا وهو مركز بوفاريك حسب ما جاء في جريدة

les dépêches في تواريخ 4 سبتمبر و 2 و 21 نوفمبر 1838م، حيث قامت المصالح المركزية التابعة لهذه اللّجنة بالعمليّات التّالية:

1- معاينة حالة الوعاء العقّاري.

2- اختيار أحسن المناطق لإقامة المرافق الضروريّة.

1-Sahraoui Rachid,op.cit ,p27.

2- Ibid,p28.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3- دراسة مختلف طرق البناء المناسبة لطبيعة الأرضية من الناحية الجغرافية والمناخية. كلف المهندسون والمهندسون العسكريون وضباط المكاتب العريية من أجل وضع دراسات حول المشروع، ليتم انتظار القرار النهائي حول تأسيس المركز الاستيطاني للحاكم العام، إذ يعتبر قراره نافذ، وغير قابل للنقاش¹. وبعد تعيين الجنرال بيجو على رأس الولاية العامة في الجزائر خلفا لكلوزيل سنة 1841، عمد إلى تجسيد مشروع استيطاني طموح جاء به إلى الجزائر، تميّز هذا المشروع الاستيطاني بالصبغة العسكرية.

3-3-4 مصالحي الهندسة العسكرية الفرنسية في خدمة السياسة العمرانية في الجزائر:

منذ دخول الفرنسيين إلى الجزائر سنة 1830 واستلائهم على العديد من المدن الهامة في الجزائر خاصة في جزئها الشمالي كمدينة الجزائر العاصمة ووهران وعنابة وقسنطينة والبلية وغيرها، ومن أجل تجسيد سياستها التوسعية الاستيطانية، وضعت مصلحة الهندسة العسكرية كأداة ووسيلة فعالة في هذا المجال، ليس فقط في إقامة المشاريع الاستيطانية، كشق الطرق، وإقامة سكك الحديد، وبناء الأسوار، وأبراج المراقبة، والثكنات، وإنما حتى في إشراكها في اللجان والهيئات التي كانت تشرف على اقتراح المشاريع الاستيطانية، وبذلك كان المهندسين العسكريين الطرف الأساسي في رسم ملامح المدن الاستعمارية في الجزائر خلال القرن 19م. لقد شكّل المهندسين العسكريين سندا للسلطات الاستعمارية من أجل تجسيد السياسة الاستيطانية في الجزائر، فقد منح هؤلاء المهندسين كل ما يملكون من مهارات وخبرات وإمكانيات للسلطات الاستعمارية في الجزائر، فهؤلاء المهندسين كانوا يتلقون تكويننا قاعديا في المدرسة المتعددة التقنيات بمدينة ميتر الفرنسية لمدة ثلاثة سنوات، حيث يتميز هذا التكوين بأنه أحسن من التكوين الذي كان يقدم في مدرسة الجسور والأنفاق، فقد تضمن التكوين في مدرسة ميتر تدريس المهارات التقنية وأساسيات الاستطلاع العسكري، كالتعرف على الخصائص الطبيعية، والجغرافية، والبشرية للفضاء. إذ تدخل المهندسين العسكريين في وضع الخطوط الأولى للمراكز الاستيطانية أو المدن في الجزائر أضفى على المشاريع الطابع التقني، بالنسبة إليهم المدينة مشروع أو هدف تقني والمكانن كفضاء يجب الاقتصاد فيه من أجل توزيع الإنسان

1-Sahraoui Rachid,op-cit,p28.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

والوظائف فيه، وهكذا نجد لويس بريار يقترح في سنة 1829م في الدراسات المتعلقة بفنون البناء لهيئة lazarets، حيث أن تخطيط المدن كان مشابها لمخططات المراكز الاستيطانية، إذ يعتبر الفضاء كألة حقيقية ترتب وتراقب الإنسان والسلع.¹

كما نجد أيضا بليدور أستاذ الفن العسكري في مدرسة المدفعية ينشر وثيقة تناولتها العديد من الأجيال من المهندسين، والتي جعلت من مدينة Neuf-Brisach كنموذج فريد من المدن التقنية، حيث أن الأبعاد والمقاسات والمسافات بين الشوارع في المدينة لا تأخذ بعين الاعتبار الجانب الجمالي.

لقد فرض الوضع الجديد في الجزائر على المهندسين العسكريين ضرورة التخلي على الطابع التقني الذي ارتبط بالتحصينات والمباني، وانتهاج ملمح آخر أثناء تأسيس المدن أو تحويل المدن الجزائرية، ولذا ألقى على عاتق الهندسة العسكرية تجسيد المشاريع المدنية والعسكرية، لذا كان لزاما على المهندسين صنع معرفة جديدة انطلاقا من معارفهم التقنية والاطلاع على نماذج من المدن سابقا، كما كان بإمكانهم الاطلاع على العديد من المؤلفات الخاصة بمخططات المدن الأجنبية كما اطلعوا على مخططات المدن القديمة مثل المدن الرومانية².

يعتبر القاموس العمراني لمؤلفه Quertemère de Quincy مرجعا أساسيا للمهتمين بالجانب العمراني في فرنسا، حيث نشر في عام 1832م، حيث أشار إلى مفهوم المدينة وأنواعها وطرق تخطيطها ووظائفها، كما شكّلت وثيقة المهندس المعماري Patte، التي نشرت في سنة 1759 مرجعا مهما للمهندسين المعماريين في الجزائر إذ تضمنت كيفية تخطيط المدن خاصة المخطط الشطرنجي الذي اشتهر في المدن الصينية واليابانية³.

لقد ضمت بعض المدن الكولونيالية المجسدة في الجزائر بعض ملامح المدن التي أقيمت في أوروبا، فالبلدية أقيمت بعض أجزائها على النسق الأمريكي أو مدينة الجزائر العاصمة هي الأخرى ضمت بعض ملامح المدن الألمانية، كما أقيمت بعض السّاحات العامة والفضاءات

1-Malverti Xavier ,Aleth Picard, **Les Villes Traces Des villes Et Le Savoir Des Ingénieurs Du Genie** , Travaux Des recherches , Ecole d Architecture de Grenoble , Ministere de l Equipement et du Logement , Direction de l Architecture et de l Urbanisme , Grenoble ,1988 p8.

2-Ibid p9.

3- Idem

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

الخضراء على النمط الإنجليزي المشيد في العاصمة لندن مثل حديقة لندن المشيدة في مدينة بسكرة¹.

لقد واجه مشروع السياسة العمرانية في الجزائر عراقيل وصعوبات عديدة منها المقاومة الوطنية خاصة في المناطق الشمالية الوسطى تحت لواء الأمير عبد القادر، مما فرض على الفرنسيين ضرورة اخضاع القبائل الجزائرية إلى السيطرة الفرنسية، وإقامة مراكز ونقاط عسكرية على مسافة كل 80 كلم حتى تضمن تحرك القوات الفرنسية بسرعة، مع ضرورة محاصرة القبائل من كل الجهات.

استعمل الفرنسي دوتوكفيل مصطلح المجال في سنة 1847م لتعريف الاحتلال الذي باشره الجنرال بيجو في المناطق التلية، وفي سنة 1857م عرض المهندس Lieussou في مصلحة الجسور والأنفاق خريطة تتضمن المنشآت العمرانية المجسدة في المناطق الشمالية المرتبطة بالموانئ الزابطة مع التّخوم الصحراوية جنوبا، حيث يعتبر هذا النمط من التهيئة العمرانية حديث إذ تعود أولى تطبيقاته إلى القرن 18م، حيث اشتهر فيه المهندس De cormontaigne والذي ورثه عن المهندس Vauban في مؤلفه الخاص بإنشاء التحصينات المنشور في سنة 1741م وبقي العمل به إلى غاية 1848م².

بعد إخضاع القبائل المحلية إلى السيطرة الفرنسية، ومصادرة أراضي الأهالي باسم القوانين والمراسيم التي سنتها سلطات الإدارة الاستعمارية وتحت مبرر المصلحة العامة، بعد مشروع إقامة المدن والمراكز الاستيطانية من أجل استقبال المعمرين الأوروبيين والفرنسيين إلى الجزائر، وتوالت بذلك سلسلة الهجرات الأوروبية إلى الجزائر، حيث منحت السلطات الاستعمارية امتيازات لهؤلاء الوافدين من أجل الاستقرار في الجزائر، حيث مرّت السياسة الاستيطانية بمرحلتين، مرحلة الاستيطان المنظم أو الرسمي ومرحلة الاستيطان الحر.

تميّزت المرحلة الأولى من الاستيطان بازدياد الاستيطان العسكري، كون الإدارة الاستعمارية كانت ترى أن الاستيطان مهمة عسكرية، فقد أخذت تشجّع العسكريين على الاستمرار في

1- Malverti Xavier ,Aleth Picard,op-cit ,p9.

2- Ibid, p10.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

الجزائر وإنشاء المستوطنات، حيث يقول بيجو¹ في هذا الصدد: "بما أن الجيش هو كل شيء في إفريقيا، فالسلطة الوحيدة الممكنة هي السلطة العسكرية، وتعتمد هذه السلطة على المعمرين وهم جنود ومزارعون في نفس الوقت... كما تعتمد في نفس الوقت على الجيش الذي يكاد يتعادل في حالة الحرب والسلم"².

ارتكزت سياسة بيجو الاستيطانية في الجزائر على ثلاثة قواعد أساسية هي:

- 1- تشكيل لجنة من كبار القادة العسكريين الذين حاربوا في شمال إفريقيا، يكلفون بتحديد المناطق الاستراتيجية للاستيطان (من حيث جودة الأراضي وتأمين هذه المناطق).
- 2- إنشاء لجنة مدنية مؤلفة من خبراء زراعيين ومزارعين كبار، تناط بهم إليهم مهمة تحديد أماكن تثبيت القرى الاستيطانية مع الأخذ بعين الاعتبار توفر مصادر المياه والصحة العامة.
- 3- بعدها يأتي دور الطبوغرافيين لوضع حدود القرى الاستيطانية، وذلك بعد مصادرة أراضي الجزائريين سواء بالقوة أو بحجة القيام بمصلحة عامة.

وهكذا يظهر أنّ الجنرال بيجو كان يركّز على فكرة الجندي المزارع، وستظهر هذه السياسة في المراكز الاستيطانية التي أقامها في منطقة حوض الشلف، وهو ما سنتطرق إليه بالتوضيح والتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة، حيث تتبع بيجو في السياسة الاستيطانية الاستراتيجية التي انتهجها الرومان في شمال إفريقيا، مركزا على العسكري الذي خاض المعارك وساهم في بناء المراكز الاستيطانية³، حيث كان يرى أن الاستيطان جزء لا يتجزأ عن العمل العسكري بل مرتبط به، وأنّ العمل العسكري إنّما يكون بالتوسّع خارج مدينة الجزائر والمناطق

1- توماس روبرت بيجو: THOMAS –ROBERT BUGEUD، ولد في سنة 1784، أرسل إلى الجزائر عام 1836 في مهمة مزدوجة ومحاربة الأمير عبد القادر وفرض السلم في الجزائر، تولى الحكم في الجزائر في 29 ديسمبر 1840 إلى غاية 29 جوان 1847، انتهج سياسة العنف والقهر والإبادة والتدمير في إطار سياسة الأرض المحروقة تجاه الجزائريين، للمزيد أنظر:

عدة بن داهة، الاستيطان والصراع على ملكية الأرض 1830-1962، ج 2، اطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010-2011، ص 490.

2- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، دار القصبية، الجزائر 2007، ص 300.

3- علي عبود، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض 1830-1899م القطاع الوهراني نموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة وهران، 2013، ص ص 53-54.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

الساحلية كخطوة أولى للاستيلاء على مزيد من الأراضي الصالحة للزراعة¹، ففي سنة 1841م شرعت الإدارة الاستعمارية في تطبيق هذه الفكرة، واتخذت إجراءات في الجيش لإنشاء مراكز التعمير العسكري Les Centres De Colonisation Militaires، ونشرت بعض التعليمات وسط الجنود الذين أدوا سنتين أو ثلاث سنوات خدمة في الجيش والراغبين في أن يصبحوا معمرين بأنه يمكنهم الاستفادة من ذلك حالا، وأن الدولة تمنحهم كل الوسائل الضرورية للانطلاق في حياة جديدة².

أما المحاولة الثانية التي شرعت الإدارة الاستعمارية في تطبيقها فكانت في سنة 1842م، حيث قامت بتشغيل بعض قواعد الاستيطان العسكري، فأخذت بعين الاعتبار الفشل الأول، حيث قررت إنشاء قرى ومزارع جماعية وأن يعمل العسكريون بصفة جماعية مشتركة لمدة ثلاث سنوات، لكن بعد سنة من التجربة طلب البعض إنهاء العمل المشترك، ولم تنجح هذه الفكرة الأخيرة إلا نسبيا، ولم تحقق غايتها في الاستيطان العسكري منذ البداية.

أما الشيء الذي نجحت فيه السلطات الاستعمارية، فهو استخدام الجيش في بناء المستوطنات وفي استصلاح الأراضي، وبناء المساكن وشق الطرقات وحفر الآبار، وهو ما قامت به فرق الهندسة العسكرية، والذي أشرنا إليه آنفا، وبذلك زاد عدد المستوطنين الأوروبيين في الجزائر نتيجة توفر الوعاء العقاري والعمراني الذي يحتوي هاته الأعداد الكبيرة التي تهافتت على أرض الجزائر.

أما المرحلة الثانية من سياسة الاستيطان، فقد تميّزت بالطابع المدني، فبمناسبة وصول الجنرال بيجو الى الجزائر يوم 22 فيفري 1841م، أكد في ندائه الموجه إلى سكان مدينة الجزائر بأن الغزو بدون الاستيطان سيكون عقيما، كما سبق وأن صرح أمام مجلس النواب في يوم 16 جانفي 1840م..إننا بحاجة إلى جحافل دهماء من المعمرين الفرنسيين والأوروبيين³.

1- الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر "خلفيات وأبعاد"، مطبعة دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 194.

2 - بوعزة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 217.

3- فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، دار القصة، الجزائر، 2005، ص 45.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

لقد شرع الجنرال بيجو في تنفيذ وتوسيع المشروع الاستيطاني، حيث دعا بقوة الفرنسيين والأوروبيين إلى الهجرة نحو الجزائر، أين سيجدون فرص أوفر للعيش وتحقيق النّجاح، حيث منح للمستوطنين حقّ الإقامة والتّملك في مختلف المناطق في الجزائر.

لقد ارتكز الاستعمار الفرنسي في مراحله الأولى في الجزائر على الاستيطان المدني بغية تثبيت الوجود العسكري في مختلف مناطق الجزائر، وذلك بإيجاد مجتمع مدني حليف للجيش الفرنسي حيث أنّ العنصر العسكري لا يستطيع تحقيق أهداف المشروع الاستعماري في الجزائر ما لم يسانده المجتمع المدني¹.

وكنتيجة لهذه السياسة الاستيطانية، فقد توافد على الجزائر أعداد معتبرة من المستوطنين إلى الجزائر انتشروا عبر مختلف المناطق الشمالية للجزائر، التي وقعت تحت السّطوة الفرنسية وأقيمت بها مراكز استيطانية لاستقبال المستوطنين، والجدول التالي يبين تطور عدد المستوطنين في الجزائر².

السنوات	1831	1836	1841	1851	1857	1861	1866	1872
عدد المستوطنين/الف نسمة	3.228	14.561	57.374	109.400	131.283	205.888	235.225	245.117

من خلال الجدول يتبيّن أنّ أكبر وتيرة للهجرة تم تسجيلها بين فترة 1841/1846م و1851/1857م، وهما فترتا حكم بيجو ورائدون على التوالي، واللذان كانا لهما جهود استيطانية كبيرة، برزت من خلال توفير عقود الامتياز المجّانية للمعمّرين وإنشاء عدد كبير من المستوطنات.

وكما أشرنا سابقا، فالى جانب الاستيطان الرسمي نشطت حركة الاستيطان الحرّ بفضل قانون وارني في 23 جويلية 1873م، الذي عرف بقانون المستوطنات، والذي استهدف القضاء

1- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 189.

2- صالح عباد، المرجع السابق، ص 104.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

على الملكية الجماعية للقبائل والأعراش الجزائرية، والذي تدعّم بقانون آخر صدر في عام 1887م والذي كان أخطر من قانون وارني.¹

تشير إحصائيات السّكان باستثناء الجند واليهود أنّ عدد الأوروبيين عرف تزايداً ديمغرافياً ملحوظاً على مرّ السنين كما يوضح ذلك الجدول التالي.²

السنوات	1871	1876	1881	1886	1891	1896	1901	1926	1931	1954
عدد المستوطنين / الف نسمة	119.00	247749	376000	467000	483465	529717	583844	83300	881600	98400

ومهما تكن من حقيقة هذه الأرقام، فإنّ الانخفاض الطّيف لوتيرة نمو السّكان الأوروبيين حقيقة واضحة، كما أنّ تناقص عدد المهاجرين الأوروبيين إلى الجزائر واضح كذلك، إذ وصل إلى 51000³ مهاجر، والجدول التالي يوضح معدّل الزيادة في صفوف المستوطنين:

السنوات	عدد المستوطنين	معدل الزيادة
1886-1876	467000	36%
1901-1891	583844	20%
41954-1926	984000	01%

كما لوحظ أنّ نمو عدد السّكان بفضل الولادات بعد سنة 1896 كان أعلى من التّمور المرتبط بالهجرة، فمنذ تلك السّنة أصبح عدد الأوروبيين المولودين بالجزائر يفوق عدد

1- شارل رويبر اجيرون، تنمية الاستيطان في الجزائر 1870-1930، تر: محمد الطاهر العمودي، مجلة المصادر ع2، م و د ب ح و ث اول نوفمبر 1954، 1999، ص 189.

2- بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 230.

3- شارل رويبر اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1870-1919، تر: حاج مسعود، ج1، دار الكتاب، الجزائر، 2007، ص 858.

4- المرجع نفسه، ص 960.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

المهاجرين الجدد الوافدين من فرنسا وغيرها، لذا أصبحت الجالية الأوروبية في الجزائر قادرة على مواصلة النمو الديمغرافي حتى في حالة توقف الهجرة الأوروبية نحو الجزائر¹.

3-3-5 الفئات المشكلة للمستوطنين الأوروبيين في الجزائر:

لقد تطلّب المشروع الاستيطاني في الجزائر تهجير قوة بشرية كبيرة من داخل فرنسا وكامل أوروبا، وإتاحة الفرصة لها في الحصول على امتيازات واسعة في الجزائر، فعملية الاستيطان كانت مشروعاً أوروبياً أكثر منه فرنسياً، حيث قام على شعار "ليكن الاحتلال فرنسياً، لكن الاستيطان يجب أن يكون أوروبياً"²، لذا فقد عمل الاستعمار الفرنسي من خلال تشجيعه على الهجرة، وبذلك أصبح مشردوا أوروبا وصعاليكها يتمتعون بحق المواطنة في الجزائر، وذلك لتحقيق هدف أساسي يتمثل في محاولة خلق مجتمع تنصهر فيه جميع هذه العناصر المهاجرة. إنّ تجارب التاريخ تبين أنّ كثيراً من الشعوب والدول والإمبراطوريات، تغيرت بنيتها وشخصيتها وثقافتها جراء الهجرة الأجنبية، فالاستيطان يمرّ بثلاث مراحل، الهجرة الاستيطانية، الاستعمار الاستيطاني والدولة الاستيطانية، فهناك تأثير كبير للمهاجرين الأجانب، وذلك لما يحملونه من أفكار وعقائد وسلوكات البلدان التي أتوا منها، وكذا مدى تفاعلهم واندماجهم في المجتمع الذي هاجروا إليه وما مدى قبول ذلك المجتمع لهم، ففي الجزائر نجد مجموعة من الأقليات الأوروبية التي كانت فرنسا تريد أن تجعل منها وحدة اجتماعية متجانسة في مواجهة الجزائريين، حيث عمدت إلى استقدام عدة أجناس كالإسبان واليهود والمالطيون، مما أنتج مجتمع أجنبي دخیل داخل المجتمع الجزائري.

تنوّعت التركيبة العرقية للمستوطنين الأوروبيين الوافدين إلى الجزائر، وذلك بتشجيع من طرف السلطات الاستعمارية في الجزائر، يمكن تبيانها كما يلي:

3-3-5-1-الفرنسيون:

تأتي الجالية الفرنسية في المقام الأول من حيث الاستقرار في الجزائر كون الدولة المستعمرة فرنسا، فالإدارة الاستعمارية عملت على تشجيع الرعايا الفرنسيين على الهجرة نحو الجزائر والاستقرار بها، وذلك منذ السنوات الأولى للاحتلال وتزايد عددهم تدريجياً، فقد قدر عدد

1- يحي يوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، د م ج، الجزائر، 1984، ص 47.

2- عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 34.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

الفرنسيين سنة 1886م 219000 فرنسي، ووصل عددهم سنة 1901م إلى 364000 فرنسي¹.

3-3-2 الإسبان:

تعدّ الجالية الإسبانية من أكبر الجاليات الأوروبية عدداً، إذ كانت تمثل ثلثي السكان الأوروبيين، حيث يعود تواجدهم في الجزائر إلى عهد الدولة الزيانية، وكان أغلبهم قادمين من المدن الإسبانية المحاذية للبحر المتوسط، واستقروا في مختلف المدن الجزائرية وعملوا كفلاحين وبنّائين، حيث قدر عددهم في سنة 1896م حوالي 160.000 إسباني².

3-3-3 الإيطاليون:

تأتي الجالية الإيطالية في المقام الثاني بعد الإسبان، أغلبهم ينحدر من نابولي وصقلية، اشتغلت الجالية الإيطالية بالصيد البحري والمناجم والبناء والأشغال الكبرى، كما كانت وجهتهم إلى المناطق الشرقية من البلاد بحكم قربها الجغرافي من إيطاليا، قدر عدد المستوطنين الإيطاليين في الجزائر سنة 1896م بـ 35268 مستوطن وفي سنة 1911م بـ 37000 مستوطن³.

3-3-4 الألمان:

توجّهت إلى الجزائر العديد من العائلات الألمانية من أجل الإستقرار في الجزائر، اشتغلوا في مختلف المهن والحرف منذ قدومهم إلى الجزائر سنة 1832، وبسبب الظروف المعيشية التي صادفوها لجأ أغلبهم إلى الانضمام إلى الجيش الفرنسي قدر عدده في سنة 1846م بـ 1140 مستوطن يعملون كمزارعين في البساتين وعمّال في معاصر الخمر وأعمال الحفر⁴.

1- شارل روبيير اجيرون، تنمية الاستيطان في الجزائر 1870-1930، المرجع السابق، ص 248.

2- عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر دراسة تحليلية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء الوثائق، د م ج، ط 2010، ص 310.

3- شارل روبيير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة 1871-1954م، ج2، دار الامة للنشر، الجزائر، 1973، ص 198.

4- عبد الرحمان الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ط6 دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 29.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-5-5 السويسريون:

تعتبر الجالية السويسرية من أهمّ الجاليات الأوروبية التي قطنت الجزائر، وقد اشتغلت بالفلاحة كالعامل في مزارع الكروم والتبغ، جاء أغلب المستوطنين السويسريين إلى الجزائر عن طريق شركة: "جنيفية" خلال سياسة الاستيطان المنتهجة¹.

3-3-5-6 اليهود:

لقد كان لليهود مكانة بارزة في حركة الاستيطان بالجزائر، خاصة بعد إقرار تجنيسهم بالجنسية الفرنسية، فحتى سنة 1886م كان هناك حوالي 43000 يهودي، وكان أغلبهم من التجار والحرفيين، كما عرف على اليهود أنهم كانوا أشدّ تعاوناً مع الاستعمار الفرنسي من أجل الحصول على مكانة داخل المجتمع الأوروبي.²

3-3-5-7 المالطيون:

يعتبر المالطيون من المهاجرين الأوائل إلى الجزائر، وقد قدر عددهم بالجزائر وقسنطينة سنة 1830م بـ 1213 مستوطناً، وكان أغلبهم يشتغلون في التجارة والأعمال الحرّة والخدمات العامة، فيما كانت فئة قليلة منهم تشتغل في العمل الفلاحي.³

3-3-5-8 البلوروسيون:

جاء إلى الجزائر عام 1833م حوالي 700 مهاجر بلوروسي، ومن بينهم مهاجرون من الألبان واللّورين وسويسرا، بعدما كانوا في طريقهم إلى البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك تحت تأثير الدعاية الفرنسية ووعودها لهم بالحصول على الأراضي والامتيازات.⁴

3-3-6 اليات تجسيد السياسة العمرانية الفرنسية في الجزائر:

3-3-6-1 مصلحة الجسور والأنفاق ودورها في السياسة العمرانية في الجزائر:

إلى غاية سنة 1851 كانت هذه المصلحة هي المسؤول الأول عن الأشغال العامّة في مختلف البلديات تمثّل إنجاز الطرقات، ترصيف الموانئ، إقامة قنوات الصّرف الصحيّ بشقّ

1- شارل روبيير اجيرون، تنمية الاستيطان في الجزائر 1870-1930، المرجع السابق، ص 250.

2- آمال معوشي، يهود الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي 1830-1870، دار الإرشاد، الجزائر، 2013، ص 24.

3- محمد العربي ولد خليفة، الاحتلال الاستيطاني للجزائر، مقارنة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، دار تالة، الجزائر، 2005، ص 59-60.

4- محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص 60.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

قنوات الرّي، وبموجب المرسوم الصادر في 28 أفريل 1852 أصبحت مسؤولة عن إقامة وصيانة النّافورات والآبار ونقاط تجميع الماء والمغاسل وقنوات المياه سواء داخل المدن أو خارجها، ومراكز الاستيطان، والأسوار، ومساكن الكولون وغيرها من المنشآت العامّة.¹

تتشكّل مصلحة الجسور والأنفاق من الطّاقم التّالي:

*مهندس رئيسي.

*مهندسين مدنيين.

*مهندسين من المستوى الثّاني ومهندسين من المستوى الثّالث

*محاسب مالي وكاتب.

3-3-6-2 مصلحة المباني المدنية:

من بناء وتشبيد المباني، أنشئ مجلس المباني المدنية في فرنسا عام 1795م تحت وصاية وزارة الدّاخلية في باريس، وفي بعد احتلال الجزائر استقدّم هذا المجلس إلى الجزائر سنة 1843م بموجب القرارات الوزارية 25 مارس و5 أوت 1843م، وكان تحت وصاية الوزارة الحربيّة الفرنسيّة، وكان يعمل في أهمّ المقاطعات الجزائريّة، كالجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة. حيث حدّد دور هذا المجلس بموجب تعليمة وزارية صادرة يوم 11 ديسمبر 1795م²، حيث يتمثّل دوره فيما يلي:

*منع إقامة أيّ مشروع لا تتجرّ عنه مصلحة أو فائدة للأمة الفرنسيّة.

*السّهر على إقامة المشاريع في ظروف ملائمة مع مراعاة شروط السّلامة والتّجارة.

*معاينة قانونية طلبات الدّفع والتّحصيل الخاصة بمشاريع المباني.³

1-Ccollection complete des Lois , décrets ,ordonances,reglements de 1788a 1830, Sur Avis du conseil d etat Tome 3, 2eme edition; edit Guyot et Scribe , Paris ,1834.p23.

2-Charle Gourlier,Notice Historique Sur Les Services Des Travaux Des Batiments Civils a Paris Et Dans Les Departements De Paris ,2eme edition revue et augmenté par Charles Questel , 1886,p19.

3-xavier malverti ,op.cit ,p130.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-7 السياسة العقارية في الجزائر المستعمرة:

يعدّ ملف العقار من أهمّ الملفات التي أولتها الإدارة الاستعمارية أولوية كبيرة في الجزائر غداة الاحتلال، وذلك بانتهاج سياسة استعمارية عقارية مبدؤها الأساسي تكوين أملاك عقارية لفرنسا وذلك بإدماج أملاك البايك والأملاك الشاغرة وأراضي الدايات والبايات، وكذا أراضي الجزائريين الذين أُجبروا على التخلي عنها.

كما كانت أملاك الأوقاف أول ضحايا قرارات المصادرة، التي بدأت بها الإدارة الاستعمارية سياستها في الجزائر، حيث كانت أوقاف مدينة الجزائر العاصمة الأكثر عرضة للمصادرة من غيرها من المدن الأخرى، بحكم أنها أولى المدن التي سقطت بيد المحتل، وبغية تحقيق الأهداف الاستعمارية، بدأت الإدارة الاستعمارية بمصادرة كل الأملاك التابعة للدايات والأعيان والجنود التي تسمى "أراضي البايك" بحجة أنها من حق الاستعمار، ثم بدأ النظام العقاري الاستعماري بتطبيق كل الطرق الممكنة بغية المصادرة الدائمة وسلب العقارات الزراعية والمبنية من الفلاحين الجزائريين، واتخذت في هذا الشأن عدّة حجج مبررات من بينها المصادرة بحجة غياب السند ونزع الملكية وبحجة عدم الاستغلال، الأمر الذي نتج عنه القضاء بصورة همجية على أسس الوعاء العقاري المستمدة من الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية.

لقد تحققت السياسة العامة للاستعمار في الأراضي في الجزائر من خلال إصدار السلطات الاستعمارية مجموعة من القوانين والمراسيم، والتي سنحاول فيما يلي عرضها وإبراز أهدافها الرئيسية من خلال تقسيمها إلى المراحل التالية:

- مرحلة الاحتلال بالقوة وسياسة إدماج للملكية العقارية 1830-1870.

- مرحلة فرنسة الأراضي وتأسيس الملكية الفردية 1871-1914.

- مرحلة الاستيطان ونهب الثروات 1914-1954.

- محاولة تصحيح الأخطاء 1954-1962

3-3-7-1 مرحلة الاحتلال بالقوة وسياسة الاستيلاء على الأملاك الوّقفية 1830-1870:

بعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر تأكّد أنّه لا مجال للتوسّع نظرا إلى نمط الملكية العقارية الموجودة في الجزائر، والتي كان يحكمها القانون المحلي المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية، فأول ما قامت به السلطات الاستعمارية بعد إبرام معاهدة تسليم الجزائر بين الحاكم الفرنسي دي

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

بورمون والدّاي حسين في 5 جويلية 1830م، هو التطبيق الفوري للقانون رقم 539 والقانون رقم 713 من القانون المدني الفرنسي الصادر في سنة 1804م، المتعلّق بالأمالك الشّاغرة، والذي تمّ بموجبه مصادرة الأراضي التّابعة للدّايات والبايات والباشاوات وموظّفي الدّولة العثمانيّة الذين غادروا الجزائر، وإدخالها ضمن أملاك الدّولة الفرنسيّة¹.

كما تمّ ضمّ الممتلكات الوقفيّة من طرف الماريشال "دي بورمون"، الذي قام بضمّ أملاك بيت المال إلى أملاك الدّولة الفرنسيّة، وأصبحت اللّجنة التي أنشأها باسم "اللّجنة الحكوميّة" هي التي تشرف عليها.

جاء بعد دي بورمون الجنرال كلوزيل، والذي قام بإصدار القرار المؤرخ في 08 سبتمبر 1830م، المتعلّق بمصادرة الأملاك العقاريّة التي تركها المطرودون من أراضيهم ومست أيضا الأوقاف الإسلاميّة².

لاقى قرار كلوزيل رفضا واحتجاجا من طرف الفقهاء، حيث قام بإصدار آخر في 07 ديسمبر سنة 1830م، حيث نصّت مادّته الرابعة على ضرورة أن يقدّم القضاة والمفتون حساباتهم على الأوقاف، حيث فرضت رقابتها على تسيير هذه الأملاك واستمراريّة إدارتها من طرف المسلمين³.

يضاف إلى القرار السّابق الصّادر في سبتمبر، قرار صدر في أكتوبر، المتعلّق بإجراء إحصاء للملكيّات العقاريّة الزراعيّة في نطاق مدينة الجزائر، حيث تمّ الوصول إلى 8000 ملكية من مختلف الأصناف، من بينها 2000 ملكيّة خاصّة بالأوقاف⁴.

لقد رأى الفرنسيّون في طبيعة الملكيّة الخاصّة بالأوقاف عائقا أمام تقدّم الاستعمار الفرنسي بحكم عدم التّصرف فيها، لذا عمدت إلى هدم 66 مسجدا وزاوية فيما بين 1830-1832م⁵، ضف إلى ذلك قرار الجنرال بيجو الصّادر في 04 جوان 1843م، القاضي بضمّ أوقاف الجامع الكبير إلى مصلحة أملاك الدّولة.

1- رامول خالد، المرجع السابق، ص 03.

2- يزيز عيسى، المرجع السابق، ص 30.

3- المرجع نفسه، ص 31.

4- المرجع نفسه، ص 31.

5- يزيز عيسى، المرجع السابق، ص 33.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

حدّد القرار الصّادر في 07 ديسمبر 1830م أصناف الملكية العقارية التابعة للدولة الفرنسية في الجزائر، على الشكل الآتي¹:

*الدّومين الوطني.

*الدّومين الكولونيالي.

*الأملاك المصادرة.

كما أصدرت الإدارة الاستعمارية قرار يوم 23 مارس 1843 خاصا بالملكية العقارية، يضمّ ثمانية مواد نذكر بعضها منها كالآتي²:

-المادّة الثّانية: العقّارات الخاصّة بالمؤسّسات الدّينية، المسيرة سابقا من طرف مصلحة أملاك الدولة تظلّ تسيّر من طرفها.

-المادّة الثّالثة: العقّارات النّاتجة عن المؤسّسات الموقوفة، والتي توقّفت عن تبعيتها الدّينية، تكون منضوية إلى تلك المتضمّنة في المادّة الثّانية السّالفة الذّكر.

-المادّة الرّابعة: العقّارات الخاصّة بالمؤسّسات التي لا تزال مخصّصة للعبادة، تكون لاحقا ضمن أملاك الدولة.

-المادّة الخامسة: المدخول المفترض للعقّارات المسيرة من طرف الدّومين تكون ملحقة بالميزانية الاستعمارية.

ليأتي القرار الشّهير المؤرخ في 01 أكتوبر 1844م، كأول محاولة لتنظيم الملكية العقارية في الجزائر، ومن أهمّ بنوده ما جاء في المادّة الثّالثة، التي تنصّ على رفع المناعة القانونيّة على أملاك الوقف، ثمّ تلاه قرار 03 أكتوبر 1848 المتضمّن إدخال البنايات التابعة للمساجد ضمن أملاك الدولة الفرنسية³.

كما نص القانون الصادر في 16 جوان 1851م على تصنيف الأملاك العقارية في الجزائر وبعدّ أول قانون ميّز بين الدّومين العام والدّومين الخاص، كما أقرّ هذا القانون جملة من المبادئ أهمّها⁴:

1 - بيزير عيسى، المرجع السابق، ص 36.

2 - المرجع نفسه، ص 37.

3 - بيزير عيسى، المرجع السابق، ص 38.

4 - رامول خالد، المرجع السابق، ص 03.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

-حرية المعاملات.

-وجوب تطبيق القانون الفرنسي القاضي في النظر في كل المعاملات العقارية، التي تتم بين الجزائريين والمعمّرين.

يعتبر القرار المشيخي المسمّى بقرار سيناتوس كونسيلت الصادر في 22 أبريل 1862 من أهمّ القرارات الخاصة بالعقار في الجزائر، حيث كان يهدف إلى كسر شوكة أراضي الأعراش الجزائرية من خلال طريقتين:

*وجوب الاعتراف لكل فرد في قبيلته التابعة للعرش بحق ملكيته للأراضي.

*تسليم سندات الملكية لأصحابها لتصبح هذه الأراضي قابلة للتصرف فيها، وبالتالي تدخل السوق العقارية، كما تم اللجوء إلى تدابير أخرى من أجل الاستيلاء على أراضي الجزائريين، والتي تضمّنها قانون "وارني" المؤرخ في 26 جويلية 1873م¹، والذي كان يهدف إلى:

-وضع حدود لأراضي الأعراش.

-تقسيم أراضي العشائر بين مختلف الدواوير الموجودة، ووضع تصنيف قانوني للأراضي، حيث قسّمت إلى أراضي "الملك" و"أراضي العرش" و"أراضي ملك للدولة" و"أراضي ملك للبلدية" داخل هذه الدواوير.

- تأسيس الملكية الفردية على الأراضي العروشية.

كما تمّ إصدار قانون سنة 1887م²، متمم ومعدّل للقانون الصادر في سنة 1873م، حيث تم إنشاء نظام خاص تخضع له جميع المعاملات العقارية التي تتم بين الفرنسيين والمعمّرين من جهة والجزائريين والمعمّرين من جهة أخرى، كما قلّص من العقارات التابعة لمؤسسة الأوقاف لصالح التوسع الاستيطاني الفرنسي والأوروبي في الجزائر.

3-3-7-2 مرحلة الاستيطان ونهب الثروات 1914-1954:

في هذه الفترة تم إصدار قانون مؤرخ في 04 أوت 1926م، الذي كان الهدف منه هو إزالة أراضي العرش في أقرب وقت ممكن من أجل تطبيق المخطط الاستعماري الرامي للقضاء على كل العقارات ذات صبغة العروش، لكن هذا القانون كان مصيره الفشل كسابقه، فبالرغم

1 - بيزير عيسى، المرجع السابق، ص 40

2 - المرجع نفسه، ص 41.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

من أنّ هذا القانون ظل ساريا إلى غاية الاستقلال أي مدة 36 سنة، فقد بقي في سنة 1962م ما يزيد عن مليوني هكتار من الأراضي التي احتفظت بطابعها العروشي¹. كما أنّ العمليّات التي قام بها المستعمر الرّامية إلى إدراج العقّارات ذات الطّابع العروشي إلى أملاك الدولة كانت بحجم كبير، كما تشير إليه الأرقام²:

- عمليات تحديد أراضي العشائر والدّواوير قدرت بـ 5.262.781 هكتار.

- عمليات التّحقيقات الجماعية والجزئية قدرت بـ 243.792 هكتار.

3-7-3-3 مرحلة تصحيح الأخطاء 1954-1962م:

لم تهتم السّلطات الاستعمارية بالمسألة العقّارية بصورة جدّية، إلّا مع اندلاع الثّورة التّحريرية المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954م، حيث بدأت تنظر إليها من زاوية اقتصادية حقيقة، ترمي إلى تحقيق التّنمية واستصلاح الأراضي، وتحقيق التّنمية، والنّهوض بسكّان الأرياف من أجل إخماد الثّورة التّحريرية، وكسب التأييد الدّولي بعد الزّخم الذي أحدثته الثّورة، وقد تجسّد ذلك في سنّ العديد من النّصوص الهامّة كالمراسيم الصّادرة سنة 1956م، حول التّهيئة العقّارية والاستصلاح الزراعي، الأمر الذي صدر حول مساحات العصرنة العقّارية، وينبغي الإشارة إلى أنّ هذه النّصوص لم تطبّق، وبالتالي لم يكن لها أيّ أثر على الأوضاع العقّارية السّائدة آنذاك³.

1- مدور يحي، التعمير واليات استهلاك العقار الحضري في المدينة الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الهندسة المدنية والري والهندسة المعمارية، قسم الهندسة المعمارية، جامعة باتنة، 2011-2012، ص 43.

2- المرجع نفسه، ص 43.

3 - المرجع نفسه، ص 44.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-8 مجال الأملاك العامة في مرحلة الاحتلال الفرنسي ونتائج السياسة العقارية الاستعمارية:

3-3-8-1 مجال الأملاك العامة إبان الفترة الاستعمارية:

يمكن أن نلخص مجال الأملاك العامة بعرض الأملاك التي أدرجت بطريقة أو بأخرى في دومين الدولة الفرنسية، التي كانت نموذجا للتفريق بين الأملاك العامة والأملاك الخاصة التابعة لها، حيث نجد أن التوسع شمل ما يلي:

- أملاك البايك.

- الأراضي المصادرة من الأتراك، وبعض الأهالي الجزائريين المناوئين للاستعمار الفرنسي.

- جل الأملاك الوقفية العامة، وجزء من الأملاك الوقفية الخاصة.

- مساحات شاسعة من أراضي العرش.

- أراضي الأموات أو أراضي الجلف les terres djelfs

- الأملاك الخاصة المنزوعة ملكيتها من أصحابها.

لكن بعد تطبيق المرسوم المؤرخ في 31 ديسمبر 1894م، أسفر هذا الأخير على تراجع كم هائل من الأراضي التابعة للدولة، خاصة بعد إقرار إمكانية التصرف في أراضي المستوطنين الفرنسيين لإنشاء قرى زراعية لهم سواء بالمجان أو بالمقابل¹.

كما لا يفوتنا في هذا الصدد أن ننوه بأن الأمر الصادر في 13 أبريل 1943م اعطى صورة ثلاثية الأبعاد للأملاك العامة في الجزائر، ذلك أنه ميز بين قطاعات أملاك الدولة².

1- محمد فاروق عبد الحميد، التطور المعاصر لنظرية الأموال العامة في القانون الجزائري، د م ج ، الجزائر، 1991، ص 118.

2- المرجع السابق، ص 112.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-8-2 نتائج السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر:

إنّ السياسة العقارية الاستعمارية في نزع ملكية أراضي الجزائريين ثابتة الأهداف متغيرة الوسائل، ومتعددة الأساليب، والآليات تبعا لمراحل الاحتلال، والتدرج في السيطرة العسكرية والمنظومة التشريعية قصد الهيمنة على كامل تراب الجزائر، فقد كانت كل مرحلة قاعدة أو خطوة أساسية لما بعدها، فقد حاولت سلطات الإدارة الاستعمارية من خلال إصدار الترسنة القوية من القوانين والمراسيم والأوامر من أجل تحقيق ذلك، ويمكن أن نلخص بعض آثار ومخلفات السياسة العقارية الاستعمارية في الجزائر كما يلي:

*القضاء على العقود العرفية، واستبدالها بعقود رسمية مختومة من طرف مصالح الإدارة الاستعمارية.

*وجود بعض الملكيات العقارية بدون سندات.

*تشجيع المعاملات العقارية من بيع وإيجار ورهن، ممّا أدى إلى استئصال مساحات فلاحية شاسعة من يد ملاكها الأصليين، وتحويلها للمعمرين.

*التداخل بين الأملاك الوطنية العامة والأملاك الوطنية الخاصة.

*وجود صفقات عقارية مشبوهة ما بين الفرنسيين والمعمرين من جهة وبين المعمرين والجزائريين من جهة أخرى.

*ظهور جملة من الأملاك الشاغرة سواء كانت ذات طبيعة سكنية أو فلاحية أو صناعية.

إضافة إلى ما سبق، فإن ظاهرة التعمير والبناء في هذه الفترة اكتسحت مساحات شاسعة

ومعتبرة في الجزائر، وأصبح العقار محل اهتمام كبير لدى السلطات الاستعمارية¹.

وفيما يلي جدول يبيّن أهمّ مختلف الملكيات العقارية، التي نتجت عن السياسة العقارية الاستعمارية في الجزائر²:

ملكية خاصة بالاوروبيين	اراضي العرش	ملكية عائلية بدون سند	ملكية خاصة للجزائريين ذات سند	طبيعة الملكية
2247040	2070000	4000356	920000	المساحة /هكتار
املاك البلدية	املاك الدولة	اراضي ملك بدون سندات	اراضي ذات سندات	طبيعة الملكية
4179050	4694214	4406356	4969102	المساحة /هكتار

1- يزير عيسى، المرجع السابق، ص 72.

2- عمار علوي، المرجع السابق، ص 68.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

أما الجدول التالي، فيمثل توزيع الأملاك الوطنية الخاصة غداة الاستقلال¹:

ملكيات عائلية بدون سندات	اراضي للاوروبيين	اراضي العرش	اراضي ملك للجزائريين	طبيعة الملكية
4.000.356	2.247.040	2.930.000	9.200.000	المساحة /هك

يلاحظ من خلال الجدولين السابقين أنّ الاستعمار الفرنسي قد ترك تركة ثقيلة ومعقدة للدولة الجزائرية غداة الاستقلال خاصة فيما يتعلّق بالعمّار، ويظهر ذلك جليا من خلال الأملاك الشاغرة سواء كانت ذات طبيعة سكنية أو فلاحية أو صناعية، وكذا الملكيات بدون سندات، ضف إلى ذلك أن نصف الأملاك الوطنية الخاصة هي ملك للجزائريين بدون سندات والمقدرة بـ 4.000.356 هكتار من أصل 9.200.00 هكتار، الأمر الذي نتج عنه وضعية صعبة وجملة من المشاكل بعد الاستقلال.

1 - بيزير عيسى، المرجع السابق، ص 72.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-9 نماذج من المرافق والمنشآت في المدن الجديدة:

ترتّب عن سياسة التّعمير الفرنسيّة في الجزائر منذ سنة 1830، اندثار وتلاشي العديد من المدن الجزائريّة القديمة، التي تميّزت بطابعها الإسلامي الأصيل المتوارث منذ عهود طويلة خلت وظهور مدن كولونياليّة جديدة على النّمط الغربي سواء من حيث تخطيط المدينة أو نمط الهندسة المعماريّة المطبّقة على المساكن والمباني، ونحن في هذا المبحث سوف نسوق نماذج من تلك المرافق والمنشآت التي شيّدت في المدن الكولونياليّة الجديدة على النّحو التالي:

3-3-9-1 المراكز الترفيهيّة التجاريّة:

3-3-9-1-1 مراكز الترفيهيّة:

أنشأت سلطات الاحتلال الفرنسي العديد من مراكز التّرفيه والتّسلية في العديد من المدن خاصة العاصمة وهران وقسنطينة، وتتمثّل مراكز التّرفيه عموماً في دور المسرح والسّاحات العموميّة والفضاءات الخضراء نذكر منها:

*السّاحات العموميّة:

حظيت السّاحات العامّة باهتمام السّلطات الاستعماريّة في الجزائر، والتي كلفت المهندسين المعماريّين بأخذها بعين الاعتبار أثناء تخطيطهم للمدن والمراكز الاستيطانيّة، كما خصّصت لذلك مشاريع ماليّة معتبرة من أجل إنجازها، حيث كانت تتوسّط هذه المساحات العامّة البنايات والشّوارع الرئيسيّة، وهذا من أجل التّرفيه والمحافظة على نفس المستوى الذي كان يعيشه به المعمّرون في بلدانهم في أوروبا، وهناك العديد من السّاحات التي شيّدت في العديد من المدن، منها ساحة الحكومة بالجزائر العاصمة وحديقة الحامّة وغيرها من الفضاءات العامّة، كما عرفت قسنطينة هي الأخرى تجسيد العديد من المساحات الخضراء مثل حديقتي la brèche عام 1855م وحديقة قمبيطة سنة 1895م وحديقة القنطرة عام 1935م¹، كما أنشأت في مدينة سكيكدة العديد من المساحات الخضراء، والفضاءات العامّة مثل ساحة ماركسي وساحة الحرية التي أنشأت سنة 1848م².

1- تليجاني خديجة، الحقائق العامّة في البيئة الحضريّة بقسنطينة، رسالة ماجستير في علم اجتماع البيئة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 141.

2- توفيق صالح، المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونياليّة 1838-1962م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص 115.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

*المسارح:

اهتمّ الفرنسيون بالمسرح في الجزائر، وذلك تعبيراً عنهم على أنهم شعب متحضّر وذوّاق للفنّ والثّقافة، ومن هذه المسارح نجد مسرح قسنطينة، والذي بني على أنقاض ثكنة عسكريّة للجيش الانكشاري في أكتوبر 1883¹، كذلك مسرح عنابة الذي دشّن من طرف قونصلا باغ الذي يعدّ من أشهر المهندسين المعماريين الفرنسيين في الفترة 1854-1856م²، كما تم إنشاء مسرح الجزائر العاصمة وقدّم أول عرض له للجنود الفرنسيين سنة 1853م، وكان عنوان الدراما "الجزائر ما بين 1830 و1853م"³، كما عرفت مدينة وهران هي الأخرى ميلاد المسرح البلدي في سنة 1907م⁴.

3-3-1-2 المراكز التجاريّة:

يقصد بها الأماكن التي تحدث فيها مبادلات تجاريّة، أو تعاملات مع السّكان فيما بينهم من متاجر ودكاكين وأسواق، حيث عرفت مدينة الجزائر على سبيل المثال تأسيس العديد من المراكز التجاريّة في مركز المدينة، وكان يشمل هذا المركز كل من حي ديزلي سابقاً، العربي بن مهيدي حالياً وحي آغا وحي مصطفى باشا، قسّم هذا المركز إلى عدّة أقسام كلّ قسم متخصص في نوع تجاري معيّن وهذا من أجل تنظيم الحركيّة التجاريّة في المدينة، وتجنّب الفوضى⁵.

1 - اعراب فهيمة، المرجع السابق، ص 163.

2- محمد جندي، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا في العصر الحديث، ج2، د ط ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2008، ص 60.

3- حمومي أحمد، ظاهرة المسرح في الجزائر، تجربة وهران، دكتوراه دولة، جامعة وهران، 2007-2008، ط1، شركة بانتيت، باتنة 2006، ص 140.

4- المرجع نفسه، ص 142.

5- علي حبيج وسعيدة مفتاح، المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1830-1999م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص ص 75،77.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-9-2-المراكز القضائية:

من أجل تنظيم الحياة القضائية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية شرعت سلطات الإدارة الاستعمارية في سنّ العديد من التشريعات والقوانين المنظمة للقضاء، وقد تطلّب تجسيد وتنظيم المجال القضائي توفير الهياكل والمباني التي تأوي القضاة والمحامين وعقد جلسات المحاكمة، وفي هذا السياق فقد شرعت الإدارة الاستعمارية في تأسيس العديد من المحاكم ودور القضاء نذكر منها:

- محكمة الجزائر، والتي بنيت بموجب قرار صدر عن الحاكم العام في 9 سبتمبر 1830، والذي نصّ على إنشاء محكمة بالمدينة تضمّ قضاة فرنسيين لهم صلاحيات مدنيّة وجزائيّة إلى جانبهم قضاة مسلمين ويهود، وكان الهدف من إنشاء هذه المحكمة هو ضرب القضاء الإسلامي واستبداله بالقضاء الفرنسي.¹

- محكمة سكيكدة والتي تأسست سنة 1843م، تترعّ على مساحة 6000 متر مربع، في المحور الرئيسي لشارع ديدوش مراد حاليا بوسط المدينة، كما بني قصر العدالة سنة 1878م في ساحة كورناي.²

- قصر العدالة بمدينة عنابة، والذي تأسس سنة 1837، تمّ تأسيس محكمة سنة 1882، وكان أول قاضي بها هو السيّد كورنينات لامود، أول رئيس للمحكمة هو السيّد ماريون.³

3-3-9-3-المراكز الدينيّة والتعلّيميّة:

أولت السلطات الاستعمارية أولويّة كبيرة للمؤسّسات الدينيّة والتعلّيميّة في الجزائر منذ السّنات الأولى لاحتلال الجزائر، وذلك تحقيقا لمشروعها الاستعماري الصّليبي الرّامي إلى جعل الجزائر مستعمرة مسيحيّة ومن ثمّ التوغّل نحو باقي الدّول الإفريقيّة من أجل نشر الدّيانة المسيحيّة فيها، ومن أجل تجسيد هذا المشروع شرعت فرنسا منذ البداية إلى تحوّل المساجد والزّوايا إلى كنائس لنشر المسيحيّة، ومع مرور الوقت قامت ببناء العديد من الكنائس التي تحمل نفس الطّابع العمراني، ونفس الهندسة المعماريّة للكنائس التي كانت موجودة في أوروبا

1- رمضان بورغدة، "جوانب من تطور السياسة القضائية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة 1830-1962م"، مجلة كلية

العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد4، جانفي 2009، ص ص 2، 3.

2- توفيق صالح، المرجع السابق، ص 113.

3- محمد جندلي، المرجع السابق، ص 58.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

ونحن سوف نسوق نماذج عن هذه الكنائس التي بنيت في مختلف أنحاء البلاد خلال الفترة الاستعمارية.

-كنيسة عتّابة أو كنيسة القديس أغستين، بنيت في وسط مدينة عتّابة في الفترة الممتدة بين 1881 و1900م، إلى جانبها قامت فرنسا ببناء العديد من الكنائس في المدينة من أجل نشر المسيحية والسماح للمعمّرين بممارسة طقوس العبادة في الجزائر.¹

-كاتدرائية السيّدة الإفريقية بالجزائر والتي بدأت الأشغال بها عام 1855، ودشّنت عام 1872م، تعود فكرة بنائها إلى امرأة فقيرة تدعى مارغريت بيرغر، استقدمها الأسقف بافي من فرنسا إلى الجزائر، والتي ألحّت على ضرورة بناء كنيسة للعدراء في الجزائر.

-كنيسة القديسة كروز في وهران، تمّ بنائها عام 1850 فوق جبل مرجاجو، تمّ تثبيت تمثال العدراء فوق الكنيسة سنة 1873م.

أما عن المعاهد فقد انتشرت العديد من المعاهد والمدارس التعليمية في الجزائر خلال العهد الاستعماري حيث تأتي جامعة الجزائر والتي كانت في الأصل عبارة عن مدرسة، بنيت سنة 1833 في عهد الجنرال كلوزيل، والتي فتحت أبوابها إلى الفرنسيين والأوروبيين فقط، والتي أصبحت في سنة 1909 تحمل جامعة الجزائر بموجب قانون صدر في 30-12-1909.

3-3-9-4 شبكة المواصلات:

3-3-9-4-1 الطرق المعبّدة:

اهتمّت السّلطات الاستعمارية في الجزائر بمسألة شبكة المواصلات نظرا لما تكتسيه من أهمية بالغة بالنسبة للفرنسيين خاصة في المجال الاقتصادي، فقد اهتمّت الجمهورية الثالثة بمدّ شبكة طرقات هامة في الجزائر طولها 9280 كلم في الفترة الممتدة ما بين 1872-1879م، ما يعني أنّ الجمهورية الثالثة قد أنجزت حوالي 42% من الطّرق التي أنجزت منذ بداية الاحتلال، وتغطّي هذه الطّرق مساحة كبيرة تقدر بـ 14 أي 15 مليون هكتار من التّل، وفي هذه الفترة كانت السّكك الحديدية لا تزال الوسيلة الأهم في التّل البرّي، وتعود بدايات الاهتمام

1- توفيق صالح، المرجع السابق، ص 101.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

بها إلى الحاكم العام راندون سنة 1862م، فقد أنجزت الإمبراطورية الثانية 182 كلم بمعدل 22.5 كلم في السنة¹.

يلاحظ أن السلطات الاستعمارية اهتمت بشق طرق المواصلات في المناطق التي يسكنها الأوروبيون أو المناطق التي لها منافع اقتصادية واستراتيجية، أما المناطق الريفية والجبلية أين يسكن الجزائريون فلم تنل حظها الوافر من الأهمية في التنمية والتطوير، وفي مايلي نماذج عن الطرق البرية التي أنجزتها السلطات الاستعمارية في الجزائر.

3-3-4-1-1 الطريق الرابط بين الجزائر العاصمة والبلدية:

بدأت الأشغال في هذا الطريق منذ المراحل الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر وأن ذلك تحت إشراف الدوق روفيقو، حيث يعتبر هذا الطريق من أهم الطرق نشاطا وحركية من بين أربعة طرق التي تنطلق من الجزائر العاصمة، كما يعتبر جسر تجاري من الجزائر إلى البلدية وموزع تجاري للعديد من المدن كدالي ابراهيم، الدويرة، القليعة، بوفاريك، المدينة ومليانة²، وبالتالي لبعض القرى والمراكز الفلاحية، التي تم تأسيسها من طرف المعمّرين، والتي توجد بمحاذاة الطريق.

أوكلت مهمة إنجاز هذا الطريق وصيانته إلى مصلحة الجسور والطرق، حيث بلغت مصاريف الإنجاز إلى غاية سنة 1852م حوالي 70 ألف فرنك فرنسي³.

3-3-4-2-1 الطريق الرابط بين الجزائر والمدينة:

يعتبر من أهم الطرق في إقليم الجزائر نظرا لأنه يربط بين وحدتين إداريتين قديمتين تابعتين للنظام التركي، وهما دار السلطان وبايلك التيطري، يمتد هذا الطريق على طول 91 كلم، حيث تقع مسافة 51 كلم في إقليم الجزائر (مضيق الشفة)، قدرت مصاريف إنجازه بحوالي 600 ألف فرنك فرنسي⁴.

1- عيسى يزير، المرجع السابق، ص 101.

2- Betuil Arsème ,L algerie fransaise Histoire- Moeurs-Coutumes-Industrie –Agriculture,T2,detnu-libraire-edition,paris,1856,p 288.

3- Ministère de la Guerre ,T.E.F.1838 ,p 78.

4- Bequet M,I algerie en 1848-Tableau Geographique Et Staistique Et Historique,libraire de HACHETTE Et Cie,paris 1849 , p 133.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-9-4-1-3 الطريق الرابط بين الجزائر ومليانة:

يمتدّ هذا الطريق على مسافة 110 كلم، وإلى غاية منطقة الشفة فهو طريق مشترك بين الجزائر والمدينة، حيث تشكّل منطقة الشفة نقطة تفرع نحو المدينة بالجنوب الشرقي ومليانة باتجاه الجنوب الغربي، حيث يمرّ التفرّع الأخير عبر حجّوط إلى غاية بوركيكة، ثم شرشال وصولاً إلى مليانة، ومنها إلى الشلف ومستغانم¹.

تكمن أهمية هذا الطريق في فتح المجال للتواصل بين الجزائر ومقاطعة الغرب، التي كانت مقتصرة في السابق على فرق الجيش، وهذا بعد إنجاز جسر أمريكي بطول 36 متراً² على مستوى واد مينا بغليزان، مقدّماً بذلك خدمات هامة في تنقّلات فرق الجيش خاصة عند حدوث ثورات قبائل الشلف الأسفل خلال سنوات 1845 و1864م³.

3-3-9-4-1-4 الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة:

يعتبر من أهمّ الطرق في الجزائر، كونه يتّصف بالعديد من المميّزات العسكرية والاقتصادية.

أوكلت مهمة إنجازه إلى مصلحة الجسور والطرق سنة 1836، إلا أن فتحها للطريق كان محدوداً، حيث لم تتمكّن من تجاوز منطقة الأريعاء نظراً لشدّة مقاومة القبائل التي كانت تحت لواء الأمير عبد القادر كالحاجطة وبن زعمون والشريف السعدي.

لقد كانت الأشغال بهذا الطريق في الفترة 1836 و1840 جدّ متواضعة، حيث لم تقم المصلحة المكلفة بإنجازه إلا بوضع الرّسم التّخطيطي له وعملية الحفر الأولى، وبعد القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر انطلقت الأشغال، وبلغت مسافة التّحجير سنة 1851م حوالي 32 كلم لتصل سنة 1865م إلى 127 كلم من مسافة إجمالية تبلغ 450 كلم⁴.

يمتدّ هذا الطريق على طول 450 كلم، وهو من أهم طرق التوغّل والسيطرة نحو الدّاخل، وهو يربط بين أهم منطقتين في الجزائر خلال العهد العثماني، دار السلطان وبايلك الشرق، من

1-Duval Jules , *l algerie Tableau Historique , Descriptif Et Staistiques* , 1er edition, libraire de HACHETTE Et C^{ie} paris , 1859, p101.

2- *Ministere de la Guerre , T.E.F.1846.1847.1848.1849*, op.cit, p319.

3- عرفت المنطقة ظهور العديد من الثورات الراضية للوجود الفرنسي في المنطقة، مقاومة الامير عبد القادر، مقاومة الشريف بويغلة، مقاومة سيدي لزرق بلحاج انظر عيساني محمد، المرجع السابق، ص ص 63،64.

4-De Bomel M , *Rapports De L empereur Sur La Colonisation De L algerie Au Point De Vue De Pratique* , poitier imprimeur de henri audin , sd p72.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

أهم المناطق التي يمرّ بها هذا الطريق، منطقة الفندوك، منطقة اومال، منطقة سطيف وصولاً إلى قسنطينة¹.

3-3-9-4-1-5 الطريق الرّابط بين الجزائر ووهران مرورا بمدينة Orleansville:

تمّ دراسة مشروع طريق رئيسي يربط بين الجزائر ووهران عبر مدينة أورليان فيل وهذا من أجل تفعيل دور المستوطنات الكولونيالية الواقعة على هذا الخط، وسوف نتحدّث عنه بنوع من التفصيل في الفصل الرابع عند الحديث عن انعكاسات السياسة العمرانية في منطقة حوض الشلف².

3-3-9-4-1-6 الطريق الرّابط بين وهران وتلمسان:

بدأت الأشغال به من طرف الهندسة العسكرية، حيث تمّ إتمام الشطر الرّابط بين وهران ومسرغين سنة 1836م، سلّم نهائيا سنة 1840، لتبقى المسافة المتبقية بين مسرغين وتلمسان عبارة عن طرق ريفية³.

3-3-9-4-1-7 الطريق الرّابط بين تلمسان وسبدو:

بعد أن استطاع بيجو الاستيلاء على حصن سبدو التابع للأمير عبد القادر في 9 فيفري 1843م⁴، شرع بيجو في ربط سبدو بتلمسان على مسافة 66 كلم، وقد سلمت أشغال الطريق إلى مصلحة الهندسة العسكرية، حيث تمّ تحجير ما يقارب 34 كلم، وبقي ما يقارب نصف المسافة في حالة الصيانة الى غاية سنة 1851م، حيث يعتبر هذا الطريق من أهم الطرق عسكريا وتجاريا، فضلا أنه يربط الغرب الجزائري بالمغرب الأقصى⁵.

3-3-9-4-2 شبكة السكك الحديدية:

يعود اقتراح بناء سكة الحديد في الجزائر إلى دعاة التّيّار "السان سيموني"، في فرنسا على رأسهم بولين طالابو PAULAIN TALABOT، والذي يعدّ أحد كبار المستثمرين⁶.

1- De Bomel M,op-cit, p75.

2-Lecovet A ,De La Colonisation De L algerie ,in la revue nouvelle ,T08,2eme annee , au berau de la revue nouvelle , paris , 1846,p 576.

3-Ministere de la Guerre, T.E.F,1843.1844, op.cit, p112.

4-Ministere de la Guerre,T.E.F, 1852.1854, op.cit , p614.

5-Arduin Du Mazé , Etudes Algeriennes, L algerie Politique Et Economique A Travers Le Pont , Lettres Sur L insseruction Dans Le Sud Oranais , libraire guillaumien et cie ,paris 1882, p135.

6-Tomas Faugeras, Resau Feroviaire Algerien Et Ambitions Coloniales1844 a 1962,memoire de dea , universite de provence , annee 1991-1992, p33.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

ثم توالت الأفكار المنادية إلى هذا الاتجاه، حيث نشرت جريدة الوطن مقالا في 15 أوت 1833، دافع فيه أصحابه على ضرورة إنشاء السكّة الحديدية في المستعمرة الجديدة نظرا للفوائد المنتظرة من إنشائها، مطالباً في نفس السياق بإنشاء سكّة حديد تربط عنابة بقسنطينة، وأخرى تربط الجزائر بوهران، لتتضح معالم شبكة ربط المدن الساحلية، كما أشار إلى أنّ للسكّة الحديدية دور عسكري فعّال بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية والاجتماعية، وبين القدرة الكبيرة

للقاطرة في شحن البضائع، ونقل الجنود بأعداد كبيرة وبأقل تكلفة.¹

أكدت أغلب الدراسات، التي أرخت لنشأة السكّة الحديدية في الجزائر خلال العهد الاستعماري أنّه ابتداء من سنة 1844م، قدّمت أولى العروض من قبل مهندسين فرنسيين ومستثمرين فرنسيين وأوروبيين للإدارة الاستعمارية لإنشاء فروع من الخطوط تربط بين المراكز الاستيطانية الكبرى والتّواحي الهامة الواقعة غير بعيد عنها.²

إلا أنّ العروض المقدّمة لم يكن في المقدور الاحتفاظ بها، لأنّ الدراسات التي قدّمتها كانت غير كافية، ولأنّ انشغالات أصحابها لم تكن مستوحاة من المصلحة العامة، ففي الغالب كانت موجّهة لخدمة المناطق المنتجة ولتصريف المواد المعدنية من المناجم في المناطق الداخلية إلى الموانئ في المناطق الساحلية.³

مرّ تطوّر شبكة سكك الحديد في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بمراحل عديدة وفقا للظروف السياسية والأمنية، وحتى الاقتصادية في الجزائر وباريس، يمكن أن نوجزها كما يلي:

1- المرحلة الأولى 1844-1857:

تميّزت باهتمام الإدارة الاستعمارية في الجزائر بتطوير شبكة المواصلات عبر إدخال شبكة سكك الحديد التي كانت تمثل آنذاك أهم وسائل النقل الحديثة في أوروبا، وبرهنت على نجاعتها في نقل الأشخاص والبضائع، وتسهيل الرّبط بين مراكز استخراج المواد الأولية ومراكز التّحويل، وصرف المنتجات الطبيعية من زراعية وحيوانية ومعديّة، أمّا في الجزائر فعرفت هذه

1- Robert G, *Les Chemin De Fer Algeriens*, in l explorateur vol.2, annee 1887, p17.

2-Louis Hamel, *Chemins De Fer Algeriens Le Classement De 1857 Etude Sur La Constitution Du Reseau*, Adolphe Jourdan Libraire editeur, alger, pp 9-10.

3-Tomas Faugeras, *op.cit*, p 26.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

المرحلة مناقشات غير متناهية بين السلطة العسكريّة الحاکمة والشركات الرأسماليّة من أجل إنجاز مشاريع شبكة سكة الحديد في الجزائر.¹

برزت في سنة 1844 فكرة مشروع إنشاء سكة الحديد في الجزائر، وقدّم العديد من رجال الأعمال فرنسيين وأوروبيين طلباتهم للإدارة الاستعماريّة من أجل الشروع في تجسيد المشروع غير أنّ السلطات الاستعماريّة تردّدت في هذه المقترحات، وفضلت أن يقوم مصالح الهندسة العسكريّة بالمشروع وإبقاء استغلال الشبكة من طرف الإدارة الاستعماريّة بعد إنجازها، غير أن تكاليف الإنجاز الباهضة جعلت الحاكم العام العسكري في الجزائر يطالب بإشراك المدنيين في إنجاز المشروع ولهذا الأسباب تم اختيار نظام الامتيازات.²

2- المرحلة الثانية 1857-1879:

عرفت هذه المرحلة بداية محتشمة في تجسيد مشروع شبكة سكة الحديد في الجزائر، حيث تم إنجاز العديد من الخطوط الحديديّة في المنطقة التليّة للجزائر، وخاصّة المناطق الاستيطانية وربط أهمّ المراكز الاستيطانيّة الكبرى كالجزائر، عتّابة وعتّابة بأخرى ثانوية سواء الواقعة بالقرب منها، أو التي توجد في المناطق الداخليّة حيث الثروات الطّبيعية المنجميّة والزّراعية، حيث حصلت شركات امتياز فرنسيّة وأوروبيّة على حقّ إنجاز واستغلال شبكة بطول 1064 كلم، منها 897 كلم خطوط تتدرج ضمن المنفعة العامّة و167 كلم ضمن المنفعة المحليّة.³

حصلت شركة سكة حديد الجزائر على امتياز إنجاز مشروع ثلاثة مقاطع هي الجزائر- البليدة وهران- سيق، وقسنطينة- سكيكدة بموجب قانون 20 جوان 1860م، كما تحصّلت على دعم مالي من الحكومة الفرنسيّة قدر بـ 6 مليون فرنك فرنسي، غير أنّ هذه الشركة واجهت مشاكل ماليّة منعنها من الالتزام بتعهداتها واضطّرت إلى التنازل عن هذه الخطوط لشركة امتياز أقوى هي شركة باريس- ليون - المتوسط، وتمّت الموافقة على هذا التنازل ضمن اتفاقية 1 ماي 1863م والتي أقرّها مرسوم جوان 1863م⁴، وفي 18 جويلية 1879 سنّ قانون لتنظيم

1- Tomas Faugeras , op.cit, pp25.

2-Bernard Maurice Antoine, Les Chemins De Frer Algeriens, adolphe jourdin editeur, Alger, 1913 ,p7

3- Tomas Faugeras, op.cit, pp 30-31.

4-Jusseau Paul, Chemin De Fer Algeriens, compte rendu de gestion exercice, Alger, 1958.,p4.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

شبكة الحديد في الجزائر، وأتبع بمنح امتيازات جديدة، وتقاسمت الخطوط خمس شركات امتياز، وانقسمت إلى مجموعتين، تفصل بينهما منطقة غير متصلة بطول 250 كلم.¹

المجموعة الأولى في غرب البلاد، ضمت الخطوط التالية: خطّ الجزائر - وهران ونالت امتيازها شركة باريس - ليون - المتوسط، خطّ تليّلات - سيدي بلعباس، نالت امتيازها شركة الغرب الجزائري، خطّ أرزيو - سعيدة وكان من نصيب الشركة الفرنسية - الجزائرية.²

المجموعة الثانية في شرق البلاد، ضمت الخطوط التالية: خطّ الحراش - الثنية، وكان من نصيب شركة الشرق الجزائري، خطّ قسنطينة - سكيكدة وكان من نصيب شركة باريس - ليون - المتوسط، خطّ عنابة قالمة وأشرفت عليه الشرق الجزائري، خطّ قسنطينة - سطيف أشرفت عليه شركة الشرق الجزائري، ويتبين من خلال هذا التقسيم أنّ الشبكة كوّنت خطوطا تضمن الاتصالات بين المقاطعات التالية للثلاث الجزائر قسنطينة وهران، وترتبط المراكز الاستيطانية الهامة بالموانئ الأساسية في الشريط الساحلي³، وفي تاريخ 7 ماي 1874م تمت المصادقة على اتفاقية بين عمالة قسنطينة وشركة رأسمالية تدعى "Batignolles" من أجل إنجاز خطّ سكة حديد عنابة قالمة، وفي نفس السنة وقعت عمالة وهران اتفاقية امتياز مع شركة تدعى "Seignette"، والتي عوّضتها فيما بعد شركة الغرب الجزائري من أجل إنجاز خطّ سكة حديد محطة تليّلات - سيدي بلعباس.⁴

أمّا فيما يخصّ عمالة الجزائر، فقد وقعت سنة 1877م، فقد وقعت اتفاقيتين مع الشركة الحاصلة على امتياز خطّ سكة حديد قسنطينة - سطيف لإنجاز خطّ حديدي يربط بين الدار البيضاء - العلمة وخطّ يربط بين الدار البيضاء - الثنية.⁵

1- Jusseau Paul, op-cit ,p4

2- Idem

3- Ibid,p5-6 .

4- Bernard Maurice Antoine, op-cit,pp 14-15.

5- Poggi Jaques, Les Chemins De Fer D intérêt General De L algerie ,larose,paris,1931, ,pp 38-39.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3- المرحلة الثالثة 1879-1906:

خلال بداية هذه المرحلة وضعت اللجنة الخاصة بمشاريع شبكة السكك الحديدية في الجزائر مخططاً جديداً تمت المصادقة عليه بموجب قانون التصنيف الصادر في 18 جويلية 1879م، وقد أخذ المخطط الجديد الوضع المترتب عن الانجازات التي تمت، وجد في تلبية الحاجات الناتجة عن الاكتشاف الجديد لمناطق غنية بالثروات المعدنية في جنوب العمالات الثلاثة، كما غطى الفجوة الكبرى التي كانت قائمة بين ربط مدينة الجزائر بقسنطينة بالموافقة على إنشاء خط يربط بين الثنية وسطيف بطول 254 كلم، مما يسمح بربط خطوط الشرق والغرب.¹

شهدت شبكة سكة الحديد في الجزائر تطورا ملحوظا، فإلى غاية سنة 1892م صارت مستعمرة الجزائر تتوفر على 2766 كلم من السكك الحديدية الشغالة، وبعد هذا قفزة نوعية عما كانت عليه الشبكة في سنة 1879م، حيث بلغت نسبة الزيادة بـ 155%.²

وفي مطلع القرن 20م شرعت سلطات الإدارة الاستعمارية، بموجب قانون 7 جويلية 1900م في إنجاز خط سكة حديد بصفة المنفعة العامة يربط بين عين الصفاء وجنان بورزق.³

ورغم حصول الإدارة الاستعمارية في الجزائر في مطلع القرن 20م على استقلالها في إعداد ميزانيتها، إلا أنها لم تكن سيّدة على شبكتها الحديدية، كما واجهت مشكلة خسائر شركة سكك الحديد، اضطرت إلى شرائها، ولذلك صدر قانون 12 ديسمبر 1900م، الذي خول لوزير الأشغال العمومية شراء امتيازات خطوط سكك حديد الشركة الفرنسية-الجزائرية، واستغلالها مؤقتا لصالح الخزينة العامة، فتم شراء هذه الشركة بموجب اتفاقية 14 مارس 1902م.⁴

لقد أعطى القانون الصادر في 23 جويلية 1904م، دفعا جديدا في مجال شبكة سكك الحديد كما منح السلطات الاستعمارية الاستقلالية المالية والإدارية في قطاع الأشغال العمومية، حيث أعطى للحاكم العام حق ممارسة السلطات الممنوحة لوزير الأشغال العمومية فيما يخص استغلال سكك الحديد، التي كانت تعدّ جزء من الأملاك العامة الوطنية.⁵

1- Robert.G, Les Chemins De Fer Algeriens, in: l explorateur, vol2, annee 1887 , p23.

2- Poggi Jaques, op-cit , p47.

3- Robert.G, op-cit p25.

4- Tomas Faugeras, op.cit., p42

5- Jusseau Paul, op-cit, p6.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

4- المرحلة الرابعة 1907-1923:

عرفت هذه المرحلة صدور برنامج جديد في سنة 1907م، حيث صادقت الجمعيات الجزائرية في دورتها على الموارد المالية الضرورية لإنجاز الشبكة الحديدية والتي قدرت بـ 170 مليون فرنك، وأقرها فيما بعد قانون 28 فيفري 1908م لتحقيق تسعة خطوط جديدة بما يعادل 1250 كلم من الخطوط والتي صنفت بصفة استعجالية وهي: خط البرواقية- الجلفة، خط البويرة-سور الغزلان، خط تنس- الشلف، خط بني صاف- تلمسان، خط غليزان- زمورة، خط سيدي بلعباس- تيزي- معسكر ازي دوق، خط عين البيضاء- تبسة، خط قسنطينة- وادي العثمانية- ديدوش مراد- جيجل.¹

بلغ طول شبكة سكك الحديد عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى 3315 كم وحقت أرقاماً مرتفعة في نشاطها الاقتصادي والاجتماعي والعسكري²، حيث تم عبرها نقل أكثر من 387 مليون مسافر، وأزيد من 521 مليون طن من السلع والبضائع في المتوسط، وتحقيق فائض في المداخيل بلغ 17.5 مليون فرنك، وبالرغم من هذه النتائج المالية المشجعة على مواصلة الاستغلال، وزيادة خطوط حديدية جديدة، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أدى إلى تبخر تلك الآمال والتطلعات، وسبب اضطرابات عميقة في وضع شبكة سكك الحديد، وأوقف تطور نشاطها³، والجدول أدناه يوضح التذبذب الكبير في نشاط السكك الحديدية في الجزائر خلال فترة الحرب العالمية الأولى:

جدول يمثل تطور نقل البضائع بالسكك الحديدية في الجزائر بين سنوات 1914-1919م⁴

السنة	1914	1915	1916	1918	1919
حجم البضاعة المنقولة بألف طن	3352	3880	4426	3804	3916

1- Tomas Faugeras, *op-cit*, p45.

2 - ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م، دار هومة، الجزائر 2005، ص 444.

3- Poggi Jaques, *op-cit*, p85.

4- *Ibid*, p85.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

5- المرحلة الخامسة 1924-1931:

بدأت هذه المرحلة بعدة مناقشات أفضت إلى برنامج جديد، حيث وافقت الجمعيات الجزائرية في دورتها الاستثنائية المنعقدة في شهر ديسمبر 1925م، على الاقتراحات المقدمة من العاملات الثلاثة، كما صنفت عشرون خطا جديدا ضمن المنفعة العامة، كما أقر المجلس الأعلى للسكك الحديدية هذا التصنيف.¹

6- المرحلة السادسة 1932-1945:

منحت الشبكة الحديدية الجزائرية بموجب مرسوم 23 أوت 1934م الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها المالية، وأخضعت لمراقبة لجنة مراقبة حسابات شركات سكك الحديد، وبموجب قانون 6 أكتوبر 1933م، تأسست إدارة مشتركة بين سكك الحديد الجزائرية التابعة للدولة وشبكة شركة باريس - ليون - المتوسط، بهدف تحقيق الحد الأقصى للمدخرات في الاستغلال، وصار الاستغلال المشترك موكّلا لمدير وأحد معيّن، يعمل تحت سلطة الحاكم العام، يساعده في عمله لجنة مشتركة ضمت كلا من رئيس شبكة سكك الحديد الجزائرية ونائبه من جهة، ومن جهة أخرى متصرف إداري وموظف سامي بشركة الامتياز، كما نصّ قرار 26 ديسمبر 1934م على تنظيم الحساب المالي للتسيير المشترك لشبكة سكك الحديد، وعلى إعداد حساب موحد لمجموع الشبكتين ابتداء من الفاتح جانفي 1935م، كما نصّ القرار على تأسيس مصلحة مشتركة لمسك المحاسبة المشتركة أطلق عليها "مصلحة المحاسبة العامة للسكك الحديدية الجزائرية" واستمرّ العمل بهذا التنظيم الإداري الجديد إلى غاية سنة 1938م.²

رغم البرامج المسطرة من طرف الإدارة الاستعمارية من أجل تحسين وضع شبكة السكك الحديدية في الجزائر، إلا أنّ مستواها لم يبلغ في مطلع سنة 1939م، المستوى الكائن في فرنسا فقد كانت الشبكة تتوفر على حظيرة بها 600 قاطرة بخارية أغلبها قديم ومتآكل، و39 قاطرة كهربائية و380 عربة للمسافرين توفر 34800 مقعد، أغلبها خشبيّ يحتاج إلى إصلاح، و12000 عربة نقل قديمة، وبالتالي قدرّت الاحتياجات المالية لتحسين المنشآت وتجديدها بحوالي 70 مليون فرنك.³

1- Bernard Maurice Antoine, *op-cit*, p46.

2- Jusseau Paul, *op-cit*, p15.

3- *Ibid*, pp 30-31.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

7- المرحلة السابعة 1945-1954:

في المرحلة أوقفت الإدارة الاستعمارية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، الأشغال الجارية في خط سكة الحديد الرابط بين وادي سوف وستيل، واستبدلته بطريق لل عربات مواز له¹، كما شهدت هذه الفترة تجسيد خطوط حديدية مثل خط الرغاية-قورصو وخط الحراش الرغاية، لكن الحرب العالمية الثانية والوضع المالي الحرج الذي ترتب عنها خلق صعوبات في إنجازها². شهدت حركة النقل طيلة المدة من 1947 إلى 1954م، ارتفاعا ملموسا، لكن مع بداية سنة 1955م بدأت حركة النقل في الانخفاض، وذلك بسبب اندلاع الثورة التحريرية والعمليات التي كانت تستهدف منشآت الشبكة الحديدية، وحركة تنقل البضائع والمسافرين³.

8- المرحلة الثامنة 1954-1962:

عرفت عملية إنشاء السكك الحديدية بداية من انطلاق الثورة التحريرية توقفا تاما، لكن مع ذلك برزت بعض التعديلات على الشبكة، والتي جاءت كتوصيات لما جاء في مشروع قسنطينة الذي أعلن عنه ديغول في قسنطينة سنة 1958، والذي نصّ على ضرورة الاهتمام بمجال النقل خاصة سكة الحديد، فظهرت خطوط جديدة مثل خط توقرت -حاسي مسعود - ورقلة، وخط تبسة - جبل العنق الموجه إلى الحوض المنجمي لجبل العنق⁴. مع نهاية الخمسينات ونهاية فترة الاحتلال، ظهر على الشبكة بعض التعديلات والإصلاحات داخل المحطات بطلب من مصالح السكك الحديدية الخاصة بمحطات كل من: حسين داي، الجلفة، البلدية، عين الصفراء، سوق أهراس، عنابة وقسنطينة⁵. كما أجريت تعديلات فيما يخص الإنارة الداخلية، ووضع تفرعات جانبية داخل محطات القطار، وبناء مراكز لإيواء الفرقة العسكرية لتسهيل تحرك الجيش الفرنسي بما يخدم مصالحها الاستراتيجية⁶.

1 -Jusseau Paul, **op-cit**, p32.

2 -Tomas Faugeras, **op-cit**, p 53.

3-Jusseau Paul, **op-cit**, p36.

4 -Tomas Faugeras, **op-cit**, p60.

5 -**Ibid**, p61.

6 -**Ibid**, p63.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

3-3-9-5- الهياكل القاعدية:

اهتمت السلطات الاستعمارية في الجزائر بالعديد من المنشآت القاعدية كالأنفاق والجسور والموانئ والسدود، وذلك خدمة لأغراضها الاستعمارية الاستيطانية في الجزائر، نورد نماذج عن هذه الهياكل كمايلي:

3-3-9-5-1 الموانئ:

قامت السلطات الاستعمارية بإعطاء أهمية بالغة للموانئ نظرا لهاته الأخيرة من أهمية بالنسبة لفرنسا سواء من الناحية الاقتصادية خاصة المبادلات التجارية، والأهمية الاستراتيجية التي تتمثل في نقل الجنود والمعدات العسكرية، إضافة إلى تنقل الأفراد خاصة المستوطنين الأوروبيين الوافدين إلى الجزائر، ومن جملة هاته الموانئ نذكر:

*ميناء الجزائر العاصمة، والذي يعود إنشائه إلى فترات قديمة، ونال أهمية كبيرة من طرف الحكام في الجزائر خلال العهد العثماني، وبعد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، بدأت سلطات الاحتلال الفرنسي بأشغال توسعة الميناء فانطلقت الأشغال في أوت 1848م، كما عرف العديد من أعمال التوسيع أهمها سنة 1905م، والتي شملت توسعة الحوض، ارتبطت مبادلاته خاصة مع موانئ فرنسا كميناء مرسيليا ميناء طولون وموانئ إسبانيا وإيطاليا.

*ميناء سكيكدة، وهو من المشاريع الضخمة التي قامت بها السلطات الاستعمارية في الجزائر، بداية من سنة 1870م، يترع على مساحة 42هكتار، ويتكون من حوضين، هما مقدمة الميناء والميناء أمامه يوجد رصيف واسع ساهم في امتداد البنيات وتوسيع المدينة شمالا نحو البحر.¹

3-3-9-5-2 السدود:

تعدّ من المشاريع التي أقامتها فرنسا في الجزائر، بغية تزويد المدن والمراكز الزرفية بالمياه، خاصة مع توسع المدن وازدياد حاجياتها، وكذا توسع الأنشطة الاقتصادية بالأرياف خاصة الفلاحة، لذا نجد العديد من السدود شيّدت في الجزائر نذكر منها:

- سدّ بوحنيفة بمعسكر بطاقة استيعاب قدرت بـ 76 مليون متر³.
- سدّ غريب بالمدينة بطاقة استيعاب قدرت بـ 228 مليون متر³.
- سدّ بني بهدل جنوب تلمسان بطاقة استيعاب قدرت بـ 60 مليون متر³.

1- توفيق صالح، المرجع السابق، ص 101.

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

إلى جانب هذه السدود اهتمّت الإدارة الاستعماريّة بحفر العيون والآبار من أجل استغلال مياهها للشرب، ولإنعاش النشاط الزراعي خاصّة في المناطق التي تتوقّر على التربة الخصبة مثل سهل منّيجة، وسهول قسنطينة، وسهول تلمسان¹.

1- عميرايي أحميدة، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية الفرنسية في المجتمع الجزائري 1830-1954، دار القصبية، الجزائر، 2007، ص 109.

خلاصة الفصل

الأول

الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري

مما سبق ذكره يتبين ان ظاهرة المدينة التمدن في الجزائر ،ظاهرة قديمة ،قدم التوطن البشري فيها ،اذا لا تزال المنطقة تحتفظ بالعديد من الشواهد والبقايا الاثرية التي تعود الى توطن الانسان القديم في المنطقة واشائه للعديد من المراكز العمرانية ،على غرار الرومان والبيزنطيين الذين مازالت مخلفات منشاتهم العمرانية قائمة تؤرخ لتلك الفترة التاريخية للجزائر،فمنطقة الاوراس وسطيف بالشرق الجزائري وتيبازة وحتى بالشلف بالوسط مازالت تزخر بلقى واعمدة و بعض الابنية الرومانية على غرار الضريح الملكي ومدينة تيمقاد الاثرية ومدينة جميلة والامتلة عديدة في هذا الشأن ،أما عن الوجود الاسلامي ومخلفاته العمرانية فكذلك مازالت الجزائر تحتفظ ببعض المعالم العمرانية التي تؤرخ لتلك الحقبة التاريخية على غرار مدينة طبنة التاريخية بخنشلة،واثار بني حماد بجبال المعاضيد بالمسيلة واثار اليشير بجبال شلالة العذاورة بالمدينة وصومعة المنصورة بتلمسان وغيرهل من عشرات المساجد التي تعود الى الفترة الاسلامية ،اما الفترة العثمانية فنستطيع ان نقول الجزائر غنية بمخلفات هذه الحقبة على غرار قصبة الجزائر وقصبة قسنطينة والعديد من المباني والمساجد التي تعود الى العثمانيين في مختلف المدن الجزائرية كمليانة والبليدة ومامازونة ومعسكر ووهران وقد اشرنا الى بعض منها في الجزء الاول من هذا الفصل ،اما ما يعود الى الفترة الاستعمارية فتقريبا كامل ربوع الجزائر مليئة بالشواهد العمرانية الي تعود الى العهد الاستعماري ،حتى المناطق الصحراوية عرفت هي الاخرى السياسة العمرانية الكولونيالية ،بحكم وصول الفرنسيين الى الصحراء الجزائرية وتوطين بعض المستوطنين الفرنسيين فيها ،بغرض استغلال الثروات الطبيعية الموجودة بها .

ما يمكن قوله ايضا ان المدينة في الجزائر ،اختلفت في خصائصها ووظائفها وتطورها وشكلها بين العهدين العثماني والاستعماري ،نظرا لاختلاف مشارب واديولوجيات المسلمين والاوروبيين ،لان فلسفة التعمير والعمران هي ترجمة لثقافة المجتمعات .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: مدن منطقة حوض الشلف قبل الاحتلال الفرنسي:

- 1 مدينة مازونة
- 1-1 دراسة جغرافية
- 2-1 دراسة تاريخية
- 3-1 النسيج العمراني للمدينة
- 2- مدينة مليانة
- 1-2 دراسة جغرافية
- 2-2 دراسة تاريخية
- 3-2 النسيج العمراني للمدينة
- 3 مدينة تنس
- 1-3 دراسة جغرافية
- 2-3 دراسة تاريخية
- 3- 3 النسيج العمراني للمدينة

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

1- مدينة مازونة

1-1 دراسة جغرافية:

1-1-1 الموقع:

تقع مدينة مازونة في منطقة مرتفعة في الشمال الغربي للجزائر، يحدها من الجنوب وادي رهيو وغيليزان ومن الشرق الشلف ومن الشمال جبل حلواتة بـ 819م¹. تبعد عن البحر المتوسط بـ 35 كلم وعن واد رهيو بـ 22 كلم.

يتميز موقع مازونة بأنها ملتقى طرق هامة في الجزء الغربي من الجزائر، فهي همزة وصل بين مدينة الجزائر العاصمة ومدينة وهران.

لقد تكلم العديد من الجغرافيين والرحالة مسلمين وأجانب عن موقع مدينة مازونة ومميزاتها الجغرافية، فمثلا الإدريسي قال عنها: "... ويلي حوض فروح في البر مع الشرق مدينة مازونة، ومدينة مازونة على ستة أميال من البحر وهي مدينة بين جبال وهي أسفل خندق، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مونة، وسوقها الأسبوعي يوم معلوم، يجتمع فيه أصناف من البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل كثير بها، ومن أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبة"².

كما نجد أبو الحافظ أبو راس الناصري المعسكري الراشدي يتحدث عن مازونة بقوله: "...هي مدينة مغورة بناها منديل بن عبد الرحمان أول القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي...."³.

أما الرحالة الإنجليزي "توماس شاو" في كتابه تاريخ جغرافية أيلة الجزائر، فيتحدث عن مدينة مازونة حيث يقول: "...تقع مدينة مازونة على بعد مرحلة نهر الشلف في سفح سلسلة جبلية تبتدئ غرب بني زروال وتسير بالتوازي مع نهر الشلف..."⁴.

1-Djilali Sari ,Les Villes Précoloniales De L'Algérie Occidentale , Nedroma Mazouna Kalaa , sned ,Alger ,p13
2 -Ibid,p13

3 -ابوراس الناصري المعسكري، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، ج1، منشورات المركز الوطني

للبحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ص 93.

4-Shaw Thomas , Voyage Dans La Regence D Alger , Ou Description Géographique , Physique , Philologique , etc. De Cet Etat , trad. de l'anglais par , J. Mac Carthy , ed :MDCCXLIII,p70.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

أمّا عن الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بتاريخ وجغرافية مدينة مازونة نجد لوكيل يوسف الذي أعدّ دراسة قيمة حول مازونة معنونة *مازونة عاصمة قديمة للظهرة* ويعدّه الباحث مولاي بلحميسي الذي أنجز مؤلفاً سماه: *مازونة مدينة صغيرة تاريخ طويل* حيث تعدّ هاتين الدراستين مهمّتين حول المدينة في ظلّ ندرة المصادر والوثائق والشواهد الأثرية حول مازونة، والباحثين في دراستهما اعتمدا على الدراسات الأوروبية وكاتبات الرحالة والجغرافيين المسلمين.

1-1-2 تأسيس المدينة وأصل التسمية:

هناك العديد من النظريات والآراء التي قيلت من طرف المؤرخين حول تاريخ وتسمية المدينة فمثلا دابر ومارمول يذهبان إلى القول أنّ مدينة مازونة مدينة رومانية بحثة، وهذا الطرح كثيرا ما عوّدتنا عليه المدرسة الاستعمارية التي ترجع كلّ شيء إلى الأجنبي وكأنّ بالسكان المحليين عاجزين عن إنجاز ما يحتاجونه بأنفسهم، لكن بعض المكتشفات الحفرية تؤكّد غير ذلك.¹

بينما الرحالة شاو يرى غير ذلك ويستند في رأيه بأنّ المدينة خالية من أية مخلفات أثرية تعود إلى الفترة الرومانية ويجعلها مدينة من تأسيس السكان المحليين نظرا لتشابهها في الخصائص العمرانية مدينة القلعة الراشدية شرق ولاية معسكر.²

أما ابن خلدون، فيرى أنّ المدينة يرجع تأسيسها إلى عبد الرحمان شيخ قبيلة مغراوة وأولاده حيث يقول: "...وأسلمها لعبد الرحمان وكان له من الولد منديل وتميم، وكان أكبرهما منديل فقام بأمر قومه على حين عصفت رياح الفتنة وسما لمنديل أمل في التغلب على ما عليه..."³. ومما سبق يتّضح أنّ هناك عدم اتفاق بين الباحثين حول تاريخ تأسيس مدينة مازونة، الأمر الذي يجعل من الصّعب مساندة رأي دون رأي آخر إلا أنّنا نرجح الرأي بأنّ المدينة ليست رومانية بل من تأسيس من طرف السكان المحليين على اعتبار أنّ الرومان كانوا يتمركزون في

1- محمد عيساني، "الحياة الثقافية ببعض مدن حوض الشلف خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي"، مجلة تاريخ المغرب العربي، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعدالله، الجزائر، العدد السابع، جوان 2017، ص 163.

2- هي قلعة بني راشد أسسها بني راشد بن محمد حوالي القرن السادس للهجرة، من بطون مغراوة، للمزيد أنظر: محمد بوركبة، "جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمران القلعي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس 2003، ص ص 110-111.

3- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 33.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

المناطق السهلية أمّا السكان المحليين، فقد اتخذوا من المناطق المرفقة والمناطق الجبلية كحصون مناطق لمهاجمة الرومان المحتلين¹.

أمّا مولاي بلحميسي، فيذهب إلى القول بأنّ المدينة حديثة النشأة والطرح القائل بأنها تعود إلى الفترة الرومانية طرح مستبعد، وهو بذلك يساعد الطرح الذي ساقه ابن خلدون حول تأسيس المدينة والتي تعود إلى فترة الشيخ عبد الرحمان شيخ مغراوة كما سبق الإشارة إليه².

لقد ورد في بعض النصوص العربية إشارات حول قبيلة مازونة وبنو مسون المنتمية لمجال المغرب الأوسط، لكن هذا الطرح غير كاف بل لابدّ من دراسة القبيلة بكلّ أبعادها حتى يتأكد هذا.

2-1 الدراسة التاريخية:

كما سبق وأنّ أشرنا أنّ مازونة كانت تتمتع بخرافية متميزة، الأمر الذي جعلها محلّ توطن بشري منذ العصور القديمة ليست متزامنة مع الوجود الروماني فحسب بل تتعداه في الوجود، الأمر الذي جعل المنطقة تعرف العديد من الأحداث التاريخية الهامة عبر مختلف المراحل التاريخية، ونحن في هذه الدراسة سوف نحاول أن نتعرض إلى بعض هذه الأحداث.

1-2-1 مازونة في العصر القديم:

عثر على العديد من المخلفات والآثار التي تعود إلى الفترة القديمة بمازونة وضواحيها، ومن المؤكّد أنّ المنطقة عرفت التواجد الروماني شأنها كباقي المناطق الأخرى في شمال إفريقيا في نقطة تقاطع أهمّ الطرق الرئيسية، كالتي تربط بين تنس وتيهرت وبين الجزائر ووهران³.

وحسب بلحميسي أنّ مازونة لم تأخذ شكل الحصن العسكري فقط خلال العهد الروماني، بل أخذت شكل تجمّع حضري تنوّعت فيه مختلف الأنشطة التي مارسها الإنسان المغاربي في القديم وحسب مارمول، فإنّ الوجود الروماني في مازونة صادف القرنين الرابع والخامس ميلادي، والذي تسبّب في هجرة بربرية واسعة من سهول الشلف نحو المناطق الجبلية من أجل الاحتماء من الخطر الروماني⁴.

1- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة

الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، صص 186-187.

2-Moulay Belhamissi, Mazouna Une Petite Ville Une Longue Histoire, s.ned:Alger, 1981; p26

3-Ibid, p27.

4-Idem

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

كما يرى بوردون أنّه من المحتمل أن تكون مازونة مدينة رومانية، ومن المؤكّد أنّها كانت أهلة بعدد كبير من السكّان، وذلك لكثرة ما تحتويه المنطقة من آثار رومانية، داخل المدينة وخارجها في جهة بني زروال وأولاد كرلوف¹.

ويعلّق في موضع آخر قائلا: "...هذه المدينة التي من المفروض أنّها بنيت في عهد الرّومان، وإن كان سكّانها ينسبونها إلى ماتع البربري، الذي عاش قبل العهد الإسلامي، لكن موقعها الحسن على مرتفع ينعم بالمياه الوفيرة المتدفّقة، أجمل من أن لا يفكر فيها الرّومان، ويتركوا هذا الموقع حتى ينتبه إليه البربر، ومع الأسف لا يمكن توثيق تاريخ المدينة الذي ليس لنا حوله سوى المرويات الشفهية التي توارثها السكان².

أمّا لوكيل يوسف، فقد أغفل المرحلة الرّومانية، وأفرد لما يسمّيه الفترة البربرية عنوانا مستقلا يؤكّد من خلاله أنّ المدينة بربرية المنشأ، ويستدلّ في ذلك على كثرة الأسماء البربرية، التي تعرف بها مختلف أحيائها وجبالها وعيون الماء فيها³.

1-2-2 مازونة في العصر الوسيط:

ما يمكن قوله حول تاريخ مازونة في العهد الإسلامي أنّ الكتابات التاريخية شحيحة لفترة العهد الزياني، فما كتب قبل هذه الفترة لا يعدو أن يكون شذرات وبعض التلميحَات، تقتصر في معظمها على أنّ القائد الفلاني مرّ من هنا، أو أنّ المنطقة كانت تابعة لحكم القبيلة الفلانية، وهذا الأمر لا يعطي تفاصيل واضحة حول تأثير المدينة أو الأحداث التاريخية والحضارية للمدينة⁴.

ومن ذلك ما نقله الوزان بقوله: "...لقد كانت مدينة متحضّرة جدا في القدم لكنّها كثيرا ما تعرّضت للتّخريب من قبل ملوك تونس تارة، ومن قبل الثّوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب (القرن السادس عشر)، وهم إما نسّاجون أو فلاحون، وجميعهم تقريبا فقراء، لأن الأعراب يتقلّون كاهلهم بالإتاوات والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلّة حسنة⁵.

1 - Bourdon G ,*Etude Géographique Sur Le Dahra* ,T3,in B.S.G.6eme série , Librairie de ch.Delagrave et cie, paris, 1872,p595.

2 -*Ibid*,p596.

3 -Loukil Youcef ,*Mazouna Ancienne Capitale Du Dhahra* ,imprimerie algerienne,alger,1912 p14.

4- محمد عيساني، الحياة الثقافية المرجع السابق، ص164.

5- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 36.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

ومنه ما يذكره الناصري¹ عن مازونة بقوله: ".ثم استولى علي بن اسحاق على الجزائر ثم على مازونة ثم على مليانة ثم على القلعة، ثم نازل قسنطينة فامتعت عليه واتصل الخبر بالمنصور، فصرح السيد أبا زيد بن حفص بن عبد المؤمن وعقد له على حرب ابن غانية، وعقد لمحمد ابن ابراهيم بن جامع على الأساطيل، وإلى نظره أبو محمد بن عطوش وأحمد الصقلي، فوصل السيد أبو زيد إلى إفريقيا وشرذ ابن غانية عنها إلى الصحراء في أخبار طويلة..."².

ويؤكد بوردون أنّ المدينة لم يدخلها الإسلام في الحملة الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب في القرن السابع ميلادي، لكن أهلها سرعان ما عرفوه ودخلوا فيه، وقدموا للفتحين الجدد رجالا أشداء للمشاركة في فتح الأندلس، كما شاركوا في بناء الدولة المرابطية بفاعلية، وقدموا بعد ذلك لعبد المؤمن أقوى المحاربين، لبناء الدولة الموحدية غير أنهم هزموا أمام الهلاليين وسامتهم قبائل المحال سوء المعاملة بعد انهزامهم.³

أمّا بلحميسي، فيعتبر أنّ القرن الثاني عشر ميلادي هو عصر الازدهار في تاريخ المدينة، حيث ابتداء من هذه الفترة بدأت تعرف ذكرا واضحا في التأليف، كما هو الحال مع الإدريسي في نزهة المشتاق، الذي جعل المدينة عامرة بالنشاط التجاري الذي يعود إلى كثرة المنتج الفلاحي والحيواني الذي تنعم به الأراضي الخصبة المحيطة بالمدينة، بالإضافة إلى المنتج الصناعي والحرفي، الذي ملأ أسواقها بالزرابي والأصواف المصبوغة، وجعل بينها وبين مدن أخرى كالقلعة وتلمسان ومراكش روابط تجارية قوية، حتمت على القوافل التجارية المرور بها للتزود بمنتجاتها.⁴

وإذا كان للمدينة حضورها الاقتصادي، سيكون لها أيضا حضور سياسي في إطار الصراع الذي عرفته بلد المغرب الأوسط، على عهد بني زيان سواء خلال التنافس بينهم وبين جيرانهم

1- هو أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري السلوي، ولد عام 1835م بسلا بالمغرب الأقصى له كتاب شهير: كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، كما لع مؤلفات أخرى مثل: طلعة المشتري في نسب الجعفري و كتاب تعظيم المنة بنصرة السنة، توفي عام 1897م.

2- شهاب الدين أبو العباس الناصري الدرعي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ت ص 160.

3 - Bourdon G ,op.cit,p597.

4 Moulay Belhamissi, op.cit,pp 33-34.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الحفصيين شرقا والمرينيين غربا، أو عند التنافس الداخلي بين مختلف فروع البيت الزياني على هرم السلطة ودور سكانها قبائل مغراوة في هذا الصراع¹.

محنة أخرى عرفتها مازونة بعد حصار تلمسان، من قبل حكام فاس، الذين دانت لهم البلاد بعدها، فرغم المقاومة الشرسة، عجزت قبائل بني توجين ومغراوة عن صد هجمات أبي يعقوب المريني، فأثرت الخضوع للحاكم الجديد².

وبعد عودة حكم المغرب الأوسط إلى الزيانيين في منتصف القرن الرابع عشر، خضعت المدينة مجددا إلى سلطانهم، وحكمها حلفاؤهم من قبائل سويد، الذين تغلبوا على معظم البلاد الخاضعة لبني عبد الواد، الذين لم تعد سلطتهم تتجاوز في الغالب حدود عاصمة ملكهم تلمسان³.

وقد أورد عبد الرحمان بن خلدون جملة الصراعات، التي عرفها البيت الزياني، وعانت منها مازونة وما جاورها مرات متعددة، منها وصفه لحملة عثمان بن يغمراسن بقوله: "...ولمّا هلك يغمراسن، وقام بالأمر بعده ابنه عثمان انتفضت عليه تنس، ثم ردّد الغزو إلى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم آخذا على ما بأيديهم، وملك المدينة بمداخلة بني لمدينة أهلها سنة سبع وثمانين وستمائة وغلب ثابت بن منديل على مازونة، فاستولى عليها، ثم نزل له عن تنس أيضا فملكها، ولم يزل عثمان مراغما لهم إلى أن زحف إليهم سنة ثلاث وسبعين وستمائة، فاستولى على أمصارهم وضواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم إلى الجبال"⁴.

1- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج2، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 281-286.

2- Moulay Belhamissi, *op.cit*, p35.

3- *Ibid*, p35.

4 عبد الرحمان بن خلدون، ج7، المصدر السابق، ص91.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وفي سنة 750هـ وبعد إحياء الدولة العبد الوادية، على يد الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت، غزا الأخير وهران، وبعد أن أعد لها العدة وفتحها عنوة، ثم غزا ناحية شلف، بعد أن نشأت بينه وبين مغراوة ربح السعيات، واستحكمت صبغة العداوة، فنهض إلى قتالهم... والتقت الطائفتان بواد ارهيو..... ثم انجلت الكائنة عن هزيمة مغراوة، واستئصال محلاتهم وفرارهم إلى رؤوس الجبال وبطن الشعاب...¹، فبعثت مازونة ببيعتها للأميرين².

1-2-3 مازونة في العهد العثماني:

بدخول الأتراك إلى الجزائر بداية القرن السادس عشر ميلادي دخلت مازونة تحت سلطانهم وعرفت نقلة نوعية لم تشهدها من قبل، فلقد جعلوها عاصمة لأحد البيليكات التي نظّموا من خلاها إدارتهم للإيالة³، إذ اختارها حسن بن خير الدين الذي حكم البلاد نهاية النصف الأول من القرن 16م عاصمة لبايك الغرب، ومنطلق الحملات لحماية مستغانم وقلعة بني راشد اللتين كانتا مهددتين باستمرار من قبل الإسبان القادمة من وهران، ومنها انطلقت وسيرت الجيوش لمحاولة تحرير وهران من قبضة الإسبان⁴، كما كانت مستقرا للباي بن خديجة أول بايات الغرب، بعد عودة حسن بن خير الدين من حملته على الغرب سنة 1563م. وقد كان أول اتصال بين الحكام الجدد للجزائر ومازونة في عهد العلي الذي عزم منذ بداية ولايته على هزم الإسبان، فأرسل جيشا كبيرا إلى مدينة وهران وبعث جزءا من محلته الخاصة للمشاركة في الغزوة وأنزلها بمازونة ومستغانم.

وفي نفس الوقت أرسل سفنه إلى المرية لتدعيم الحركة الاحتجاجية، التي كان مأمولا أن تنطلق في نفس الوقت على يد المورسكيين في غرناطة حتى يشغل إسبانيا في عقر دارها عند دعم جيشها المحاصر في وهران، لكن الخطة فشلت بعد أن كشف ما دبّروا الثورة في غرناطة وتمّ إعدامهم وبذلك وأدت الثورة في المهدي⁵.

1 يحي بن خلدون، ج1، المصدر السابق، ص 243.

2- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزباني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص 26.

3- قسمت الجزائر إداريا إلى أربعة مقاطعات هي: دار السلطان شملت مدينة الجزائر العاصمة وما جاورها، باييك الشرق وعاصمته قسنطينة، باييك الغرب وعاصمته مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران، باييك التيطري عاصمته المدية .

4- صالح عباد، المرجع السابق، ص 282.

5-Eenest Mercier , Histoire De L Afrique Septentrionale Depuis Les Temps Les Plus Recules Jusqu a La Conquete Francaise 1830,T3,ed , Ernest Leroux, paris, p 106

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

لم تتوقف جهود الأتراك في الجهة الغربية من الجزائر من أجل فرض سيطرتهم عليها ولم يبقى لهم سوى وهران والمرسى الكبير، وما قد يأتي من تهديدات من ملوك المغرب، الذين توجسوا خيفة من الأتراك منذ قدومهم، ولم يقبلوا الإعتراف بسلطتهم، رغم سعي الباب العالي بشتى الوسائل لإدخال المغرب الأقصى ضمن أقاليم الدولة العثمانية¹. وبعد فشل جهود حسن بن خير الدين في ولايته الثانية في تحرير وهران، آثر أن يترك حامية عسكرية تكون درعا أمام أي هجوم محتمل على دولته، وثرعا متقدما يترقب الفرصة لتحرير المدينة فاختر جبال الظهرة، حيث كان متأكدًا أن الإسبان لن يغامروا ويأتوا للبحث عنه، ومن هناك كان ممثله الباي مستعدا لمساعدة مستغانم وقلعة بني راشد التي كانت بدورها تساعد نوبة تلمسان².

1-2-4 مازونة عاصمة لبايك الغرب:

لقد كانت الظروف مواتية كما سبق وأن أشرنا لميلاد باييك الغرب، ومن مازونة وسع العثمانيون سلطانهم إلى مليانة وبعد ذلك إلى كامل إقليم وهران ولم يبقى سوى قبائل بني عامر وقبائل كريشتل موالية للإسبان³.

وقد قسّمت السلطة في باييك الغرب في بداية الأمر بين بايين اثنين، حيث يستقر الأول في مازونة، والثاني بتلمسان⁴، وهذا يعني أنّ الأمر لم يكن مستقرا، لذلك كان الإقليم مقسما إلى باييكين، ربما لأن الأوجاق لم يأمنوا على تلمسان القريبة من الحدود الغربية، والمهددة دوما بخطر ملوك المغرب، فأثروا السلامة في مازونة دون رفع اليد عن تلمسان.

وأكدت الأيام صواب الرأي، فبمجرد سnoch الفرصة قام الشريف مولاي محمد سنة 1647م بغزو الغرب الجزائري، فدخل تلمسان وتقدم إلى ما ولاها من الشرق.

1- بذل الأتراك بعد سيطرتهم على تونس والجزائر مجهودات معتبرة من أجل إدخال المغرب الأقصى إلى سلطة الدولة العثمانية لكن هذه المجهودات باءت بالفشل وبقي المغرب الأقصى محافظا على سيادته الى غاية وقوعه تحت الحماية المزدوجة الفرنسية والاسبانية عام 1912.

2- Ernest Mercier ,op.cit ,p137.

3- فصل المشرفي في كتابه بهجة الناظر حول هذه القبائل التي كانت على ولاء مع اسبان وهران وقدمت لهم خدمات أهمها المواد الغذائية والتجسس على قبائل البايك. أنظر: عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبنني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص 111.

4- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب، وهران، 2002، ص 80.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وأمام عجز باي مازونة عن صده، طلب العون من الجزائر، لكن الغازي حمل غنائه وعاد إلى سجلماسة قبل وصول المدد، فأوفد إليه الباشا عثمان وفدا من علماء الجزائر، وأرسل معهم رسالة دعاه فيها لعدم العودة إلى غزو البايك أو إلى المواجهة المباشرة الصريحة، وبالالتفات إلى غزو ما سلبه الكافر من بلاده عوضا عن ذلك، فكان له ما طلب.¹

وفي سنة 1679م تولى حكم مازونة شعبان الزنّاقى، الذي بقي في الحكم 8 سنوات، قضاها في محاربة الإسبان، وشدّد في التضييق عليهم، إلى أن هلك سنة 1686 في إحدى حملاته على وهران، وقد فصل ابن سحنون في بطولاته وشجاعته في محاولة تحرير وهران والمرسى الكبير.²

كما أورد الجامعي أثناء شرحه لأرجوزة الحلفاوي ما يلي: "...وقوله كقتلى شعبان نصيح ربّه إشارة إلى مصرع كفرة هذا البرج، كمصرع الكفرة الذين قتلهم شعبان باي، وفي هذا استطراد بديع وتلميح بغزوة عظيمة، أوقع فيها شعبان الزنّاقى بالكفرة وقعة شهيرة، مازالت التواريخ ترقم بذكرها ولبات الطروس تتحلى بدررها.

وقد كان لهذا الباي رحمه الله تعالى -في كفرة وهران وقعات وغزوات، لم يشن عليهم أحد مثله شعواء الغارات، ومن أشهر غزواته هذه التي استطردها الناظم، كانت سنة ثمانية وستين وتسعين ألف وبها استشهد رحمه الله تعالى، وقد أبدى ذلك وأعادته وأظهر من الشجاعة ما يقصر عنه عنتر بن شدّاد.

أخبرني بعض من حضر معه، أنه تكسّر في يده في ذلك اليوم سيفان، وحكى أنه احتفل لذلك اليوم احتفالا عظيما، لبس فيه أوفر ثيابه، وتحلّى بأشرف حلّيته، وركب أجود مراكبه...³ ورغم كل الجهد الذي بذله الباي شعبان، إلا أنه لم يستطع تحرير المدينة، بل كان حتفه على أسوارها، على يد المغتصبين عملاء الإسبان، الذين قطعوا رأسه وعلّقوه على أسوار المدينة، ممّا أثر في الجند، وردهم خائبين إلى مازونة.

1 - شهاب الدين الناصري، ج2، المصدر السابق، ص 60.

2- احمد بن امحمد بن علي ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، ط1 عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، 2013 ص 108.

3- عبد الرحمان الجامعي، شرح ارجوزة الحلفاوي، مخطوط ورقة: 31.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

أما المشرفي، فيكيل السبّ واللّعنات لمن كان سببا في مقتل البايع، من رجال بني عامر، فيقول في حقه: "...فكان منهم المرجفون والمنافقون، والجالبون قلوب الناس للكفرة والزنادقة، وليس لهم غيرة على الإسلام.... حتى أنّ من جملتهم الكافر أبو نصابية أحد النّصاصيب، الذي قتل الفقيه باي مازونة السيّد شعبان الزناقي، عند باب وهران سنة ثمان وتسعين وألف، واجتزر رأسه فلغنه الله من منافق وأخزاه، فإنّه مجرم فاسق...."¹.

وقد حاول البايع الجديد إبراهيم خوجة، إعداد حملة أخرى في العام الموالي، فإنطلق من مازونة وحاصر وهران وشرع في قصفها، لكنّه اضطرّ إلى رفع الحصار عنها والعودة إلى العاصمة للمشاركة في صدّ هجوم الماريشال دوستري.²

وفي سنة 1701م قام السلطان مولاي اسماعيل ملك المغرب بمحاولة أخرى للسيطرة على البايك، فهزمه الجيش العثماني بقيادة البايع مصطفى بوشلاغم، مدعوما بمدد داي الجزائر، وحملت رؤوس المهزومين إلى العاصمة، ومعها أحمال من الغنائم التي نهبت من محلة السلطان المهزوم، واستطاع البايع بوشلاغم أن يجمع شتات المخزن الداعم للسلطان بعد هزيمته، ويشكّل به مخزنا داعما للبايك من فرسان الرّمالة والدواير والعبيد والغرابة الذين انقلبوا طواعية بعد الهزيمة إلى صفّ المنتصر.³

وقد بقيت مازونة مقرا لبايات الغرب حتى هذه السنّة (1701)، حين استغل البايع بوشلاغم هذه المستجدات وحوّله إلى معسكر، ليحكم الحصار على مدينة وهران، وأصبحت مازونة بعد ذلك من أهم الحواضر في البايك، يقيم بها حاكم تحت سلطته الجهة الشرّقية للبايك، وقد اجتمعت له السّلطة المدنية والعسكرية في وقت واحد.⁴

وعن نقل مقر البايك من مازونة إلى معسكر يذكر كذلك الآغا بن عودة المزاربي في كتابه طلوع سعد السعود كما يلي: "... لكون التّرك تولّوا على الجهة الغربية، وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرّقية وقاعدته وهران.... وأولّ باياتها حسن بن خير الدّين، ثمّ جمعا في الثّامن

1- عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 30-31.

2- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 93-94.

3- Louis Rinn , in B.S.G.A.NA, 8eme serie , 1903, p 99.

4- عبد الرحمان الجبالي، ج3 المرجع السابق ، ص 201.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

والتسعين وألفا لواحد، وصارت القاعدة قلعة بني راشد، ثم صارت معسكر، ثم صارت وهران في الفتح الأول، ثم صارت مستغانم، ثم صارت معسكر، ثم صارت وهران في الفتح الثاني.¹ وإذا كانت مدة بقاء مازونة عاصمة لبابلك الغرب واضحة ومحددة، فإنّ البايات الذين تعاقبوا على حكم البابلك غير محددين بدقة ولا يعرف عنهم إلا العدد القليل، فبعد بن خديجة جاء الصواق الذي مات مسموما، ثم تلاه السايح الذي بقي في الحكم أحد عشر عاما، ومن بعده حكم المدعو سعد ثم ينقطع الحديث عن البايات حتى السادس عشر، وهو محمد بن موسى ثم شعبان الزنّاقى الذي مات في محاولة لفتح وهران، وقد عده جورجس من أشدّ البايات شراسة في التضييق على إسبان وهران والقبائل المساندة لهم.² ويعتبر الباى مصطفى بوشلاغم آخر البايات الذين حكموا مازونة، الذي نقل مقرّ إقامته إلى القلعة ومنها إلى معسكر كما سبق الإشارة إليه.

ويذكر بلحميسي أنّ تعداد الأتراك في مدينة مازونة على كثرتهم لم يتجاوز ثمانين خيمة، مهمتهم محاولة توسيع نفوذ الأتراك، والدفاع عنه شرقا وغربا، ولم يكونوا بمعزل عن الأحداث التي كانت تعرفها الإيالة هنا وهناك، ولم ينقطع هذا الدور بعد خروج الباى من مازونة إلى معسكر، بل إنّ حصار وهران الأخير والذي جاء بالتحرير الثاني في سنة 1791 مشارك فيه أتراك مازونة ومعهم نخبة من علماء مدرستها وطلبتهم يقودهم شيخها الجليل بوطالب المازوني.³

1-2-5 مازونة بعد دخول الاحتلال الفرنسي:

عند وصول الفرنسيين إلى المنطقة وجدوها في ظروف جدّ صعبة نتيجة الحملات التأديبية التي كان النظام التركي يقوم بها على سكّان مازونة، وكذلك الضرائب الكثيرة التي كانت مفروضة عليهم هذا الوضع دفع بسكّان مازونة غير القادرين على مواجهة الوضع إلى الانتقال إلى جهات أخرى، فنجدهم ينزحون إلى سهول الشلف ذات السهول الخصبة وتوفّر المياه بها، ويشكّلون مجموعة من القبائل والدّواوير مثل دوار سيدي عامر وأولاد عبّاس وأولاد سيدي العربي وغيرهم.⁴

1- الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، بيروت، ص 270.

2- Gorguos A ,Histoire D'un Bey De Mascara Et De L'oranie,editions G.A.L Alger ,2006,p58.

3- Moulay Belhamissi ,op.cit, p47.

4- Ibid ,p55.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

هذا الوضع جعل المنطقة تحيد عن لعب دور ريادي في مواجهة الاحتلال الفرنسي بل احتفظت ببعض الاستقلال بعيدا عن الصّراع بين القوّات الفرنسية، والمقاومة الشّعبية بقيادة الأمير عبد القادر، لكنّها سرعان ما إلّتحقت بركب المقاومة.

1-2-6 مازونة و الأمير عبد القادر:

بعد مبايعة الأمير عبد القادر لقيادة لواء المقاومة ضد المحتل الفرنسي، كان عليه أن يواجه جملة من الصّعاب، منها معارضة بعض العائلات الدّخول في طاعته مثل عائلة أولاد سيدي العربي القاطنين على حدود الظّهرة، فقد عمدت الإدارة الاستعماريّة إلى استغلال هذه الحساسيّة وتوظيفها لاستمالة بعض القبائل مقابل بعض الامتيازات، خاصّة تلك التي كان تعاني من ظروف مادية صعبة، أو تطمح إلى مكانة لدى المحتل، لكن مقاومة قبائل الظّهرة للفرنسيّين كانت أشدّ وقعا للمحتل ولم يستطع الجنرال بيجو إخضاعهم إلّا بعد سنوات متتالية.

وفي سنة 1836 وصل نفوذ الأمير عبد القادر إلى نواحي جسر الشلف، فاعترضت قبيلة صبيح طرقة لكنّه تمكّن من إخضاعها ويعتبر وصول الأمير إلى شلف تحد صارخ وخرق للحظر الذي أصدرته الإدارة الاستعماريّة آنذاك.¹

وأمام الانتصارات المتتالية للأمير وعجز الفرنسيّين عن هزم الأمير اضطرّ أولاد سيدي العربي للرّضوخ لحكم الأمير، لكن شيخهم أرسل لطلب العون من كراغلة وأتراك مازونة وتلمسان الذين كانوا مازالوا مستقلّين عن أيّ سلطة حتّى ذلك التّاريخ، لكن الأمير علم بالأمر فعمد إلى تأديبهم.²

وإذا كانت قبائل الظّهرة قد واجهت المحتل، وهو ما يعتبر دعما ومساندة للأمير، فإنّ أتراك وكراغلة مازونة رفضوا الإعراف بالأمير بل إنّنا نجد قائدهم يعلن تبعيته للماريشال بيجو سنة 1842م.

1- أ ف دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص65.

2- Moulay Belhamissi ,op.cit,p60.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وفي سنة 1843م أصبحت مازونة تابعة للحكم الفرنسي، ودخلتها قوات الجنرال جونتيل GENTIL قوات المارشال بيجو، وأعلن قائد الأتراك تبعيته لفرنسا في مكان يسمّى القطايطية المسمّى واريزان حالياً¹.

كان رد الأمير عبد القادر حاسماً وسريعاً إذ شن هجوماً على مازونة التي قاوم أتراكها وكرأغلته الهجوم الذي كاد أن يفشل، حيث قام الأمير بإحراق مخزن بوعلوقة وأباح الحي التركي لرجاله الذين أحرقوا كل شيء فيه وبعد هزيمة الكراغلة قام الأمير بنفيهم إلى تامدة تأديبا لهم على صنيعهم²، وبغض النظر عن موقف كراغلة مازونة من الأمير ومناصبته العداة وإعلان التبعية للمحتل فإن سلطته ولو روحياً كانت أمراً واقعاً بداية من عام 1834، بدليل تعيينه للقيادات الدينية من أئمة ومفتين فيها، كما يؤكده الأمر الذي أرسله الأمير إلى أولاد الشيخ المهدي، يقرهم من خلاله في مناصبهم، ويفرض احترامهم على باقي الرعية، ويسقط عنهم الضرائب التي كانت مسطرة على باقي سكان المدينة.³

1-2-7 ثورة بومعزة:

كنتيجة للسياسة الاستعمارية الجهتية التي عمدت سلطات الاحتلال إلى تطبيقها على سكان المنطقة، اندلعت المقاومة في الظهرة ومازونة وحوض الشلف بقيادة الشريف محمد بن عبدالله المدعو بومعزة، وعرفت هذه الانتفاضة بانتفاضة الظهرة، واستطاع بومعزة أن يكبد الفرنسيين خسائر فادحة⁴.

بدأ بومعزة انتفاضته بالهجوم على القبائل الموالية للمحتل الفرنسي، وأظهرت عدائها له، حيث ركز على القادة الذين عينتهم الإدارة الاستعمارية على المناطق التابعة لنفوذها، مما دفع السلطات الفرنسية إلى مواجهته في معركة قرب عين أمران يوم 14 أبريل 1845م، وفي هذه

1 - عبد القادر بوطبل، تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 31.

2- Moulay Belhamissi ,op.cit p60.

3 - أحمد بحري، حاضرة مازونة -دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الموسم 2012-2013، ص 276.

4- طاهر جنان، مازونة عاصمة الظهرة -شعر حربي ومركز اشعاع حضاري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، 2005، ص 27.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

المعركة لعب سكان مازونة دورا هاما، حيث أرسلوا أفواجا من المتطوعين لمساندة بومعزة، وكان لهم الفضل في إنتقال المقاومة إلى تنس والأصنام الشلف الحالية.¹ وما لبثت هذه الثورة أن عمّت كلّ حوض الشلف والونشريس، فلم تبق قبيلة في المنطقة إلا وانظمت إلى بومعزة، ممّا دفعه إلى مهاجمة مدينة الأصنام ORLEANS VILLE لكنّه فشل في افتكاكها من العدو نظرا لقوّة مدافعها.²

وأما فشل بومعزة في مواجهة الفرنسيين غير من خطته الحربيّة، حيث عمد إلى أسلوب الكر والفر ومهاجمة حلف الفرنسيين بشكل أساسي، فنجحت هذه الخطة الجديدة وعجزت القوآت الفرنسيّة رغم كثرة تعدادها ومعدّاتها عن إيقاف بومعزة عند حدّه، بل زاد نفوذه وذاع صوته في المنطقة والتفت حوله العديد من القبائل، خوفا ورهبة منه خاصة بعد أن استطاع الظفر باثنين من القياد الذين عينتهم فرنسا وقتلها شرّ قتلة.³

وأثر عجز القوآت الفرنسيّة في القضاء على بومعزة وتأديبا للقبائل المساندة له حدثت محرقة غار الفراشيش في شهر جوان 1845 بأمر من السفّاح بيليسيه⁴، وغير بعيد عنها جغرافيا وبالضبط في 12 من شهر أوت من نفس السنّة حدثت محرقة أخرى رهيبة في حقّ سكّان الصبيح على بعد بعض الكيلومترات عن عين أمران بأمر من العقيد سانت أرنو⁵، وتفصيل ذلك كالآتي: في شهر يناير 1845 وقعت معركة كبيرة بناحية الظهرة، شاركت فيها عدّة طرق صوفيّة منها القادريّة والرّحمانية والدّرقاوية والطّيبية، وعرفت عند الفرنسيين بأتباع الطّرق الصوفيّة.

وقد شاركت قبيلة أولاد رياح -التي كانت تقطن جنوب تنس- في هذه الثورة، فهاجمها بيليسيه وأحرق كلّ ما فيها، الأمر الذي دفعها إلى الفرار إلى ناحية غار الفراشيش⁶، للاحتماء

1- محفوظ قداش، جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر 1830/1954)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص 109.

2- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 109.

3 - Loukil Youcef ,op.cit ,pp 21-22.

4- أصبح جنرالا، ثم ماريشال، ثم حاكما عاما للجزائر فيما بعد خلال الستينات.

5- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 111.

6- يقع هذا الغار في منطقة نقمارية قرب عشعاشة ولاية مستغانم حاليا.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

فيه من الخطر الفرنسي، فاجتمع داخل الغار أكثر من ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال، مصطحبين مهم ما يمكن حمله من متاع وما يسوقونه من حيوانات.¹

حاصر الفرنسيون الغار من جميع الجهات وطلبوا من القبيلة الاستسلام، وأمام رفضها وإصرارها على عدم الاستسلام، قرر الفرنسيون القضاء على كل من في الغار واختاروا لذلك أسلوب الخنق بالدخان.

استغل العقيد الفرنسي ظلام الليل، وجلب تعزيزات عسكرية ضيق بها الحصار على الغار وضاعف من إيقاد النار التي جمع لها أكواما من حطب الغابة المجاورة، ثم أحاط مداخل الغار بها، وأضرم النيران فيها، واستمر على هذه الحال إلى الليلة الثانية.²

وقد كانت هذه المجزرة رهيبية إلى درجة أنها هزت الجزائريين، وأثارت ضجة داخل البرلمان الفرنسي آنذاك، ويذكر عبد القادر بن عيسى المستغامي في كتابه: مستغانم وأحوازها أن الفنان جاهونو رسم لوحة زيتية سنة 1845م، تعبّر عن هذه الواقعة المهولة وسماها بمغارات الظهرة.³ لقد أزعج نشاط بومعزة القوات الفرنسية، مما استدعى إلى تنسيق عسكري بين القادة الفرنسيين في المنطقة، حيث اجتمعت قوات القائد ميلينيت مع قوات سانت أرنو قائد الأصرام في ORLEANSVILLE والعقيد جيري والرائد برت قائد تنس ممّا اضطر بومعزة إلى التراجع والابتعاد عن المواجهة قدر المستطاع⁴، والإلتحاق بدائرة الأمير عبد القادر في المغرب الأقصى.

حيث أقام فترة من الزمن ليعود من جديد إلى المقاومة في منطقة الظهرة، لكنه فشل بسبب القمع الوحشي من طرف الفرنسيين الذي كاد أن يقضي على الحياة كلّها في المنطقة.⁵

1- كان يوم 14 جوان 1845.

2- اسماعيل العربي، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 285.

3- عبد القادر بن عيسى المستغامي، مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا، ط 1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1996، ص 31.

4- المرجع نفسه، ص 31

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وأمام هذه الوحشيّة والفارق الكبير في الإمكانيات، وحجم الخسائر التي لقيها سكّان مازونة والظّهرة عموماً سلّم بومعزة نفسه للجنرال سانت أرنو بتاريخ 13 ماي 1847، فدفعه إلى المارشال بيجو الذي حمله إلى فرنسا وسجن عدة سنوات، وبهذا ينتهي لهيب مقاومة بومعزة في منطقة الظّهرة والشلف والونشريس بعدما كبّد الفرنسيين خسائر فادحة في العتاد والأرواح¹. وفي تاريخ 18 نوفمبر 1869 دخلت مازونة نهائياً تحت حكم الفرنسيين وخمدت ثوراتها، فتمّ تقسيم المدينة إلى ثلاثة أحياء، وهي:

1-حي بوماتع.

2-حي بوعلوفة.

3-حي القصبه².

وفي سنة 1878 تمّ تأسيس بلدية على الأراضي المقتطعة من أملاك قبائل مديونة، وأطلق عليها اسم رونو، نسبة إلى الكولون الرونو الذي قتل في معركة ضدّ الألمان في منطقة الألزاس واللّورين عام 1870 بالحدود الفرنسيّة الألمانيّة، وعلى إثر هذه الحرب تم إرسال اللاجئيين الفرنسيين الذين كانوا يقطنون في المنطقة إلى بلدية رونو³. ألحقت مازونة بعد ذلك بالبلدية الجديدة، التي أصبحت مقراً للحاكم الفرنسي في المنطقة، وبدأت مرحلة الأفلو، ولم يعد يذكر من مدينة مازونة سوى المدرسة الفقهية التي بقيت منارة علمية ودينية رغم التضييق، إلى حين قضت سياسة محاربة التعليم المتبعة من طرف المستعمر على ما بقي منها.

1- الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 2، 222.

2- لا زالت بعض أحياء المدينة تحمل هذه الأسماء إلى يومنا هذا، غير أن الآثار العمرانية قد زالت ولم تبق إلا الأقواس العثمانية بحي بوماتع والمدرسة الفقهية والحمام.

3-Moulay Belhamissi ,op.cit , p83.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-1 النسيج العمراني للمدينة:

ضمّ النسيج العمراني لمدينة مازونة إلى جانب البيوت، والمساكن جملة من العناصر الأساسية كالمسجد والمدرسة والحمام والسوق، والتي تتشكل في مجملها مجموعة عمرانية متكاملة الوظائف والأدوار، ونحن سوف نبين بعض الجوانب من هذا النسيج العمراني كما يلي:

1-3-1 المسجد الجامع والمساجد الأخرى:

احتوى النسيج العمراني لمازونة على العديد من المساجد شأنها كباقي المدن الجزائرية الأخرى نظرا لأهمية المسجد في المجتمع الجزائري، حيث نجد العديد من المساجد التي بنيت في مازونة خلال الفترة الوسيطة والفترة الحديثة حسب الطاهر جنان:

*مسجد سيدي محمد الغريب بني عام 391هـ/1000م من طرف مغراوة الزناتية، مسجد سيدي عزوز بني في عام 494هـ/1100م من طرف عبد المؤمن بن علي الموحي، مسجد الهدى بوزلول بني عام 854هـ/1450م من طرف بني زيان، مسجد سيدي علي بوماتع بني من قبل عائلة الكتروسي عام 865هـ/1460م وهدمه الاستعمار الفرنسي عام 1850، مسجد سيدي عبد الحق في القصبة بناه الأتراك عام 1009هـ/1600م، مسجد سيدي محمد بن شارف بني في بداية 1112هـ/1700م من طرف الأتراك، مسجد مولاي سوبقا (بوعلوفة) بناه الشيخ بلمهل الكبير، مسجد المدرسة أسسه أمحمد بن الشارف عام 1029هـ/1619م¹، إلى جانب هذه المساجد توجد مساجد أخرى بالمدينة مثل مسجد سيدي عبد الحق المطهري التلمساني الأصل المازوني الدار، والذي اشتهرت عائلة "الكتروسي" بالتدريس فيه، ومسجد سيدي صالح بناحية "بوعلوفة" والذي اشتهر بتلقيه العلوم الدينية، واستمر في أداء وظيفته التعليمية إلى غاية الوجود العثماني.²

يرى الباحث جاك بيرك Jacques Berque أنه كان في مازونة مسجد مركزي بالإضافة إلى مساجد أخرى منتشرة عبر الأحياء الأربعة للمدينة، وهن هذه بالأحياء الأربعة وهي: حي أولاد صغي، حي بوماتع، حي القصبة وحي بوعلوفة، وعن المساجد الأربعة مسجد سيدي محمد بن شارف، مسجد سيدي عيسى بوعزة، مسجد سيدي عبد الحق، مسجد الحاج محمد.³

1- الطاهر جنان، المرجع السابق، ص ص 95-96.

2- المرجع نفسه، ص 96.

3-Jacques Berque , Retour a Mazouna,AESC,1,V,1972, p153.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

يتبين مما سبق أنّ المدينة كانت تتوفر على العديد من المساجد، والتي ساهمت في صنع النسيج العمراني للمدينة، وكذلك الدور الحضاري التي لعبته على مرّ العصور من تبيان تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وبذلك غدت مازونة مركزا إشعاع علم وحضارة في الجزائر.

1-3-2- المدرسة:

شكّلت مدرسة مازونة الفقهية أحد الهياكل العمرانية للمدينة، والتي تعود إلى فترة العهد العثماني حيث أسّسها الشيخ الفقيه العلامة سيدي محمد بن الشارف المازوني الذي يصل نسبه إلى آل البيت 1029هـ/1619م، والتي تتوسّط المدينة، حيث قام بشراء قطعة أرض تتشكل من ثلاثة أجزاء محاذية لبعضها البعض، حيث اعتبرت هذه المدرسة التاريخية الأولى بمازونة، كما تعد من أشهر المدارس الفقهية بالجزائر، وذلك جزاء شهرة عمل علمائها وإنتاجهم العلمي، والإقبال الكبير للطلبة من داخل القطر وخارجه، وما زاد إشعاعها وظهورها بعد تجديدها وإعادة بناءها وتتوّع مرافقها التي أضفت صبغة وحلّة جديدة للمدرسة، كما توفّرت على مختلف المرافق الضرورية للوافدين إليها من مرآقد وقاعات التدريس ومكتبة.¹

لقد أعيد ترميم المدرسة من طرف الشيخ أبو طالب عام 1792م، تتوسّط المدرسة ساحة كبيرة كان يجلس فيها الطلبة وينتارسون العلوم، وتقام فيها حلقات العلم وجلساته، وتحيط بالساحة بيوت على كلّ جهاتها، فمن الناحية الشرقية جنوبا بجانب الممرّ الذي يؤدّي إلى المسجد والمكتبة والموضأ يوجد ضريح الشيخ سيدي الشارف والذي خلفه أبناءه من بعده في التدريس، عند باب الضريح بالجانب الأيسر يوجد ضريح لامرأة قيل أنّها تقرب لعائلة هني، وبجانب ضريح سيدي الشارف بالغرفة الأخرى وهي كبيرة الحجم توجد أضرحة لأحفاده وضريح للشيخ أبو طالب²، وقيل أن هذه الغرفة كانت بيتا لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للأطفال.

1- عبد العزيز لعرج، المدارس الإسلامية دواعي نشاتها وظروف تطورها وانتشارها اطروحة دكتوراه، (القسم الاول) كلية العلوم الانسانية بجامعة الجزائر، 1421هـ/2001م، ص ص 119-120.

2- هو الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمان المعروف بأبو طالب المازوني، حيث لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده باستثناء الشيخ السنوسي الذي تحدث عنه في كتابه "البدر السافرة في عوالي الاسانيد الفاخرة" فقال: " .. كان مولد أبي طالب على ما أخبرني به بعض أصحابه وأواخر المائة الحادية عشر (11) ومقاربا لأول الثانية الموافق لـ (18)، أي أن الشيخ ولد حوالي 1103هـ أنظر: بوركبة محمد، " الشيخ أبو طالب علم من أعلام المدرسة الفقهية من خلال مخطوط الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبو طالب"، "المجلة الجزائرية للمخطوطات"، مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر المخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا، العدد 5، 2007-2008، ص 101.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

أمّا من النّاحية اليساريّة شمالا توجد حجرتان كبيرتان، كانت الأولى للطعام وراحة للطلّبة، أمّا الثانيّة، فكانت قاعة لتكوين الأئمّة والمؤدّنين والمقيمين أيّام الاثنين والثلاثاء والأربعاء، أمّا غربا فتوجد سبعة غرف متساوية المساحة، فكانت مخصصة لإيواء الطلّبة¹.

1-3-3- المساكين والأحياء:

يشير ليوبولد تورس إلى الوصف العام لشوارع المدينة الإسلاميّة المشرقيّة والمغربيّة والأندلسيّة، فهي في معظمها مفتوحة عند طرفيها كشوارع المدن الحديثة، إذ كانت طرقا للمرور والتّقلّ دون انقطاع، وكانت مخصّصة لحركة المرور العام في المدينة ولدخول المساكن الواقعة على جانبيها في وقت واحد، فإذا كانت هذه هي حالة المدينة الإسلاميّة فكيف هو الحال في مدينة مازونة؟

تميّز المسكن المازوني بوصف حضري متميّز خلال القرن الثّاني عشر ميلادي حيث رأى الإدريسي أنّ بها مساكن مونقة وهو ما ذهب إليه أيضا الوزان ومارمول كاريخال، حيث ذكر الأول أنّ المدينة كانت متحضّرة جدا في القديم²، أمّا الثّاني فوصف منازلها بالجيّدة³.

لكن هذه الوضعيّة الجيّدة للمدينة لم تبق على حالها، بل نجدها تتغيّر إلى الأسوأ في بعض المرّات بسبب الاضطرابات التي عصفت بالمدينة، فقد تعرّضت المدينة إلى التّخريب من طرف بني مرين أو بني حفص تارّة ومن طرف الثوّار والأعراب تارّة أخرى وفي هذا نورد نصا للوزان حيث يقول: "...لكن دورها قبيحة.... لكنها كثيرا ما تعرّضت للتّخريب من قبل ملوك تونس تارّة ومن قبل الثوّار تارّة أخرى، وبالتالي من الأعراب، حتى أصبحت اليوم قليلة السكّان، وهم إما نسّاجون أو فلاّحون وجميعهم تقريبا فقراء، لأنّ الأعراب يتقلّون كواهلهم بالإتاوات...."⁴.

ويساند الوزان في طرحه أيضا مرمول كاريخال الذي وصف تراجع الحضري لمدينة مازونة بقوله: "...كانت بها منازل جيّدة دمرتها الحروب ولاسيما تلك الحروب التي ذكرناها أنّها كانت

1- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 128.

2- مرمول كاريخال، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي واخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1989، ص 359.

3- الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 36.

4- المصدر نفسه، ص 36.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

بين أقارب ملك تلمسان الذين عاثوا فسادا في عدد من مدن هذه الإيالة.... كان سكانها في الماضي على درجة كبيرة من الغنى لأن بلادهم كثيرة القمح والماشية، ولكن العرب الذين يكتنون لهم العداء أذاقوا الويل لأهلها منذ المرة الأخيرة التي تحطمت فيها المدينة، حتى لم يبق فيها سوى عدد قليل من فقراء النساجين يصنعون المنسوجات القطنية والصوفية، ومع هؤلاء عدد من العمال لا يربحون ما يساوي المقادير التي يجبرون على دفعها لحكام مدينة الجزائر وللعرب مقابل السماح لهم بفلاحة الأرض¹.

لقد عرفت مازونة شأنها كباقي بعض المدن الجزائرية الأخرى توطنا للجالية الأندلسية مثل مستغانم وتنس والقلية وغيرهم، وبالتالي من المحتمل أن يكون النمط العمراني هو الآخر قد تأثر بالطابع الأندلسي، ولكي نلمس الوضع الحقيقي لمعمار المدينة وأحيائها في الفترة الحديثة نورد الوصف الذي قدّمه الرحالة الألماني هاينريتش فون مالتن Henrich Von Maltzen " ... وهي مدينة عربية خالصة، وكنا قد وصلناها في المساء، وكانت مازونة الأولى من هذا النوع الذي رأيته في الجزائر، والذي احتفظ بطابعه العربي، ولم يشوّه بعد تناسقه الشرقي أي أوروبي، لقد كان أسلوب العمارة في هذه المدينة الداخلية طبعاً أبسط وأفقر بكثير من الحي العربي في مدينة الجزائر، إلا أنها في جوهرها من نفس النمط..."².

تشكّلت مازونة في العصر الحديث من أربعة أحياء كبيرة، ولكلّ منها أحياء صغيرة، حيث تكون الدروب والطرق بها ضيقة والمنازل متداخلة في بعضها البعض: ولكلّ حي من هذه الأحياء مسجد³ خاص به، وهذه الأحياء هي:

1-حي أولاد السيح في الشمال.

2-حي بوماتع في الشرق.

3-حي تيسارت في الجنوب.

4-حي القصبية.

1- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 359.

2- فون مالتسناهاينريتش، ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، ج1، ترجمة ابو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، المرجع السابق، ص 231.

3- Jaques Berque ,op.cit , p 153.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

تميّز البيت المازوني بالشكل العربي، حيث يحتوي على أقواس داخلية وساحة مركزية مفتوحة غير مغطاة، يغلب عليه الشكل المربع واللون الأبيض، ولا يتوفّر على نوافذ تربطه بالفضاء الخارجي، وإن وجدت فهي عالية، وباب المنزل عريض مصنوع من الخشب، ويأتي بعد الباب مدخل يسمّى بالسقيفة به مقاعد مبنية، ثمّ يأتي بعدها الساحة المركزية غير المغطاة، وهي مرتّعة الشكل، ويحيط بها أقواس بداخلها، حيث تتواجد الغرف والمرافق الأخرى¹.

يصف الرحّالة الألماني هينريتش فون مالتسان Henrich Von Maltzen بقوله: "...وكان كثير من بيوت مازونة ذات الطابق الواحد التي تغطّيها السطوح مبنيا من الحجر، وذلك يعني بالنسبة لمدينة تقع في داخل البلد درجة عالية من العمران، فالإنسان لا يعثر عادة في داخل البلد إلا على البيوت المبنية من الآجر، وكان الدهان الأبيض يخلع على هذه البيوت منظرا لطيفا ضاحكا...."².

1-3-4- الأسوار:

لقدت تعرضت العديد من النصوص التوازلية لمسألة السور ومختلف أوضاعه في مازونة كمسألة الإصلاح والبناء والهدم وغيرها، ويعتبر السور في مدينة مازونة وحدة معمارية أساسية من الناحية الأمنية العامة في المدينة، والتي تهّم الجانب السياسي والأمن الخاص المتعلّق بالأفراد، وكذلك يعتبر السور مرفقا خاصا مرتبطا بالأحياء السكنية أكثر من كونه مرفقا عاما³. يبدو أن مدينة مازونة كانت تتوفر على أكثر من سور واحد، وهذا ما يذهب إليه كل من الوزان ومارمول كارخال، حيث يتحدّثون عن "أسوار متينة" و"عالية حصينة" محيطة بالمدينة⁴. كما نجد الحديث عن وجود أبواب المدينة في الكتابات الوسيطة، ومعلوم أنّ الأبواب تصل المدينة بالفضاء الخارجي حيث وجود المحاور التجارية الهامة، كما نجد أنّ الأبواب كذلك تؤدّي إلى طرقات ضيقة كالباب الجنوبي والباب الذي يؤدّي إلى سيدي امحمد بن علي⁵.

1- فتحة الواليش، الحياة الحضرية في بايك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الموسم 1993-1994، ص 184.

2- فون مالتسانهانريتش، ج1، المرجع السابق، ص 231.

3- لوتشرسي ابو العباس احمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، ج 5، اخرج مجموعة من الفقهاء تحت اشراف محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981 ص 351-352.

4- الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 36.

5- فتحة الواليش، المرجع السابق، ص 150.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

من خلال ما سبقت إليه الإشارة في مختلف الجوانب المتعلقة بمدينة مازونة، يمكن أن نقول أنّ مدينة مازونة تعدّ من أهم المدن الموجودة في منطقة حوض الشلف نظرا للموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به، إضافة إلى العناصر الطبيعيّة التي تتوفّر عليها المنطقة، وما زاد من شهرة المدينة هو الدور الحضاري والثقافي لها على مرّ العصور بفضل مدرستها الفقهية، التي جعلت من مازونة حاضرة علمية في الغرب الجزائري يفتد إليها طلبة العلم من مختلف البقاع من أجل أن ينهلوا العلم على يد علمائها الأجلاء.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2 - مدينة مليانة

2-1دراسة جغرافية

2-1-1-الموقع

تقع مدينة مليانة في منطقة مرتفعة، عند خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة من خطوط الطول وثمان وعشرين درجة وخمسين دقيقة من خطوط العرض¹، وعلى ارتفاع يتراوح بين 720م و749م على سطح البحر².

وهي على بعد 9 كلم شمال الطريق الوطني رقم 4 الرّابط والسكّة الحديدية الرّابطة بين الجزائر وهران، وعلى بعد119كلم غرب العاصمة، وعلى بعد29 كلم عن مدينة عين الدفلى³. تبلغ مساحة المدينة 23773 هكتار، وهي على بسيط عظيم من الرّخام المشطّف، جوانبه أوعار يكتنفها شرقا وادي بزيط وغربا وادي الرّيحان، تشرف من علو على فحوص ومزارع واسعة في سهول الشلف⁴.

تحيط بمليانة مجموعة من الجبال كجبال زكار الشرقية والغربية المحصورة بين الأطلس المتّيجي شرقا وجبال الظّهرة غربا⁵، والتي يبلغ أعلى ارتفاع فيهما 1579م⁶، ويطلّان على المدينة، أمّا من الجنوب، فيربطهما مضيق صغير، تطلّ من الشرق والجنوب على وادي الشلف⁷.

تميّزت مدينة مليانة بموقع استراتيجي مهم، فقد كانت أهمّ مدن المغرب الأوسط، حيث كانت تشكّل همزة وصل بين مدن المغرب الأوسط، وفي هذا الصّدّد يقول ابن حوقل عنها أنّها كانت ضمن الطّريق الرّابط بين فاس والمسيلة، كما ذكرها البكري في الطّريق من قلعة أبي طويل إلى تنس، والطّريق من تنس إلى أشير، وهو طريق السّاحل كما ذكرها الإدريسي في الطّريق من

1- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 360.

2- الحسن الوزان، ج1 المصدر السابق، ص ص 34-35.

3- عبد القادر قرمان، المنشآت المدنية في مدينة مليانة خلال العهد العثماني، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2015، ص 15.

4- مولاي بلحميسي، "الذكرى الألفية لتأسيس مدينة مليانة" مجلة الأصالة، العدد8، ربيع الثاني 1392/جوان 1972، الجزائر، ص140.

5 -ST Gsell, Atlas Archéologique de l'Algérie , 2 eme Edition ,Alger 1977,F,XIII,N70.

6 - Bosworth C.E, Vandozel C,heinrichs W P,and the late C.H,Miliana,The encyclopaedia of Islam, vlumeVII ,Leiden-new york, E.J,Brill,1993,p64.

7- مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 140.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

تنس إلى المسيلة، كما أشار العبدري بأنها إحدى أهم المحطات الخاصة بالحج⁵، كما ذكرها ابن بطوطة بدوره في رحلة الحج، وذلك من خلال وصفه لمدن، ومحطات الطريق من طنجة إلى الإسكندرية قائلا: "كان جروجي من طنجة مسقط رأسي... عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام.... فوصلت مدينة تلمسان... وأقمت بتلمسان ثلاثا في قضاء مآربي.... فوصلت مدينة مليانة... ثم ارتحلنا... قاقمنا ببعض المياه على مسافة أميال من مليانة ثلاثا⁶.

2-1-2- المناخ:

فيما يخص المناخ في مليانة، فإنه على الرغم من أنّ المنطقة داخلية ومحجوزة عن المؤشرات البحرية فإنّ مناخها معتدل مقارنة بمناخ حوض الشلف الواقع أسفلها، الذي يتّصف بالبرودة وكثرة التساقط في فصل الشتاء، وذلك أن منطقة مليانة مرتفعة كما رأينا ذلك سابقا¹، حيث تقدّر كمية الأمطار المتساقطة بها بـ950 و1000 ملم سنويا، وفي فصل الخريف تشهد هبوب الرياح، أما في فصل الربيع فيسود الاعتدال في المناخ، أمّا في فصل الصيف فترتفع الحرارة نهارا وتعتدل في الليل نظرا لموقعها المرتفع، ووجود غطاء نباتي معتبر الذي يلعب دورا في تلطيف الجو ممّا جعل مناخها جيّد وصحّي للإنسان².

2-2-3 الغطاء النباتي:

بحكم الاعتدال في مناخها كما سبق وأشرنا إلى ذلك سابقا، فإنّ الغطاء النباتي يعرف وفرة وتنوعا كبيرا، حيث تنتشر بها زراعة الحبوب والبقول الجافة والكروم والخضر والفواكه³. كما توجد بها الأشجار المثمرة والمتنوعة الأصناف مثل أشجار الجوز والزيتون واللوز والرمان والكرز بالإضافة إلى أشجار اللّيمون وأشجار البرتقال، والتي تعتبر من النوعية الجيدة والتي تحمل إلى أسواق تنس وغيرها من المدن⁴.

1- ابراهيم حركات، جغرافية المغرب العربي والوطن العربي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1960، ص 99.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 96.

3- عبد الحكيم العقيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص 486.

4 -مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 360.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

تعود وفرة وغزارة الغطاء النباتي، وتنوّع المحاصيل الزراعيّة بمليانة إلى خصوبة الأراضي الفلاحيّة بها حيث غالبا ما تصف المصادر الجغرافيّة مدينة مليانة بالبلدة الخصيبة، وعلى أنّها بقعة حسنة، كثيرة الخيرات، وافرة الغلات، مشهورة بالحسن والطيب وكثرة الأشجار وتدفّق المياه.¹

بالإضافة إلى غنى مدينة مليانة بمصادر المياه وتنوّعها من أنهار وينابيع وآبار، وهو ما أكّدته المصادر الجغرافيّة التي تحدّثت عن مدينة مليانة في هذا الجانب، مثل ياقوت الحموي في قوله: "... فيها آبار وأنهار تظن عليها الرّحى..."²، وكذلك الحميري بقوله: "...وهي ذات أشجار وأنهار تظن عليها الأرحاء... وبقعتها كريمة، ومزارعها خصيبة، ونهرها يسقي أكثر مزارعها وجنّاتها ولها الأرحاء على نهرها، ولأقاليمها حظ من سقي شلف..."³.

كما اقترح فزال Gsell أنّ هذا الاسم هو اسم عائلتها الذي اشتق منه اسم المدينة Manliana بدليل أنّها كانت تملك أراضي واسعة تقوم باستغلالها وإدارتها، فلا غرابة أن تتسب إليها⁶، وقد دعم هذا القول Bloch بأنّ هذا الاسم كان يؤدّي دورا كبيرا في النّمّو الاقتصادي للمنطقة، حيث أنّه اتّسع بمرور الوقت واكتسب أهميّة كبرى حتّى أطلق اسم مالكه على كامل الإقليم الواقع ضمنه.⁴

كما قام Bloch بتلخيص ذلك بأنّ اسم العائلة Manlia إلى Manlianum، حيث أنّ المقطع Anum يفيد معنى الانتماء في "Milianensis" حيث المقطع "ensis" يعني المستقر أو الإقامة ثمّ تحوّل إلى مليانة Manlliana و Maliana كما تذكرها آخر النصوص الرومانية القديمة لتسهيل النطق لا غير⁵.

1- الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم اسماعيل العربي، دم ط الجزائر 1983، ص 154.

2- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط1، مج5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص90.

3- محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، مطبعة هيدلبرغ، مكتبة لبنان، 1975، ص 574.

4-S.T,Gsell,op-cit,F,XIII,N70.

5-Bloch A,Etude sur le nom de Miliana, Bulletin d'archéologie algérienne ,TVI,1975-1976,societe nationale d'édition et diffusion, Alger,1980,p170.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

في حين يرى باسي Basset أنه لا يمكن قبول الكلمة اللاتينية مليانة Maliana كتسمية أولى لهذه المدينة، ويبرر قوله هذا بوجود أحد القصور الموجودة بتوات تسمى مليانة، وبالتالي فإنه يستبعد الأصل اللاتيني لتسمية المدينة، ويستشهد كذلك بقوله أن مدينة المدية أخذت تسميتها من أحد القبائل الأمازيغية¹.

كما وجد اسم زوكابار في صخرة علامة للأميال تحد بين زوكابار وبراها من حواضر مستعمرة إسمها مستعمرة يوليو الأكبر "colonia julia augustae"²، وذلك عند الشروع في الأعمال لمد القنطرة بين عريب وعين الدفلى على الضفة اليمنى لواد الشلف، وقيل أن هذه المستعمرة كانت حوالي 25/27 ق م، في الوقت الذي استولى فيه يوبا الثاني على موريتانيا القيصرية، بينما يذكر بطليموس المذكور سابقا زوكابار أنه كان بابا من أبواب شرشال يسمى باب شرشال³.

أما عن معنى هذه التسمية، فهناك اختلاف كبير بين المؤرخين، حيث أنهم أوردوا لمعناها مجموعة من المعاني، كما حاولوا البحث عن أصولها في اللغتين الفينيقية واللّيبية البربرية، حيث اعتبر هذا الاسم ذو أصل ليبي بوني، حيث أنّ المقطع SUG أو Zush مشتق من الكلمة السّامية SUK بمعنى "سوق" والمقطع ABAR هو تقليص لكلمة Abadir، حيث أن Ab تعني أب، و"ADIR" اسم إله بربري، وبذلك أن زوكابار تعني سوق الأب إدير⁴، كما قيل أن "زوكابار" من أصل ليبي محض، وأن هذه التسمية هي تغيير للعبارة البربرية Izeuker Abadir ايزكير ابادير، بمعنى جبل أو قمة إله إدير، حيث نزلت الكلمة الأولى إلى Zuk أو Zugg أو Sugg والثانية إلى Ab التي تعني في اللّغة اللّيبية أب أو إله⁵، بينما يذكر أيضا "بطليموس" أن زوكابار كان اسم باب من أبواب شرشال كما أشرنا إلى ذلك آنفا⁶.

1 - Basset A, Etude sur La Zenata de l'Ouarsenis Et Du Maghreb Central, paris , 1985, p 2

2- Le lieutenant Guiter , Inscription d affreville ,revue Africaine 1858-1859,office des publications unversitaires,Alger , pp 95.96

3- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 20.

4 - Marcier, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T 5, Paris 1927, p219.

5 - A, Bloch , op-cit , p17.

6- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 21.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

كما يدعي بعض العارفين من سكان المنطقة أن "مليانة" مشتقة من كلمة "ملانة" لما فيها من خيرات¹، كما سماها المؤرخ الإسباني مارمول "Miliane" Marmol، وقال أنها كانت تسمى قديما "مليانة" Magnana².

وعلى ضوء ما سبق، فإن اسم ماليانة أو مليانة هو اسم مستعمرة أي ضيعة كبيرة في حوز زوكابار التي هي حاضرة، غير أن لاسم زوكابار أو سوكابار علم لم يسمع به الجغرافيون والرحالة لا من عرب ولا من عجم، وهم الذين سجلوا اسم مليانة ابتداء من القرن 4هـ/10م في تأليفهم، وقد قيل أن زوكابار أبيت أثناء القرن السادس ميلادي بسبب الفتن والثورات فضاع اسمها معها، ويرجح أن موقعها في مليانة الحالية اعتمادا على النصوص القديمة والمعطيات الحفرية³.

وما يمكن أن نجله حول مسألة أصل تسمية مليانة، والذي تناولته النصوص التاريخية والجغرافية والشواهد الأثرية أن مليانة كان اسمها الأول هو زكابار، والذي لا علاقة له باللغة اللاتينية، والذي يرجح أنه مشتق من اللغة الليبية البربرية، ومن الفنيقية ثم أصبح اسمها ماليانا المشتق من اللغة اللاتينية، والذي عرب ليصبح ملانة⁴، ومنه تحولت إلى مليانة بكسر الميم وسكون اللام⁵.

1- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدينة، مليانة، ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر 1392هـ/1972م، ص 296.

2- مارمول كرخال، المصدر السابق، ص 395.

3- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص ص 21.22.

4- عباس كبير يوسف، "مليانة"، مجلة الوكالة الوطنية للآثار وحماية المباني والمباني الأثرية، الجزائر 2000، ص 3.

5- محمد ابن عبد الله ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار" شرحه وكتبه هوامشه طلال طلال حر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 32.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-2- دراسة تاريخية:

شأنها كشأن باقي المدن في المغرب الأوسط فإن مدينة مليانة هي الأخرى قد عرفت تطورا تاريخيا منذ القديم وكانت مسرحا للعديد من الأحداث الهامة، ونحن في هذا المطلب سوف نحاول أن نعرّج على مختلف المراحل التاريخية، التي مرت بها مدينة مليانة منذ القديم إلى غاية وصول الاحتلال الفرنسي إليها في الأربعينات من القرن 19م.

2-2-1 فترة ما قبل التاريخ:

أشارت المستحثات التي احتوتها الصّخور الجيرية في منطقة مليانة على أنّ هذا الموقع الغني بمصادر المياه كان يكسوه غطاء نباتي كثيف ومتنوع، حيث دلت الدراسات الميدانية التي أجريت عام 1961 بقيادة الباحث الأثري "Bloch"، والذي أشرنا إليه سابقا، في شمال المدينة على وجود بعض الأدوات الحجرية من السكاكين قرب ينابيع واد بوتكتون¹، تعرف من خلالها على أدوات العصر الحجري القديم الأوسط تنتمي للصناعة العاترية، وأخرى مصنفة ضمن الصناعة القفصية التي تعود للعصر الحجري المتأخر²، كما أنّ صنّاع هذه الحضارة الأخيرة عرفوا مساكن المخابئ الصخرية وبعض الخيام، وكان تمركزهم دائما قرب الوديان³، ونظرا لتوفر هذه الشروط بموقع مليانة خاصة في جبال زكار التي تحتوي على العديد من المغارات والمخابئ الصخرية التي توجد بها بقايا عظمية وأدوات حجرية تؤكد على تمركز إنسان ما قبل التاريخ بها⁴.

2-2-2 العهد الفينيقي:

عرفت سواحل شمال إفريقيا توطنا للفينيقيين الذين أسسوا مراكز استيطانية وتجارية لهم، أهمها مستوطنة قرطاجة التي تأسست سنة 800 ق م من طرف الأميرة عليسا⁵. وبحكم الموقع الذي كانت تتمتع به مليانة، فإنّ الفينيقيين دخلوا إلى المدينة من أجل ممارسة الأنشطة الاقتصادية مما أدى إلى توغلّ العنصر البوني إليها، ويرجح ذلك أنّه تمّ قبل وبعد سقوط قرطاجة عام 146 ق م، فالتجار الوافدين إلى المدينة كانوا يرتحلون إليها من أجل

1- Bloch A, op.cit , p71.-72

2- Balout L, La Préhistoire De L Afrique Du Nord , Paris , 1955, p45.

3- Ibid, p91.

4- عباس كبير يوسف، المرجع السابق، ص 2.

5 محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

التبادل التجاري الأمر الذي أدى إلى احتكاك السكان المحليين بهؤلاء الوافدين، كما استقر البعض منهم في المدينة، الأمر الذي أدى إلى تطورها وازدهارها وتأثرها بالعصر البوني، فقد بينت الشواهد الأثرية التي عثر عليها في المدينة منها نقيشة مهداة إلى الإله "ابادير" كما اكتشف نصب آخر عليه شكل آدمي تشبه خطوطه شكل رمز "تانيت"، كما عثر كذلك على نقيشة مهداة لشخص يحمل اسم فينيقي هو أبو قراط بن بودميلكار، كما اكتشف نصب آخر يحمل كنية فينيقية، ويتعلق الأمر "باكتافيوس باريكوس Octavius baricus"، حيث أن اسم Baricus اشتق من أصل الكلمة BRK، والتي تعني مبارك¹.

2-2-3 العهد النوميدي والموريتاني:

ما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال هو ندرة المخلفات الأثرية التي تؤرخ لهذه الحقبة من الزمن، إلا أن جلّ المصادر التاريخية تشير إلى أنّ فترة القرن الثالث قبل الميلاد كانت مليانة تابعة للملكة موريتانيا القيصرية، ولكن بالنظر إلى الموقع الاستراتيجي للمدينة من الناحية الطبيعية باحتوائها على أراضي زراعية خصبة لإنتاج مختلف المنتجات الزراعية خاصة القمح، ما جعلها تنافس المناطق والمدن الأخرى كسيرتا، كما أنها تعتبر إحدى القواعد المهمة في مملكة ماسينيسا وخلفائه مكيبسا ويوغرطة²، كما دخلت المدينة وما جاورها في نزاعات إقليمية مع الممالك الليبية خلال القرن الثاني قبل الميلاد بين الملك النوميدي يوغرطة ونظيره الموريتاني بوخوس الثاني، حيث دام النزاع بينهما قرابة ست سنوات كاملة 111 ق.م - 105 ق.م انتهى بانهزام يوغرطة على يد القائد سيلا Sylla مساعد القائد الروماني ماريوس Marius، حيث تم إلقاء القبض على يوغرطة بالقرب من مليانة في كمين نصبه له بوخوس، وعلى إثر ذلك تحصّل هذا الأخير على التّلت الغربي للمملكة النوميديّة بما فيها مليانة التي دخلت تحت سيطرتهم، ثم أصبحت تابعة لموريتانيا القيصرية بقيادة بوخوس الثاني³.

1- عباس كبير يوسف، المرجع السابق، ص 16.

2- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريتانيا 146 ق.م -

40م، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1985، ص 101.

3- محمد الهادي حارش، المرجع السابق ص 50.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-2-4 العهد الروماني:

تعرّضت مدينة مليانة هي الأخرى كباقي المدن المجاورة لها إلى السيطرة الرومانية، وهذا حسب ما أثبتته الدراسات التاريخية والشواهد الأثرية، فقد ساهمت الثورات والفتن التي ظهرت بين ملوك وحكام الممالك الموريتانية بسبب انتشار النفوذ الروماني في المغرب، خاصة بعد وفاة الملك الموريتاني بوخوس الثاني، حيث أنهم استغلوا هذه الفرصة للإطاحة بالطبقة الحاكمة حتى وقع المغرب تحت السيطرة الرومانية في عهد الإمبراطور أوكتافيوس Octavius وبذلك بدأ التدخل الروماني في شؤون مليانة، حيث تم إرسال حاكمان رومانيان مفوضان إلى مدينة مليانة، وبدل على هذا قطعة نقدية عثر عليها في المدينة تعود إلى هذه الفترة من الزمن، كما تم إرسال حامية رومانية تتألف من ثلاثة آلاف جندي في مختلف جهات البلد ليعمروها¹، أنشئ خلالها اثنتي عشرة مستعمرة منها ستة في المناطق الساحلية كأبول (شرشال وستة في المناطق الداخلية منها مستعمرة مليانة²، التي جعل فيها حامية عسكرية ما بين 27 و25 ق م التي كانت تشرف على الوادي من أعلى نجد وعر مطل من منحدرات زكار، وما يؤكد ذلك هو أنّ بليينوس plinius ذكرها باسم المستوطنة الأغسطية colonia augusta، كما أورد اسمها كاملا في إحدى الأنصاب الميلية، يورخ لنا هذا الحدث ما بين 27 و25 ق م أي بين تاريخ حصول أوكتافيوس على لقب أغسطس وعام توليته عرش موريتانيا ليوبا الثاني، الذي جعل من شرشال عاصمة له، نتج على إثر ذلك ازدهارها وتطورها، ممّا أضفى على مليانة التطور ذلك³. وبعد ذلك أصبحت مليانة تحت السيطرة الرومانية بصفة نهائية، وما يدل على ذلك اكتشاف الرحالة شاو SHAW لكتابة أثرية هامة تفيد بأنّ حفيد الإمبراطور الروماني "بومبي" وابن حفيده مدفونان في مدينة مليانة⁴.

عندما ظهرت ثورة تاكفاريناس وعجز بطليموس على إخمادها عام 24 و23 ق م الذي كان تحت سلطة كاليغولا الإمبراطور الروماني⁵، والذي شرع في تنظيم عملية الاحتلال على

1- محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 132.

2- Charle.André .Julien,Histoire de l'afrique Du Nord,Tunisie,Algerie ,Maroc, Des Origines a la conquete Arabe1830,édition Payot paris 1964,p207.

3- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1993، ص 115.

4-مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 141.

5- Charle.André .Julien, op-cit,p 126.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الأراضي الجديدة، وذلك بإنشاء مجموعة من المراكز الاستيطانية كانت مليانة مركزا لها لبداية التوغّل الروماني في منطقة حوض الشلف، أين لقي معارضة شديدة من طرف السكّان المحليين القاطنين في زكار وفي سنة 375م قام القائد الروماني بحملة عسكريّة على مليانة لقمع ثورة الزعيم الأمازيغي الثائر فيرموس¹.

وما يؤكّد كذلك أن المنطقة عرفت توطنا رومانيا هو اكتشاف 34 موقع أثري و22 قطعة نقدية رومانية في المدينة وضواحيها وخمس نقوشات تعود إلى هذه الفترة²، بالإضافة إلى اكتشاف آثار عجلة حجريّة لمعصرة زيتون في وسط المدينة على عمق أربع أمتار.

2-2-5 العهد الوندالي:

عرفت منطقة شمال إفريقيا خلال القرن الخامس الميلادي غزو الوندال، هذه القبائل جاءت من بحر البلطيق عبر رحلة طويلة سادها التّخريب والتّدمير للمدن التي مرّو بها، إلى أن استقر بهم الأمر بشمال إفريقيا في سنة 416 م بقيادة القائد "غندريق"³، الذي عاث فسادا وخرابا، كما قام بسلب أملاك السكّان وتوزيعها على الونداليين، أمّا عن مصير مليانة مع الغزو الوندالي فإنّ المصادر التاريخية لا تتحدّث بشكل كبير عن الأحداث التي عرفتها خلال هذه الفترة، باستثناء الإشارة إلى أن الوندال قاموا بنفي الأسقف الكاثوليكي بأمر من الملك الوندالي "هنريك" ، بالإضافة إلى أن مدينة مليانة تعرّضت هي الأخرى إلى التّدمير والتّخريب من طرف الوندال⁴.

1 -عباس كبير بن يوسف، المرجع السابق، ص 3.

2- Lebrun A ,l Algérie et son passé ,edition A et J ,Picard , paris ,1951,pp 133.153.

3- شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص 322.

4- عباس كبير بن يوسف، المرجع السابق، ص 3.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-2-6 العهد البيزنطي:

عندما ضعفت القوة الوندالية في المنطقة خلفتها سلطة أخرى، وهي السلطة البيزنطية وريثة أملاك الإمبراطورية الرومانية في إفريقيا الشمالية، حيث نجد أنّ البيزنطيين يحكمون سيطرتهم على معظم المناطق الساحلية، كما أنّهم قاموا بتوحيد الإمبراطوريتين القيصريّة والطنجية¹. لكنّه يستبعد أنّه قد سيطر البيزنطيون على المناطق الداخلية كازوكابار، إلا أنّ التأثيرات المعماريّة البيزنطيّة قد وصلت إلى مليانة بحكم العلاقات الوطيدة التي كانت تربط بين القيصريّة (شرشال)، وهذا ما تؤكّده البقايا الأثريّة التي تبرز هذا التأثير، حيث تمّ العثور على قطعة تزيينية ذات أسلوب مسيحي نقشت عليها عجلة عليها رموز بيزنطية². كما عثر على تاج عمود كورنثي بأطلال قصبة المدينة عليه رسوم ذات أسلوب بيزنطي، ورغم كل ما تقدمنا به من معلومات فإننا لا نملك معلومات دقيقة عن الأحداث التي مرت بها المدينة في هذه الفترة بسبب قلة المصادر التاريخية.

2-2-7 العهد الزييري والحمّادي:

عرف المغرب الإسلامي ظهور الدولة الفاطمية نسبة إلى الفاطميين³، وبعد أن عمّرت عامين رحل زعيمها عبيد الله الفاطمي إلى مصر تاركاً أمر إفريقيا إلى الأمير بولو كين بن زييري بن مناد الصنهاجي عام 361 هـ/972 م، حيث سمى بولوكين وكناه بأبي الفتوح ولقبه بسيف الدولة⁴.

1- شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية المرجع السابق، ص 361.

2- Berbrugger A, *Sous Miliana – Afreville*, revue africaine, 1865, p118.

3- الفاطميون: يرجع أصلهم إلى اسماعيل ابن الإمام جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ض) من فاطمة الزهراء (ض)، ورئس الفاطميين هو عبد الله الذي تلقب بالمهدي المنتظر، كما يدعى بعبيد الله، أنظر: عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزييرية، الدار التونسية لنشر 1395 هـ / 1975 ص 224.

4- ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، ط1 تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، 717.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

قام بلكين بسياسة توسعية في بلاد المغرب، حيث خاض عدّة حروب مع القبائل التي شقت عصى الطاعة عن المذهب الفاطمي مثل أمير زاب وأهل تهرت وقبيلة زناتة في تلمسان، كما قام الأمير بلكين بن زيري بتأسيس مجموعة من المدن منها مدينة الجزائر ومدينة المدية ومدينة مليانة.¹

هذه المدينة التي أسسها ما بين سنتي 355 و 370 هـ / 972 / 980 م بأمر من أبيه زيري بن مناد وفي هذا الصدد يقول "جدّها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين² على أطلال المدينة الرومانية القديمة زوكابار بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدينة، حيث أصبحت من أعظم مدن المغرب الأوسط³ حين اتخذها بلكين كمقر لسكناه وحصد من خلالها شوكة زناتة⁴.

خلف بلكين ابنه أبو الفتوح باديس المنصور الذي كان يميل إلى الانفصال عن الدولة الفاطمية وبعد وفاة المنصور سنة 386 هـ / 996 م خلفه ابنه باديس على العرش الزيري، حيث عين حماد بن أبي الفتوح على ولاية اشير، وأصبح حماد من الرجال المخلصين لباديس الذي شارك إلى جانبه في العديد من الحروب ضد خصومه في المغرب الأوسط⁵.

في سنة 398 هـ 1007 م / 1008 م أذن باديس لحماد بتأسيس قلعة بني حماد الذي استقر بها، والتي كانت تسمح له بمراقبة القبائل الزناتية بسهولة، وقد ارتفعت هذه القلعة كثيرا في عهد حماد الذي عظمت هيئته، وتعددت انتصاراته حتى أصبح باديس يتوجس خيفة منه، ويتوقع عصيانه، فأراد أن يكشف نواياه، فاغتنم فرصة إرسال الخليفة الفاطمي بولاية العهد إلى المعز ابنه⁶، فطلب باديس بعض ما بيده من الأعمال التي أقطعه إلى نائب ابنه المنصور، وهي مدينة تجيس وقصر الإفريقي وقسنطينة⁷.

1- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم، ج 2، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، مكتبة النهضة الجزائرية 2004، ص 161.

2- ياقوت الحموي، المصدر السابق ص 196.

3- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج6 المصدر السابق، ص 181 .

4- مبارك بن محمد الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص 161 .

5- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د م ج، الجزائر 1397 هـ / 1977 م، ص 10 .

6- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، الجزائر القديم والوسيط ، د م ج ، الجزائر 1999، ص 148.

7- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ط3، صححه محمد يوسف، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ص 86

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الا ان حماد أبي وخالف دعوة باديس وقتل الرفضة¹، وأظهر السنة ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيدين جملة وراجع دعوة آل العباس، سنة 404 هـ وبإعلان عن تأسيس الدولة الحمادية ومذهبها الديني الرسمي هو المذهب السنّي. وفي سنة 440 هـ عرفت إفريقيا غزو قبائل بني هلال²، الذين أرسلهم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بسبب قطع أمراء بنو زييري العلاقة معهم، وإعلان ولائهم للخلفاء العباسيين³. وفي الوقت الذي كانت فيه قبائل بنو هلال تقضي على الدولة الزيرية في إفريقيا، عرفت الدولة الحمادية ازدهارا وتطورا في القلعة سواء في الجانب الاقتصادي أو الحضاري، حيث توافد إليها العديد من العلماء والطلّبة خوفا من بطش القبائل الهلالية، الأمر الذي أدّى إلى اكتظاظها بالسكان⁴، الأمر الذي دفع بالأمير الناصر بن علناس إلى إنشاء مدينة بجاية في سنة 460 هـ/1067م، وقام بإدخال عدد كبير من المدن تحت سلطة الدولة الحمادية من بينها مدينة مليانة التي كانت تسكنها تلكاتة الحمادية، حيث أصبحت في عهده ولاية حمادية عين عليها أخوه "كباب"⁵.

عرفت مدينة مليانة تطورا وازدهارا اقتصاديا خلال العهد الحمادي، حيث ازدهرت زراعة العديد من المزروعات، وأنشأت بها مطاحن مائية، بالإضافة إلى أنها كانت مركز عبور استراتيجي وحلقة وصل بين تنس وبنو وارينف وإلى أشير وإلى القلعة⁶. خلال منتصف القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي بدأ نجم الدولة الحمادية في الأفول، حيث دبّ الضعف في أوصال الدولة، وحدثت العديد من الاضطرابات أدّت إلى اختلال النظام

1- الرفضة اسم كان يطلق على الشيعة اتباع الفطمييين في شمال أفريقيا في العصور الوسطى.

2- بنو هلال: أصلهم من القرامطة، وهم من جثم والاثيج وزغبة ورياح وبنو ربيعة بن عامر وعدي وبنو سليم كانوا مستقرين في صعيد مصر أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6 المصدر السابق، ص 188.

3- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1982، ص 575.

4- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص ص 139.138.

5- Govlin L, op.cit p 112.

6- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 141.140.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الاجتماعي والأمن العام، بسبب زحف القبائل العربية عليه، وأخذ زمام السلطان يفلت من يد صنهاجة في المغرب الأوسط تدريجياً إلى غاية ظهور ابن تومرت الذي أخذ يقوّي نفوذه في بلاد المغرب، ومن بعده خليفته عبد المؤمن بن علي، إلى أن زالت الدولة الحمّادية وسقطت في يد الموحّدين سنة 547هـ/1153م¹.

2-2-8 العهد المرابطي:

تنتمي هذه الدولة إلى قبيلة لمتونة إحدى فصائل قبيلة صنهاجة، واشتهرت باسم دولة الملثّمين، كانت تستقر بأعماق الصّحراء فيما بين بلاد البربر والسّودان والسّنغال، وكان دينها المجوسية، ثمّ ظهر فيهم عبد الله بن ياسين الجازولي²، الذي قام بتعليمهم مبادئ الدّين الإسلامي³ وأسس رباطه بمصب السنغال بغية تنظيف المجتمع من أدران الفساد، فلازمه منهم مجموعة عرفوا باسم المرابطين⁴، وهم الذين ساهموا في تأسيس الدولة المرابطية سنة 448هـ/1056 م، وقد اشتدّ أمرهم في عهد الأمير يوسف بن تاشفين من قبيلة لمتونة الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة المرابطية، الذي يرجع إليه الفضل في إتمام الفتح الإسلامي ببلاد المغرب وتأسيس مدينة مراكش سنة 454هـ، كما أنّه قام سنة 472هـ/1079 م بالسّير إلى محاربة قبيلة مغراوة وملوك تلمسان في المغرب الأوسط واستولى عليها واختلط بها محلته المشهورة "تاكرارت" واتخذها معسكراً لجيشه بجوار أغادير القديمة⁵، وفي النّصف الثّاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، بسط المرابطون نفوذهم على بلاد المغرب الأوسط، وأصبحت حدود ممتلكاتهم محاذية لدولة بني حماد، وذلك تحت قيادة يوسف بن

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 138.

2- ولد عبد الله بن ياسين من أب صنهاجي يدعى ياسين بن مكوك بن سبر علي، تنسب إلى قبيلة جدالة التي تضرب قرب منطقة السنغال، خرج من مسقط رأسه في فجر شبابه ليشتبع رغبته في العلم، تتلمذ على أئمة الفقهاء في المدارس التي انتشرت في المغرب كله، إلى أن أصبح فقيهاً، استشهد عام 451هـ/1059 م، انظر: محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص 27.

3- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965 م، ص 405.

4- المرجع نفسه، نفس 405 .

5- صالح بن قرية، المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 517.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

تاشفين، الذي افتتح في سنة 474 هـ/1080م مدينة تنس ووهران ومليانة والونشريس ومنطقة الشلف¹ بكاملها، وواصل زحفه نحو متيجة وسيطر على مدينة الجزائر. ونحن لا ندري ما حدث لمليانة في هذه الفترة في ظل شح المصادر التاريخية.

2-2-9 - العهد الموحدى:

قامت الدولة الموحدية على يد الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومرت² من هرغة إحدى بطون مصمودة بالمغرب الأقصى³، حيث انتشر خبره في كامل بلاد المغرب والأندلس، فاجتمع كثير من الناس حوله في مدينة بجاية، فخاف منه الأمير الحمادي وطلب منه الخروج من المدينة، فخرج منها واستقر بقرية بجواره يقال لها ملالة، فأقام بها أشهراً، وكان عندما يقيم في كل مدينة يمر بها يقوم بالتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁴، منها مدينة مليانة التي مر بها في سفره⁵.

ظهرت شخصية مهمة في حياة ابن تومرت ألا وهو عبد المؤمن بن علي الذي كان متّجهاً إلى المشرق لطلب العلم، إلا أن ابن تومرت طلب منه أن يبقى بالمغرب حيث كشف له بالدور الذي سيقوم به، وبعد ذلك سافر المهدي إلى المغرب الأقصى إلى أن استقرّ به الحال بتتمل، حيث بدأ فيها بتنظيم أتباعه الذين بايعوه فيها سنة 515 هـ / 1121 م، ولقبوه بالمهدي المنتظر، فأخذ يقود الجيوش بنفسه في بعض المعارك التي أظهر فيها إقداماً وتصدياً حتى أنه كان يتعرّض مرّات إلى السقوط والجروح أثناء القتال⁶، وبعد وفاة ابن تومرت خلفه عبد المؤمن بن علي في قيادة الجيش وبويع من طرف أتباعه لقيادة الخلافة الموحدية، حيث شرع عبد المؤمن في القضاء على الدولة المرابطية وعمل على بسط سلطانه على كامل بلاد المغرب في

1- عبد الرحمان بن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 220.

2- عبد الرحمان بن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 266، 267.

3- محمود السيد، المرجع السابق، ص 74.

4- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي، اخبار المهدي ابن تومرت، تقديم وتحقيق حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 29.

5- المصدر نفسه، ص 19.

6- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، ط2، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس 1392 هـ، ص ص

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

سنة 543 هـ، حيث سقطت مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط سنة 541 هـ / 1146، وفي سنة 544 هـ / 1149 فتحت مدينة مليانة ومدينة الجزائر¹.

عمل عبد المؤمن على تقوية نفوذ مراكش سياسيا وعلميا، حتى أصبحت مكانتها كمكانة بغداد عاصمة العباسيين في المشرق، كما كان له الفضل في جهاد النصارى في الأندلس، وبعد أن انتهى من وضع أسس الدولة وافته المنية سنة 558 هـ/1163م.

خلف عبد المؤمن أبنائه وأحفاده الذين واصلوا توسيع رقعة الدولة وتقوية أركانها، وفي فترات لاحقة تعرّضت مدينة مليانة إلى هجومين من بعض فلول الدولة المرابطية، حيث شنّ علي بن اسحاق بن غانية هجوما على مدينة مليانة واسند إدارتها إلى بدر بن عائشة، أمّا الهجوم الثاني فكان من قبل بني غانية² أيضا بقيادة يحيى اللّذي هزم منديل بن عبد الرحمان شيخ مغراوة في واد جر والذين تمكنوا من هزمه لاحقا في معركة في وادي الشلف³.

وبعد هذه الفترة لا نعرف ما جرى من أحداث لمدينة مليانة، لكن كما هو معروف أن الدولة الموحدية بدأت تضعف بوفاة يوسف المستنصر عام 620 هـ / 1123م، وظهرت الفتن وضعف الأمراء، فاغتنمت بعض الأقاليم فبدأت بالانفصال مثل الأندلس وتبعتها أفريقية، وبدأ نفوذ الموحديين يتقلص بالمغرب الأقصى نفسه حتى قضى المرينيون على الموحديين سنة 668 هـ/1269م، وبذلك انتهى الوجود الموحدى ببلاد المغرب⁴.

1 -M,Kaddache ,**l Algérie médevale**,2 eme edition, enterprise nationale du livre , Alger 1992,p117.

2- أولاد المرأة التي يقال لها غانية بنت عم يوسف بن تاشفين، وأبوهم مسوفي من صنهاجة يقال له علي بن يحيى المسوفي، كان من الشجعان وبالمكانة العظيمة عند يوسف بن تاشفين فلذلك زوجه ابنة عمه غانية فانتت معه بولدين هما: يحيى ومحمد اللذان ولاهما علي بن يوسف بالأندلس أنظر: الآغا المزارى، المصدر السابق، ص 140.

3 - المصدر نفسه، ص 141، 140.

4 - محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، ط 1، القاهرة 1384 هـ/1964م، ص 369.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-2-10- العهد الزياني، المريني، الحفصي:

كان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط، ثم أتاحت لهم الظروف الاستقرار وتكوين دولة استمرت زهاء ثلاثة قرون من الزمن، وفرضوا أنفسهم فرضاً على الأهالي في هذه البلاد¹، عندما تولى يغمراسن بن زيان أمرهم بعد موت أخيه أبي عزة زكدان بن زيان سنة 633هـ/1235 م²، حيث عمل يغمراسن على توسيع نطاق دولته داخل المغرب الأوسط فدخل في صراع مع بني توجين وبني منديل في ناحية الشلف ومليانة وبتنس وبرشك وشرشال، وواصل توسّعه إلى متيّجة ومد سلطانه إلى الونشريس³.

وفي سنة 659 هـ خرج الأمير الحفصي أبي حفص ومعه الأمير أبو زيد بن جامع ومغبدون بن فرندة النّصراني، وطبقات الجند من تونس حتى وصل إلى مليانة التي ضرب عليها حصاراً شديداً وقصفها بالمنجنيق حتى دخلوها يوم عيد الفطر، حيث قرّ حاكمها أبو علي الملياني إلى أهالي العطاف ثم إلى المغرب الأقصى، ولما دخل الأمير الحفصي أبي حفص عين بن منديل أمير مغراوة حاكماً عليها وقفل راجعاً إلى تونس.

وبعد الفتنة التي حدثت بين أبناء منديل قام السلطان الزياني بإخضاع القبائل المعادية له كمغراوة وتوجين، فتنازل حاكم مليانة عمر بن منديل إلى يغمراسن التي دخلها سنة 688هـ/1270م الذي عينه حاكماً عليها وعزل أخاه ثابت بن منديل⁴.

وفي سنة 680هـ قام الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق بمهاجمة يغمراسن في تلمسان بمعية توجين، لكنهما لم يقدرتا على دخول تلمسان، فتوجّها نحو الشرق فاستولوا على مستغانم وبتنس وشرشال ومازونة ومليانة والمدية والجزائر، وبالتالي سيطر بنو مرين على كامل المغرب الأوسط عدا تلمسان⁵.

1 - محمد مبارك الميلي، ج2، المرجع السابق، ص 722.

2- بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، د م ج، الجزائر، 1993، ص 26.

3- عبد الرحمان بن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 102.

4- علي ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط المغرب، 1972، ص 121.

5- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 206، 207.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وفي سنة 681 هـ قام يغمراسن بالزحف من تلمسان بجيشه نحو توجين انتقاما منها لوقوفها إلى جانب بني مرين، حيث حرر تنس من ثابت بن منديل ودخل مليانة، ولما قفل راجعا وافته المنية في سهول الشلف في واد رهيو سنة 681 هـ/1286 م، أين خلفه ابنه الأمير سعيد عثمان الذي عقد صلحا مع بني مرين لينتزع إلى مقاتلة قبائل مغراوة وتوجين إلى العمل على إخضاعها لسلطته، حيث أذنت له مازونة وتنس وكل أقاليم مغراوة¹.

وفي سنة 689 هـ/1294 م خرج الأمير أبي سعيد عثمان مرة أخرى أي مغراوة، فأخضعها ثانية وعين ابنه أبا حمو بالشلف مركز تمرد مغراوة، حيث فر بعض أعيانها إلى متيجة وعلى رأسهم ثابت بن منديل، حيث سار إليهم عثمان سنة 693 هـ/1297 م ففرّوا إلى برشك²، حيث لحقهم عثمان كذلك وحاصرهم، مما أجبر ثابت بن منديل إلى الفرار إلى المغرب الأقصى عند الأمير المريني يوسف بن يعقوب عبد الحق³.

بعد وفاة الأمير الزياني أبي سعيد عثمان سنة 703 هـ/1308 م خلفه ابنه أبو زيان محمد الذي خرج لقتال مغراوة وتوجين حلفاء بني مرين، حيث نكّل الأمير الزياني بتوجين شر تتكيل ثم توجه إلى مغراوة ونكّل بها وانتزع العديد من أقاليمها، وعاد إلى تلمسان وبعد وفاته سنة 707 هـ/1312 م قام بشؤون البيت الزياني أخوه أبو حمو الذي سار على نفس نهج أخيه، حيث خرج لمحاربة مغراوة وتوجين سنة 710 هـ/1315 م حيث عين ابنه محمد ابن عمه يوسف اميرا على مليانة، والتي ظلّت متأرجحة بين حكم الزيانيين تارة وحكم مغراوة تارة أخرى، وحكم المرينيين تارة أخرى، خاصة في عهد الأمير المريني أبو الحسن الذي استولى على تلمسان والمغرب الأوسط بما فيه تنس ومليانة سنة 736 هـ/1336 م.

خلف الأمير الزياني أبو حمو الأمير أبو حمو موسى الثاني، الذي تمكّن من استرجاع تلمسان من محمد ابن السلطان أبي عنان المريني، وتمكّن من استرجاع أجزاء من المغرب الأوسط عام 760 هـ/1359، خاصة الأقاليم الشرقية منها خاصة مليانة التي كانت خاضعة لحكم قبيلة

1- عبد الرحمان بن خلدون ج 7، المصدر السابق، ص 109.

2- برشك: مدينة قديمة بها مرسى صغير، تسمى قوراية حاليا، تقع في ولاية تيبازة، انظر: الحاج محمد بن رمضان شاوس، باقة الفرسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، د م ج، الجزائر 1995، ص 88،90.

3- عبد الرحمان بن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 110.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

سويد، وفي ذات السنة عاود المرينيون الهجوم على تلمسان التي سيطروا عليها، الأمر الذي أدى بالأمير أبي حمو موسى إلى الفرار إلى الجنوب¹.

لم تعرف مليانة الاستقرار بسبب الصراع الذي كان دائرا بين الأمراء الزيانيين أنفسهم، حيث دخل أبي حمو موسى في حروب مع أبي زيان من جهة ومع ابنه أبا تاشفين من جهة أخرى، الذي دخل في حرب مع أبيه الذي فرّ إلى السلطان الحفصي، حيث أحسن استقباله وكان ذلك أواخر 789هـ².

وفي عهد الأمير الزياني يوسف بن أبي حمو موسى دخلت مليانة في الصراع القائم بين الزيانيين من جهة والمرينيين من جهة أخرى إلى غاية أواخر سنة 841هـ/1439م في عهد الأمير الزياني أبي زيان محمد المستعين، الذي جهز جيشا بقيادة ابنه أبي عبد الله المتوكل، الذي سار به إلى متيجة والمدية ومليانة وتنس وقام بفتحها³.

عرفت مدينة مليانة العديد من الاضطرابات، خاصة في عهد الأمير الزياني أبي حمو الثالث، حيث كان الصراع على أشده بين الزيانيين والمرينيين من جهة وبين الزيانيين والحفصيين من جهة أخرى، يضاف إلى هذا ظهور الخطر الإسباني على سواحل المغرب الأوسط بداية مع القرن السادس عشر ميادي⁴.

1- يحي بن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 213.

2- عبد الرحمان بن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 171.

3- المصدر نفسه، ص 176.

4- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 29.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-2-11 - العهد العثماني:

عرفت الجزائر بداية القرن 16 م/10هـ قدوم الأتراك، ففي سنة 1519 قدم الإخوة عروج وخير الدين إلى الجزائر وبعد أن سيطروا على مدينة الجزائر¹ توجه الإخوة بربروس نحو باقي جهات الوطن من أجل السيطرة عليها، فتوجه نحو الجهة الغربية² على رأس قوة تتألف من خمسمائة جندي من الأتراك ومن مهاجري الأندلس³، حيث استولى على سهول متيجة والشلف وعلى سلسلة الظهرة بما فيها شرشال ومليانة وتنتس⁴.

لقي عروج مقاومة شديدة من قبل شيخ سويد* حميد العبد، الذي كان يقطن بنتس، ولما تولى خير الدين بربروس منصب بايلرباي على الجزائر أدخل مليانة وضواحيها تحت حكم دار السلطان، يشرف على تسييرها حاكم الجزائر بواسطة خوجة الخيل⁵.

أدرك الأتراك أهمية مليانة من الناحية الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية، فأسكنوا بضواحيها قبائل المخزن، غير أن قبائل المنطقة رفضت هذا الأمر، خاصة قبائل ريغة، ففي سنة 1544م قام الحاج البشير بشن هجوم على المتمردين، وهناك تجمع الناس حول قائد يدعى "بوطريق" شيخ سماتة، حيث هاجم القائد التركي "حسن" حاكم مليانة واغتاله قرب حمام ريغة، كما تمكن من الانتصار على الحراس الأتراك وواصل طريقه إلى متيجة وقام بنهبها، ثم اتجه إلى مدينة الجزائر العاصمة لمحاصرتها، في حين هاجم الحاج البشير باشا العصاة وأجبر قبيلة سماتة إلى الفرار نحو الغرب⁶، الأمر الذي أجبر القائد بوطريق إلى الفرار كذلك نحو فاس⁷.

1- صالح عباد، المرجع نفسه، ص 21.

2- مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 147.

3- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1989م، ص 172.

4- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 32.

*سويد: قبيلة مشهورة تقطن بالمنطقة الممتدة بين مستغانم والشلف، ويطلق عليها حاليا اسم المحال، انظر الاغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 74.

5- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 31.

6- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 172.

7- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 32.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

عرفت مليانة فترة لا استقرار في ظل الحكم العثماني الذي لم ينل رضى القبائل المحلية، لكن عندما ضعف هذا الأخير، دخلت مليانة تحت حكم سلطان المغرب الأقصى، حيث عين الأمير المغربي عبد الرحمان في 08 مارس 1831 محي الدين والد الأمير عبد القادر خليفة على تلمسان لإزالة الخلاف بين الحضر والكراغلة، وكلفه السلطان بإرسال الحاج المعطي إلى المدينة ومحمد الشرقي إلى مليانة لإدارة شؤون هاتين المدينتين، ووضعهما تحت السلطة المغربية، حيث دام هذا الوضع إلى غاية شهر ديسمبر 1831 رغم معارضة الإدارة الفرنسية¹. في 24 نوفمبر 1832 م بويغ الأمير عبد القادر كسلطان على الجزائر²، الذي عمل تضييق الخناق على الاحتلال الفرنسي خاصة في القسم الغربي والأوسط من الجزائر، الأمر الذي أجبر الجنرال دي ميشال إلى الدخول في صلح مع الأمير بموجب معاهدة دي ميشال في 1834/01/24 م، وبموجب هذه المعاهدة عمل الأمير على توسيع دائرة نفوذه، وذلك بالسيطرة على المدينة ومليانة في أبريل 1835، حيث عين محي الدين الصّغير كخليفة على مليانة وناحيتها من وادي الشلف إلى وادي الفضة³.

وفي 30 ماي 1837 عقد الأمير عبد القادر معاهدة صلح مع الماريشال بيجو، سميت هذه المعاهدة بمعاهدة تافنة⁴، شرع الأمير على إثرها بتقسيم البلد إلى عدة مقاطعات منها مقاطعة مليانة التي جعل على حكمها خليفته محمد بن علاّ، حيث استقر الأمير عبد القادر في مليانة في الفترة الممتدة من 17 فيفري إلى 7 جوان 1839 م، وفي هذه الفترة استقدم الأمير خبيرا في المعادن اسمه "دوكاس"⁵ Decasse من أجل صنع الأسلحة، كما أقام الأمير الأمير مصنعا لصنع البنادق وآخر لصنع البارود.⁶

1- محمد الحاج صادق المرجع السابق، ص 36.

2- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2، دار البيضة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت 1964، ص 159.

3- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 41.

4- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 33.

5- دوكاس: مهندس فرنسي خبير في صناعة الأسلحة، هرب من الجيش الفرنسي واعتنق الاسلام، انظر:

محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 51.

6- شارل هنري شرشل، حياة الامير عبد القادر، تر: وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 139.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وبعد نقض المعاهدة شنّ الجنرال فالي حملة عسكريّة شرسة على مدن المدية وشرشال ومليانة، التي احتلّها في 15 جوان 1840، حيث قام سكانها قبل الخروج منها بإشعال النيران فيها ممّا تسبب في إحراق جزء منها، كما بقي الأمير يقاوم في القوّات الفرنسيّة مدّة ثلاث سنوات في ضواحي مليانة وخليفته محمد بن علّال الذين كبدوا بيجو وقواته خسائر فادحة، إلّا أنّ حملة الجنرال فالي في نوفمبر 1841¹ على مليانة أسفرت عن استشهاد الخليفة بن علّال وتكريس الوجود الفرنسي في المدينة بصفة نهائيّة إلى غاية الاستقلال عام 1962م.

1- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 51.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-3-النسيج العمراني لمدينة مليانة خلال العهد العثماني:

يقوم النسيج العمراني لمدينة مليانة وفق النمط الإسلامي، فنجد أول ما بني فيها المسجد الجامع الذي يسمى بجامع البطحاء في المركز، ولقد حكمت هذه الأهمية للمسجد الجامع موضعه في المدينة باعتباره النواة الأساسية في تخطيطها، فقد كان أول ما يخطط في المدينة الإسلامية وإليه تنتهي الشوارع والأزقة¹، كما أوجبت الضرورة الوظيفية مجاورة دار الإمارة للمسجد الجامع، حيث بنى الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا ملاصقا للمسجد، وهذا ما نشاهده في مدينة مليانة، حيث نجد دار الإمارة المسماة حاليا دار الأمير عبد القادر بالقرب من المسجد الجامع، لكن لم يتم التأكد هل كانت مجاورة له أو ملاصقة له لأن المسجد تعرض للهدم من طرف الاستعمار الفرنسي، كما اتبع في تأمين دار الإمارة وعزلها عن مساكن العامة والأسواق².

وعند الانتهاء من بناء هذين العنصرين، يتم بعد ذلك بناء المنازل والدور والحمامات والفنادق وغيرها من المرافق المدنية، وفق شروط حضارية تدعو إلى المحافظة والتزام والحشمة، وتوفير أسباب الحصانة والراحة للمنازل وللخليفة السكنية عن طريق عزل المساكن ووضعها بعيدة عن مسالك التنقل الكبرى، حتى توفر مزيدا من الأمن والراحة³.

ولذلك بنيت مساكن مليانة بنمط التجمعي، كأنها كتلة واحدة تتخللها إتواءات الشوارع وضيقها وتشعبها وتفرعها كأنها شرايين قلب، ومنها تتوقف عند أحد المنازل وهذه تسمى الدرب⁴، وهذا ما بينه لنا "لبران اكيلاس Lebrun Aquilas"⁵ عند وصفه لمدينة مليانة سنة 1841، أي تزامنا مع الاحتلال الفرنسي لها، حيث قال عنها: "وأما الديار فهي أدرب وأزقة ضيقة ملتوية، وللديار طابق أرضي وطابق أول، وقد أحرقت عام 1840، وكان السكان فيما يبدو في السّتر والرّحاء، ولكلّ دار باحتها الداخليّة وأروقته على أساطين من حجر أو من

1- سعيد ناصف، المدينة الإسلامية دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999، ص 55.

2- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ط1، دار الافاق العربية، القاهرة، 1999، ص 239.

3- عبد العزيز الدولاتي، "المدينة العربية التقليدية بين الاصلية والمعاصرة"، الندوة العالمية الأولى للأثار الفلسطينية، مجلة

نصف سنوية مارس سبتمبر 1402هـ/1982م، جامعة حلب، م ع ت ث ع ، 1401هـ/1981م، ص 154، 155.

4- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 25.

5- لبران اكيلاس، هو طبيب عسكري في جيش الاحتلال الفرنسي.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

آجر، أمّا الرّخام، فنادر والحيطان من تراب والسقوف من أخشاب مركّبة من القصب على الأسلوب الإيطالي، والقصبة على شفاف صخرة وعرة في جنوب المدينة، بها بعض القاعات المقبّبة ولها مسجدها.¹

ونحن سوف نسلّط الضّوء على نماذج من المرافق العمرانيّة، التي شكّلت النسيج العمراني في مدينة مليانة قبل فترة الاحتلال الفرنسي وفق النمط التّالي:

2-3-1- المنازل:

في هذه المسألة سوف نشير إلى نماذج من المنازل الأتي احتضنتها مدينة مليانة خلال العهد العثماني منها: دار الباي، ودار بن زيان، ودار جبلاوي محاولين الإشارة إلى بعض عناصره المشكلة لها، وكذا طابعها المعماري الذي طبعت به.

2-3-1-1- دار الباي:

تفيد بعض المعلومات التاريخية بأن تاريخ تشييد هذا المبنى يرجع إلى بداية العهد العثماني² غير أنّ تاريخ بناءها غير معروف، ويرجح أنّه كانت مقرا للحاكم التّركي حسن الذي قتل من طرف "بوطريق" في سنة 951هـ/1544م³، ثمّ اتّخذها الحاكم عثمان الكردي والد محمّد الكبير الذي كان قائدا على مليانة ثمّ بايا على المدينة⁴ كمقر له في أواخر القرن 19م⁵، ومن المحتمل أن تكون كذلك مقرا لخليفة الأمير عبد القادر محي الدين الصّغير في أفريل 1835م.

استقرّ الأمير عبد القادر فيها في الفترة الممتدة من 17 فيفري إلى 7 جوان 1839⁶، وبعد الاحتلال الفرنسي حولت هذه الدار إلى مركز للمقاطعة العسكرية تحت قيادة العقيد ديلايس والجنرال سانت أرنو، وفي 8 ماي 1865 زارها الإمبراطور نابليون الثالث خلال زيارته للجزائر،

1- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 52.

2- عباس كبير بن يوسف، المرجع السابق، ص 9.

3- المرجع نفسه، ص 4

4- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

1981، ص 151.

5- Gorguos, Notice sur le bey d Oran Mohamed el kebir, revue africaine 1856/1857, offices des publications univerrsitaires , Alger , p405.

6- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 50.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وفي سنة 1859 حوّل جناح منها إلى متحف لحفظ البقايا الأثرية للمنطقة¹، وابتداءً من سنة 1962 إلى غاية سنة 1970م استعملت كمقر لحامية الجيش الوطني الشعبي، ومن سنة 1986م إلى غاية 1995 خضعت لعملية ترميم وبعدها حوّلت إلى متحف بلدي، وهي حالياً تعرف بدار الأمير عبد القادر، تقع هذه الدار في مركز مدينة مليانة، يحدها من الشمال ساحة الأمير عبد خالد المعروفة بـ "الساعة" والتي كانت في العهد العثماني مكان المسجد الجامع المسمى "البطحاء" والذي هدم في الفترة الاستعمارية، ومن حيث أقسامها الداخلية فقد ضمت مدخلا رئيسيا في الواجهة الشمالية، والذي يبلغ ارتفاعه 2.50م وعرضه 2م، يحتوي على باب خشبي يعود إلى الفترة الاستعمارية، يؤدي إلى دهليز أو ممر مسقوف منكسر طوله 15م وعرضه 4.10م من الجهة الشمالية ثمّ يضيق من الجهة الجنوبية بـ 3.20م/ وهو مسقوف، يؤدي هذا الممر إلى داخل الدار انظر الصور المرفقة².

كما تحتوي دار الباي على سقيفة في الجهة الشرقية، يتمّ الدخول إليها عبر مدخل بباب خشبي ارتفاعه 2.50م وعرضه 1.40م، وهي ذات شكل مستطيل بقياس 2.60/5.60 تعرضت إلى عدّة تغييرات خلال الفترة الاستعمارية، الأمر الذي أفقدها طابعها الأصلي. ضمت دار الباي فناءً جاء على شكل مربع مقاساته 7/6م وهو يتوسط الدار، وتشرف عليه مجموعة من العقود المرتكزة على أعمدة متنوعة ومتوجة بنتيجان من جهاته الأربعة في كل من الطابق الأرضي والعلوي، تتوسطه فسقية هي عبارة عن صخرة طبيعية غير منتظمة وضعت داخل حوض دائري من الحجر الجيري، أما بالنسبة للأروقة فيوجد بها أربعة أروقة موزعة على أربعة أجنحة، تفتح عليها أبواب ونوافذ الوحدات السكنية والمرافق المعيشية، وإن كانت قد تعرّضت إلى التّغيير خلال الفترة الاستعمارية³.

أمّا فيما يخصّ الوحدات السكنية، فإنّ دار الباي تحتوي على طابقين، طابق سفلي وطابق علوي، حيث يحتوي الطابق السفلي على حجرتين فقط، يتمّ الدخول إليهما من بايين مفتوحين على الرواقين، يبلغ ارتفاعهما 2.30م وعرضهما 1.25م، تأخذ الحجرتين شكل مستطيل، فالغرفة الغربية مقاساتها 2.30/10.10م، يوجد وسط جدارها الغربي دخلة على شكل إيوان

1- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 58.

2- زيارة ميدانية لمدينة مليانة يوم الاحد 17مارس 2019 تمت فيها زيارة دار الباي.

3- زيارة في نفس التاريخ

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

معقود بعقد منكسر، يبلغ ارتفاعه 2.40م وعرضه 2م وعمقه 1.10م، كما فتحت فيها خمس نوافذ لها نفس الاشكال والمقاسات يوجد اثنان منها في الجدار الشرقي تطلّان على الصّحن، وثلاثة في الجدار الغربي مفتوحة على الحديقة يبلغ ارتفاعها 1.15م وعرضها 1م، كما تحتوي على خزانة جدارية في جدارها الشرقي من الناحية الشمالية وارتفاعها 1م وعرضها 0.80م، بلطت أرضيتها ببلاطات حديثة، وسقفت من خشب العرعار، أمّا الحجرة الجنوبية فهي كبيرة الحجم مقاساتها 2.20/11م، تحتوي على نافذتين واحدة في جدارها الشمالي من الجهة الغربية تطل على الصحن والأخرى في الجدار الجنوبي الغربي تطل على الحديقة، تشبه النوافذ الأخرى، أرضيتها مبلطة ببلاطات حديثة، وسقفها من خشب العرعار.

أمّا الطابق العلوي فيشتمل على قاعة الدّيون وست غرف، يتم الوصول إليها من السلم الصّاعد من الجهة الشرقية، والذي يؤدّي إلى قاعة الدّيون في الرّواق الشمالي، وهو عبارة عن رحبة واسعة مفتوحة على الرّواق بمجموعة من الأعمدة الحلزونية المضلّعة تحمل عدّة عقود مخصّصة للجلوس مع الضيوف والزوّار وتبلغ مقاساته 2.40/7.30م، تحتوي على إيوان في الجدار الشمالي ارتفاعه 2.40م وعرضه 2.30م وعمقه 1.10م، يعلوه عقد منكسر مؤطر بإطار من الجصّ، تتوسّطه نافذة تشبه النّوافذ السّابقة الذّكر، ويوجد في جانبه الشرقي والغربي كوتين صغيرتين ارتفاعهما 0.23م وعرضهما 0.18م، وكذلك فتح على يمينه ويساره نافذتين تطلّان على الشّارع تشبه سابقتها، أمّا من الجهة الشرقية والغربية فقد فتح فيهما مدخلان متشابهان معقودان بعقد منكسر تعلوهما ثلاثة شمسيات ارتفاعها 2م وعرضها 1م.¹

2-1-3-2 دار بوزيان:

توجد هذه الدّار في النّاحية الشرقية من المدينة، يحدّها من الجنوب نهج بن شعبان عبد الحفيظ، ومن الشّرق نهج محبوب أحمد، أمّا من الجهة الغربية والشمالية، فهي ملاصقة لبعض المنازل التي تعود إلى الفترة الاستعماريّة تظهر بها واجهتان فقط، واجهة غربيّة التي يبلغ طولها 12.81م تحتوي على المدخل الرّئيسي، وفيها ثلاث فتحات ونافذة صغيرة، أمّا الواجهة الجنوبيّة فطولها 17.72م، ونجد فيها كذلك مدخل آخر وشرفة في الطابق العلوي، كما أنّها تحتوي على ثلاثة فتحات صغيرة وضيقة حيث جاءت الواجهة الشرقية منحرفة من الواجهة الغربية، والتي

1- زيارة الى دار الباي يوم الاحد 17مارس 2019.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

يبلغ طولها 15.65م فهي لا تكون زاوية قائمة عند التقائهما مع نهاية الواجهة الغربية، وهذا معروف في البيوت التي تقع في الأركان خاصة إذا كان الشارع مائلاً، مثلما نلاحظه في الشارع الغربي، وهذه الظاهرة منتشرة حتى في بعض البيوت العربية في مصر وبلاد الشام¹، وقد فتحت فيها نافذة حديثة أما الواجهة الشمالية، فهي ملاصقة لمساكن اجتماعية في الطابق الأرضي وطولها 9.30م، فتحت فيها نافذة في الطابق العلوي.

أما فيما يخص الأقسام الرئيسية بها، فهي تحتوي على مدخلين رئيسيين، يقع المدخل الأول المستعمل بكثرة في الجهة الجنوبية، يبلغ ارتفاعه 2.75م وعرضه 1.30م، وهو مؤطر بإطار عليه باب خشبي بمصارع شكلها غير منتظم، أما المدخل الثاني فيقع في الجهة الشرقية يقدر ارتفاعه بـ 2.40م وعرضه 1.20م، وهو مؤطر بإطار مستطيل بارز معقود بعقد مشرع، وهو خالي من الزخرفة عليه باب خشبي مزخرف بطريقة التشويق والتجميع².

أما عن سقيفة الدار فهي تعد من أجمل بيوت مليانة، حيث أنها مازالت محافظة على طابعها الأصلي، وهي ذات شكل مستطيل مقاساتها 3.30م/2.45م، يتم الوصول إليها من بابين واحد من الجهة الجنوبية والآخر من الجهة الشرقية عبر ممر منكرس يؤدي إلى مدخل ارتفاعه 1.75م وعرضه 0.77م، تحتوي على مقعد مكون من دعامتين من الحجر في الجدار الشرقي والجنوبي تبرز عنه 0.25م وترتفعان عن الأرضية بـ 50.م ويبلغ طولها 1.17م، كما يعلوهما عقدان منكسران بارزان محمولان على أعمدة أسطوانية ذات تيجان من النمط المحلي، ولقد فتحت بها مدخل بباب خشبي في الجدار الشرقي يؤدي إلى الصحن، ولقد بلطت أرضيتها بقطع مضلعة من الآجر الأحمر، وسقفها مسطح.

أما فيما يخص الفناء فقد جاء على شكل مربع بمقاس 3/3، لا توجد به نافورة، يتم الوصول إليه من السقيفة عبر مدخل ارتفاعه 2.25م وعرضه 0.85م، مبلط ببلاط من الرخام الأصلي الأبيض سداسي الشكل، أما الأروقة، فمازالت محافظة على طابعها الأصلي بمقاس 1.10/6، فهي تتكون من ثلاثة أعمدة حلزونية مضلعة في الطابق الأرضي وحلزونية بالطابق العلوي لكل رواق وتحمل كل منها عقدين منكسرين متجاوزين، ولقد كسيت أسافل الجدران بمربعات من

1- عبد القادر الريحاوي، البيت في المشرق العربي الإسلامي، مجموعة أبحاث المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، وزارة الثقافة، تلمسان، 1982، ص 11.

2 - زيارة ميدانية لدار بوزيان بتاريخ 23 مارس 2019

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الزليج على ارتفاع 1.10م ، كما بلطت أرضية أروقة الطابق الأرضي ببلاطات رخامية بيضاء سداسية الشكل، أما الطابق العلوي فقد بلط ببلاطات آجرية حمراء سداسية الشكل، وبالنسبة لسقفها فهو على شكل أقبية نصف أسطوانية مزودة بقطع خشبية بين كل قبو.

أما حجرات دار زيان بوزيان فهي موزعة على طابقين، الطابق السفلي والطابق العلوي، حيث نجد ثلاث غرف في الطابق السفلي موزعة على ثلاثة أروقة، وهي الجنوبية والغربية والشمالية، فالحجرة الجنوبية يتم الدخول إليها من الرواق الجنوبي عبر مدخل بباب بدقتين ارتفاعه 1.85م وعرضه 1م، وللاشارة فإن كل أبواب هذا الطابق متشابهة وتقدر مقاساتها بـ 2.45/5.20م تحتوي على نافذة تطل على الصحن ارتفاعها 1.10م وعرضها 1م معقودة من الداخل فقط بعقد اهليلجي، وهي عبارة عن غرفة نوم، سقفها على شكل تموجات تشبه الأقبية نصف الأسطوانية، أما الحجرة الثانية فتقع في الرواق الغربي يتم الدخول إليها عبر مدخل بباب خشبي بمصراعين، وهي مستطيلة الشكل مقاساتها 2.88/5.89م، فتحت بها نافذتين في الجدار الشرقي على يمين ويسار المدخل، وهي مخصصة للنوم كذلك، إلى جانبها تقع الحجرة الثالثة من الجهة الشمالية، يتم الدخول إليها من المدخل الذي يتوسط الجدار المطل على الرواق الشمالي، وهي كبيرة الحجم غير منتظمة الشكل يبلغ طولها 7.50م من الجهة الجنوبية و6.52م من الجهة الشمالية، أما عرضها فهو 2.87م، فتحت في جدارها الجنوبي نافذتين، واحدة على يمين المدخل والأخرى على يساره، تشبه نافذة الحجرة السابقة.

أما غرف الطابق العلوي، فهي خمس غرف، موزعة على الأروقة الأربعة، يتم الوصول إليها بعد الانتهاء من صعود السلم، حيث يوجد مدخلين، فالمدخل الأول شرقي يؤدي إلى الغرفة الأولى التي تقع في الجهة الشرقية، يحتوي على باب خشبي بسيط ارتفاعه 1.85م وعرضه 0.80م، وهو مشابه لباب المطبخ، وشكلها غير منتظم بسبب وقوعها في موضع انحراف الدار، حيث يبلغ طولها من الجهة الغربية 6م ومن الجهة الشرقية 7م، أما عرضها من الجهة الجنوبية 4م ومن الجهة الشمالية 2.40م¹.

أما المدخل الثاني وهو الغربي يبلغ ارتفاعه 1.80م وعرضه 1م، ندخل بواسطته إلى غرفة صغيرة الحجم مستطيلة الشكل مقاساتها 2.84/4.30م، حيث فتح في جدارها الجنوبي

1 - زيارة ميدانية لبيت بوزيان في نفس التاريخ السابق

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

ثلاث فتحات ضيقة مستطيلة مفتوحة على الشارع، وكذلك يوجد بها خزانة جدارية مربعة الشكل مقاساتها 0.80/0.80 م، تغلق بباب خشبية ذات دفتين ويعلوها عقد اهليلجي، كما فتحت بجانبها نافذة ضيقة من دفتين من الخشب عليها قطع من الزجاج، وهي معقودة بعقد نصف دائري ارتفاعها 0.40 م وعرضها 0.20 م مفتوحة على الشارع

يوجد في وسط الجدار الغربي مدفأة من الرخام الأبيض كما فتح فيه مدخل ارتفاعه 1.80 م وعرضه 0.65 م يؤدي إلى الغرفة الثالثة، وهي غرفة كبيرة الحجم تبلغ مقاساتها 2.88/8.50 م وتسمى قاعة الضيوف الخاصة بالنساء، وهذا حسب قول صاحب الدار، أما الغرفة الرابعة فتقع في الجهة الغربية، يتم الدخول إليها من الرواق عبر مدخل بباب خشبي مشابه لأبواب حجرات الطابق الأرضي، وهي مستطيلة الشكل مقاساتها 2.88/5.70، فتح في جدارها الشرقي نافذتان شكلهما مربع، تطل على الرواق تشبه نوافذ الغرفة السابقة وهي كذلك مخصصة للنوم، وبعدها نصل إلى الغرفة الخامسة في الجهة الشمالية، والتي نصل إليها عبر السلم الصاعد من الدويرة، ويطلق عليها اسم الغرفة الخاصة بالرجال أي الخاصة بالضيوف فقط، لذلك نجدها معزولة عن الغرف الأخرى، لتجنب الإحراج وتوفير حرية التحرك بالنسبة للنساء وتسهيل خدمة الضيوف، حيث أن السلم ثانوي لا يستعمل إلا للضيوف، يتم الدخول إليها عبر مدخل بباب خشبي يشبه باب الغرفة الثالثة، وهي كبيرة الحجم، تبلغ مقاساتها 2.88/8.50 م، تحتوي على أيوان في الجدار الشمالي ارتفاعه 2.50 م وعرضه 2 م وعمقه 0.50 م، وهو معقود بعقد نصف دائري تتوسطه نافذة مربعة الشكل مقاساتها 0.80/0.80 م، معقودة بعقد اهليلجي مزين في أطرافه بالخشب، كما كسيت سافل الغرفة بمربعات من الزليج بارتفاع 0.50 م، وهي تعد من أبهى وأجمل الغرف الموجودة في الدار.

2-3-1-3 دار جبلاوي:

توجد هذه الدار في الناحية الشرقية من المدينة، وبالضبط في شارع بوياريو حميد الذي يحدّها من الجهة الجنوبية، والذي نصل إليه من شارع العربي بو عمران الملياني، أما الجهة الشرقية والغربية فهو ملاصق لمجموعة من الوحدات السكنية منها ما يعود إلى الفترة العثمانية ومنها ما يعود إلى الفترة الاستعمارية وهو مدون تحت رقم 198/197 بالبلدية¹، تحتوي هذه

1-عباس كبير بن يوسف، المرجع السابق، ص 32.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الدّار على واجهة واحدة فقط تطلّ على الشّارع وهي الواجهة الرّئيسية، حيث تضمّ مدخلا كبيرا ارتفاعه 2.70م وعرضه 1.30م معقود بعقد مشرع، يحتوي على باب خشبي أصلي متوسط الحجم، تضمّ سقيفة تعرّضت للتّغيير فتح فيها باب من الجهة الشّمالية يؤدّي إلى الصّحن مباشرة، وحسب رواية صاحب الدّار فإنها كانت تحتوي على مقاعد حجرية في كل من الجهة الشّمالية والجهة الغربيّة، أمّا فناء الدار فهو مشابه لفناء دار زيان بوزيّان والذي سبقت الإشارة إليه، أمّا أروقة هذه الدار فقد بقيت محافظة على طابعها المعماري الأصلي، لقد أجريت عليها بعض التغييرات في الفترة الحديثة على أرضيتها، حيث بدلت بلاطاتها الأصلية ببلاطات حديثة، نظرا للتلف الذي ألحق بها، أمّا عن مقاساتها فهي تقدر بـ 1.10/5.60م وهي الأخرى تتألّف من ثلاثة أعمدة تحمل عقدين منكسرين في كلّ رواق، بالإضافة إلى وجود عقود منكسرة ركنية في كل الأروقة ما عدا الرّكن الشّرقي من الرّواق الجنوبي بالطابق الأرضي، وبالنسبة لسقفها فهو مسطح.¹

أمّا عن غرف هذه الدار، فعددها أربعة في الطابق السّفلي موزّعة على ثلاثة أروقة، فالحجرة الأولى تقع في الرّواق الجنوبي، يتمّ الدّخول إليها عبر مدخل بعقد منكسر متجاوز بباب خشبي من مصراعين ارتفاعه 2.20م وعرضه 1.20م ويلاحظ أنّ مقاساتها متشابهة في كل من الطابقين الأوّل والأرضي والحجرة ذات شكل مستطيل مقاساتها 2.20/6.80م، فقد فتح في جدارها الشّمالي المطلّ على الرّواق نافذة ارتفاعها 0.90م وعرضها 0.70م معقودة بعقد إهليلجي، وكذلك نجد في جدارها الجنوبي خزّانة جداريّة ارتفاعها 1م، وعند نهاية هذا الرّواق يقابلنا مدخل بباب خشبي من مصراعين يؤدّي إلى الحجرة الثّانية وهي شبه مربّعة تبلغ مقاساتها 2.20/2.40م، وقد فتح في جدارها الغربي نافذة على الرّواق تشبه نافذة الحجرة السّابقة، بلطت ببلاطات حديثة، وسقفها من خشب العرعار، تقع بجانبها الحجرة الثّالثة من الجهة الغربيّة الشّمالية، يتمّ الدّخول إليها عبر مدخل في نهاية الرّواق، وهي مستطيلة مقاساتها 2.20/4.60م، توجد بها نافذة مفتوحة على الرّواق تشبه النّوافذ السّابقة، أمّا الحجرة الرّابعة فتوجد في الجهة الشّمالية، لها مدخل في نهاية الرّواق الشّمالي، وهي أكبر الحجرات، تقدر مقاساتها بـ 1.80/7.10م، تحتوي على نافذة مفتوحة على الفناء تشبه النّوافذ السّابقة، وبجانبها

1- زيارة ميدانية لبيت جبلاوي بتاريخ 23مارس 2019.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

من الجهة الغربية توجد خزانة جدارية ارتفاعها 1م وعرضها 0.80م يعلوها عقد إهليلجي، هذه الحجرة مخصصة لاستقبال الضيوف، غيرت بلاطاتها الأصلية بسبب التلف، أما سقفها فقد سقفت بخشب العرعار بطريقة التقاطع بين الألواح المسطحة على عوارض غليظة ومتينة. أما عن غرف الطابق العلوي، فهي أربعة غرف لها نفس توزيع الطابق السفلي، فالغرفة تقع في الجهة الجنوبية، يتم الدخول إليها عبر مدخل معقود بعقد منكسر متجاوز مفتوح على الرّواق بباب خشبي من مصراعين، تأخذ شكل مستطيل مقاساتها 2/4.20م، تحتوي على نافذة مطلة على الرّواق تشبه نوافذ الغرف الأخرى، وهي مخصصة للأكل، وعند نهاية هذا الرّواق يقابلنا مدخل الغرفة الثانية مقاساتها 4.90 طولاً وعرضها غير متساوي، فمن الجهة الغربية يقدر بـ 2م ومن الجهة الشمالية الغربية بـ 2.20م، يوجد بها نافذة مفتوحة على الرّواق الغربي، تقع بجانبها الغرفة الثالثة، وهي تشبهها إلى حدّ كبير في مظهرها العام إلا في المقاسات والتي تقدر بـ 2.00/4.10م، وهما مخصصتان للنوم، وبالنسبة للغرفة الرابعة فهي تقع في الجهة الشمالية، لها مدخل في نهاية الرّواق الشمالي، بحيث أنها تعدّ من أكبر الغرف الموجودة في هذا الطابق مقاساتها 1.85/7.20م، تحتوي على إيوان في الجدار الشمالي مقابل للمدخل ارتفاعه 2.50م وعرضه 2م وعمقه 0.30م، كذلك تحتوي على خزانتي جداريتين، واحدة بجانب هذا الإيوان من الجهة الشمالية الشرقية، والأخرى في الجدار الجنوبي، وهي تشبهان الخزان السابقة، كما فتحت بجانبها نافذة تطلّ على الرّواق.¹

2-3-2- الحمّامات:

2-3-2-1 حمّام الشيخ: (سيدي أحمد بن يوسف)

يقع حمّام الشيخ في الجهة الغربية في مدينة مليانة، والذي يبعد عن مركزها أي مساحة الأمير خالد بحوالي 200م نحو الجهة الشرقية الجنوبية، حيث يقع بين شارعين، شارع أحمد محجوب من الجهة الغربية يقابله مسجد سيدي أحمد بن يوسف، ومن الجهة الشمالية حيث المدخل الرئيسي شارع بن رابح بن يوسف، أما الجهة الجنوبية والشرقية، فهو ملاصق لبعض المنازل التي تعود لفترة استعمارية، ونظرا لموقعه القريب لوسط المدينة جعله لأكثر الحمّامات المشهورة بتوافد سكّان المدينة.

1 - زيارة ميدانية لبيت جلاوي بتاريخ 23 مارس 2019.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

يظهر حمّام الشيخ ككتلة معمارية مستطيلة الشكل تبلغ مساحته الإجمالية 289م²، وهو يحتوي على أربع واجهات تظهر لنا من الخارج واجهتين هما الواجهة الشمالية التي تمثل الواجهة الرئيسية يبلغ طولها 12.70م فتحت بها نافذتان واحدة من الجهة الشمالية الغربية والأخرى في الشمالية الشرقية، أما الواجهة الغربية فيبلغ طولها 10متر أما سقفه مغطى بالقرميد.

يتمّ الدّخول إلى الحمّام عبر المدخل الرئيسي الذي يقع في الجهة الشمالية، وهو عبارة عن مدخل مستطيل الشكل ارتفاعه 2م وعرضه 30.1م عليه باب خشبي مغير يعود إلى الفترة الاستعمارية، والملاحظ أنّ هذا الباب مزخرف ببلاطة خزفية في كلّ جوانبه الأربعة وهي ذات أشكال نباتية وهندسية، حيث أنّها تجلب النّظر منذ الوهلة الأولى، وهذه الظاهرة لا نجدها في الحمّامات الجزائرية التي تعود إلى الفترة العثمانية إذ أنّنا نجد الباب الرئيسي في معظم الأحيان مزين بإطار من الرّخام أو الحجر الجيري مزخرف بزخارف هندسية أو نباتية أو رمزية.¹

أما فيما يخصّ الأقسام الداخليّة لهذا الحمّام حيث عند اجتياز المدخل الرئيسي نصل إلى السّقيفة وهي عبارة عن غرفة مستطيلة طولها 10.5م وعرضها 40.1م، وارتفاعها 0.60م، وهي مكسوة بمربّعات خزفية أصلية ذات أشكال هندسية ونباتية في كل جوانبها الأربعة، كما أنّها وضعت على شكل سوائف في كلّ من الجهة الغربية والشرقية بثلاثة مقاطع حدّدت بمقطع طولي يمتدّ على حواف السّطح، وهذا ما أضفى عليها جمالا رائعا، وذلك لتجنّب الملل والضّجر الذي قد يشعر به النّاس وهم في حالة انتظار دورهم للاستحمام، كما فتحت في الجدار الجنوبي نافذة ارتفاعها 0.70م وعرضها 0.60م أما أرضيتها فهي مبلّطة ببلاطات خزفية أصلية وفي الجدار الشرقي فتح مدخل بباب خشبي ارتفاعه 1.80م وعرضه 1م، ويبدو من خلال هذا الوصف أنّ هذه الغرفة تعتبر كغرفة للانتظار.

2-3-3 الأسوار:

توجد بمدينة مليانة سور يعود إلى الفترة الرومانية بنيت عليه مجموعة من القلاع وأبراج المراقبة، عدد هذه القلاع ثلاثة يضاف إليها برجين، بني السور على دورين وأضاف إليه الفرنسيون دورين آخرين من أجل تعزيز الحراسة والمراقبة للمدينة، تميّزت أراج الجهة الغربية

1 زيارة ميدانية لمدينة مليانة قادتنا لحمام الشيخ بتاريخ 18 أفريل 2019.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

من السور بأنها مربعة الشكل ومرتفعة وضعت كحواف بارزة تمكّن من يقف بها على صد عدوّه، وكان يضمّها جدار آخر حديث البناء¹، ويتكوّن الجدار من معظم أجزائه من الجدران الأرضية لبيوت السكّان، أمّا الأجزاء الأخرى منه فبنيت بالحجارة العادية وعدد كبير من القطع الحجرية المنحوتة التي وضعت بدون ترتيب أو تمييز²، وهذه الحجارة القديمة بعد إحكام الفرنسيين لسيطرتهم على المدينة أحدثوا تعديلات على السور، حيث أقيمت بجانب السور مجموعة من أبراج المراقبة، وكذا ثكنات عسكرية وإقامات للضباط السّامين كما قاموا بفصل السور الذي بناه العثمانيون بإقامة سور جديد.³

2-3-4 الأبواب:

تميّزت شوارع المدينة أنّها ممرّات مسدودة، ضيقة ومتعرجة على العادة الجارية في كلّ المدن العربية⁴، فأحدث الفرنسيون بها ساحتين كبيرتين، وشارعين متّسعين في اتجاه الرياح السّائدة أضيفا إلى الشّارع الواسع الذي يحيط بالمدينة على مدار الجدار، فكان أحدهما يؤدّي إلى باب زكار والآخر يؤدّي إلى باب الشلف، وهذان البابين استحدثا ليعوضا الأبواب الثلاثة⁵ التي كانت موجودة منذ العهد العثماني، وتذكر وثائق الأوقاف الخاصة بمدينة مليانة أنّه كانت توجد أربعة أبواب بالمدينة وبتسميات هي: باب الرّحبة وباب الفرجة وباب رياض وباب السّوق، منها ما يقع في السور ومنها ما هو داخلي⁶، وحسب تقارير الإدارة الاستعمارية فإنّه كان للسور بابان باب جانبي وآخر رئيسي ويقع هذا الأخير في الوسط، يبلغ علوّه أربعة أمتار وعرضه متر وخمسة وثمانون سنتيمترا.

وكان يفصل ما بين البابين السّالفي الذّكر مسافة أربعة أمتار وستين سنتيمترا وعلى مسافة قدرها مترين وستين سنتيمترا فيما وراء الباب الجانبي كانت تمتدّ الواجهة الرئيسيّة، وتستمرّ الجهة السّفلى من الواجهة تحت البناءات الحديثة التي عوّضت الجهة الموازية للباب الجانبي،

1- Tableau des situations d etablissement francais en algerie au 1840,imprimerie royale paris , 1841, p 19.

2- ودان بوغوفالّة، " المدينة في مراة الرحلة العربية الجغرافية والتاريخية لمدينتي المدية ومليانة نموذجا" ، العدد 1 جوان المجلد الاول المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطية ،مجلة فصلية علمية محكمة، جامعة سيدي بلعباس جوان 2015.ص ص 144-154.

3- Tablau des situations , op-cit ,pp19.20.22.

4- M.A ,n:463, decembre 1841, p 8.

5-Tablau de situation ,op-cit ,p26.

6- أ.و. ج س.م.ش، ع 34، و..43، 17، 16.

7- M.A ,n:466, janvier 1882, p3.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وبنيت هذه الواجهة في جزء منها بالحصى الممزوج بالإسمنت الشّدِيد وفي الجزء الآخر كانت قوالب الآجر الصّلب سمكه خمسة سنتيمترات وطوله إثنان وأربعون سنتيمترا وعرضه ثمان وعشرين سنتيمترا¹

2-3-5 - المساجد وأضرحة الأولياء:

كانت مدينة مليانة تضمّ خمسة وعشرين مسجدا عشية الاحتلال الفرنسي للبلاد، منها ثمانية مساجد مشهورة وهي واسعة البناء، أهمّها المسجد الأعظ، وكان هذا الأخير يتميز بأعمدته الملفتة للنّظر من حيث التّوافق والانسجام في أبعاد كلّ واحدة منها، فبعضها كان من الرّخام وتكسوه طبقات مترادفة من الجير

كما وضعت قرب بعض المساجد والزّوايا محلات للوضوء، بها صخور ضخمة محفورة على هيئة تابوت حجري أو المغسل أو البرميل، ولها أبعاد متساوية تقريبا قدرها 2.10م طولا و60سم عرضا، وهي كروية الشّكل من الداخل في أحد الأطراف، واستخدمت هذه التوابيت في المحراب ومن الرّاجح أنها قبور رومانية قديمة²

عمد الفرنسيون بعد دخولهم إلى مدينة مليانة إلى تحويل المسجد إلى مستودع للمؤونة، كما حولوا المسجد الحنفي إلى قاعة للعرض المسرحي والسينمائي وجعلوا مسجدا آخر ثكنة عسكرية، ولم تكن الزّوايا منتشرة بالمدينة هي الأخرى أقل عددا عن المساجد، ولم تتج من يد الاستعمار الغاشم مثل زاوية سيدي محمد بن قاسم وزاوية الكالي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف.

2-3-6 الزوايا:

2-3-6-1 زاوية سيدي أحمد بن يوسف: سيدي أحمد بن يوسف هو من أحد العلماء المتصوّفة الذين اشتهروا في الجزائر والمغرب الأقصى، وكان يكن له المسلمون إجلال واحتراما كبيرين ويأتي الزّوار إلى ضريحه من قريب ومن بعيد، كما كان له أحفادا ومريدين، شيّد على قبره باي وهران محمّد بن عثمان الكبير زاوية وضريحا³. وكان مبنى هذه الزّاوية على طابقين، حيث تنتشر بأروقة الطّابق الأوّل الحجرات التي يأوي إليها الزّوار والمسافرون، وتوجد بأروقة الطّابق السّفلي عدة قبور هدمها الاستعمار الفرنسي فور دخوله إلى المدينة انتقاما من

1-Tableau des situations,op-cit,p21.

2 -Ibid,p23.

3- محمد الحاج الصادق، المرجع السابق، ص 121.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

المقاومة، وأبقى على القبور التي كانت بساحة الزاوية وقرب ضريح الولي، وكانت أربع حفر دائرية توجد بالجدار الذي يقع آخر الرواق المؤدي إلى الضريح ومقابل باب الدخول إلى الفناء الداخلي، اعتقد فيها الناس العوام أنها أقدام بغلة سيدي أحمد بن يوسف والمكان الذي توقفت فيه، وعلى الزوار أن يضعوا فيها القران قبل الدخول إلى المحراب¹.

1- M.A,n463,14 December 1841,p8.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3- مدينة تنس

3-1 دراسة جغرافية

3-1-1 الموقع:

تقع مدينة تنس الحديثة على هضبة ترتفع بحوالي 60 مترا عن مستوى سطح البحر، يحيط بها واد تيناتين¹، الذي تصب مياهه في البحر المتوسط، تقابلها من الجهة الشمالية موقع المدينة الرومانية القديمة على بعد كيلومترين، وتبعد عن مصب واد الشلف بحوالي 65 كيلومترا، تتميز بوجود سلسلة جبلية متوسطة الارتفاع، تحيط بها من الشرق الى الغرب كجبال الظهرة التي تأتيها من الشرقية والجنوبية، بالإضافة إلى جبال سيدي مروان التي تنتهي بصخور ضخمة تشكل مجملها ما يسمى براس تنس²، وكانت هذه الجبال بمثابة حصن طبيعي ظل يحمي المدينة لقرون، إضافة إلى مساهمة هذه الكتل في التقليل من تسرب التيارات الهوائية غير المرغوب فيها، كالهواء الحار في فصل الصيف، كما تمد سكان المنطقة بالحطب الذي يوجد في غابات الجبال، كما توفر مراعي للماشية نظرا لوفرة الغطاء النباتي الكثيف الذي يكسوها³.

أما فيما يخص الموقع الفلكي لمدينة تنس، فهي تقع على خط طول 18 درجة واثنا عشرة ثانية شرقا ودائرة عرض 33 درجة و 20 دقيقة شمالا، وجعلها بطليموس عند إحدى عشرة درجة من خط الطول، وثلاثة وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة من العرض⁴، وهي حسب لقونت في منتصف الطريق بين مدينة وهران ومدينة الجزائر، وتبعد عن كلاهما بثلاثين ميلا⁵.

1- أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المتنى، بغداد، د ت، ص 61.

2- Berard M, *Description Nautique des Cotes de l'Algérie*, paris ,imprimerie royale,1873,p159

3- اسماعيل بن نعمان ، مدينة تنس دراسة أثرية وعمرانية، رسالة دكتوراه في علم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص 02.

4- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 142.

5 مارمول كريخال، المصدر السابق، ص 354.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-1-2 المناخ:

لعب الموقع الجغرافي الذي تحتله مدينة تنس بالإضافة إلى طبيعة التضاريس الطبيعية التي تميّزها دورا أساسيا في طبيعة المناخ الذي يميّز مدينة تنس، فإطلالتها على البحر الأبيض المتوسط جعلها تتأثر بخصوصية مناخ البحر المتوسط¹، الذي يميّز بالرطوبة العالية التي تتراوح ما بين 70 و80% خاصة في فصلي الربيع والصيف²، والحرارة المعتدلة التي يصل معدلها السنوي إلى 13 درجة ولا يوجد فرق كبير بينها في فصلي الشتاء والصيف³.

أما المعدل السنوي للأمطار، فهو يصل إلى حوالي 550 ملم، وهذا النقص في كمية الأمطار يرجع لكون الرياح الشمالية الغربية المحملة بالمطر في فصل الشتاء الآتية من منطقة الضغط الأزوري الواقع غرب البرتغال تفرغ شحنتها عادة في إسبانيا قبل الوصول إلى السواحل الغربية للجزائر، وعموما ما بقي من شحنة مطرية يسقط على مستوى جبال مدينة تنس، لذلك تتناقص كمية الأمطار كلما توجهنا نحو الداخل⁴.

ومن مميزات هذا المناخ، فإنه مناخ ملائم للاستقرار السكاني فهو يميّز بالاعتدال ووفرة التساقط عكس ما ذهبت إليه بعض كتب الرحالة والجغرافيين على أن المدينة موبوءة وكثيرة الأمراض وأن من يدخله يلقي حتفه بسبب الأوبئة مثل ما تمت الإشارة إليه في كتاب الاستبصار⁵، ممّا تسبّب في هجرة الكثير من الأندلسيين بعد تأسيس المدينة الحديثة.

ولعلّ ما يلخص تلك الحالة المناخية للمدينة تلك الأبيات الشعرية التي قالها سعد بن واشكل التيهرتي في علته التي مات بها في المدينة قائلا:

إلى تنس دار النحوس فإنها	يساق إليها كلّ منتقص العمر
هو الدهر والسّيّاق والماء حاكم	وطالعا المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوث يحمل راجلا	ويأوي إليها الذئب في زمن الحشر
ويزحف فيها العام في كلّ ساعة	بجيش من السودان تغلب من الوتر

1 - اسماعيل بن نعمان ، المرجع السابق، ص 5.

2 - المرجع نفسه، ص 18.

3 - عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 53.

6 - Raynal R et.Despois J, *Geographiede l'Afrique de Nord -ouest* , payot,paris ,1975,p82.

5 - مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 133.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

تري أهلها صرعى دوى أم ملدم يروحون في سكر ويغدون في سكر¹.

3-1-3-التضاريس:

تتنوع المظاهر التضاريسية في منطقة تنس من سلاسل جبلية وسهول شكّلت في مجملها المظهر العام للمنطقة، فهي تشرف على البحر وتقع في سفح، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ60مترا تحاصرها الجبال من كل الجهات باستثناء الجهة الشمالية، حيث يعتبر جبل قيصر الحدّ الفاصل بين الساحل وسهل الشلف مشكلا بذلك ثلاث كتل جبلية²، كجبل ببسا "Bissa" الذي يضمّ راس تنس ويتوغل في مياه البحر ويبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر بـ1157م، حيث تتصل به سلاسل جبلية من الناحية الشرقية تنطلق من شرشال تنتهي بصخور صلبة منها راس تنس³، الذي بنيت عليه منارة ليلية⁴، أمّا من الناحية الغربية فنجد كتلة ماينيس، والتي هي جزء من كتلة جبال الظهرة والتي يبلغ ارتفاعها 560م ويتمّ الاتصال به عن طريق ممر يرب جلي هارون ورقون، هذه المرتفعات موازية لسهل سيدي عكاشة في الجنوب، أمّا من الناحية الجنوبية نجد مرتفعات بوحلو وهي تلي سهل سيدي عكاشة، وهي عبارة عن قمم يتراوح ارتفاعها بين 255م و480م، وكنتيجة لما سبق يكمن القول بن المنطقة يغلب عليها الطابع الجبلي الذي يفوق 70% من المساحة العامّة لدائرة تنس.

أمّا عن المناطق السهلية فيوجد بتنس سهل ساحلي ضيق يمتدّ من سفوح الجبال ويلامس البحر وينعدم في الناحية الشرقية من مدينة تنس، تتميز التربة في هذا السهل بأنها تربة فيضية خصبة صالحة للزراعة، كما تنتشر في المنطقة أنواع أخرى من التربة كالتربة الجبلية التي تنتشر في مناطق الجبال، وهي عموما فقيرة من حيث المواد العضوية والمعدنية.

1 - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، 62.

2-Rojet et Carette, *Algerie Atlas Tripolitains*, 2 eme edition , edition Bouzlama, paris,1980,p43.

3- Berard M, *Discriptions Nautiques Sur Les Cotes de L Algerie*, paris , imp royale ,1837,p159.

4- يعتبر راس تنس من أهم الرؤوس البحرية في الساحل الجزائري الذي يمتد في عمق البحر إذا ما قورن براس ملوي على الحدود المغربية أو راس خارس بعنابة، وهذا ما جعل المدينة أكثر رطوبة عن باقي المدن الساحلية انظر: عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر المرجع السابق، ص 37.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-1-4- شبكة المياه:

تتوفّر منطقة تنس على مصادر مياه متنوّعة، حيث يأتي في مقدّمتها تساقط المطر المعتبر الذي يميّز المنطقة خاصّة في فصل الشتاء والذي يصل إلى 550 ملم، إلى جانب وجود شبكة أنهار غنيّة مثل ما ورد في كتب الرحّالة والجغرافيين، حيث يقول المقديسي: "تنس مسورة على البحر شربهم من نهر.."¹، كما يقدّم لنا البكري وصفا دقيقا لتنس ويحدّد لنا المسافة بين المدينة والنهر حيث يقول: "... مدينة تنس بينها وبين البحر ميلان... وهي على نهر يسمّى تيناتين ياتاياها من جبال على مسيرة يوم يأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوف والشرق ويريق في البحر..."²، كما يضيف عنصرا أهمله من سبقه في وصفهم للمدينة، ألا وهو مصدر تزود السّاكنة بالماء الصّالح للشرب، حيث أشار إلى عنصر أو ينبوع ماء في المدينة يتزوّد السّكان منه بقوله: "باب الخوخة الشّرقية يخرج منه عين تعرف بعين عبد السّلام ثرة عذبة..."³.

كما يقدّم لنا الإدريسي وصفا آخر لعناصر المياه بقوله: "ويشرب أهلها من عين ولها في جهة الشّرق واد كبير كثير الماء، وشربهم منه أيام الشتاء والرّبيع..."⁴.

1 - أبو عبد المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة، بريل، لندن، 1905، ص 378.

2 - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 61.

3 - المصدر نفسه، ص 61.

4 - الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 252.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

2-3 دراسة تاريخية :

عرفت مدينة تنس العديد من الاحداث التاريخية والتطورات السياسية ،خاصة منذ تأسيسها ،حيث مازالت العديد من الشواهد والاثار شاهدة على تلك الفترات التاريخية ،التي مرت بها مدينة تنس عبر التاريخ ،وقلا ان نستعرض اهم تلك الحقب التاريخية ،فضلنا التطرق الى اصل تسمية المدينة وتاريخ تاسيسها،حيث سيقت العديد من الآراء حول أصل تسمية كلمة تنس بين الباحثين والجغرافيين الذين اهتموا بتاريخ المدينة من مسلمين وغربيين، نسوق بعضا على النحو التالي:

*يقول هذا الرأى أنّ كلمة تنس كلمة لفظ فينيقي اشتقّ من اسم كارتيناس ¹cartenas ، المكوّن من جزأين الأوّل " كرت "، وتعني المدينة والثاني "تيناس " وهو اسم النّهر، كما يرى آخرون أنّ تنس اسم لأحد ملوك صيدا الملقّب بتتنس ²Ténas يذهب أصحاب هذا الرأى، أنّ أصل كلمة تنس تعود إلى ابن القائد الروماني الذي قضى على الوجود الفينيقي بالمدينة³ ، إلا أنّ هذا الرأى لا يستند على دليل تاريخي، كما أنّه يريد أن يبيّن الوجود الروماني في المنطقة وتشويه الوجود الفينيقي الذي يصوّره بالاحتلال والغزو.

1 - كارتيناس كلمة بونيقية الأصل وردت في بعض المصادر باسم كارتينا، وهي تتألف من مقطعين، الأوّل "كرت " وتعني المدينة والمقطع الثاني "تينا "، وهو اسم النهر الذي يمر بالمدينة وبالجمع بين المقطعين يصبح المدلول مدينة النهر، أما اسم تنس فقد جاءت من الكلمة البونيقية كارتيناس، انظر: محمد صغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص 149

2 - فاطمة لواتي، أثر اللغة البونيقية في المنطوق اللهجي الجزائري، رسالة ماجستير في علم اللهجات، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الموسم: 2007-2008، ص 129.

3- ST.Gsell, op-cit, p2.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

*أما عن الرّأي التّالي، فيحاول أن ينسب أصل التّسمية إلى الأصل الأمازيغي المحلّي مثل ما جاء في كتاب الزّياتي أنّ أصل التّسمية يعود لاسم قبيلة زنّاتة الأمازيغيّة "كما أنّ تنس اسم لرجل صالح من قبيلة زنّاتة على صحيح¹

أمّا فيما يخصّ المعنى اللفظي للكلمة، فإنّ المصادر العربيّة أهملت الإشارة إليه باستثناء البغدادي الذي حاول توجيه القراء إلى النطق السليم للكلمة فقال: "تنس بفتحتين والتّخفيف والسّين المهملة²

نلاحظ أنّ هناك تعدّد للآراء والرّوايات حول أصل تسمية كلمة تنس، وتبقى مجرد افتراضات تحتاج إلى المزيد من البحث والتّقيب من طرف الباحثين والمهتمين بتاريخ المدينة.

كذلك بالنّسبة لتاريخ تأسيس تاريخ مدينة تنس، فإنه سيقت العديد من الآراء في هذه المسألة وهناك تضارب واضح بين هاته الآراء، حيث تذهب الرّواية الأولى إلى أنّ سبب تأسيس المدينة يرجع إلى راع كان يرعى الغنم في المكان الذي بنيت فيه المدينة، والذي لم يكن يتعرّض إلى الرّياح الشّمالية الشرقيّة فأخبر سكّان المدينة القديمة بذلك، فارتحلوا إلى هذا المكان، وهذا الطّرح لا يستند إلى دليل تاريخي، زيادة على ذلك أنّ المدينة كانت ولا زالت عرضة لتأثير الرّياح الشّمالية الشرقيّة القويّة، أمّا الرّواية الثّانية والتي يسوّقها محمد بن يوسف الزّياتي أنّ تأسيس المدينة كان على يد أحد أمراء بني يفرن سنة 130هـ/748م.³

1- محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، ش و ن ت، الجزائر، 1978، ص 55.

2- صفي الدين البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر لمعجم البلدان لياقوت الحموي، تح: علي محمد البجاوي، المجلد 1، ط1، دار الجيل، لبنان، 1992، 277.

3- محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص 53.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

اما الرواية التي يتفق حولها جل المؤرخين، فهي ما ساقه البكري، والتي مفادها ان جماعة من البحارة من اهل البيرة بقيادة الكركني، وابي عائشة والصقر وصهيب وغيرهم، كانوا ينتجعون في مرسى المدينة، برغبة من السكان المحليين حيث اقاموا المدينة سنة 130هـ/878م¹

كان الغرض من تاسيس المدينة اقتصاديا، نظرا للموقع الممتاز الذي تتمتع به المدينة، وكذا مناخها الملائم لنشاط الزراعة، مما جعل المدينة تتمتع برخاء اقتصادي كبير، حيث يلخص ذلك صاحب الاستبصار بقوله: "...منها يحمل الطعام الى الاندلس وبلاد افريقية والى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم..."²

اما عن التطور التاريخي للمدينة فنسوقه على النحو التالي:

3-2-1- فترة ما قبل التاريخ والفترة القديمة:

أكدت الأبحاث الأثرية التي أجريت في المدينة أنّ المدينة عرفت الوجود الفينيقي، حيث تمّ العثور على بقايا قبور فينيقية محفورة أسفل صخور المدينة الرومانية، فبالإضافة إلى وجود أدوات وبقايا لصناعات كانت منتشرة في الكهوف وغارات في المدينة³.
أكدت الدراسة التي قام عالم الآثار J.Lorcين على تلك المواقع أنها تعود إلى فترة الحضارة الايبيريو - مغربية والحضارة العاترية، وعصر النيوليتي⁴.

إنّ استقرار الفينيقيين في المنطقة يوحي إلى أنّ المنطقة كانت تتوفر على كل مؤهلات الاستقطاب والتّمرّك السّكاني، فالمدينة تسرف على البحر فضلا على أنّها نقطة اتّصال بين السّاحل والدّاخل إضافة إلى المناخ المعتدل وتوفّر الثّروة الغابيّة، حيث نجد الفينيقيين يؤسّسون مراكز تجاريّة ويقيمون الميناء، وأطلقوا على اسم المدينة اسم "كارتينا" cartena⁵، ومن الشّواهد

1- ابو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 62.

2- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار المصدر السابق، ص 133

3 -Lorcين J ,Les Situation Préhistoriques Du Cap De Ténès ,in revue libyca ,1961-1962,pp13-56.

4-Camps G,Chronologie Absolue Et Succession Des Civilisations Préhistoriques Dans Le Nord d Afrique , in revue libyca n:21,1968, pp9-28.

5-.Berthier A,L Algérie Et Son Passé , ed A et J.PICARD,paris ,1951,p47.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

الأثرية التي تؤرخ للحقبة الفينيقيّة تلك القبور الموجودة أسفل المدينة الرّومانية، وهي في حالة سيّئة¹.

أمّا عن الفترة الرّومانية، فيرجح أنّ المدينة قد تأسّست في عهد الإمبراطور أغسطس Auguste على يد الفرقة الأغسطية الثانية²، ولمّا دخل الرّومان إلى المنطقة وسّعوا عمرانهم إلى الأعلى وهذا ما سارت عليه جلّ المدن الفينيقيّة السّاحلية، كما حظيت تنس باهتمام الرّومان، وذلك بجعلها مركزا تجاريا، حيث تمّ نقل المحاصيل الزراعيّة إلى روما³.

من الشّواهد الأثرية التي تؤرخ للحقبة الرّومانية في مدينة تنس نجد المقبرة المسيحيّة الموجودة أسفل الأسقيّة، والتي تمّ العثور عليها سنة 1937م⁴، وكذلك مجموعة من الحلّي قام بدراستها هيجو "HEURGEON"⁵، ولوحتين من الفسيفساء هما محفوظتين بالمتحف الوطني لآثار القديمة بالجزائر حيث يطلق على اسم اللّوحة اسم الفسيفساء الشّرقية، تحت رقم: N°-I N V . I M . 010 H أمّا اللّوحة الثانية تحت رقم: N°-I N V . I M . 004، وهي تمثّل مشاهد لصيد الحيوانات وهما معروضتين في قاعة العرض.

أمّا عن الحقبة الونداليّة فإنّ الوندال احتلّوا المدينة سنة 428م⁶، وقاموا بتخريبها وقرّ السكّان إلى أعالي الجبال المحيطة بالمدينة، ولمّا قدم البيزنطيّون إلى شمال إفريقيا دخلوا إلى تنس عن طريق البحر نظرا لصعوبة المسالك من ناحية البرّ زيادة إلى تحصّن السكّان المحليين في الجبال، وشنّ هجومات على البيزنطيّين الأمر الذي أدّى بالبيزنطيّين إلى التحصّن في المدينة وبناء أسوار وأبراج مراقبة، وإحكام السّيّطرة على المنافذ المؤدّية إلى الميناء، حيث استعملوا الحجارة والرّخام الموجود في المدينة الرّومانية من أجل إقامة المنشآت العمرانيّة في المدينة⁷.

1 - J.Lorcín ,op.cit pp13-56.

2 - ST.Gsell , Colonia Augstiligio II,Atlas Archeologique ,T1,op-cit ,pp12-20.

3- Besedik.N ,Les Troupes Auxiliaires De L Armee Romaine Mauritanie Césarienne Sous Le gaut empire , societe nationale d edition et de diffusion, alger ,1975,p165.

4- Marou H.I, Mosaiques Chritiene De Ténès, bulletin d archeologique algerienne, T1,1962, p226.

5- Heurgeon J, Le Tresor De Ténès,Arts et Metiers Graphiques ,paris p 18.

6- Berbrugger G,Antiquités Du Cercle De Ténès ,in revue,1857,p4.

7- محمد مبارك الملي، ج 1، المرجع السابق، ص ص 364-371.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-2-2 الفترة الإسلامية:

عرفت مدينة تنس في الفترة الوسيطة عدّة تطوّرات سياسيّة وعسكريّة، شأنها في ذلك شأن كلّ المدن والأمصار في بلاد المغرب الإسلامي، خاصّة بعد وصول الفتح الإسلامي إلى هذه الرّقعة الجغرافيّة، ونحن سوف نحاول نتّبع أهمّ التطوّرات التي عرفتها مدينة تنس في هذه الفترة المهمّة من تاريخ المدينة منذ الفتح إلى نهاية العهد الزياني وبداية الفترة العثمانيّة. إنّ المعلومات المتعلّقة بتاريخ تنس الخاصّة بفترة ثلاثة قرون الأولى التي تشمل فترة الفتح الإسلامي وفترة عصر الولاية¹، غير موجودة في أمّهات المصادر التاريخيّة، ويرجع الأمر في ذلك كون أنّ أهمّ عمليّات الفتح في بلاد المغرب الإسلامي كانت تتمّ عن طريق البر لا عن طريق البحر²، لم تظهر أهمية مدينة تنس في هذه الفترة إلاّ بظهور الدّولة الرّستمية في المغرب الإسلامي سنة 160هـ/776م والتي اتّخذت من مدينة تيهرت عاصمة لها، حيث لعبت تنس وميناؤها دورا اقتصاديا هاما في العهد المذكور، حيث نشطت حركة التّجارة بين تنس وبعض الموانئ المتوسّطية الأخرى خاصّة في بلاد الأندلس³. لقد كانت الأندلس بحاجة ماسّة إلى هذه المبادلات التّجارية رغبة منها في إحداث تطوّر اقتصادي وعمراني لهذا ارتبطت بعلاقات تجاريّة مع الدّولة الرّستمية، حيث لعب ميناء تنس دورا أساسيا في هذا المجال⁴.

- 1 - عصر الولاية يطلق على الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الى غاية ظهور أول دولة مستقلة فيه، انظر: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004، ص 65.
- 2- محمد موشموش، مساجد مدينة تنس، دراسة تاريخية أثرية معمارية، رسالة ماجستير في علم الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 22-23.
- 3- ابراهيم بحاز كبير، الدولة الرستمية (160/296هـ، 777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث بغرداية، الجزائر، 1993، ص 199.
- 4- الحبيب الجحاني، "المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية"، مقال ضمن مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، سبتمبر 2005، العدد 319، ص 79.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وبعد قيام الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى سنة 172هـ/770م على يد إدريس بن عبد الله¹، والتي اتخذت مدينة وليلي عاصمة لها ثم انتقلت إلى مدينة فاس²، حيث عمل الأدارسة إلى مد نفوذهم إلى العديد من الأقاليم الواقعة في بلاد المغرب خاصة الأوسط منه كتلمسان، كما دخلت تنس في حوزة الأدارسة، حيث أورد ابن خلدون أن تنس دخلت تحت حكم الأدارسة وتعاقب على حكمها أمراء من نسل سليمان بن عبد الله الكامل³.

ومع قيام الدولة العبيدية سنة 269هـ، تغيرت الصورة السياسية لبلاد المغرب، حيث تم إخضاع الرستميين في المغرب الأوسط والأدارسة بفاس بالمغرب الأقصى والغالبية بإفريقيا بالمغرب الأدنى، وبذلك استولى العبيديون على كامل بلاد المغرب الإسلامي⁴.

تعرضت مدينة تنس هي الأخرى إلى النفوذ العبيدي الذي قامت بعض القبائل الأمازيغية بمواجهته مثل المغراويين والسليمانيين، إلا أن الانتصار كان لصالح العبيدين الذين سيطروا على مدينة تنس⁵.

تمثل سنة 342هـ سنة انتهاء حكم آخر أمراء تنس الأدارسة، حيث قضى العبيديون عليهم، حيث لحق الأمير علي بن يحيى يومئذ بالخير بن خزر المغراوي صاحب وهران مستنصرًا به، ثم استنجد بأمويي الأندلس عند طريق إرسال ولديه، حيث عاد زاحفًا على تنس رغبة منه في استرجاعها، لكن محاولته باءت بالفشل، حيث انهزم أمام الجيوش العبيدية بزعامة زيري بن مناد الصنهاجي، فكان ذلك آخر عهد الأدارسة بالمدينة⁶.

1- إدريس بن عبدالله : هو ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وامه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، انظر: حسين مؤنس، المرجع السابق ص 125.

2- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ دولة الأغلبية والرستميين وبنى مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج1، مج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص ص 67، 79.

3- عبد الرحمن بن خلدون، ج3، المصدر السابق، 35.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ص ص 229، 230.

5- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، 147.

6- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص 248.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

بعد انتقال العبيديين إلى مصر سنة 362هـ/972م، ثارت بعض القبائل الأمازيغية على المذهب العبيدي كصنهاجة وزناتة وكتامة، ومن بينها مدينة تنس، إلا أن زيري بن مناد الذي عينه العبيديون خليفة لهم على بلاد المغرب قام بمواجهة التمردات، حيث سار بجيشه وأخضع مليانة وتنس وسار إلى محاصرة تلمسان سنة 363هـ/947م¹.

بعد الانقسام الذي حدث داخل البيت الزيري، انقسم ملك صنهاجة² إلى دولتين، دولة المنصور بن بلكين أصحاب القيروان والثانية دولة الحماديين الحماد بن بلكين³ أصحاب القلعة حيث بقيت تنس تتأرجح آنذاك بين نفوذ الزيريين تارة ونفوذ الحماديين تارة أخرى، حيث يقول الإدريسي في هذا الصدد: "والطريق من مدينة تنس إلى المسيلة من بلاد بني حماد بالمغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس"⁴، وما يمكن فهمه من هذا القول أنها كانت تابعة لممتلكات بني حماد، وأكد أن الصراع عليها كان بدافع اقتصادي بالدرجة الأولى، فهي تعتبر منفذ بحري تجاري مهم بينها وبين تيهرت وتلمسان والأندلس⁵.

1- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص 326.

2- صنهاجة نسبة إلى صنهاج بن حمير بن سبا، وقيل صنهاجة فخذ من هواره، تنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة أشهرهم: لمتونة، جدالة، مسوفة، لمطة، وفي القبيلة بطون وفروع وكلها قبائل صحراوية، انظر: ابن ابي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنال للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 119-120..

3- هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، صاحب قلعة بني حماد، درس الفقه في القيروان، عاش مع ابيه واخيه المنصور بن بلكين، خلفه ابنه باديس في الحكم، توفي سنة 419هـ/1029م، انظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، ج2، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 271.

4- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 252.

5-Govlin L, Le Maghreb Central a l époque Des Zirides Recherche D Archeology Et D Histories Arts Et Métiers Graphiques, paris , 1957, pp21-88.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

من بين الدول التي امتد نفوذها إلى المغرب الأوسط أيضا، وهي دولة المرابطين 448هـ/541هـ-1050م/1147م وقد أطلق عليها المؤرخون تسمية دولة الملثميين¹، قامت هذه الدولة على أساس ديني وهي الدعوة للفقير عبد الله بن ياسين²، تبلورت في كيان عسكري، ومن أبرز قادتها يوسف بن تاشفين، الذي استطاع أن يخضع المغراويين سكان تنس، ليستولي بعد ذلك عليها وعلى بعض مدن المغرب الأوسط، كان ذلك في 473هـ/1082م، أين تم قتل ملوك مغراوة، وكان يومئذ بها العباس بن بختي أمير تلمسان، أين اختط بها تكرارت، ولم يكتف بتنس فقط، بل فتح وهران وجبل الونشريس إلى غاية مدينة الجزائر³.

ظهرت دولة الموحددين في بلاد المغرب والأندلس على أنقاض دولة المرابطين، وكان قيامها أيضا على أساس دعوة دينية، تزعمها المهدي بن تومرت، في منطقة السوس الأقصى، التي تسكنها قبيلة مصمودة، وذلك في مستهل القرن 12هـ/12م⁴، ويمكن تاريخ بدايتها بوفاة المهدي عام 524هـ واستخلاف عبد المؤمن بن علي، من بعده الذي أرسى معالم الدولة، ليصبح المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة تحت الحكم الموحد، أين تم توحيد بلاد المغرب تحت لواء دولتهم⁵.

ضمت مدينة تنس إلى ممتلكات الدولة الموحدية عام 555هـ/1468م، على عهد عبد المؤمن بن علي بعد أن زحف على ممتلكان بني حماد⁶، بعد أن كانت تابعة إداريا لولاية تلمسان، فقد

1- الملثمون: يذكر صاحب الحلل الموشية انه اثناء خروجهم من اليمن تثلثوا كنساء زمانهم حتى لا يتعرف عليهم أحد من أعدائهم، وهم أول من تثلث من الرجال فصار زيا خاصا بهم، انظر: ابن السماك العملي، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: عبد القادر بويابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ص 63.

2- هو ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، أصله من قرية تاماناوت في طرف صحراء غانا، انظر: محمد بن علي الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، بيروت، 2009، ص 27.

3- عبد الرحمان بن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 38.

4- حورية سكاكو، التحولات الاقتصادية وفي المغرب الأوسط خلال العهدين الموحد والزياني من القرنين (06-10هـ/12-16م)، دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص 18.

5- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ في العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1984، ص 301.

6- البيدق ابو بكر الصنهاجي، المصدر السابق، ص 73-75.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

اكتسبت أهمية من خلال وقوعها على الطريق الرابط بين مدينتي بجاية ومراكش¹، وزادت أهميتها خلال الحقبة الموحدية التي شهدت صراعات مع النورمنديين على السواحل، أين استطاع الموحدون صدّ الهجومات وهزيمتهم، الأمر الذي أحيى النشاط الاقتصادي للدولة قاطبة بميناء تنس على وجه الخصوص.

وبعد سقوط الدولة الموحدية دخلت مدينة تنس تحت سلطة الدولة الزيانية، حيث استطاع يغمراسن أن يخضع قبيلة مغراوة في ظلّ سياسته التوسعية التي شملت تنس ومنطقة الونشريس والمدية وصولاً إلى أطراف بجاية².

لقد كانت الدولة الزيانية الأكثر تأثراً بالصراع الدائر بين دويلات المغرب الإسلامي، الدولة الحفصية في المغرب الأدنى والدولة المرينية في المغرب الأقصى، نظراً لتوسطها هاتين الدولتين حيث نتج عنه امتداد نفوذ بني مرين للعديد من أراضي الدولة الزيانية³، بما في ذلك مدينة تنس التي خضعت لنفوذ المرينيين سنة 698هـ/1298م، بعد حملة قادها يوسف بن يعقوب المريني على المغرب الأوسط، تمّ خلالها اختطاط المنصورة وإخضاع مغراوة⁴.

بعد فترة الضعف التي مرّت بها الدولة الزيانية، حاول الأمراء الزيانيين النهوض بالدولة من جديد، حيث بويع أبا الحسن سعيد عثمان بن عبد الرحمان بن يغمراسن، والذي تولّى الأمور السياسية في حين شارك أخوه أبو ثابت في الأمور العسكرية، حيث تصالح الأخوان المذكوران مع المغراويين وبني توجين، فأسفر ذلك عن اقتحام تلمسان سنة 749هـ/1348م، من طرف الزيانيين وتمكّنوا من إحكام السيطرة عليها وعلى العديد من الأقطار كندرومة، وهران مازونة، تنس، المدية وبرشك، حيث جرت حرب طاحنة في حوض الشلف والونشريس، أين تمكّن أبو ثابت من هزم المرينيين، الذين حاولوا من جديد الاستيلاء على المغرب الأوسط في معركة وادي درك بالعطّاف من أرض الشلف عام 751هـ/1349م⁵.

- 1- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب من فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين ، ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط 1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949، ص 253-255.
- 2- ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، المطبعة المكتبية، الرباط، 1952، ص 47.
- 3- حورية سكاكو، المرجع السابق، ص 47.
- 4- عبد الرحمان بن خلدون، ج7، المصدر السابق، ص 195-196.
- 5- بن مصطفى ادريس، "الواقع الاقتصادي للمغرب الاوسط في عهد الدولة الزيانية"، مجلة متون، العدد4 ديسمبر 2010، الجزائر، صص 73-91.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

لقد كان لتردي الأوضاع السياسية ما بعد القرن 08هـ/14م، انعكاسات وخيمة على المغرب الإسلامي والأندلس عموماً، ولم يكد ينتهي القرن 09هـ/15م حتى عم الضعف بلاد المغرب عامّة والدولة الزيانية خاصّة، إذ استولى الإسبان على مملكة غرناطة سنة 897هـ/1492م، وبذلك فقد المسلمون السيطرة على الضفة المتوسطية الأخرى، وصارت بلاد المغرب في وضع دفاع في ظلّ تزايد واستمرار الهجمات الصليبية على سواحلها.¹

لقد بدأ الضعف يدبّ في أوصال الدولة الزيانية، وبدأت المدن والقبائل تستقل عنها كمدينة تنس ووهران ودلس²، وبعد وفاة أبي ثابت الثالث محمد، ظهر صراع بين أبنائه حول الحكم، فاستطاع أكبرهم وهو أبو عبد الله الثالث بالاستئثار بالحكم لكن لمدة قصيرة، حيث استطاع بعده أبو حمّو موسى الثالث من الظفر بالحكم، وقام بسجن مسعود ابن أبي ثابت الثالث³.

عمل الإسبان على تغذية الصراع على الحكم بين الإخوة الثلاثة، حيث أصبح لهم دور فيه بدعم أبي زيان سعيد على حساب أبو حمّو موسى الثالث، من أجل إنشاء إمارة مستقلة بتنس وضواحيها⁴، رغبة منهم في عزل تلمسان اقتصادياً وإبعاد القبائل العربية المستوطنة في الشلف كبنى عامار وسويد، وكذلك لملاحقة مسلمي الأندلس⁵.

مثملاً أشرنا أنفاً أنّ إمارة تنس انفصلت عن مملكة تلمسان، وكانت حدودها من واد الشلف غرباً وجنوباً إلى المدينة في جزئها الجنوبي الشرقي⁶، ومع وفاة أمير تنس ظهر ابنه أبو عبد الله الله الذي كان ضعيفاً وأقلّ شأنًا من أبيه، وفي فترته زاد خطر الإسبان.⁷

- 1- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ دولة الإدارة، من كتاب نظم الدر والعقيان، تح عبد الحميد حاجيات، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 38.
- 2- عبد الحميد حاجيات، خطر النصارى وانهيار الدولة الزيانية في كتاب الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح الى غاية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 455.
- 3- المرجع نفسه، ص 455.
- 4- ناصر الدين سعيدوني، "الاندلسيون الموريسكيون بمقاطعة الجزائر دار السلطان اثناء القرنين 17/16م"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، 1993، ص 107.
- 5- محمد مشومش، المرجع السابق، ص 57-59.
- 6- انظر الملحق المرفق.
- 7- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 166.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

ما يمكن قوله عن أوضاع المغرب الأوسط الداخليّة خلال تلك الفترة، أنّها كانت عبارة عن وحدات سياسيّة يختلف فيها نمط الحكم، مما أدى بها إلى أن تكون عرضة للتحرّشات الإسبانيّة التي بدأت بغرناطة مرورا إلى المناطق السّاحليّة، حيث تمّ الاستيلاء على المرسى الكبير سنة م¹1505 ووهران 1509م.

3-2-3- فترة العهد العثماني:

تمثّل سنة 919هـ/1514م سنة استيلاء الإخوة بربروس على مدينة الجزائر وقضائهم على التّمرد الذي قاده سالم التّومي، ليتوجّهوا نحو مدينة تنس².

بعد الانتصار الذي حققه عروج ضد الإسبان بقيادة ديبغو ديفيرا المتحالف مع أمير تنس الفار بعد سقوطها بيد العثمانيين، تقدّم خير الدّين بعدها وزحف من جيجل إلى تنس بحرا بأسطول متكون من عشرة سفن، انتهت بإحكام السيطرة عليها، وعين حاكما جديدا عليها³، بعد عودة خير الدّين خرج حاكم تنس من مخبئه وزحف على المدينة واستردها، وطلب المدد من الإسبان لكنهم ماطلوه⁴، وفي الوقت نفسه استطاعت قبيلة سويد أن تسيطر على المدينة بقيادة بقيادة حميد العبد⁵، الذي استطاع أن يجمع القبائل من سهل متيجة والشلف، حيث تمّت مبايعته شرط أن يحميهم من العثمانيين⁶.

وفي سنة 1517م جهز حميد العبد جيشا تعداده عشرة آلاف فارس انطلق بهم من تنس⁷، ولمّا بلغ هذا الخبر مسامع عروج استدعى أخوه خير الدّين من دلس وأوكله مهمّة تسيير مدينتي الجزائر ودلس، ثمّ سار في حملة برية عرّج فيها على البليدة والمدينة ومليانة، وحارب كل من

1- صالح خليل، خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007، ص 49.

2- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 146.

3- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين، المطبعة الثعالبية الجزائر 1934، ص 31-30.

4 الحسن الوزان، ج2 المصدر السابق، ص 36.

5 لقب بالعبد لأن لون بشرته أسود، وهو مولد من أب أبيض وأم سوداء، لا تذكره المصادر إلا عندما تتكلم عن استعداد القبائل القبائل المحليّة لمواجهة الإسبان بداية القرن 16م.

6 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 210.

7- Haedo F.D., Histoire Des Rois D Alger , traduit et annotee par HD grammont , in revue africane , N°:24, annee1880, office des publications unvairsitaires , alger 1986, p62

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

تعامل مع الإسبان كي يعتبر الآخرون¹، وبعد معركة في سهل الشلف تمكّن عروج من التغلب على حميد العبد الذي فرّ إلى تنس وتحصّن بها²، حيث لحق به عروج وحاصره بها، لكن حميد العبد تمكّن من الفرار إلى جبال الأطلس ومنها إلى الصّحراء، وبعد سيطرة عروج على تنس أصبح يستعمل ميناءها كحلقة وصل بين مدينة الجزائر والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وبالتالي أصبحت الجزائر مقسّمة بين الإخوة بربروس، فقد سيطر عروج على تلمسان كما سيطر خير الدّين على مدينة الجزائر وسيطر إسحاق على مدينة تنس³.

بعد وفاة عروج سنة 1518م، دخل أبو حمو الزّياني مدينة تلمسان مجددا والذي عمل على بسط نفوذه على العديد من المناطق كمليانة وتنس⁴، وبقيت هاتين المدينتين تحت سيطرة الحكم الحكم الزّياني إلى غاية سيطرة خير الدّين عليها، حيث عمل على تعيين حميد العبد الحاكم السّابق لتنس حاكما عليها مع اشتراط دفع ضريبة سنوية⁵.

وفي سنة 1520 قام حاكم تنس حميد العبد بمحاولة انفصالية عن حكم خير الدّين، حيث توجه هذا الأخير إلى تنس وحاربه⁶، فطلب حميد العبد النّجدة من الإسبان فقدمت خمسة عشر سفينة لمساعدته لكن خير الدّين عزّز قوّاته بثمانية عشر سفينة لدعم القوّة السّابقة وقادها بنفسه، حيث تمكّن من الاستيلاء على تنس وغنم خمس سفن إسبانية، وبعدها قفل راجعا إلى مدينة الجزائر⁷.

وحسب بعض المؤرخين، فإنّ خير الدّين لم يقتل حميد العبد وإنّما فرّ إلى الصّحراء لكنّه عاد إلى تنس بعد تفاوض مع الأتراك، لكن يحكم تحت سلطة الأتراك ومعه 25 تركي⁸.

1- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 57.

2- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510/1541م، تر: حمادنة جمال، الجزائر، 1991، ص36.

3- محمد مشومش، المرجع السابق، ص 60.

4- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 71.

5-Haedo F.D, op.cit , p118.

6- عزيز سامح التر، المرجع السابق ، ص 71.

7- المرجع نفسه، ص 78.

8- كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 48.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

وفي فترة حكم حسن باشا بن خير الدين 1544-1552، نظم هذا الأخير حملة ضدّ تلمسان سنة 1540¹، حيث سار على طريق البحر وفي مدينة تنس أمداً حاكمها حميد العبد حسن باشا بألفي فارس من أجود خيولهم، حيث تمكّن من الاستيلاء على تلمسان وقفل راجعاً إلى مدينة الجزائر، وفي سنة 1547 خرج حسن باشا للمرة الثانية من أجل استعادة تلمسان وقام حاكم تنس حميد العبد بإمداده بنفس العدد، وفي طريقه إلى تلمسان وصل إلى حسن باشا نبأ وفاة والده خير الدين مما اضطرّه إلى عقد اتفاق مع الحاكم الإسباني في تلمسان، وأثناء مروره بتنس ترك قطع المدفعية والذخيرة في تنس من أجل استعادتها بحرا نحو الجزائر².

وبعد عزل حسن باشا من طرف السلطان العثماني سنة 1551 وتعيين صالح رايس حاكماً عاماً على الجزائر³ قام هذا الأخير بتعيين صفاح خليفي حاكماً على مدينة تنس بعد وفاة حميد العبد سنة 1552م، وبقي صفاح خليفي حاكماً لتنس لمدة تزيد عن عشر سنوات إلى أن توفي⁴.

يلاحظ أن مدينة تنس منذ فتحها من طرف عروج أول مرة سنة 1517م، فقدت قبيلة سويد سيطرتها عليها وبقيت بيد الأتراك بموجب الاتفاق الذي كان بين خير الدين وقبيلة سويد رغم الثورات المتعدّدة من طرف سويد من أجل استرجاع السلطة الفعلية على تنس وعرفت هذه الثورات بثورة "المحال"⁵، ويرجع إحكام الأتراك لسيطرتهم على المدينة بحكم موقعها الاستراتيجي الاستراتيجي وتوقّفها على ميناء بحري شكل همزة وصل بين الساحل والداخل، وكذلك بين مدينة الجزائر والجزء الغربي من البلاد.

ومن خلال تتبّع التطور السياسي للمدينة، فإننا نجد أنّها حكمت بشكل مباشر من طرف الأتراك بدءاً من سنة 1522، والذين اكتفوا بتعيين حاكمها السابق حميد العبد، ويوجه سبب تعيين هذا الأخير حاكماً على المدينة في إطار استراتيجية الأتراك في تجنب ثورات القبائل ضد الوجود التركي مثلما صنع خير الدين مع إمارة كوكو في بلاد القبائل.

1- عبد الرحمان الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج3 المرجع السابق، ص 48.

2 - Haedo F.D, op.cit ,pp216-261-263.

3 - DE Grammont .H,Histoire D Alger Sous La Domination Tturque 1515-1830, léroux ,paris ,1887,pp 77-78.

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 32.

5- جمع محلة، أي الحملة العسكرية، حتى أن هذه القبيلة أصبحت تسمى عند بعض المؤرخين بقبيلة أولاد المحال نسبة لهذه لهذه الثورة، انظر مالستان هاينريتش، المرجع السابق، ص 218.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

كما شهدت المدينة في هذه الفترة وفود جماعات غفيرة من المورسكيين، واستمرت هذه الهجرة الأندلسية قرنين من الزمن 15 و 17م، حيث ساهمت في بعث وتطوير تنس من جديد¹، لا سيما النشاط الاقتصادي والعمراني مثلها مثل باقي المدن في الجزائر². وكان آخر حاكم لمدينة تنس خلال العهد العثماني هو ميلود بن عراش³، ونظرا لإخلاصه ووفائه اعتمد عليه الأمير عبد القادر في تسيير شؤون المدينة، فعينه آغا عليها، وبقي فيها إلى غاية وصول الفرنسيين إليها واحتلالها في ماي 1843.⁴

3-2-4 الفترة الفرنسية:

قبل دخول الفرنسيين إلى تنس سنة 1883، فإننا نجد أن الأمير عبد القادر يجعل من تنس منفذا بحريا استراتيجي له، سواء في الجانب التجاري مع المدن الساحلية المجاورة أو إدخال الأسلحة إلى أرض الوطن، ومما زاد من أهمية تنس رغبة الأمير عبد القادر لربط علاقات تجارية مع بريطانيا أملا منه في شراء الأسلحة، وكذا كسب المساندة والتعاطف الدبلوماسي⁵، لكن البريطانيون لم يكونوا جد متحمسين لهذه المبادرة.

وفي يوم 27 ديسمبر 1842م دخل الفرنسيون إلى تنس عبر شرشال للقيام بعملية استطلاع وكشف بقيادة الجنرال شانقرنييه من أجل جس نبض مقاومة السكان المحليين، أما الضابط الفرنسي الذي احتلها فعليا فهو الماريشال بيجو والذي وصل إليها في الفاتح من شهر ماي 1843، بعد تقديمه لوعود لسكان المدينة بعدم المساس بأمنهم وأنفسهم وأموالهم

1- ناصر الدين سعيدوني، الاندلسيون، المرجع السابق، ص 108.

2- ناصر الدين سعيدوني، "الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي في كتاب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص ص 136-137.

3- اسكوت (الكولونيل)، مذكرات الكولونيل اسكوت عن اقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر و تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 113.

4- المصدر نفسه، ص ص 113-117.

5- ناصر الدين سعيدوني، انطباعات حول علاقة الامير عبد القادر بإنجلترا والباب العالي سنة 1840-1841م، في كتاب بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تونس، الجزائر، ليبيا، من 1816 إلى 1871م، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972. ص 50.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

ومعتقداتهم، كما أسّس مركزا عسكريا في رأس تنس استقرّ فيه لبضعة أيّام، ثم عمل جعل المدينة مركزا استيطانيا ومركزا عسكريا في نفس الوقت¹.
وبعد مرور سنوات من احتلالها أسّسوا مدينة جديدة في موقع المدينة الرومانية كارتينا وكتّميز للمدينة القديمة والمدينة الجديدة، فإنّ السّكان أطلقوا تسمية تنس الحضر على المدينة العتيقة²، وتنس النّصارى على المدينة الجديدة.

1- Robert .G , **Voyage a Travers L Algérie** , éditeur E.DENTU,S.L,1887,p71.

2- Rozet et Varette ,**Algérie** , 2 eme edition ,Bouzlama, Tunis ,1980,p43.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-3- التسيج العمراني للمدينة:

تعد مدينة تنس من المدن التي عايشت الفترة الإسلامية، وتعاقت عليها المحن وعاشت تقريبا نفس الظروف التي عاشتها تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، والتي اختير لها نفس النسق المتبع في إنشاء المدن الإسلامية الأولى، إلا أنّ هذه المدينة وما تعنيه من أهمية بالنسبة لتاريخ العمارة الإسلامية من طرز عمرانية ذات قيمة علمية وحضارية، تقف حجرة عثرة في وجه الباحث في سبيل وصول إلى إعادة تصوّر لمخطّطها الأصلي، فكلّ ما توفر عنها مستمدّ من مصدرين أساسيين، أولهما ما ورد من معلومات في المصادر التي تحدّثت عن المدينة، والتي أشارت إلى وجود بعض المرافق لكن دون تفصيل، وثاني هذه المصادر هي تلك الآثار الباقية إلى يومنا هذا وعليه ينبغي الاعتماد على دراسة المخطط العمراني للمدينة في شكله الأصلي¹.

شمل التسيج العمراني لمدينة تنس على العديد من المرافق والمنشآت المدنية والعسكرية، شكّلت في مجملها الصّورة العمرانية للمدينة عبر مختلف الحقب التاريخية، التي مرت بها المدينة والتي عرفت عدة تحولات وتغيرات في بنيتها وشكلها تبعا للتطوّرات السياسية والظروف الطبيعيّة التي ميّزت المنطقة، ونحن في هذا المبحث سوف نحاول استعراض مختلف العناصر التي شكّلت التسيج العمراني لمدينة تنس قبل الاحتلال الفرنسي كما يلي:

3-3-1 العمارة العسكريّة:

يقصد بالعمارة العسكريّة لمدينة تنس تلك التّحصينات العسكريّة والاستحكامات الحربيّة من أسوار، وما تحويه من أبراج ومداخل، وهي موضوعة للدّفاع وحماية المدينة من الأخطار الدّاهمة والهجمات الخارجيّة، وسوف نتطرق هنا إلى بعض هذه الاستحكامات كما يلي:

3-3-1-1 الأسوار:

يعدّ سور المدينة الحيّز أو الحاجز الذي كان يضمّ كتلة هائلة من المباني والمنشآت الخاصّة والعامّة في المدينة². يذكر صاحب الاستبصار واصف المدينة بقوله: "تنس مدينة

1- اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 217.

2- قدور منصورية، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرن السابع والعاشر هجرية، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2012، ص 94.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

عليها سور ولها عدّة أبواب، وبعضها على جبل قد أحاط به السور وبعضها في سهل منه¹، ممّا يدلّ على التّحصين الجيّد للمدينة، فشل عديد الهجومات التي تعرّضت لها أثناء الصّراع المريني الزياني². كما نجد أنّه استعصى دخولها من قبل خير الدين بربروس³. إنّ المتأمل لأسوار المدينة يجد أنّها شيّدت بنفس الطّريقة التي تبنى وتحصّن بها مدن المغرب الإسلامي، وهي مشيّدّة بالتّقنيات الطّابية أو بالطّين المدكوك الذي كان يستخدم عادة في هذا النّوع من البناء بسبب وفرته، وكذا مقاومته للعوامل المناخية (الحرارة والأمطار)، وما صمود أسوار مدينة تنس المبنية على هذه المادّة إلّا دليل على أهميّة مادّة البناء⁴.

3-3-1-2 الأبراج:

لقد ظهرت الأبراج في وقت مبكر كسمة هامّة في التّحصينات العسكريّة وذلك بالنّظر إلى الأهميّة الوظيفيّة لها، حيث استعملت كمركز مراقبة لها كي لا يطرق المدينة العدو على حين غفلة وعادة ما تبنى الأبراج فوق مداخل المدينة⁵. والملاحظ في هذه الأبراج أنّها تكون ملتحمة بالأسوار من أساسها إلى قمّتها، كما أنّها تختلف في شكلها وحجمها، وقد استخدم في مدينة تنس عدّة أبراج وزرعت في أماكن مختلفة من السور للزيادة من فعاليته⁶، وبصعب تحديد عددها ومواقعها، نظرا لعدم إشارة المصادر لها، واندثار معظم معالم السور وملحقاته. ومن خلال الدّراسة الميدانية التي قام بها الدّكتور اسماعيل بن نعمان للموقع، بالإضافة لمل حفظته الدّائرة الشّعبية عنها⁷، والخريطة المنجزة من طرف الاحتلال الفرنسي سنة 1875، وهو ما سمح بحصر عددها بـ 14 برجاً، بنوعيتها المصمت والمفرغ⁸.

1- ابراهيم بن محمد الاصطخري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، الرباط، 2014، ص 34.

2- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 81.

3- ابن رقية التلمساني، "الزهرة النائرة فيما جرى بالجزائر حين أغارت عليهم جنود الكفرة"، نشر وتحقيق سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب الجزائرية، العدد 3، الجزائر، 1977، ص 60.

4 - قدور منصورية، المرجع السابق، ص 95.

5- نيكيتا اليسيف، المدينة الإسلامية التخطيط المادي، تر: أحمد تغلب، نشر سرجنت اليونسكو، 1983، ص 102.

6- اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 210.

7- المرجع نفسه، ص 210.

8- المرجع نفسه، ص 211.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

أمّا عن مظهرها العام فقد كانت تختلف من حيث الحجم والشكل حسب أهمية موقع البرج في سورها، حيث أنّ شكل البرج في ركن السور يختلف في شكله فوق المداخل، وعادة ما يحيط بالمداخل برجان لتقوية السور المحيط، وكان لها قمة قاعدة مربعة أو نصف دائرية كذلك حسب العصر الذي شيّدت فيه¹.

3-1-3-3 الأبواب:

إضافة إلى ما سبق ذكره، فقد اعتبرت الأبواب في المدينة الإسلامية من أهمّ العناصر المعماريّة التي تضاف إلى التّحصينات ومقوماتها، وأنّ هذا العنصر ذا وظيفة تشكّل همزة وصل بين خارج وداخل المدينة، وعلاوة على هذا فإنّها تعتبر منافذ للمدينة ونوافذ لها. فهي تأتي في الغالب على شكل قبو أو دهليز أو ممر واسع يسمح بمراقبة الدّخول والخروج، وأيضا معالجة الفراغ الاصل بين الدّاخل والخارج². وقد تنبه إلى هذه الأهميّة المؤرّخون والجغرافيون القدامى أمثال القزويني الذي ينصح بأن تفتح عدة أبواب في السور الواحد كي لا يتزاحم النّاس، وتحدث الفوضى داخل المدينة³.

توفّرت مدينة تنس على هذا العنصر الهام. يظهر ذلك في قول البكري. (وهي مسورة حصينة... ولها بابان إلى القبلة، وباب البحر، وباب ابن النّاصح وباب الخوخة الشّرقية تخرج منه عين...)⁴. وحسب قول البكري، فإنّ المدينة احتوت على خمسة أبواب توزّعت اثنان منها في الجهة الغربيّة وهي: باب البحر، وباب ابن ناصح واثنان في الجهة الشّرقية وهما باب القبلة وواحد في الجهة الجنوبيّة وهو باب الخوخة. ورغم التواء طرق المدينة وتعرّجها، فإنّ الأبواب في مدينة تنس تبدو للمتفحص والمتأمّل في مخطّطها أنّها تموّعت بصفة محورية متناظرة أو تقترب من ذلك، حيث نجد مثلا باب البحر وباب ابن ناصح يقابلان باب القبلة، إذ تعتبر هذه السّمة المعماريّة من بين السّمات البارزة التي اشتهرت بها عديد المدن الإسلاميّة.

1- نيكيتا اليسيف، المرجع السابق، ص 102.

2- ابراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1992، ص 85.

3- محمد بن محمود زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 2019، ص 07.

4- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 61.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

يتّضح ذلك في مدينة بغداد، حيث توجد بها أربعة أبواب محوريّة في الجهات الجغرافيّة الأربعة وأطلق عليها أسماء المدن أو المناطق المتّجهة إليها أو المفتوحة عليها¹، كما يظهر ذلك في مدينة ندرومة التي احتوت أربعة أبواب².

نستنتج من خلال ما سبق أنّ مدينة تنس بتحصيناتها العسكريّة من أسوار وأبراج ومداخل، استطاعت أن تشكّل حلقة من حلقات التّاريخ العسكري، والسياسي في العصر الوسيط.

3-3-2-العمارة المدنيّة:

تشمل العمارة المدنيّة عدّة معالم عمرانيّة ومرافق عموميّة ومنها ما هو متعلّق بالعمائر السكنية، مثل. القصبّة، الدّور، القصور، الضيّاع، ومنها ما هو متعلّق بالنّظافة والصّحة كالحمامات. ومنها ما يتعلّق بالتّجارة والمنافع العامّة كالخانات والفنادق، وغيرها من المرافق والمنشآت الضّرورية كالمساجد والكتاتيب والزّوايا، وهي كالتّالي:

3-3-2-1 الدّور والمساكن:

تخضع مساكن بلاد المغرب الأوسط إلى عاملين يحدّدان طرازها وأثاثها، وهما تمثّلان بالتّراث التوارث عبر الأجيال، والمستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنين الثّالث والرّابع هجري وقد اختلفت من منطقة إلى أخرى³. وقد كانت بعض المنازل تبنى بالطّوب وأخرى بالحجارة المنحوتة، أمّا سقفها فكان بالخشب، كما كانت المنازل متلاصقة ليكون بالإمكان إحاطتها بسور⁴ وتشقّها أزقة متعرّجة ومنكسرة تؤدّي إلى السّاحة العامّة كما تؤدّي إلى الأسواق والأبواب العامّة، وكان لهذه الأزقة مزايا كبيرة للقاطنين على جوانبها، فهي تعمل على تكسير قوة الرياح وإعاقة حركته وتجعل الهواء فيها ساكنا⁵، إضافة إلى ضيقتهما وتعرّجهما إلى

1- كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1971، ص 58.

2- قدور منصورية، المرجع السابق، ص 96.

3- عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري 10/09م، د م ج، الجزائر، دت، ص 384.385.

4- يحي وزيري، "العمارة الاسلامية والبيئة"، مجلة عالم المعرفة، العدد 304، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2004، ص 97.

5- اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 198.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

يؤدي إلى قلة تعرضها لأشعة الشمس المباشرة¹، كما يساهم التعرج في إعاقة الرؤيا لمسافات طويلة الأمر الذي يؤدي إلى حجبها عن الغرباء والمتطفلين، دون إهمال الجانب الأمني حيث تمكن المدافعين من الاختباء عن أعين المهاجمين ومباغتتهم أثناء تحركهم داخل المدينة². تميّزت شوارع مدينة تنس بتنوّع مقاساتها من حيث الطّول والعرض، وامتدادها من حيث الاستقامة والتعرج والانكسارات، وتتحكّم في هذا التنوّع عدّة عوامل منها أهمية الدّور وطبيعة الموقع الطبوغرافي³، وهي مقسّمة إلى تجمّعات سكنية كثيرة مفصولة بشوارع رئيسية وثانوية تغير عددها بمرور الزمن، وبفعل التّوسع اتّجاه المساحات الشّاغرة، ومن أشهر أحياء المدينة ما يلي:

- حومة المسجد الجامع: تشمل كل المنطقة الواقعة بالقرب من المسجد الجامع.
- حومة السّوق: وتشمل المنطقة المحيطة بالسّوق.
- حومة الرّحبة: وتشمل المنطقة الواقعة من الرّحبة⁴.

نستنتج ممّا سبق أنّ مساكن مدينة تنس تميّزت بعدم احتوائها على بعض العناصر المهمّة التي تميّز بها مثيلاتها في المدن الإسلاميّة الأخرى، مثل الأفواس التي توزّعت على مسافات متباينة من امتدادها، وهي ذات دور جمالي وظيفي في آن واحد. حيث تعمل على دعم جدران المنازل التي تكون غير محكمة البناء، كما تحمل الشّرفات التي تطلّ إلى الشّارع إضافة إلى كون أحدا يحتوي دوما على باب الدّخول إلى الشّارع⁵. وما تزال مدينة تنس إلى يومنا هذا محافظة على النّمت القديم المتمثّل في وجود مداخل رئيسيّة منكسرة وأروقة وصحون.

1- يحي وزيري، المرجع السابق، ص 97.

2- اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 194.

3- المرجع نفسه، ص 200.

4- المرجع نفسه، ص 203.

5- المرجع نفسه، ص 204.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-2-2-3-حمامات:

الحمام: المغتسل المعروف ويقال له الديّماس أيضا مذكر وقد يؤنث، مشتق من الحميم وهو الماء الحار، جمعه حمامات.

لقد عرف بناء الحمامات العامة لغرض الاستحمام انتشارا كبيرا قديما وحديثا وكان يعتبر من أهم المرافق العمومية ذات الخدمات الاجتماعية المشتركة، لكونها مؤسسات ضرورية تؤدي ضرورة صحية، كما كانت تؤدي في نفس الوقت وظيفة دينية وأخرى ترفيهية.

وبمرور الوقت أخذت الحمامات مظاهر إسلامية وكثر إنشاؤها في المدن الإسلامية. لحاجة مرتبطة لدعوة الإسلام إلى النظافة والتطهر، ولعدم قدرة عامة الناس على بناء حمام داخل منازلهم، كما استخدمت إلى غرض الريح¹.

وحسب البكري، فإن مدينة تنس بها حمامات لم يحدّد عددها، حيث قال في هذا الصدد: "... وبها حمامات..."². من خلال قوله يتبين أنّ صيغة الجمع هذه مفادها توفر أكثر من حمامين اثنين، بعدها بخمسة يأتي إلينا الحميري ويحدّد عددها بحمامين حيث قال (... وبها حمامان...)³. من خلال هذا الاختلاف في عددها يتبين أنّ المدينة خلال عصره عرفت انكماشاً كبيراً ساهم في التقليل من عدد حماماتها⁴، ولم تشر هذه المصادر إلى أماكن تواجد هذه الحمامات مما يصعب تصوّر مخطّطها الأصلي. ومهما يكن من أمر، فإنّ الحمامات الإسلامية حتّى وإن كانت استوحيت تقسيماتها وشكلها المعماري من الحمامات الرومانية إلا أنّ هذا لا يمنع من أنّ التركيب المعماري للحمام الإسلامي جاء وفق ما تقتضيه الشريعة ويقرّه الدّين، خاصّة ما يتعلّق منها بطهارة الماء وتحقيق المنفعة العامة للنّاس⁵.

1- عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص24.

2- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص61.

3- عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص138.

4- اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص205.

5- عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص248.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

3-2-3-3 الفنادق:

كلمة الفندق معرّية ترجع أصولها إلى الكلمة اللاتينية Fondaka أو اليونانية woyoopely التي كان تطلق على بعض المنشآت التجارية¹، وهو المكان المعدّ لنزول المسافرين والتّجار، والزّراع والغرباء من الحواضر والقرى البعيدة للمبيت وتّخزين السّلع فيها. والفندق عبارة عن مؤسّسات ذات صلاحيات مختلفة ومتعدّدة، حيث تحتوي على مجموعة من الهياكل والمنشآت بداخلها جزء مخصّص للتّجار وجانب خاص بالدّواب المختلفة. كما يحتوي على مكاتب تعتبر بمثابة الإدارة المسيّرة للشؤون الفندق، والقائمة على مصالح الجالية من التّجار وغيرهم².

أمّا بالنسبة لمدينة تنس لم تتحدّث المصادر عن وجود الفنادق باستثناء بعض الإشارات التي لمحت لوجودها، حيث كانت القوافل تأتيها من تيهرت والسودان الغربي، ممّا يقتضي وجود فنادق لإقامة هؤلاء².

لقد بنيت هذه الفنادق في المدينة كنتيجة لازدهار التّجارة فيها، فكانت لها وظيفة مزدوجة، فهي للسّكن وإيواء التّجار الغرباء، وتخزين السّلع والمواد التّجارية.

3-2-3-4 المساجد: حسب المصادر التاريخية فإن مدينة تنس كانت بها ثلاثة مساجد، ولم تتم الإشارة إلا إلى المسجد الجامع الذي يذكره البكري بقوله: "بها مسجد جامع وأسواق كثيرة.."³، ويعود ذلك كون المساجد الأخرى صغيرة ومحدّدة الوظيفة، ولهذا يمكن تقسيم هذه المساجد إلى نوعين:

3-2-3-4-1 المساجد الكبيرة الجامعة: مثل المسجد الجامع الذي كانت السّلطات تقوم بأمره، وتفوض إليه القاضي الذي يدير شؤونه وينصب الإمام له في الصّلوات الخمس والجمعة والعيدين والاستسقاء⁴.

1 - جمال أحمد طه، مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين (448هـ/1056م-668هـ/1269م)، دراسة سياسية وحضارية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2011، ص206.

2- عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص359.

3- ابو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 62.

4- محمد عادل عبد العزيز، التربية الاسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987، ص 49.

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

كما يعتبر المسجد الجامع ثاني مسجد بمدينة تنس، ويقع في الجهة الشرقيّة للمدينة، بني هذا الأخير في القرن الرابع هـ/التاسع م من قبل الأدارسة¹.

أمّا تاريخ بنائه، فيصعب تحديده لعدم وجود نصوص ووثائق تاريخية تحدّد تاريخ تشييده، ويحتمل أن يكون تاريخ بنائه بين فترتي 262هـ-290هـ/878م-895م، وهذا تزامنا مع تأسيس المدينة الحديثة، وقد استقطبت هذه المنارة العلميّة الكثير من الطلّبة والعلماء، كما تخرّج منها العديد من الفقهاء، الأمر الذي جعل المسجد يكون من أهم المساجد في المغرب الإسلامي.

3-3-2-4-2 المساجد الصّغيرة: هي مساجد غير تابعة للحكومة ولا تتدخل في إدارتها السّلطات، بل يقوم بإدارتها أهالي الأحياء التي تقع بها، ويتولّون الإنفاق عليها وترتيب الأئمة للصلاة فيها².

1- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، 1218هـ، ص 182.

2- اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 151.

خلاصة

الفصل الثاني

الفصل الثاني: مدن منطقة الشلف قبل الاحتلال الفرنسي

نستخلص مما سبق ذكره أن منطقة حوض الشلف بأقسامه الثلاثة، الأسفل والأوسط والأعلى عرف توطنا بشريا ونشاطا عمرانيا قبل الاحتلال الفرنسي خاصة العهد العثماني، وهذا يضرب عرض الحائط كل الادعاءات الاستعمارية الزاعمة بأن المنطقة لم تكن مأهولة وانما يعود فضل تعميرها الى الفرنسيين، فلقد اشتهرت المنطقة بالعديد من المدن التي كان لها العديد من الادوار السياسية والاقتصادية والعسكرية، فمدينة مليانة لعبت دورا اساسيا خلال مقاومة الامير عبد القادر فقد كانت مقاطعة ادارية تابعة لدولة الامير وكان خليفة الامير بن علال خليفة على مليانة، نظرا لموقعها الدفاعي الهام، وقد انشئ الامير مصنعا لصناعة البارود والأسلحة به، اذ مازال هذا المصنع صامدا الى اليوم، كما لعبت مدينة مازونة العديد من الادوار الهامة، فعلاوة انها كانت عاصمة لبايلك الغرب خلال العهد العثماني، فان دورها الثقافي اعلى من من قيمتها وشهرتها، فقد لعبت المدرسة الفقهية دورا هاما في تاريخ مازونة الحديث والمعاصر، اما مدينة تنس فقد لعبت دورا اقتصاديا بامتياز، نظرا لموقعها المشرف على البحر الابيض المتوسط، واحتوائها على ميناء تجاري عريق يعود الى الفترة الرومانية بالمنطقة.

عموما ان منطقة حوض الشلف عرفت حركية عمرانية هامة منذ القديم وتوسعت ونشطت خلال الفترة العثمانية، لكن بفعل التوسع الاستعماري في المنطقة منذ الاربعينيات من القرن التاسع عشر وتطبيقه لسياسة عمرانية كولونيالية تراعي مصالحه الاقتصادية والعسكرية بالدرجة الاولى، فاننا نجد العديد من المدن العثمانية قد عرفت انحسار وتراجعا كبيرا بفعل ظهور مدن كولونيالية جديدة بالقرب منها، فمدينة مليانة تراجع دورها نتيجة تأسيس مدينة أفروفييل على سفوح جبال زكار، مدينة مازونة انحسر دورها نتيجة تأسيس مدينة غليزان في سفوح جبال الظهرة، ومدينة تنس تراجع دورها نسبيا نتيجة تأسيس مدينة أورليان فيل، وهذه المدن الكولونيالية الجديدة سنتناولها بالدراسة في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري م1843-1900م

1-تأسيس مدينة أورليان فيل.1843.

1-1الخصائص الجغرافية:

1-2التطور الاداري

1-3التطور الديمغرافي

1-4التطور الاقتصادي

1-5التطور العمراني

2-تأسيس مدينة افرو فيل 1848

2-1الخصائص الجغرافية

2-2التطور الاداري

2-3التطور الديمغرافي

2-4التطور الاقتصادي

2-5التطور العمراني

3-تأسيس مدينة غليزان.1857

3-1الخصائص الجغرافية

3-2التطور الإداري

3-3التطور الديمغرافي

3-4التطور الاقتصادي

3-5التطور العمراني

أولا -تأسيس مدينة أورليان فيل:

1-الخصائص الجغرافية:

1-1-الموقع:

1-1-1-جغرافيا:

تقع مدينة أورليان فيل Orleansville في القسم الأوسط من حوض الشلف، على الضفة اليسرى لواد الشلف الأعظم، فبالاعتماد على المظاهر الجغرافية يمكن تحديد المدينة جغرافيا على النحو التالي، فالمدينة يحدها من الناحية الشمالية جبال الظهرة، أين تظهر قمة جبل بيسة بارتفاع يقدر ب 1048م، ومن الجهة الجنوبية يحدها جبال الونشريس حيث تظهر لنا قمة جبل تمدارة بارتفاع 1192م، ومن الجهة الشرقية تظهر لنا سهول شلف الأعلى الممثلة في سهول العطاف وعين الدفلى، ومن الجهة الغربية نجد سهول الشلف الأسفل الممثلة في سهول وادي رهيو وغليران.¹

1-1-2- إداريا:

وبالاعتماد على الوحدات الإدارية التي أنشئت من طرف الإدارة الاستعمارية في منطقة حوض الشلف، يمكن أن نحدد المركز الاستيطاني لأورليان فيل Orleansville بالشكل التالي، فمن الناحية الشمالية نجد المركز الاستيطاني WARNIER (أولاد فارس حاليا) الذي تم تأسيسه سنة 1880م، ومن الناحية الجنوبية نجد القرية الزراعية BAUGINVILLE سنجاس حاليا، والتي أسست سنة 1907م، ومن الناحية الغربية نجد المركز الاستيطاني MALAKOF وادي سلي حاليا والذي تم تأسيسه سنة 1868م والذي تأسس سنة، ومن الناحية الشرقية نجد المركز الاستيطاني PONTBA أم دروع حاليا الذي تأسس سنة 1848م.²

1 - محمد عيساني، الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للاستيطان الاوروبي في حوض الشلف، اطروحة دكتوراه في

التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر3،الموسم 2017-2018،،ص 20

2 -Xavier Yacono , La Colonisation,T2, op-cit ,p76

1-2- المناخ:

بحكم وقوع مدينة أورليان فيل بين سلسلتين جبليتين مرتفعتين، سلسلة الظهرة شمالا وسلسلة الونشريس جنوبا، فإن المناخ السائد في أورليان فيل هو المناخ القاري بالرغم أن المدينة لا تبعد عن البحر الأبيض المتوسط سوى بـ 50 كلم، كون جبال الظهرة شكّلت حاجزا طبيعيا أمام وصول التيارات البحرية إلى الداخل، يتميز المناخ القاري بارتفاع درجة الحرارة صيفا والبرودة شتاء، حيث ترتفع درجة الحرارة في شهري جويلية وأوت بمعدّل 29.60 درجة وتنخفض في شهر جانفي بمعدّل 9.55 درجة، وهنا نجد المدى الحراري يفوق 20 درجة، وهذا الفارق يختلف بعض المدن الفرنسية كستراسبورغ ونانسي¹.

1-3 الغطاء النباتي:

يتنوع الغطاء النباتي في المنطقة، حيث نجد الأحراش وغابات الصنوبر والعرعار والسرور والبلوط في المناطق الجبلية المحيطة بالمدينة شمالا وجنوبا، بالإضافة إلى مختلف المحاصيل المزروعة في المناطق السهلية كالحبوب والخضر والفواكه.

1-4 التربة:

يسود المنطقة التربة الخصبة الرسوبية، الناتجة عن فيضانات واد الشلف خلال فصل الشتاء، وتعتبر هذه التربة غنية بالمواد العضوية والمعدنية الصالحة للزراعة، ومن خلال التحليل الكيميائي والفيزيائي لعينات تربة واد سلي، والتي تشبه تربة أورليان فيل، تبين من حيث التحليل الفيزيائي ما يلي:

رمل كلسي خشن 22.0، رمل غير كلسي خشن 66.0، رمل كلسي ناعم 217.0، رمل غير كلسي ناعم 300.0، طمي 262.0، غضار 151.0، دبال، أما من حيث التحليل الكيميائي، فقد تبين ما يلي:

الأزوت 1.10، حمض الفوسفوريك منعدم، البوتاسيوم منعدم، الكلس 239.0، الجير منعدم كلوريدات الصوديوم 0.20، تفاعل حمض الأكسيد 7.2².

1- Xavier Yacono, La Colonisation, T1, op-cit ,op-cit ,p95.

2- Ibidem.

1-2 التطور الإداري للمدينة:

لقد أدركت السلطات الاستعمارية منذ الوهلة الأولى أهمية إحكام السيطرة على منطقة الشلف وإقامة مركز عسكري دائم يسهل عملية الاتصال بين المناطق الداخلية والساحل في تنس، ويضمن التواصل بين الجزائر ووهران، كما يساعد على إقامة مركز استيطانية عسكرية ومدنية أخرى في منطقة حوض الشلف، من أجل التصدي لمقاومة الأمير عبدالقادر من جهة، وتسهيل عملية إقامة المستوطنين الأوروبيين والفرنسيين في المنطقة من أجل استغلال خيرات المنطقة¹.

تحركت حملة سنة 1843 عبر محورين رئيسيين، المحور الأول بقيادة الماريشال بيجو حيث انطلق من مدينة مليانة بتاريخ: 23 أبريل 1843م على رأس جيش قوامه ستة كتائب مشاة و250 فارسا وفصيلتين جبليتين وكذا عدد كبير من المهندسين العسكريين والمرضى والعمال الإداريين بالإضافة إلى 120 عربية و350 بغلا، وأما المحور الثاني فقد كان بقيادة الجنرال جنتيل² انطلق من مدينة مستغانم في اليوم نفسه على رأس جيش كان يضم 70 عربية و1800 بغلا وبتاريخ 26 أبريل 1843م ظهرا وصل الطابور الأول بقيادة الماريشال بيجو إلى مدينة الأصنام، وبالقرب من الآثار الرومانية الواقعة على يسار واد الشلف ويمين واد تسيغاوت باشرت فرقة الهندسة العسكرية في تطهير المكان، وشق المسالك للعربات ليتم نصب أول مخيم، والذي سيشكل حجر الأساس للمستوطنة الجديدة، وفي اليوم الموالي وصل الطابور الثاني بقيادة الجنرال جنتيل الذي تصادف وصوله باستقبال لماريشال بيجو لأعيان وشيوخ قبائل المنطقة من جبال سنجاس وبني راشد ومجاجة³، ليقوم بعد ذلك بتعيين العقيد كافينياك على رأس المخيم الجديد وجعل كل من الرائد تريبي (Tripier) مساعدا له في ميدان الهندسة العسكرية والنقيب ريشار (Richard) مكلفا بالشؤون العربية والذي سيصبح بعد ذلك رئيس المكتب العربي بمنطقة الشلف.

1-Pelissier Eugene De Reynaud, *Annales Algerienne*, 2^{eme} Edition T2, Alger, 1854, p64.

2- Paul Azan, *Conquête Et Pacification De L algerie*, paris, 1931, Pp 296-297.

3- Renie Pentie, *Souvenir De L algerie Ou Notice Sur Orleans Et Ténès*, Im De Boucher Moreau, Valanciennes, 1850, Pp 1-14.

لقد وصلت جيوش الاحتلال إلى مدينة الأصنام بعد أربعة أيام فقط من انطلاق الحملة، وهذا ما يوحي بانعدام شبه كلي للمقاومة الشعبية، والتي كما ذكرنا سالفًا فقد تمّ تشيبتها وإحكام السيطرة عليها خاصة بعد احتلال مليانة ومازونة ودفع القبائل والقوات الموالية للأمير عبد القادر إلى المناطق الجبلية في الشمال والجنوب (الظهرة والونشريس)، وهي القوات التي كانت في الأصل تعاني من ضربات متتالية وحصار مطبق.^[1]

وفي صبيحة يوم 28 أبريل 1843م سار الماريشال بيجو نحو الشمال قاصدا مدينة تنس الساحلية التي وصلها يوم 30 أبريل 1843م وعلى أنقاض آثار مدينة كارتينا^[2] الرومانية أعطى الأوامر لبناء المدينة الفرنسية الجديدة، ومنها أرسل أول أخباره إلى وزير الحربية في فرنسا الماريشال (Soult) الذي سرته الأنباء وأرسل بقراره المؤرخ في 16 ماي 1843 بأن يسمى المخيم الجديد باسم مدينة أورليان (أورليانفيل) نسبة إلى الدوق أورليان.

وتشاء الأقدار أن يكون ذلك اليوم نكسة على مقاومة الأمير عبد القادر، فعلى "شاطئ الشلف الأعلى" كانت عاصمة الأمير المتنتلة (الزّمالة)، تتعرض للنهب والسطو والاستيلاء عليها في عين طاقين (بلدية قصر الشلالة حاليا) من طرف قوات الكولونيل لامورسيار.³

كانت تسمية المخيم مدينة (أورليان) ولم يكن بعد في مستوى بلدة أو بلدية، وقد قام الكولونيل كافينياك ينظم الإدارة ويوسع المخيم إلى حيّ سكني للجنود يشقّ المسالك كما قام بإقامة جسر على نهر الشلف يضمن التّواصل بين الجهة الشماليّة والجنوبيّة للمدينة.

إنّ المدينة الناشئة لو لم تبدأ مخيما عسكريا، لم يكن في وسع أي إنسان الإقامة بها فبعض التّجار والحرفيين اللّذين رافقوا الحملة، عادوا من حيث أتوا قبل نهاية الصّيف، وبعد ستّة أشهر من قيادة كافينياك لأوّل مخيم بالشلف، حضر نظيره الكولونيل سانت أرنو يوم 24 نوفمبر 1843 ليخلفه في قيادة المخيم، وكتب سانت أرنو يصف المدينة بعد ستّة أشهر من تأسيسها: "كانت مدينة أورليان فيل عبارة عن مخيم واسع به 2000 رجل" وفي رسالة أخرى لأخيه يصف المخيم قائلا "إنّ مدينة أورليان هي صحراء وسط صحراء كرى، تصوّر

1- Marcel Emirit, L'algerie A L'époque D'abd-El-Kader, paris, 1951, P 199.

2- Renie Pentier, op-cit, pp 8-11.

3- تشرشل هنري تشارلز، المرجع سابق، ص 74-82.

بضع ديار وسط سهل شاسع لا شجر ولا نبات ونهر الشلف في ظهرنا مع جسر أمريكي¹...".

كانت مدينة مليانة مركزا متقدّما في الغرب والآن أصبحت أورليان فيل (الأصنام)، وهاهو سانت أرنو يجد نفسه معزولا كما كان في مليانة بدون مواصلات، فكما شقّ طريق مليانة شرشال عليه اليوم شقّ طريق الأصنام تنس، وهاهو يكتب في رسالة أخرى "ألف ساعد تعمل على شقّ الطّريق الذي قد لا ينتهي قبل عام" ويضيف "إنّ مستقبل هذا البلد عظيم، لكن ما أعظم الذهب الذي سيلتهمه"².

يعدّ سانت أرنو أول من وضع البنايات الأساسيّة والقاعدية لتطوير مدينة الأصنام، فلقد قام بتوطئة الطّريق الرّئيسي الكبير، وبنى المستشفى الكبير فوق ربوة كانت تشرف على المخيم كما قام بإنشاء مرآد للجنود وإصطبلات للحيوانات وشيّد مبنى قيادة الأركان، وبعد مرور عام على نشأة المدينة أصبحت تضمّ إلى جانب 4000 عسكري 430 مدنيا يعملون على إعمار المدينة الناشئة.

لقد بذل سانت أرنو مجهودات كبيرة لترقية المخيم إلى مركز استيطاني أوروبي، فقد هيأ لها مزرعتها الخاصّة على ضفاف واد الشلف، وكان الجنود مكلفين بزراعتها وها هو يكتب من جديد: "قمت بزرع الشّعير بكتيبي الخاصّة، ما يزيد عن خمسين هكتارا وأنا الآن أغرس الأشجار التي قد لا أرى ظلّها أبدا"³.

وبأمر مؤرخ في 14 أوت 1845م تقرر تحويل المخيم إلى مركز سكني عسكري تعداد سكانه 2000 نسمة وحدّدت مساحته الترابية بـ 2000 هكتار، تمنحها الحكومة للمعمّرين الوافدين خاصّة الباريسيّين اللّذين تمّ تهجيرهم قسرا بعد أحداث 1848 م في فرنسا وأوروبا حيث تمّ توطينهم في الفيرم (حي الحرّية حاليا) التي تمّ إنشائها سنة 1845 م، وكانت مزرعة تابعة للمخيم، ثم أيضا في بونتيا (أمّ الدروع حاليا) التي تمّ إنشائها سنة 1848 م لتغطية الطّلاب المتزايدة للوافدين الجدد.

1-Jaques Leroy De Saint-Arnaud, *Lettres du maréchal de Saint -Arnaud*, Michel Lévy Frères- Libraire-Editeur, Paris 1855, Volume 2, p 19.

2- *Ibid*, p 21.

3- Xavier Yacono , *Les Bureaux*, op.cit. P 122 .

وفي سنة 1850 م وبعد تزايد عدد المدنيين بمدينة الأصرام حيث بلغ 702 مستوطن من جنسيات مختلفة،¹ وسعيًا من الإدارة الاستعمارية لتسيير شؤونهم الإدارية اضطرّ وزير الحرب إلى إنشاء محافظة مدنية وكانت هذه الخطوة آخر مرحلة قبل قيام البلدية الكاملة الصلاحيات ضمن المدن الواقعة تحت التراب العسكري.

تأسست المحافظة المدنية بالأصرام بمرسوم بتاريخ: 21 نوفمبر 1851م وتمّ تعيين فرديناند دوبوك أول محافظ لها، ولم تكن سلطته في البداية تتعدى أسوار المدينة ثمّ شملت المستوطنين في كل من الفيرم وأمّ الدروع في شهري جويلية وديسمبر من سنة 1852 م، ومنذ ذلك الحين بدى التباين في تقسيم الصلاحيات الإدارية عن السلطة العسكرية التي أصبح يمثلها الكولونيل بوسكي خلفا لسانت أرنو الذي غادر المنطقة سنة 1848 م.

والى جانب المحافظ المدني الذي كان يدير شؤون السكان الأوربيين، كان هناك مسؤول آخر مهمته تسيير شؤون الأهالي في إطار ما كان يعرف بالمكاتب العربية²، وكان أول رئيس للمكتب العربي بالمدينة هو النقيب شارل ريشارد³، الذي كان في الفرقة نفسها مع سانت أرنو وبدأ عمله أولاً في مدينة تنس، وكان يحمل أفكارا شيوعية وقد عمل على إفادة الأهالي من بعض الخدمات الحديثة في ميادين الصحة والقضاء والتعليم واستخدام الآلات وأنشأ أكبر سوقين بالأصرام وتنس، وهو الذي عمل أيضا على تحويل المحافظة المدنية إلى بلدية مستقلة ولا مركزية.

لقد ساهمت جهود ريشارد إذن من جهة وتزايد عدد الأوربيين بالمنطقة من جهة أخرى (حيث بلغ عددهم 1077 معمر سنة 1856 م⁴) على تحويل المحافظة المدنية إلى بلدية مستقلة، حيث تمّ الاعتراف بها بمرسوم 31 ديسمبر 1856 م، وقام الحاكم العام للجزائر بتعيين أول مجلس بلدي بقراره بتاريخ: 29 جوان 1857 م، وأشرف على تنصيبه يوم 08 جويلية 1857 م وكان يتكوّن من: فرديناند دوبوك رئيسا للبلدية ومعاونيه كل من: ليون ديجردان عن المدينة، وبيار بولي عن أمّ الدروع، وكارل هيبوليتب عن الفيرم، وكان له

1-Renie Pentier, *op-cit.* Pp 1-14.

2-Xavier Yaccono, *Les Bureaux*, *op-cit.* Pp 76- 79.

3- *Ibid*, pp 136 -144.

4- *Ibid*, pp 72 -76.

مستشارون، وهكذا بدأت معالم الحدود الإدارية للمنطقة بالبروز، وتطوّرت بتطوّر مقتضيات الاستيطان تازّة، وتحت تأثير العوامل الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والطبيعية تازّة أخرى.

وفي 27 جويلية 1878 م، صدر مرسوم حكومي جعل من الأصنام دائرة، فأصبحت عاصمة الشلف الصّغيرة، وكانت إذاك تضم العديد من المراكز الاستيطانية والبلديات ومن أبرزها: شارون (بوقادير حاليا) مالاكوف (واد سلي حاليا)، مونتونوت (سيدي عكاشة حاليا)، واد الفضّة وكذا الفيرم وأمّ الدروع، إلّا أنّه سرعان ما توسّعت رقعة هذه الدائرة بعد سنة 1875 م، نتيجة نشأة مراكز استيطانية، وبلديات أخرى على غرار أولاد فارس (Warnier) 1877م، وسنجاس (Bougainville) سنة 1907م، وأولاد بن عبد القادر (Masséna)، وعين مران (Rablais) سنة 1889 م غيرها من المناطق الأخرى.

وبتاريخ: 28 جوان 1956 م وبموجب المرسوم رقم: 461/56 أصبحت أورليانفيل عمالة¹ من بين العمالات السبع ضمن التقسيم الجديد في الإدارة الفرنسية وأصبحت تضمّ ستّة دوائر هي: (الأصنام، عين الدفلى، شرشال، مليانة، ثنية الحدّ، تنس) وأصبح عدد بلدياتها 102 بلدية تمتدّ على مساحة 13500 كلم² بتعداد سكّان بلغ 671 ألف نسمة.

1- Paul Moati, Développement Agricole, Département D orleansville, paris, 1959, Pp 06 -09.

1-3- التطور الديمغرافي للمدينة:

تعتبر قبيلة أولاد قصير من أهم القبائل المحليّة، التي سكنت في منطقة سهل الشلف الأوسط فمن خلال الوثائق والأرقام الإحصائيّة، التي وجدت في بعض الجداول الإحصائيّة الخاصّة بسنة 1845 م وسنة 1848¹، فإنّ تعداد سكّان هذه القبيلة قدر سنة 1845م بـ 8953 نسمة يتربّعون على مساحة قدرها 38440 هكتار، في حين الأرقام التي سيّقت حول نفس القبيلة خلال سنة 1848، فنجد تعداد سكّانها قدر بـ 8288 نسمة على مساحة قدرت بنفس الرّقم السابق 38440 هكتار، وهي القبيلة المحليّة التي أقيمت على أراضيها مدينة أورليان فيل، والتي تأسّست في البداية كمخيّم عسكري في سنة 1843، وتطوّرت إلى مركز استيطاني فرنسي ثمّ إلى مدينة، وبعد فتح باب الهجرة أمام الأوروبيين والفرنسيين للاستقرار في مدينة أورليان فيل، فإنّ تعداد السّاكنة تطور وتتنوّع، حيث أصبح النّسيج الديمغرافي يضمّ السكّان المحليين بالإضافة إلى الجالية الأوروبيّة المقيمة في المنطقة.

أمّا عن تطوّر عدد السكّان الفرنسيين في مدينة أورليان فيل، فمن خلال منحى تطوّر السكّان للمدينة خلال الفترة 1840 إلى غاية سنة 1856، فنجد في سنة 1843 قدر عدد السكّان بـ 240 نسمة، والذي وصل في نهاية نفس السّنة إلى 500 نسمة، ومع تزايد الطلب على اليد العاملة من أجل توسيع المركز الاستيطاني أورليان فيل، فإنّ عدد الوافدين كان يتزايد باستمرار فقد وصل تعدادهم سنة 1856 إلى 1100 نسمة، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التطوّر الديمغرافي المستمرّ والمتزايد من سنة إلى أخرى قد عرف فترات من التراجع مثل ما حدث سنة 1849، حيث انتشر وباء خطير، وهو وباء الكوليرا جلبه أحد الوافدين الفرنسيين من مدينة مرسيليا معه إلى المنطقة، فهلك العديد من المدنيين والعسكريين ولم تسلم حتّى القبائل المجاورة للمدينة، وانتشر حتّى إلى باقي المدن الأخرى من البلاد كالجزائر العاصمة، حيث علّق أحد الأطباء الفرنسيين عن هذا الوباء المنتشر في مدينة أورليان فيل قائلا: "أنّ الوضعيّة كارثيّة، وتعدّت منطق الحقيقة"، ولم ينته هذا الوباء إلّا في نهاية سنة 1850م.

1- Xavier Yacono, La Colonisation, T1, op-cit, p210-211.

لقد تحكّمت في الوضعية الديمغرافية في مدينة أورليان فيل عدّة عوامل أهمّها الوضع الصحيّ الذي أثر بشكل مباشر على عدد الوفيات، والعمل الثّاني وهي الهجرة الخارجيّة إلى المنطقة، فمن خلال منحنى عدد الولادات والوفيات في أورليان فيل في الفترة ما بين 1844 و1855 نلاحظ أنّ عدد الوفيات قد فاق عدد الولادات، ففي سنة 1853 قدّر عدد الوفيات بـ 632 نسمة في حين قدّر عدد المواليد بـ 293 نسمة، وهذا ما دفع بالطبيب الرّئيسي في المدينة ديسورت إلى القول بضرورة تشجيع الهجرة الأوروبيّة إلى المنطقة من أجل إحداث نوع من التّوازن في التطوّر الديمغرافي، لكنّ هؤلاء الوافدين إلى المنطقة سرعان ما غادروها بسبب صعوبة الظروف الطّبيعية التي ميّزت المنطقة، ففي سنة 1853 وصل إلى أورليان فيل 78 معمرّ في حين كان عدد المغادرين 67 معمرّ، وفي سنة 1854 وصل 87 معمرّ، وغادر 77 معمرّ وفي سنة 1856 وصل 183 معمرّ في حين غادر 97 معمرّ المنطقة. نلاحظ أنّ النّمّو الديمغرافي تأثّر عنصرين إيجابيين وهما الولادات والوافدين الأوروبيين، وعنصرين سلبيين، وهما الوفيات والمغادرين للمنطقة، يضاف إلى هذه التّشكيلة دخول بعض العناصر الأهليّة واليهود إلى مدينة أورليان فيل، حيث قدر عدد الجزائريين بحوالي 40 مسلم و30 يهودي.

أمّا من ناحية تركيبة السّكان الوافدين إلى المدينة، وهم كانوا أوروبيين وفرنسيين قدموا إلى الجزائر عامّة، وإلى منطقة الشلف خاصّة، رغبة في الاستقرار في الجزائر، فقد عملت الإدارة الاستعماريّة منذ السّنّوات الأولى لاحتلال الجزائر على تشجيع ظاهرة الاستيطان الأوروبي في الجزائر، من أجل المحافظة على وجودها في الجزائر، حيث نجد الماريشال بيجو يرافع بقوة أمام البرلمان الفرنسي عن فكرة الاستيطان يوم 14 ماي 1840م، قائلاً: "لابدّ من احتلال واسع في إفريقيا يشبه ما فعله الرّومان والقوطيون، فبدون ذلك لا يمكنكم تحقيق أي شيء.... لابدّ من جلب مستوطنين، وتوطينهم في ظروف ملائمة، ومن أجل ذلك لابدّ من نداء مغربي"¹.

هذا وقد اتّبعَت الإدارة الاستعماريّة إلى جانب سياسة الإغراء سياسة التّهجير العمدي والقسري، والتي لا تقلّ أهمية عن سياسة الإغراء، حيث ساهمت إلى حدّ كبير في استقرار

1- Paul Azan ,Par L epee Et Par La Charue , paris,1948 ,p77.

العديد من المعمّرين في منطقة الشلف، كما هو الحال بالنسبة للمعمّرين الباريسيّين الذين جيئ بهم عام 1848 وتوطينهم في كلّ من الفيّرم وأمّ الدروع اللّتين تمّ إنشاؤهما سنة 1845 و1848م، وكذلك سكّان الألزاس واللورين الذين تمّ تهجيرهم إلى المنطقة بموجب قرارات اتفاقيه فرانكفورت¹.

أما عن أصول هؤلاء المستوطنين الوافدين إلى مدينة أورليان فيل فقد تنوّعت، حيث عمدت الإدارة الاستعماريّة على استخدام جاليات أوروبية من مختلف الجنسيّات، حيث نجد الفرنسيّين في المقام الأوّل والذين وفدوا من مختلف المقاطعات الفرنسيّة، ويمكن تقسيم هذه المقاطعات على النحو التالي:

1- المقاطعات الباريسيّة، والمتمثّلة في سان وسانت أيواز كانت تمثّل نسبة 9%، وذلك بعد تأسيس مستوطنتي الفيّرم وأمّ الدروع.

2- المقاطعات الحدودية مع ألمانيا، والمتمثّلة في الألزاس واللورين، وكانت تمثّل نسبة 17.5% من المعمّرين الفرنسيّين الذين تمّ توطينهم في المنطقة.

3- المقاطعات الجنوبيّة، وكانت تضمّ نسبة كبيرة من المستوطنين بنسبة 43%.

يمكن تفسير غلوب المعمّرين من المقاطعات الفرنسيّة الجنوبيّة دون غيرها إلى عدّة عوامل منها صعوبة المنطقة الجنوبيّة في فرنسا، إضافة إلى فقر التربة، وكذلك انتشار وباء زراعي في المنطقة يسمّى الفيلوكسيرا، يضاف إلى هذا الدّعاية الرّسمية المغربيّة من طرف المسؤولين الفرنسيّين عن المزاياء، والامتيازات التي تمنح للمعمّرين المتوجّهين إلى الجزائر².

1- Paul Azan, *Conquete Et Pacification De L algerie*, op-cit ,p166.

2- Xavier yaccono, *La Colonisation ,T1* ,op.cit ,p 259.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

وإلى جانب المعمّرين من أصول فرنسيّة، وفد إلى المنطقة جاليات أوروبية من مختلف البلدان الأوروبية، والجدول التّالي يبيّن هاته الجنسيّات، التي وفدت إلى الشلف من سنة 1844 إلى سنة 1856م.

الجنسيّة	1844	1845	1846	1847	1848	1849	1850	1851	1852	1853	1854	1855	1856
الفرنسيين	299	349	459	528	397	517	418	466		644	669	683	817
الاسبانيين	51	34	80	169	201	203	177	191		204	196	197	166
الاطالبيين	26	39	52	57	69	73	41	/		44	43	51	46
المالطيين	24	31	30	11	14	12	14	19		27	21	21	3
الالمان	28	11	8	5	6	4	/	2		15	16	15	10
السويسريين	/	/	47	20	30	29	38	36		15	15	14	30
الانجليز	/	/	/	/	/	/	/	/		3	3	7	/
والايرلنديين	/	2	/	/	/	/	/	/		6	6	5	3
البجيكين	/	/	/	/	/	/	/	/		6	6	5	3
والهولنديين	/	/	/	/	/	/	/	/		2	1	1	1
البولونيين	/	27	/	/	/	/	/	/		1	1	1	1
اليونانيين	/	/	/	/	/	/	/	/		1	1	1	1
جنسيات مختلفة	/	/	/	16	4	11	14	15		6	1	/	1
المجموع	428	493		806	721	849	702	709		967	972	994	1.077

من خلال استقراء الجدول السّابق يمكن لنا أن نسجل بعض الملاحظات، هي كالتّالي:
-تأتي في المقام الأول الجالية الإسبانية من حيث التّعداد مقارنة بالجاليات الأوروبية الأخرى إذا استثنينا الجالية الفرنسية، حيث بلغت نسبة الجالية الإسبانية عام 1844 39.5% من نسبة الجاليات الأوروبية الأخرى، لترتفع سنة 1856 إلى 57.3%.
-تأتي في المقام الثّاني الجالية الإيطالية، والتي بلغت نسبتها سنة 1844 بـ 20% لتتخف سنة 1856 إلى 14%¹.

1-Xavier Yacono , La Colonisation ,T 1 ,op.cit , p 263.

وعموما يمكن تفسير سبب كثرة هجرة الجالية الإسبانية والإيطالية إلى منطقة أورليان فيل إلى عمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة، لكلا البلدين إضافة إلى طبيعة المنطقة وخصوصيتها، فهي منطقة فلاحية بامتياز، ولهذا فإن أغلب الوافدين الأوروبيين إليها، كانوا فلاحين ومزارعين مثلما سيأتي تبياناه لاحقا.

بعد سنة 1871 توجهت الإدارة الاستعمارية في الجزائر إلى غلق باب الهجرة أمام الجاليات الأوروبية، رغبة منها في جعل الجزائر مستعمرة فرنسية وليست أوروبية، فقبل سنة، 1871 توافد العديد من الأوروبيين إلى الجزائر عموما ومنطقة الشلف خصوصا، وأصبحوا يملكون عقارات واسعة الأمر الذي أحدث نوع من الصعوبة في تملك الفرنسيين للعقارات، مثل ما هو الحال بالنسبة لأحد المالكين في منطقة أورليان فيل، الذي استحوذ على نحو ألف هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة¹.

وحتى تتضح صورة تطور الجاليات الأوروبية مقارنة بالجالية الفرنسية في منطقة أورليان فيل نقدّم منحنى بياني لتطور الجالية الأوروبية بالنسبة للجالية الفرنسية في المنطقة منذ 1844 إلى غاية 1912م، بما فيهم عدد الرعايا المتجنّسين بالجنسية الفرنسية أي بعد صدور قانون كريموا، الذي سمح للأجانب بالحصول على الجنسية الفرنسية.

ومن خلال المنحنى يمكن أن نلاحظ أنه حتى سنة 1889م، هناك تطوّر سريع وملحوظ في عدد الجالية الفرنسية مقارنة بالجالية الأوروبية، والتي عرفت هي الأخرى تطورا معتبرا، ويعود هذا التطور إلى سياسة الإدارة الاستعمارية القائمة على تشجيع الاستيطان، وبناء عدد كبير من المستوطنات في المنطقة، لكن بعد سنة 1889م، وبعد صدور قانون التجنيس نجد أنّ منحنى تطور الجالية الفرنسية في تطوّر، لكن باحتساب العناصر المتجنّسة، في حين أنّ عدد الأوروبيين الوافدين قد تحسّلوا على الجنسية الفرنسية عند وصولهم إلى الجزائر في حين أنّ عدد الأوروبيين غير متجنّسين قد تراجع وهذا للاعتبار، الذي أشرنا إليه سابقا، وهو رغبة الإدارة الاستعمارية في إيجاد مستعمرة فرنسية في الجزائر وليست مستعمرة أوروبية.

1- Xavier Yacono , La Colonisation , T 1 ,op.cit, p265.

أما عن طبيعة المستوطنين الأوروبيين في منطقة أورليان فيل من حيث التركيبة الاجتماعية، فقد كانت متنوّعة، سنحاول أن نبيّنها كآلاتي:

1-3-1 الحالة العائليّة:

بداية الأمر شملت الهجرة الأوروبيّة إلى المنطقة الأفراد دون العائلات، خاصّة فئة الذكور، لكن شيئا فشيئا تغيّر الأمر، فمدينة أورليان كان بها 300 مستوطن و106 امرأة و22 طفلا عام 1844.

وإذا كانت السّنوات الأولى شهدت ارتفاع في نسبة العزّاب من الذكور، فإنّ الإدارة الاستعماريّة قد تدخلت في الأمر، وأصبحت تمنح الأولويّة للمتزوجين الرّاعبين في الاستقرار في المنطقة، وهذا الإجراء يرمي إلى رفع نسبة المستوطنين بالمنطقة¹.

1-3-2 المهن والحالة الاجتماعية:

يمكن التّمييز بين ثلاثة أنواع من المعمرين الذين استقرّوا بالمنطقة، وهم العسكريّون، العمّال والفلاحون.

1-2-3-1 العسكريّون:

فمنذ سنة تأسيس المخيم العسكري لأورليان فيل في 1843، والذي تطوّر مع مرور الوقت إلى أن أصبحت مدينة تضمّ مختلف المرافق، والهياكل الضروريّة للسّكان، فإنّنا نجد أنّ المدينة عرفت الاستيطان العسكري بكثرة، وهذا في الوقت الذي كان فيه الماريشال بيجو حاكما عاما على الجزائر، والذي يعتبر من أشدّ المشجّعين والدّاعمين لفكرة الاستيطان في الجزائر، وبالتالي فإنّنا نجد فئة المعمرين العسكريّين هم الذين احتلّوا الصّدارة في المنطقة، حيث عرفت أورليان فيل قدوم الجالية الباريسيّة عام 1848، يضاف إليهم فئة العمّال والفلاحين، والجدول التّالي يبيّن عدد العسكريّين الذين قدموا إلى أورليان فيل وأمّ الدروع والفيرم سنة 1850م.

1- محمد عيساني، تطور النشاط الاستيطاني، المرجع السابق، ص57.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

المراكز الاستيطانية	الفلاحين	قدماء العسكريين	فئات أخرى
الأصنام Orleansville	20	26	//
الفيرم La ferme	18	14	16
أم ادروع Bonteba	23	24	18
المجموع	61	64	34

1-3-2-2-العَمَّال والفَلاحين:

فإلى جانب المعمّرين العسكريين، نجد المعمّرين المدنيّين الذين توافدوا بعدد معتبر إلى المنطقة، حيث شملت تركيبتهم المهنيّة مختلف المهن والحرف من عمّال محاجر، ومطاعم، ومخابز إلى جانب الإسكافيين، والجزّارين، والبقالين، والحلاقين، والجدول التالي يبيّن توزيع أهمّ المهن سنة 1850م في أورليان فيل وضواحيها¹.

العدد	طبيعة المهنة
03	الفلاحون
02	بائعي الخمر
05	الخبّازون
01	أصحاب المطاعم
01	بائعي الخضّر
03	البئّارون
05	التجّارون
01	الحدّادون
03	صانعي المفاتيح
05	الإسكافيين
05	الخبّاطين
01	الميكانيكيين
03	الدّهّانون
01	الخبّاطون
01	المحامون
01	المعلّمون
06	الموظّفون

1-Xavier Yacono,La Colonisation,T1,op-cit,p272.

نلاحظ من خلال الجدول السابق أنه من بين العديد من المهن والحرف ذات الجهد العضلي والفكري، فإننا نجد من بينهم ثلاثة معمرين امتهنوا حرفة الفلاحة، الأمر الذي دفع بسلطات الإدارة الاستعمارية إلى اتخاذ اجراءات صارمة عند منح الأراضي الزراعية للمعمرين، حيث اقتصر توزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين فقط، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الوافدين سواء من فرنسا أو الدول الأوروبية الأخرى، كانوا من طبقة الفقراء، والمحرومين، والبطالين، والمنحرفين، والمجرمين، وبالتالي وجدت الإدارة الاستعمارية الفرصة المواتية للتخلص منهم، ومن أعباءهم ومواقفهم المنافية للقيم الاجتماعية، والسياسية في أوروبا، وذلك بالزج بهم إلى أرض الجزائر.

1-4-4- التطور الاقتصادي للمدينة:

1-4-4-1 النشاط الزراعي:

تعترف العديد من الكتابات التاريخية أنّ منطقة الشلف أو منطقة أوربيان فيل على أنّها منطقة زراعية بامتياز، فقد ساعدت خصوبة التربة ووجود واد الشلف وروافده على انتشار العديد من الزراعات في المنطقة عبر مختلف العصور، حيث شكّلت حرفة الزراعة أهم نشاط اقتصادي للقبائل المحليّة في المنطقة، وبالتالي فإن المزارع التي يطرحها بعض المؤرخين الفرنسيين أنّ المنطقة كانت فقيرة، وقد تمّ بعثها مع دخول الفرنسيين إليها باطلة، فقد صرّح الجنرال بيجو سنة 1842 عندما عبر سهول الشلف بأنّ هذه السهول تشبه سهول السان واللوار في فرنسا، وأنّ بها زراعات واسعة وتتميّز بخصوبة عالية وذات مردود عالي.¹ وكغيرها من المناطق الأخرى في الجزائر، فإنّ منطقة الشلف عرفت النشاط الزراعي قبل احتلالها من طرف الفرنسيين سنة 1843م، وهذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم سواء كانوا عسكريين أو تقنيين، على اعتبار أنّ المنطقة ذات مميّزات طبيعيّة وجغرافيّة مكّنت سكان القبائل بممارسة حرفة الزراعة وحرفة الرعي.²

فقد شكّلت منطقة الأضنام منطقة زراعيّة بامتياز حسب شهادة بعض الفرنسيين الذين استقرّوا بمنطقة الشلف على غرار واري وساننت هيبوليت، كما أنّ الماريشال بيجو عندما وصل إلى المنطقة وانبهر بما تتمتع به من خيرات ومؤهلات اقتصاديّة، فقد زعم بأنّ سهول الشلف بعد خمسون سنة من الاستيطان، فإنها ستضاهي سهول اللوار وقارون والسان في فرنسا.³

وفي مقام آخر ها هو الفرنسي شارون يقدّم لنا وصفا دقيقا عن سهول الشلف في إحدى مذكراته العسكريّة في سنة 1848م: "في الناحية الغربيّة من الجزائر، حيث توجد هناك سهول الشلف، سهول ممتازة، أراضيها زراعية وجمال طبيعي جذاب، زاد من جمالها تدفق

1-Xavier Yacono , La Colonisation ,T1 ,op.cit , p 221.

2-Ibid,p222.

3-Ibidem

مياه الأمطار....، العرب يحرقونها ويبيذرونها بشكل واسع غير مكترئين بفيضانات فصل الشتاء.... فهي ليست مستنقعا في حوض أورليان فيل.¹ شكّلت المساحات المزروعة في منطقة الشلف الأوسط نطاقا واسعا، فقد كانت معظم القبائل المحليّة تستغلّ هذه الملكيّات من الأراضي في نشاط الزراعة والرّعي، وفيما يلي بعض الأرقام عن إجمالي الأراضي، وحجم الأراضي المستغلّة في مجال الزراعة لبعض القبائل المشهورة في المنطقة.²

المساحة المزروعة/هكتار	المساحة الإجمالية/هكتار	القبائل
5.870	23.200	البراز
7.220	46.000	العطاف
1.970	11.820	أولاد عباس

نلاحظ من خلال الأرقام أعلاه أنّ هناك تفاوتاً بين القبائل في حجم ملكية الأراضي، وتفاوتاً في حجم الأراضي المزروعة أيضاً، ويرجع ذلك إلى العامل البشري، فتعداد السّكان تحكّم بدوره في حجم النّشاط الرّاعي من أجل تلبية الحاجيات الأساسية لأفراد القبيلة، وفي مقدّمها الغذاء والتي كان مصدره الأساسي من الحبوب.

أما عن المحاصيل الرّاعية التي كانت تنتج في المنطقة، فنجد الحبوب في مقدمة هذه المنتجات، كما نجد إلى جانبها محاصيل أخرى كالخضر والفواكه، فقد تميّزت قبيلة أولاد عباس بإنتاج الفلفل كما اشتهرت قبيلة البراز بإنتاج العديد من المحاصيل، كمحصول البطيخ والخيار والفاصولياء، والتي كانت تباع في أسواق منطقة حوض الشلف.³

1-Xavier Yacono,La Colonisation,T1, op-cit, p222.

2-Ibid,p222.

3-Ibid , p223.

1-1-4-1 أنماط الاستغلال، وأساليب عمل المزارعين الجزائريين بالمنطقة:

ارتبط النظام الزراعي في الجزائر بالنظام العقاري، وكان للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي نظاما زراعيا خاصا بها يستمد جذوره من مجموعة المعايير، والأسس التي تتحكم فيه وتسييره وهي مرتبطة ببعضها البعض، وتتمثل فيما يلي:

-الأسس التاريخية، وتعود إلى الفترات التاريخية القديمة والمتعاقبة.

-الأسس الدينية، والتي ارتبطت بالفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب.

-الأسس السياسية، وترجع إلى فترة الحكم العثماني الذي أوجد نظاما مزج فيه بين الجانبين التاريخي والسياسي والديني.¹

وقد كان سكان منطقة الشلف من الجزائريين على غرار باقي الجزائريين عبر الوطن معتادين على زراعة الأرض بطرق بسيطة وتقليدية كما أشار إلى ذلك معظم الباحثين والمؤرخين الفرنسيين، وقد تميزت هذه الزراعة بأنها تقوم على استغلال مساحة محدودة، حيث يتم حرثها وبذر كميات قليلة من البذور، ثم انتظار ما تجود به الطبيعة من الأمطار، فإذا كانت كمية الأمطار وفيرة كان الإنتاج الزراعي جيدا، ويسد حاجيات القبيلة أو العرش وإذا كانت الأمطار قليلة والظروف قاسية فعلى الأقل فإن خسارة البذور لا تكون كبيرة، وقد ظلّ الفلاح في هذه المنطقة مرتبطا بالطبيعة يستبشر خيرا عندما تكون الظروف ملائمة ويستاء منها عندما يحدث العكس، وفي غالب الأحيان كان عاجزا عن مواجهتها، كما هو الحال عند حدوث بعض الكوارث الطبيعية، كالجفاف والرياح الموسمية والجراد، ولذلك فقد بقي الفلاح في المنطقة يسعى إلى تحقيق اكتفائه الذاتي فقط²، متمسكا بأسلوب وتقنيات عمله الزراعي الذي كان يوفّر له غذاءه اليومي، ويساعده على تخزين ما تبقى في المطامر. لقد كان للجزائريين نظام زراعي خاص بهم سواء من حيث طرق الاستغلال أو أساليب العمل، وفيما يلي تفصيل ذلك

1 -Jules Gerard , L’afrique Du Nord , 2ed , Paris 1861, Pp 37-38

2-A.N.O.M,IN/4 Propriété Indigène ,GGA Service Topographique,p103.

1-1-1-4-1 طرق استغلال الأرض عند الجزائريين:

-الاستغلال العائلي: يقوم هذا النمط من الاستغلال على اعتبار أنّ العائلة تشكّل فيه تعاونية زراعية، يتّحد فيها أفراد الأسرة الواحدة ويشكّلون نوعا من الشراكة لزراعة الأرض، فالأرض ووسائل العمل كلّها متّحدة في نمط استغلالي عائلي¹، ويعتمد هذا النظام أيضا على بقاء الأسرة الواحدة متماسكة حتى بعد وفاة الأب حيث تبقى ممتلكاته مشاعة بين أولاده سواء تعلّق الأمر بالأرض أو حيوانات أو البذور أو وسائل العمل، فيحافظون هم بدورهم على هذا التماسك ويواصلون العمل بشكل جماعي مشكّلين بذلك تنظيمًا اجتماعيا واقتصاديا محكما.²

وقد ظلّ هذا الأسلوب ناجحا، فهو يتناسب ووضعية الجزائريين، ذلك أنّ نقص إمكانيّاتهم المادية قابلها التآزر والتعاون فيما بين أفراد العائلة، حيث في فترة الحرث يتداولون على المحراث الخشبي البطيء المصنوع بواسطة إمكانيّات بسيطة تجرّه بعض الحيوانات أحيانا تكون ملك للعائلة وأحيانا أخرى يتمّ استئجارها وكذلك تتمّ عملية الزرع أيضا بالتعاون والتداول، فكان الإنتاج الزراعي يقيهم من الفقر، وأيضا يناسب نظامهم الاستهلاكي³، فنظام العائلة يعتمد بالأساس على التداول والتعاون في العمل، فيكون العمل متواصلًا وبأقلّ جهد وأقلّ تكلفة، هذا النمط من الاستغلال الذي قوامه العائلة تطوّر بعد ذلك ليصبح تجمعا لمجموعة من الأسر تربطهم قرابة الدم، تعمل كلها في مساحات زراعية مشتركة، وتشارك في وسائل العمل والمجهود، ويتمّ تقسيم الإنتاج مناصفة عند نهاية موسم الحصاد.

- تعاونية الجهد والوسائل: يعتمد هذا النمط من الاستغلال على تعاون فلاّحان أو مجموعة من الفلاّحين في استغلال الأرض الزراعية وتوفير وسائل العمل من حرث وبذور وحيوانات، بحيث يتقاسمون، أو يتداولان العمل بالمنابرة، أو كل يقوم بمهمة محدّدة، وبعدها يتمّ تقسيم المحصول بالتساوي فيما بينهم⁴.

1- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكير الاقتصادي والاجتماعي، 1830-1960، تر:

جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدّثة للنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص 126.

2- Djebari Youcef, *La France En Algerie Bilan Et Controversies*, T1, opu, Alger, 1995, p328.

3- Demontés V, *Le Peuple Algerien, Essais De Démographie Algerienne*, T3, Alger, 1906, p403

4-Touati Lahouari, *L Oranie Colonisee, Société Et Acculturation*, 1881-1937, these pour doctorat, 3 eme cycle, université de nice, T1, 1984, pp34-35.

- تعاونية الشريك والخدم: يعتمد هذا النمط من الاستغلال للأرض على شراكة بين المزارع، الذي يمثل الشريك والعامل الذي يمثل الخدم وصاحب الأرض بطبيعة الحال، وعند تقسيم الغلة فإن الشريك يحصل على نصف المحصول باعتباره تحمل معظم تكاليف العمل الزراعي لوحده، في حين فإن العامل أو الخدم يكتفي بحصص مختلفة من الإنتاج، فإذا كان الإنتاج يتعلق بالحبوب، فإنه يحصل على الربع من الإنتاج، وإذا كان الأمر يتعلق بأشجار مثمرة فإنه يحصل على الثمن والبقية لصاحب الأرض.

- الخماسة: أستخدم هذا النمط من الاستغلال على نطاق واسع من قبل الجزائريين، وأعتبر كأحد أهم أساليب الاستغلال الزراعي، وهو يعتمد على ربط صاحب الأرض بشكل مباشر مع المنتج، وذلك من خلال إبرام عقد لمدة تتراوح ما بين عشرة إلى أحد عشر شهرا¹، والخماسة² غالبا ما يكون فلاحا أجبرته ظروف الحياة على تغيير مكان إقامته والاستقرار بالقرب من الأراضي الفلاحية ليتمكن من إيجاد فرصة عمل تربطه بشكل دائم مع صاحب الأرض، ولربما كان الخماس صاحب أرض وفقدها بفعل القوانين الفرنسية الجائرة، فتحول إلى عامل زراعي وربما على الأرض التي كان يملكها في السابق³.

والواقع أن نظام الخماسة كان سائدا في الجزائر حتى قبل الاحتلال، وقد حافظت إدارة الاحتلال عليه ووظفته حسب متطلبات اقتصادها، وقد اعتمد المعمرون على هذا النظام بشكل أساسي، وهو عبارة عن عقد عمل يبرم بين صاحب الأرض والفلاح يجبره على الاستقرار بالقرب من مكان عمله، فكان الفلاح يبني كوخا بسيطا "قوري" يقيم فيه هو وأسرته، ويحصل على قطعة أرض صغيرة تسمى بالعزل⁴، إلى جانب وسائل العمل كالبذور وآلات الحرث، والتي تقدم له حسب مراحل العمل، وإلى جانب ذلك يقدم له المالك بعض الإعانات في المناسبات والأعياد الأمر الذي يجعل الخماس مرتبطا بصاحب الأرض في

1- Bouba Mohamed Tabti, La Société Algérienne Avant L independence Dans La Littérature ,opu alger,1986, p103.

2 - كلمة أطلقت على الفلاح الذي يعمل في أرض غيره، ويأخذ خمس انتاج الحبوب كمقابل الجهد الذي بذله.

2-Touati H,T1, op-cit p33

3-Démontés V, T3 , op-cit ,p 413.

غالب الأحيان، وفوق كل ذلك يحصل الخماس على نصيب من الإنتاج الذي سهر على توفيره ويختلف هذا النّصيب باختلاف المحاصيل الزراعيّة، والتي كانت على النحو الآتي¹:

- الخمس 5/1 فيما يخص الحبوب مثل القمح، الشعير، الخرطال والفل، وكمية إضافية مكان قيمة التبن.

- الرّبع 4/1 محصول الحمص.

- التّلت 3/1 من البشنة أو الذرة.

- النّصف 2/1 من محصول الخضر والفواكه.

وكان الخمّاس مكلف أيضا إلى جانب الأعمال الزراعيّة التي يقوم بها، بأعمال الرّي والحراسة والاعتناء بالحيوانات، وكلّ هذه الأعمال تدخل ضمن الاتّفاق المبرم بينه وبين صاحب الأرض، وعادة ما يلجأ الخماس إلى الاستعانة بمجموعة من الخمّاسين لتسهيل عمله (خماسين أو ثلاثة على الأكثر)، وهو بذلك يخلق جمعية فلاحية شبيهة بجمعية التّنظيم العائلي، يتمّ خلالها التّداول على كل مراحل العمل، ويتلقّون بعض الوسائل لتسهيل مهمّتهم خاصة عربة الحرث،² أمّا في فترة الحصاد فيتمّ الاستعانة ببعض المتخصصين في الحصاد، يطلق عليهم المنطقة مصطلح " المكاريين " جمع " مكاري " ويقوم الخمّاس بتحديد قيمة الإنتاج التي يتحصّل عليها هؤلاء والمقدرة بالعشر (10/1) تأخذ من نصيب الخمّاس أي نصف ما يأخذه الخمّاس.³

وعرف نظام الخمّاسة بعد مرور الزّمن تطوّرا، تحت تأثير مجموعة من العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة المتمثّل في محاولة بعض المالكين الجزائريين تبني نفس أساليب عمل المعمّرين من حيث استغلال الأرض كلّ سنة بعدما كانوا من قبل يستغلّونها سنة ويتركونها تترتاح سنتين أو ثلاثا، كما شرعوا في إدخال بعض الأساليب والأدوات العصريّة في مجال الاستغلال، والتي قادت كلّها إلى إبراز عدم جدوى نظام الخمّاسة وبالمقابل ظهور ما يسمّى باليد العاملة الزراعيّة، التي تختلف كلّ الاختلاف مع الخمّاس⁴، والتي أصبحت

1-Xavier Yacono ,La Colonisation ,T1 , op-cit ,p224.

2- Démontés V ,T3, op-cit ,p413.

3- Touati H T1,op-cit p 33.

4- Démontés V,T1 ,op-cit ,pp 418-419.

جدّ مطلوبة خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وأصبحت تتلقّى رواتب مختلفة باختلاف العمل المنجز.

ويرى المؤرخ الفرنسي أجرون (Ageron) وغيره من مؤرخي المدرسة الاستعمارية أنّ نظام الخماسة في الجزائر تراجع بعد ذلك في ظلّ الاحتلال الفرنسي، حيث تناقص عددهم بفضل الإصلاحات التي طبقتها فرنسا ابتداء من سنة 1919¹، غير أنّ الواقع في المنطقة يبيّن خلاف ذلك تماما، فعند بداية الحرب العالمية الأولى قفز عددهم من 31.54 % سنة 1901، إلى 35.85 % سنة 1914².

وإذا كان الخماس يتمتع بنوع من الفردية رغم صعوبة الوضع الذي كان يعيش فيه، فإنّ هذا النظام مثّل إلى حد ما نوعا من التبعية والعبودية، ذلك لأنّه كان يربط الخماس بصاحب الأرض (المعمّر) بشكل دائم، فهو يبقيه إلى جانبه بسبب عجزه عن تسديد الإعانات التي تُقدّم له قبل بدء العمل، بالرغم من أنّه كان في السابق مالكا لتلك الأرض، إلا أنّ السياسة الفرنسيّة والظروف الطبيعيّة أرغمته في كثير من الأحيان على رهن أرضه مقابل حصوله على مساعدات مالية ومادية تمكّنه من سدّ حاجته واستغلال أرضه، وهكذا وأمام عجزه عن تسديد تلك الديون إمّا بسبب رداءة المحصول، أو مطالبة الرّاهن، أو الدائن له بتسديد له الدين قبل الموعد المتفق عليه، فإنّ الجزائري المالك للأرض يتحوّل إلى خماس، وهذا هو حال الكثير من الجزائريين في المنطقة الذين تحوّلوا من ملاك إلى خماسين في أراضيهم لدى المعمّرين الغاصبين³.

1-4-1-1 أساليب العمل الزراعي عند الجزائريين.

يرى العديد من الفرنسيين ممّن تناولوا موضوع الزراعة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر وبعده أمثال تانتوان (Tinthon)، ديمونتس (Demontés)، أرون (Aron) وغيرهم، بأنّ النشاط الزراعي عند الجزائريين كان إلى حدّ ما بدائي، وذلك بالنظر إلى طرق الاستغلال ووسائل العمل التي كانت منتشرة في الجزائر عند الاحتلال، فالفلاح الجزائري عادة ما كان يستغلّ جزءا محدودا من أرضه، يزرعها بمحاصيل تابعة من احتياجاته وتشكّل

1- Ageron CH-R, Les Algeriens ,op-cit, p 842.

2- A.N.O.M ,GGA, Statistiques De L algerie ,1914.

3-Djebari Youcef ,op-cit ,p650.

غذائه الأساسي لتركها بعد الحصاد في فترة راحة تصل إلى سنة فما فوق، وأمّا بقية المساحات غير المزروعة، فكانت تستغلّ كمراعي لحيواناته، وإذا كان هذا الواقع للزراعة الجزائرية جدّ ملائم بالنسبة للجزائريين، حيث كان يوفّر لكل فرد حاجته الضرورية من الغذاء فإن الفرنسيين كانوا يرونه متخلفاً، الأمر الذي تطلب إما تطويره أو تغييره، ومع حوالي ثلاثة عقود من وصول الفرنسيين إلى المنطقة، واحتكاك الجزائريين بالمعمّرين حاولوا اقتباس أساليب عمل الأوروبيين ولكن بشكل نسبي، فلم يكن الفلاح الجزائري يزاول نشاطه، ويتبنّى في عمله كل مراحل وخطوات عمل المزارع الأوروبي، وذلك بالنظر إلى محدودية إمكانياته وأساليبه وتقنياته عبر كامل مراحل العملية الزراعية، وهي كالاتي:

1- مرحلة التهيئة:

يقصد بها إعداد الأرض لبدأ موسم جديد من الزرع، وتبدأ هذه المرحلة بمجموعة من الخطوات هي:

الحرق: تبدأ هذه العملية في نهاية سبتمبر وبداية شهر أكتوبر، وتتزامن مع بداية سقوط المطر، فتهدىء الأرض بواسطة المحراث الخشبي البسيط الذي يتكوّن من جزأين: الأول يتمثّل في عمودين مشدودين بالحيوان، والثاني عبارة عن مقود ينتهي بسكة معدنية يوجّه حركتها الفلاح وتعمل على تقليب الأرض¹.

كان المحراث الجزائري المستعمل في المنطقة بسيط وسريع العطب، وهو نوعان محراث النار ومحراث الزلّ، وكان يشقّ أثلام بسيطة وقليلة العمق مما يتلف البذور بعد زرعها، فقد تأكلها الطيور أو تحركها الرياح ولا تساعد على تغذية التربة، بحيث لا تأخذ كفايتها من أشعة الشمس والهواء ولا تحافظ على الرطوبة فيها²، ومع هذه السلبيات قد رأى بعض خبراء الزراعة مثل (Rivière) أن المحراث الجزائري جدّ مناسب للطبيعة الجغرافية، فهو مصنوع من خشب أشجار الزيتون البري بطريقة جيّدة ويحتاج إلى إعادة ربط أجزائه بإحكام فقط. كما أنّ طريقة الحرق غير العميق تساعد على بقاء التربة خصبة وهشّة، فقد أثبتت بعض

1-Démontés V,T1 ,op-cit ,pp 418-419.

2- Ibid,p132..

الدّراسات أنّ الحرث العميق يتلف التّربة ويفقدها الخصوبة، ويعمل على نمو النّباتات البرية بسرعة، وعليه فإن الحرث بالطريقة المحليّة كان إيجابيا، ويحتاج لبعض التّعديلات فقط¹. ولهذا اهتمّت إدارة الاحتلال بدراسة العربة الجزائريّة وتطويرها، ولهذا الغرض تمّ الاهتمام في بادئ الأمر بدراسة الطّبيعة الجغرافيّة للمناطق الزراعيّة، وتوصّلت الدّراسات إلى تقسيم الأرض إلى قسمين: الأراض المستوية أو قليلة الانحدار تحتاج إلى عربة ذات المقبضين بسيطة الصّنع منقولة من النّموذج الجزائري²، والأرض الشّديدة الانحدار الواقعة في المناطق الجبليّة، وتطلّبت محراثا خاصا، وصنعت عدّة أنواع منها محراث مارغو (Margot) المصنوع من مواد صلبة خاصّة مقاطع المحراث³ والمحراث المربّع مصنوع من الخشب ومقبض واحد، ومحراث آخر ذا مقلب مزدوج، وعربة صلبة مصنوعة من الفولاذ⁴. واستخدم فلاحوا المنطقة محراث كيفر (Klieffer)، وهو مصنوع من الحديد الصّلب بسكّة ذات حرف (V)، ومقبض أحادي ومقطع في النّهاية يدور حول السكّة، وقد كان سعره مناسب حسب بعض الوثائق وفاز في مسابقة العربات التي تمّ إجراءها، بغرض تحقيق منافسة قويّة للوصول إلى محراث جيد خاص بالجزائريين⁵، وهناك عدّة أنواع من المحارث من حيث طرق صنعها، وهي كالآتي:

• محراث بسهم يتمدّد وقابل للتّمديد، سهل الاستخدام.

• محراث بقاطع عريض وقوي.

• محراث بمقلب واحد يدور حول القاطع.

• محراث بمقلب واحد للجرب عمق بسيط وصلب.

حرصت الإدارة الفرنسيّة على أن ينتشر استخدام المحراث الجديد بين الجزائريين، فسعت إلى تكوينهم بغرض قيادتها، وأقامت مراكز توزيع خاصة في كل من وهران، والجزائر، وقسنطينة، وسكيكدة، وعنابة، وكانت مؤسسة سوميتال (Sometal) هي المشرفة على التّوزيع، وحسب ما جاء في المنشور الخاص بالتّوزيع، فإنّ أسعار هذه الوسائل الحديثة

1- Riviere Et Lecq, *Manuelle Pratique De L Agriculture Algerienne*, Ed CHallamel, paris, 1900, p93.

2- A.N.O.M, *Sérié O/139, Trent M, Modernisation de la charue indigene*, N2573.

3- *Ibidem*.

4- A.N.O.M, *Sérié O/139, Service Economique, Le Matériel Agricole*, p1.

5- *Ibid*, p2.

كانت معقولة يمكن للجزائريين اقتناءها. ولتحقيق ذلك تمّ تكليف الجمعيات الأهلية بتقديم المساعدات لتمكينهم من شرائها، وكانت النتيجة استخدام المحراث العصري في عدة مناطق مثل الظهرة والجزء الغربي من سهل الشلف وجنوب خميس مليانة¹، وقد ازداد انتشاره بشكل خاص بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد تمّ إيجاد نوعين من المحارث الأول خاص بزراعة البذور والثاني خاص بزراعة الخضر، كما تمّ تقسيم المحارث إلى ثلاثة أنواع حسب الأوزان، فنجد الوزن الخفيف يزن 14 كغ مخصّص للزراعة الصّغيرة يجره حيوان واحد، والمحراث المتوسط 27 كغ يستخدم لزراعة الخضر تجره حيوانات، أمّا النوع الثالث فيصل وزنه ما بين 36 إلى 47 كغ تجره ثلاثة إلى أربعة حيوانات، هو محراث قوي خاص لزراعة الحبوب، لأنّه يحرث الأرض بعمق، إلى جانبه محراث خاص يسمى محراث تريسوك (Trisoc) يستخدم ستة إلى ثمانية حيوانات يزن 165 كغ وطوله 1.60 متر وعربة أخرى دائرية مصنوعة من الفولاذ، لها مقطع ومقلب قابلان للتمدد، وهي مصنوعة من الفولاذ أو الخشب، تزن ما بين 35 إلى 47 كغ. وقد تمّ تخصيص محراث لزراعة الكروم يتكوّن من مجموعة من الأسنان تتراوح ما بين 6 إلى 8 أسنان تعمل على تقليب الأرض ومعالجتها دون إلحاق الضّرر ببراعم الكروم وتضم مسالف ذات حرف زاد (Z) أو نجمة، ويجر هذا المحراث ستة إلى ثمانية أحصنة².

ومع التّطور ظلّ الفلاحون الجزائريون متمسّكين بالمحراث التقليدي لعدّة أسباب أهمّها خفة وزنه وسهولة تسييره والتحكم فيه، بحيث لا يحتاج إلى بذل جهد عضلي كبير. فعادة ما يتم تشغيله بالاعتماد على الحيوانات، والأهمّ سعره المنخفض³ عكس المحراث العصري الجديد المرتفع الثمن، والذي يفوق قدرة الفلاح المالية، وتحتاج البعض منها إلى طاقة متحرّكة، وهذا ما لا يتحمّله الجزائري، وعليه فإنّ الفلاح الجزائري لم يكن رافضا للتّطور، وإنّما ظروفه المادية القاهرة كانت تحتمّ عليه الاعتماد، والتمسّك بوسائل العمل الزراعي الموروثة⁴.

1-A.N.O.M ,GGA, Le Matériel Agricole Etudié Par La Culture Indigène.

2-A.N.O.M , Série O/139 , Service Economique ,Le Matériel Agricole,p1.

3-Démontés V, T5,op-cit ,p134.

4-Démontés V ,L algerie Agricol , Collection Du Centenaire 1830-1930 ALGER, 1931 ,p69.

- ولتوسيع استخدام المحراث الجديد تمّ اتخاذ مجموعة من الإجراءات، أهمّها:
- تكليف التعاونيات الفلاحية الخاصة بالجزائريين بيع الآلات الحديثة بالنقسيط، ومن أهم هذه التعاونيات نجد الشركة الأهلية للاحتياط SIP.
 - تقديم مكافآت مالية أو عدم دفع قيمة الآلة لمدة محدّدة، وهذا لتشجيع الفلاحين على استخدامها، وعلى سبيل المثال يسدّد الفلاح جزءا من سعر المحراث عند شرائه، على أن يسدّد ما تبقى عند نهاية السنة، وأحيانا تمنح بعض المكافأة تتراوح ما بين الثلث إلى النصف من قيمة الآلة من قبل الشركة الأهلية للاحتياط، أو من مخزون البلديات والدواوير¹.
- ورغم هذه التسهيلات ظل عزوف الجزائريين عن استخدام المحراث الفرنسي، ولهذا فإنّ العديد من الفرنسيين فكّروا في طريقة تجعل الزراعة الجزائرية تتغير من طريقة وأساليب ممارستها، فانكب العديد من المزارعين والمهندسين والموظفين، وحتى الحدادين من أجل التوصل إلى آلات زراعية حديثة، ولتحقيق ذلك تمّت إقامة العديد من المسابقات بهدف التوصل إلى صناعة عربية صغيرة وفعّالة، تحقّق إنتاجا زراعيًا وفيرًا، وكانت النتيجة ظهور نوعان من العربات:
- العربة المستقرّة: ثقيلة الوزن ثابتة في الأرض بفعل وزنها، تتلاءم مع مختلف الأراضي الزراعية، غير أنّ ارتفاع أسعارها أدّى إلى عدم رواجها.
 - العربة الجديدة: قويّة وبسيطة، خفيفة الوزن، سهلة الاستخدام، قطع غيارها متوفّرة، الإصلاح، شبيهة بالمحراث المحليّ لكن في قالب عصريّ قادرة على شقّ أثلام بعمق ثلاثة إلى أربعة سنتمتر، وهذا يؤدّي إلى مضاعفة الإنتاج².
- وتمّ إجراء مسابقة خاصّة من أجل اختيار أحسن العربات، فقد تمّ صنع عربات حرث وزرع حسب اختلاف المناطق. فهناك عربة خاصة بعمالة وهران، وأخرى لعمالة قسنطينة (فيكفرول) وأخرى لعمالة الجزائر (كيفر)، وقد أسفرت المسابقة عن النتائج التالية:
- عربة جورج كيفر ومارقو، فازت بمبالغ مالية وميدالية ذهبية.
 - عربة روث أليكس وفيكفرول فازت بمبالغ مالية وميدالية فضية.

1- A.N.O.M ,GGA,Modernisation De La Charue Indigene ,N2573.

2-A.N.O.M,GGA,O139, ALBERT Margo ,I Art De Labourer ,Modernisation De La Charue Indigene,N2573.

• عربية أورفيلاوديسبو، تحصّلت على قيمة مالية وميدالية نحاسية.

• عربية ساكوا وشارل كيفراو برايس، منحت قيمة مالية وشهادة شرفية¹.

كل هذه التعديلات الخاصة بتحديث آلة الحرث كان من شأنها أن تقضي تدريجيا على وسائل العمل التقليدية، غير أنّ انتشار المحراث والجرار جاء بعد الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لهذا تبنت فئة من الجزائريين على غرار عائلات الملاك الكبار أمثال القاضي سي هني والخليفة سيدي لعربي وعائلة بوطيبة وآغا العطّاف وغيرها من التقنيات والأساليب الأوروبية، فوجد التحوّل الأول حصل على الحرث، فأصبح في فصل الخريف والرّبيع على نفس النمط الأوروبي، وشمل استغلال كلّ الأراضي الزراعيّة بعدما كان الاستغلال جزئيا وهذا ما أدّى إلى اتّساع المساحة المزروعة، فمن 46.157 هكتار إلى 71.951 هكتار، واعتمد الكثير من الفلاحين على القروض والرّهن من أجل مكننة الزراعة في المنطقة، في حين ظلّت العديد من المناطق النائية تعتمد على الطّرق التقليدية في زراعة الأراضي².

- تسميد الأرض: أمّا عن طريقة تسميد الأرض، فقد كان للفلاح الجزائري في المنطقة طريقة خاصة، فيقوم بخطوتين مختلفتين رأى فيها بعض الباحثين من أمثال ديمونتس (Démontès) أنّها فعّالة، ويتمّ على مرحلتين، تبدأ الأولى مباشرة بعد انتهاء موسم الحصاد، فيتمّ حرق ما تبقى من سيقان السنابل والحبوب التي سقطت على الأرض، وتقوم هذه النيران بتخليص الأرض من الحشرات الضّارة التي تتواجد بها وبيضها، وتحوّل إلى دوبال وبالتالي إلى أسمدة طبيعية تساعد على التّخصيب، وتنمو مباشرة بعد سقوط الأمطار لتأتي المرحلة الثانية فتحوّل الأراضي المخضرة إلى مراعي للحيوانات مدّة سنة إلى سنتين، وخلال هذه المرحلة تعمل الحيوانات على طرح فضلاتها، والتي كانت تعتبر أسمدة عضوية جيّدة للأرض، وعليه فقد كان الفلاح يحافظ على التّوازن الطبيعي بين البيئة وحاجات الإنسان، وهذا ما شجّع خبراء الزراعة الأوروبيين على تبني نفس الأسلوب في تسميد الأرض بما فيها من بعض السّلبات، فكثيرا ما كانت عملية الحرق الإرادية تتسبّب في امتداد

1-A.N.O.M,GGA, O139 , Concour De La Charue Arabe ,mai 1933.

2-Ibidem.

لهيب النيران إلى مناطق الغابات، وهذا ما يؤدي إلى خسائر فادحة، كما تعمل الحيوانات على زيادة التّعرية والانجراف¹.

2- مرحلة البذر والزرع:

اعتاد الفلاحون في المنطقة على زراعة أنواع محدّدة من الحبوب، وهي تنتمي إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط؛ وكانت تعرف على المستوى المحلي بأسماء مختلفة منها: الزّناتي (Znati) وبلبشير (Belbachir)، وبوشريديد (Bouchardid) والقمح لصفر (Lasfer)²، وكان الفلاح يزرع البذور دون التّفكير في فرزها بالاعتماد على عمليّة نثر البذور يدويا شمالا ويمينا³.

إنّ الاعتماد على نثر البذور كانت لها سلبياتها، فقد كان الفلاح يستخدم كلّ البذور من أجل الحرث، ويتحصّل ما بين 200 إلى 250 كلغ في الهكتار الواحد من القمح الصّلب، وما بين 250 إلى 300 كلغ في الهكتار من الشّعير والخرطال. وبطبيعة الحال الكميّة تختلف من منطقة إلى أخرى، وهي كميّة قليلة مقارنة مع الكميّة التي يزرعها المعمّرون، والإنتاج العالي الذي تنتجه أرضه، فالنّثر باليد يؤدي غالبا إلى سقوط البذور في غير مكانها، أي خارج الأتلام. أضف إلى ذلك فإنّ نمو النّبات لا يأخذ شكلا محدّدا بل تنمو بشكل عشوائي. كما أنّ آلة الحرث لا تستطيع تغطية البذور بشكل جيد فتبقى عرضة لهبوب الرّياح والنّمل والطّيور، والبعض منها تغور في أعماق بعيدة فلا تنمو كما يجب، عكس الحرث بواسطة تقنية الخط التّوأمي بالاعتماد على آلة الحرث الخاصّة، وعادة ما تبدأ عملية البذر هذه في فصل الخريف مع فترة بداية تساقط الأمطار، وهذا ما كان يجعلهم في كثير من يقلصون المدّة بين التّهيئة والبذر إلى ما بين 8 إلى 9 أشهر، عكس "الكولون" الذين كانت ستغرق لديهم عملية التّهيئة والبذر ما بين 10 إلى 11 شهرا، وهذا التّقليص في المدّة عند الجزائريين انعكس سلبا على طبيعة البنية، فينمو بشكل ضعيف يؤثّر سلبا على كميّة الإنتاج⁴.

1-Démontés V, Le peuple Algerien,T3 ,op-cit ,p32.

2-Ibid ,pp 125-129.

3-A.N.O.M ,F/80, Raport Sur L Afrique Du Nord ,15-08-1924,p518

4- S A , Les Cerieals Exotiques En Algerie ,in RAAN,15-10-1920,p300.

3-مرحلة الحصاد والدّرس:

بعد نمو المحاصيل الزراعيّة تأتي عمليّة الحصاد، والتي غالبا ما تتوافق مع شهر ماي. وإذا كان "الكولون" يعتمدون على الآلات الميكانيكيّة للحصاد والدّرس، فإنّ الفلاح الجزائري كان يعتمد على اليد العاملة الموسميّة، ويتمّ مسبقا إبرام إتفاق حول الأجرة التي يأخذها كل عامل. ويبدأ العمل مع شروق الشّمس ويتواصل إلى غاية فترة الغروب، مع أخذ فترة راحة قصيرة مدّة نصف ساعة. ويتمّ قطع السيّقان على بعد 5 سم. ويشكّل الفلاح حزمة عرضها 12سم يلفّها بالقشّ ويرميها خلفه، ليتمّ بعدها جمع الحزم بمجموع 12حزمة من الشعير، و5 حزمة من القمح¹.

كان العمّال يعتمدون على آلة حصد بسيطة هي المنجل، وهي آلة حادّة تتكوّن من جزأين، الأوّل معدني على شكل سكين نصف دائري، والجزء الثّاني مصنوع من الخشب، وهو يشكّل قبضة المنجل. هو وسيلة عمل وجدت منذ القدم في الجزائر، كانت تستخدم أيضا من أجل نزع صوف الغنم. ورغم بساطة هذه الوسيلة، فإنّ لها مزايا عديدة منها وفرتها وانخفاض أسعارها، فالحاصدات الأوروبيّة مرتفعة الثّمّن وغالبا ما كان يتمّ استيرادها من الدّول الأوروبيّة أو الولايات المتّحدة الأمريكيّة²، وكانت ثقيلة وصعبة التّسيير، تلحق أضرارا كبيرة بالسّنايل فتنقص الحبوب، وتقطع السيّقان من الأسفل عكس الحصاد بالمنجل، ولكنها بالمقابل سريعة، فالهكتار الواحد يتطلب من 8 إلى 12عاملا، وهذا يعني أنّ العمليّة تحتاج مدّة زمنيّة طويلة، ويد عاملة موسميّة بعدد كبير، عكس الحاصدات التي لا تتطلّب أكثر من عاملين يقودان الآلات الميكانيكيّة. ولهذا فقد لجأ أصحاب الأراضي إلى فكرة التّعاونيات العائليّة أو التّويزة، لإنهاء حصاد الحقول، وأمام تزايد استخدام الآلات الفلاحيّة لدى "الكولون"، فقد تمكّنت الفئة الثّرية من الجزائريين من استخدام الحاصدات في بادئ الأمر بعد ذلك، لتنتشر بعدها خاصّة بعد الحرب العالميّة الثّانية، وبعد الحصاد تأتي عمليّة الدرس، ويقصد بها نزع الحبوب من السّنايل، وهي بدورها كانت عملية تقليديّة تعتمد على الحيوانات، وقد تستغرق العمليّة عدّة أيّام³، وتأتي بعدها عملية التّخزين التي ظلت هي الأخرى تقليديّة،

1- Démontés V, Le Peuple Algerien , t3 ,op.cit ,pp 220-221..

2- A.N.O.M, GGA, O/139 , Matirel Agricola, op-cit ,p222.

3- Démontés V, Le Peuple Algerien T3 ,op-cit ,pp 220-221.

فقد كان يتم إقامة المظمورة، والتي تأخذ شكل جرة كبيرة قادرة على استيعاب حوالي 30 قنطارا من الحبوب، وقبل إقامة هذه المخازن يتم أولا اختيار أماكن إقامتها، فهي تتطلب عدة شروط منها: أرض ذات تربة صلبة وجافة، الابتعاد عن التربة الرملية، يتم بعدها إقامة حفر بعرض مترين إلى ثلاثة أمتار وعمق 4 أمتار تقريبا، بحيث تكون فوهة المظمورة بعرض 80 سم. ويكون لكل عائلة مخزن واحد، على أن تكون مناطق تواجدها سرية لتفادي تعرضها للسرقة. ويعتمد السكان إلى تغطية جدران المظمورة بالطين لمنع تسرب الرطوبة. وقبل أن توضع الحبوب يتم حرق بعض القش الجاف، ثم تفرش فوهة المظمورة بالطين ويحرص الفرد على غلق ثقب المظمورة¹. وعلى الرغم من بساطة هذه المخازن، فإنها كانت فعالة، فالأكسجين المتبقي في المظمورة تمتصه الحبوب وي طرح بدله أكسيد الكربون الذي يزيد من الحفاظ علا صلاحيات الحبوب، ولهذا فقد صمدت هذه الطريقة طويلا، لدرجة أن "الكولون" قد اقتبسوها في بادئ الأمر، وإلى جانبها عمد الجزائريون إلى إقامة مظمورات ثانوية تخزن فيها بعض المؤن والتي تقدم كصدقات للمحتاجين وقت الضرورة.

لقد أغفلت بعض الدراسات الفرنسية أهمية الأسلوب الجزائري في التعامل مع الأرض، فمع بساطتها فقد كان الفلاح الجزائري يتأقلم مع الظروف الطبيعية التي كان يعيش فيها، فالمناخ المتقلب كان يسبب خسائر فادحة للمزارع، إضافة إلى ذلك بعض المشاكل الطبيعية الأخرى كالرياح الموسمية والجراد وغيرها. ثم لا ننسى الطبيعة الاستهلاكية للمجتمع، فهو بسيط في معيشتة وكانت الحبوب هي الوجبة الأساسية بالنسبة له، ولهذا كان يحقق اكتفاء ذاتيا ويخزن ما تبقى.

عرفت الزراعة تطورا كبيرا، من حيث الكم والنوع في منطقة الشلف بعد دخول المعمرين الأوروبيين إلى المنطقة، واستحوذهم على أجود الأراضي الزراعية، التي كانت ملكا لسكان القبائل المحلية، فقد تعرضت قبيلة أولاد قصير باعتبارها من أهم القبائل في حوض الشلف الأوسط إلى مصادرة أجود وأخصب أراضيها من طرف السلطات الاستعمارية. كما أدى استعمال التقنيات الحديثة في مجال الزراعة كاستصلاح الأراضي، وتجفيف المستنقعات على ضفاف واد الشلف، بالإضافة إلى استعمال السمّادات، والمحراث الآلي إلى ازدهار

1- Démontés V, Le Peuple Algerien T3 ,op-cit ,pp p252.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

الزراعة في منطقة الشلف، وفي ما يلي جدول يبين أهم المحاصيل الزراعية في منطقة واد الفضة سنة 1938-1939م¹.

1-4-1-2 المحاصيل الزراعية في منطقة الشلف:

تنوعت وتعددت المحاصيل الزراعية في منطقة اورليان فيل، نظرا لتوفر الشروط والظروف الطبيعية والبشرية لانتاج العديد من المحاصيل، والجدول التالي يبين اهم المحاصيل الزراعية المنتجة في الفترة 1938-1939م:

1939	1938	المحاصيل المسقية
		المحاصيل الشتوية:
	3.145	*الحبوب.
		*الأعلاف.
		المحاصيل الصيفية:
687	769	*البرسيم.
7	24	*القطن.
478	480	*الكروم.
		*الزيتون.
		*أشجارا متنوعة.
1.248	1.174	*الحمضيات.
16		*الذرة.
434	405	المحاصيل التجارية:
	3.145	مجموع المحاصيل الشتوية.
2.780	2.852	مجموع المحاصيل الصيفية.
5740	5.997	المجموع الكلي.

نلاحظ أنّ المستوطنين الأوروبيين هم كذلك اهتموا بزراعة الحبوب في المنطقة، مثل سكان المنطقة، ويعود سبب الاهتمام بهذه المادّة كونها مادّة أساسية في غذاء السكان، كما كانت تستعمل كعلف للماشية.

1-Xavier Yacono, La Colonisation, T2, op.cit ,206.

1-4-2 الإنتاج الحيواني:

إلى جانب نشاط الزراعة، فقد مارست قبائل منطقة حوض الشلف الأوسط حرفة تربية المواشي نظرا لأهميّة هاته المادة اقتصاديا، واستنادا إلى إحصائيات سنة 1845 وسنة 1848م، يمكن أن نبيّن حجم انتشار هذا النشاط الحيوي لدى قبائل المنطقة¹.

الجمال		البغال		الخيول		الابقار		الماعز		الأغنام		القبائل
1848	1845	1848	1845	1848	1845	1848	1845	1848	1845	1848	1845	
/	/	418	40	69	60	2.612	1334	00	816	19.085	9.500	
		390	24	108	115	2.592	1.340	1.438	1.857	26.868	17.500	
		95	127	427	619	2.391	2.379	4.045	00	12.715	22.545	
		14	17	153	322	1.279	1.028	2.124	00	2.153	12.240	

نلاحظ من خلال الأرقام المقدّمة في الجدول أعلاه أنّ القبائل الشّلفية خلال العهد العثماني اهتمّت بتربية ماشية الأغنام أكثر من غيرها، ويعود سبب هذا الاهتمام إلى ملائمة المناخ لتربية هذا النوع من الماشية، بالإضافة إلى توفّر الكلاء خاصّة في فصل الربيع وتوفّر الأعلاف في فصل الصيف، ناهيك عن الأهميّة الاقتصادية للأغنام، فهي توفّر الأصواف، والجلود، واللحوم، والألبان، الأمر الذي دفع بسكان القبائل إلى الاهتمام بتربيتها بشكل واسع.

1-Xavier Yacono , La Colonisation,T2,op-cit ,p226.

عرفت تربية المواشي اهتماما واسعا لدى المعمّرين في المنطقة، خاصّة وأنّ منطقة أورليان تتوفّر على الظروف المواتية لتربية هذه الشّعبة، نظرا لأهميتها الاقتصادية الكبيرة بالنّسبة للمعمّرين خاصّة والميتروبول عامّة، وفي ما يلي جدول يبيّن أهمّ شعب تربية الماشية لدى المستوطنين في منطقة أورليان فيل سنة 1951م¹.

المزارعين سنة 1948	الخيول	البغال	الحمير	الابقار	الاعنام	الماعز	الخنازير
437	313	182	25	379	1892	494	733

تأتي في المقام الأوّل شعبة تربية الأغنام لدى المعمّرين بـ 1892 راس، وطبيعي الاهتمام بهذه الشّعبة المهمّة، فهي مادّة أساسية في الاقتصاد الفرنسي، فهي تعمل على توفير اللّحوم الحمراء، وتوفير الأصواف والجلود التي تدخل في العديد من الصناعات.

1-Xavier Yacono,La Colonisation,T2 ,op-cit,p222.

1-4-3- السياسة المائية ومنشآت الري في المنطقة:

تعتبر المياه من أهم العناصر الأساسية لقيام نشاط الزراعة، خاصة وأن مناخ المنطقة يتميز بالتذبذب، وقد شكّل مشكل نقص المياه عائقاً أما تطور الزراعة لدى الجزائريين وحتى لدى المعمّرين، لكن الجزائريين رغم بساطة وسائلهم وقلة إمكانياتهم إلا أنهم استطاعوا أن يعالجوا هذا المشكل، فقد تفنّنوا في إقامة مشاريع بسيطة خاصة بالري، فجد سدود متواضعة وقنوات إيصال عديدة. وقد كان يتمّ استغلال الفيضانات والأودية، وذلك بري المحاصيل الزراعية المختلفة. ومع هذا فالسمة الغالبة على الزراعة في الجزائر هي عدم الاستغلال الجيد للماء، خاصة في المناطق التليّة، فعادة ما كان الفلاح يعتمد على تساقط الأمطار بشكل خاص، مع الاعتماد على بعض السدود والحوجز التقليدية المبنية في الغالب بالطين والخشب، وهي عبارة عن صهاريج طينية أكثر منها سدوداً تقام عند سفوح الجبال أو عند روافد المياه الجارية. وحاول الجزائريون القيام ببعض المنشآت، التي تساعدهم على تخزين المياه مثل تحويل مناطق تجمع المياه إلا أنها ظلت بدائية، ولا يمكن تصنيفها ضمن منشآت الري التي منحتها الإدارة الاستعمارية اهتماماً خاصاً.

وبالفعل، فقد شكّلت مياه الري إحدى اهتمامات وأولويات الإدارة الاستعمارية منذ قدومها إلى المنطقة، فشساعة الأراضي الزراعية وخصوبتها لم تكن لوحدها كافية لتحقيق النهضة الزراعية التي كانت تطمح إليها الإدارة الاستعمارية على حد تعبيرها، وقد ظلّ المعمّرون يطالبون بضرورة توفير مياه الري، وها هو أحد أبرز المعمّرين في المنطقة المدعو (Pourcher) يكتب: "في سهل الشلف وإذا ما توفّرت المياه فإنه يمكننا فعل أي شيء"¹، وأما الجنرال لاباسي (Lapasset)، فكان يقول: "إن سهل الشلف إذا ما توفّرت له مياه الري سيصبح رائعاً وبيديعاً، ولكن بدون ماء فإنه سيصبح أرضاً ميتاً"²، ونحن سوف نركّز على سدين اقيما في منطقة أورليان فيل هما سدّ أم دروع وسدّ واد الفضة استفادت منها المنطقة في النشاط الفلاحي.

1- Pourcher Charle, *Souvenir Et Impressions Recuilles Au Cours D une Période D action Coloniale De Cinquante ans 1867-1922*, nouvelle edition, paris, 1924., P 437.

2- Le General Lapasset, *Algerie –Metz 1864-1917*, T1,2^{eme} edition ,ARMAND COLIN Et C^{ie}, paris, 1889 ,p 344.

أمّا سدّ أم الدروع، فقد تمّ بناءه سنة 1872 ويبلغ طوله عند القاعدة حوالي 58 مترا وارتفاعه 11,5 مترا ويشكّل قوسا عند القمة بطول 85,25 مترا، والواقع أنّ إقامة هذا السدّ عند مضيق مرتفعات بني راشد كان منتظرا منذ مدّة، ولكن كان لا بدّ من تزايد حدّة الاحتجاجات والمطالب لدى الكولون على وجه الخصوص بين سنتي 1867 و1868 من أجل أن يشرع المهندسون في العمل، وقد سمح هذا السدّ بسقي ما لا يقلّ عن 2400 هكتار على الضفة اليسرى لواد الشلف و7700 هكتار على الضفة اليمنى منه، ولكن ونظرا للصعوبات التي كانت موجودة على مستوى أرضية مضيق بني راشد، فقد تمّ تحويل معظم مياه السدّ إلى الجهة اليسرى بواسطة قناة مشتركة سعتها 1500 لتر/ثا، يبلغ طولها حوالي 23 كلم، وعند وصولها إلى أعالي أم الدروع، فإنّ هذه القناة تتفرّع إلى قسمين واحدة على الضفة اليسرى تصل إلى غاية واد تسيغاوت والثانية على الضفة اليمنى باتجاه واد وهران بالقرب من أولاد فارس، بعد اجتيازها لواد شلف عبر أنبوب حديدي طوله 322 مترا وقطره 1,50 متر، ولم تكن القنوات في البداية مبنية بمواد البناء حيث كانت التربة تتعرّض إلى شقوق بفعل الجفاف خلال فصل الصيف، وعلى إثر ذلك كان يتمّ تسجي ضياع كميات معتبرة من المياه¹.

ب- سدّ واد الفضة: يعرف هذا السدّ أيضا تحت تسمية سد ستيق (Barrage Steeg) نسبة للحاكم العام للجزائر ثمّ وزيرا للمستعمرات تيودور ستيق (Théodore Steeg) الذي قام بتدشين هذا السدّ ووضع حيز الخدمة، والواقع أنّ فكرة إقامة هذا السدّ تعود إلى سنة 1868/1867 وهي السنّة التي عرفت فيها الجزائر عامّة ومنطقة الشلف خاصة حالة جفاف حادّة نتجت عنها مجاعة كبيرة، حيث ظهرت فكرة إنشاء سدّ بقدره استيعاب تقدر بـ34 مليون م³، بالإضافة على إقامة سدّ تحويل على راس شبكة توزيع، وقد صدرت الأوامر ببداية الأشغال سنة 1869 بعدما تم فتح قرض مالي بقيمة 850 ألف فرنك تكاليف الإنجاز، إلا أنّ الأشغال توقّفت بعد ذلك بفعل اندلاع الحرب الألمانية الفرنسية سنة 1870. وقد تعالت بعد ذلك الاصوات من أجل إعادة بعث المشروع من جديد لا سيما بعد نشأة المركز الاستيطاني لواد الفضة سنة 1872 واستقرار سكان الألزاس واللّورين به، حيث طالب

1 - Ballongue J, La Banque D algerie ,Son Origin, Son But ,In BSGAO,1931, Pp 112-113.

ممثلين عنهم سنة 1874 بإشناء سدّ بطاقة استيعاب تقدر بـ 35 مليون م³، قصد سقي 10 آلاف هكتار، وإذا لم يكن ذلك بالإمكان، فعلى الأقلّ بناء سدّ من الأخشاب والأتربة بغرض سقي مزرعاتهم خلال فصل الربيع¹، إلّا أنّ ذلك لم يتمّ تجسيده على أرض الواقع، ومع بداية القرن العشرين تجددت أيضا فكرة إنشاء هذا السدّ وانطلقت الدّراسات الجيولوجية إلا أنّها سرعان ما توقفت نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، وهكذا كان لابدّ من انتظار برنامج سنة 1920 الذي صنّف السدّ بعد تحديد الموقع المناسب له أنه الأول ضمن الانجازات الكبرى في مجال الرّي في الجزائر².

أُختير موقع هذا السدّ بالقرب من قرية الكريمة (Lamartine)، حيث واد الفضة يجري بعمق وسط كتلة ضخمة من حجر الكلس الصّلب، ومن هنا جاءت فكرة وضع حاجز أمام هذا الواد من خلال إقامة سدّ حيث يمكن استعمال المياه المتجمّعة لسقي سهول الشلف. وقد بدأت أشغال إنجاز هذا السدّ سنة 1924 وتوقفت سنة 1929، نتيجة حريق أتى على معظم تجهيزات البناء، ثمّ تمّ إعادة بعث المشروع سنة 1931 لتنتهي به الأشغال، ويتمّ وضعه حيّز الخدمة سنة 1932 بعدما تمّ تدشينه من طرف الحاكم العام تيودور ستيق. في الواقع، فإنّ هذا السدّ لم يواجه مشكل هشاشة الأرض، ولكن بالمقابل فإنّ الصّخور الكلسية كانت بها شقوق الأمر الذي تطلب القيام بعمليات حفر على مستوى تلك الشقوق وصلت في مجموعها إلى حوالي 9500 متر ليتمّ ضخّ بداخلها كمية من الإسمنت والمواد الكيماوية بلغت حوالي 6700 طن، وبذلك تمّ إقامة سدّ بعلو 100 متر تقريبا سمح بإقامة خزّان بسعة 225 مليون م³، وكانت عملية الإخلاء أو التّفريغ تتمّ عبر فتحتين أو محولين سعة تدفقهما حوالي 1100 م³/ثا، أكثرهما أهمية هو الواقع في اليسار والذي يشكّل نفقا طوله 250 مترا مكوناً عند المخرج شلالا بعلو 65 مترا، وهذا الإنجاز الضخم أُضيفت له محطة لتوليد الطّاقة الكهربائية قادرة على توفير 15 مليون كيلو واط بالإضافة إلى سدّ آخر من الحجم الصّغير سمي بسدّ أبواب الحديد (Barrage Des Portes De Fer) بقدرة

1- Charle Robert Ageron , Histoire de L'algerie Contemporaine ,op-cit p 228.

2- Theodore Steeg, Inauguration Des Travaux De Construction Du Barrage –Reservoir De l Oued Fouda Alger, 1879 Pp 11-12.

استيعاب قدرها 300 ألف م³، سمحت بإعادة تأهيل شبكة الأنابيب الكبرى مشكلة مجالا للمناطق المسقية الجديدة.

لقد كانت الأهداف المنتظرة من هذا السدّ هو ضمان ريّ مساحات واسعة من سهل شلف لا سيما المنطقة الوسطى وجزء من المنطقة الغربية، وبالفعل فإنّ هذا السدّ أصبح يضمن مياه الريّ لمنطقتين مختلفتين، ومنفصلتين حيث تفصل بينهما السلسلة الجبلية لبني راشد، المنطقة الأولى تتزوّد فقط بمياه سدّ واد الفضّة وهي تضمّ منطقة الكريمة وأيضاً واد الفضّة، بئر الصّصاف، أولاد عبّاس، العطّاف بمجموع 5800 هكتار، وإذا كانت الكريمة تتزوّد عبر قنوات قديمة ومهترئة نسبياً تمّ بناءها سنة 1890، فإنّ واد الفضّة والعطّاف كانت تتزوّد بقنوات حديثة مفتوحة على الهواء (Cannaux A Ciel Ouvert).

أمّا المنطقة الثانية فتقع بين أم الدّروع وبوقادير، وتمتدّ على مساحة 13 ألف هكتار مجهزة بأنظمة ريّ متنوّعة، جزء منها بواسطة الشبكة القديمة من القنوات المتفرّعة من سدّ أم الدّروع والجزء الآخر بواسطة أنابيب قويّة متفرّعة من سدّ واد الفضّة، وهي قنوات مفتوحة على الهواء (Cannaux A Ciel Ouvert)، وقد تمّ توسعة هذا الجزء فيما بعد ليشمل أيضاً منطقة لجراف الواقعة شمال مدينة الأصنام وأيضاً أولاد فارس لتصل المساحة المسقية إلى حدود 24 ألف هكتار، ولكن وبالنظر إلى قلة منسوب المياه نتيجة تجمّع الطمي بالسدّ. وبما أنّ سدّ أم الدّروع وسدّ واد الفضّة لم يكن بإمكانهما العمل بكامل قدراتهما نتيجة تراكم الطمي بسدّ واد الفضّة وارتفاع نسبة المياه المحجوزة من واد شلف من طرف سدّ غريب مقارنة بسدّ أم الدّروع، فإنّ الإدارة الاستعمارية قامت بإنشاء سدّ صغير نسبياً على واد سلي حيث تمّ إنجازه بالقرب من منطقة أولاد بن عبد القادر (Massena) في نفس اتجاه واد أرجم وواد بوقلفين، وكان يسمح باستيعاب 200 مليون متر مكعبو كان بإمكانه أيضاً رصد مياه واد لاغ، وهو من روافد واد سلي.

ومن أجل استعمال مياه هذه السدود الثلاثة (واد الفضّة، أمّ الدّروع، واد سلي) كان لابدّ من إنشاء شبكة قنوات وأنابيب بطول 700 كلم تعمل على توزيع المياه عبر القسم الأوسط والغربي من سهل شلف بطريقة منتظمة تمنع ضياع المياه وتضمن تقليص اليد العاملة¹.

1- Xavier Yacono , *La Colonisation* ,T2 op-cit,p 36.

1-4-3 النشاط الصناعي:

عرفت المنطقة ظهور بعض الأنشطة الصناعية، والحرف قبل وصول الاحتلال الفرنسي في الأربعينات من القرن 19م، إلا أن هذه الصناعات لم تكن متطورة بالحجم الذي وصلت إليه الصناعة في أوروبا، فالصناعة لم تتعدّ نطاق القبيلة، وكانت تعتمد على استعمال المواد الأولية المتوفرة في المنطقة أو المناطق المجاورة لها، حيث انتشرت صناعة الألبسة في قبيلة أولاد عباس مثل حياكة البرنوس، بالإضافة إلى صناعة الأسلحة، ومعدّات الفروسيّة، والتي كانت تعتمد أساسا على الجلود والأصواف¹، وإلى جانب ذلك عرفت المنطقة ظهور العديد من الطاحونات اليدوية والهوائية، التي كانت تقوم بطحن الحبوب، والتي كانت منتشرة في قبيلة صبيح، إلى جانب ذلك وجدت العديد من معاصر الزيتون، وكانت هذه المنتجات موجدة في أغلب الأحيان إلى الاستهلاك المحلي وما زاد يوجّه إلى التسويق في الأسواق الأسبوعية².

ومع وصول المستوطنين الأوروبيين إلى المنطقة، وإقدام سلطات الاحتلال الفرنسي على تشجيع الاستيطان في المنطقة، والذي كما رأينا سابقا أنّ هذا الاستيطان غلب عليه الاستيطان الفلاحي بدرجة أساسية، لذلك عمدت الإدارة الاستعماريّة إلى مصادرة الأراضي الزراعيّة وتوزيعها على المعمّرين أين قاموا بإنشاء مستوطنات فلاحية، وراحوا يستصلحون الأراضي ويوسّعون المساحات المروية، ويدخلون زراعات جديدة إلى المنطقة، في حين أنّ النشاط الصناعي ظلّ بسيطا يركز أساسه على بعض الصناعات الاستخراجية التي مست بعض المناجم والمعادن، التي كانت منتشرة في المنطقة، بالإضافة إلى بعض الصناعات الغذائية التي ارتبطت ببعض المنتجات الفلاحية كالخمور والقطن والزيتون، وعليه يمكن القول أنّ هذه الصناعات كانت مرتبطة بالزراعة أو مكّلة لها، والواقع أنّ أغلبية المعمّرين الذين جاؤوا إلى المنطقة غالبيتهم مزارعين ومن أبرز العائلات التي استقرت في ضواحي أورليان فيل لدينا عائلة بول روبرت، وعائلة فيفر بول التي اشتهرت ببيع الخمور³.

1- Xavier Yacono ,La ColonisationT1,op-cit 227.

2- Ibid,p228.

3- Lahouri Aadi , De L Algérie Précoloniale A L algérie Colonial , E N de livre, Alger , 1985,p127-128.

والحقيقة أنّ الحاجة الملحّة للموادّ الأولية التي كانت تفتقر إليها فرنسا، جعلتها تبحث وتتقبّ في كل مكان من الجزائر، وفي هذا السياق فقد تمكّنت الإدارة الاستعماريّة من اكتشاف ثلاث مناجم بالمناطق المجاورة لورليان فيل مثل منجم بوقايد الخاص بالزنك، والرصاص، ومنجم تنس الخاص بالنحاس، ومن جهة أخرى فقد عرفت المنطقة انتشار بعض الصناعات البسيطة لدى الخواص من بينها صناعة الحدادة، التي اشتملت على صناعة المحاريث وبعض الأدوات الفلاحيّة الأخرى، بالإضافة إلى البناء ولوازمه من مواد كالقرميد، والآجر، والإسمنت، يضاف إليها الصناعات النسيجية خاصّة مع توفّر مادّة القطن وتوفّر الأصواف والجلود، أمّا الصناعات التي عرفت رواجاً كبيراً هي الصناعات الغذائيّة المرتبطة بالزراعة من بينها صناعة الخمر، والزيت النباتية، والمنتجات الحيوانية¹.

1 - Lahouri Aadi ,op-cit, p 129-130.

1-4-4-1-النشاط التجاري وطرق المواصلات:

1-4-4-1-1 التجارة:

عرفت منطقة الشلف خلال العهد العثماني انتشارا للمبادلات التجارية بين مختلف القبائل المجاورة، حيث كما رأينا سابقا أنّ كل قبيلة اشتهرت بإنتاج منتج معين تقوم بتسويقه في الأسواق الأسبوعية، التي كان يرتادها تجّار من المنطقة ومن خارجها من أجل تسويق منتجاتهم واقتناء ما يحتاجونه من سلع أيضا، ومن أهمّ الأسواق التي اشتهرت بها منطقة الشلف الوسطى سوق الخميس في الجهة الشرقية لقبيلة أولاد قصير، سوق الأحد بمنطقة الأصنام، وسوق آخر بيوم الخميس بناحية واد سلي، كما كانت المبادلات التجارية تجرى في يوم الأربعاء بقبيلة أولاد عباس¹.

وفي فترة الاحتلال الفرنسي اهتمّت الإدارة الاستعمارية بالنشاط التجاري، وذلك بتهيئتها لفضاءات تجارية لتسويق السلع والمنتجات المختلفة، حيث كانت هذه الأسواق إما أسبوعية أو موسمية، لها أماكن معلومة ومحدّدة، وكان رؤّادها كبار التجار يدفعون مبالغ مالية للأعوان القائمين على شؤون هذه الأسواق مقابل عرضهم للسلع، والتي كانت تتمثل أساسا في الخضر والفواكه والحبوب والحيوانات وبعض المنتجات المنزلية والنسيجية، حيث ضمت أورليان فيل في وسطها سوقا كبيرا يأتي إليه الناس من مختلف المناطق المجاورة للمدينة. ومع إنشاء خطّ سكة الحديد العابر لأورليان فيل، فإنّ حجم المبادلات التجارية قد عرف تطورا كبيرا باتجاه وهران والعاصمة، والجدول التالي يبيّن تطوّر حجم الحمولة التي عرفتها محطة أورليان فيل بين 1938 و1951م.²

1951	1950	1949	1948	1947	1938	محطة
30.274	28.556	21.918	25.048	18.780	18.050	أورليان فيل

1- Xavier Yacono, La Colonisation, T1, op.cit ,p228.

2- Ibid, T2, p247.

1-4-4-2 طرق المواصلات:

لقد أدركت الإدارة الاستعمارية منذ وصولها إلى منطقة الشلف الدور الذي تلعبه عملية الاتصال بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، ولذلك عملت على إقامة شبكة هامة من الطرق البرية والسكك الحديدية، أهمها فيما يلي:

1-4-4-2-1 طرق رئيسية: وتتمثل في:

* الطريق الوطني رقم 4 الرابط بين الجزائر، ووهران طوله يمر عبر العديد من المدن في سهل الشلف كخميس مليانة، وأورليان فيل وغليزان.

* الطريق الوطني رقم 19 الرابط بين تنس والونشريس طوله 150 كلم، وهناك طرق فرعية تربط بين مدينة أورليان فيل، وبعض المراكز الاستيطانية التابعة لها.

1-4-4-2-2 السكة الحديدية:

استفادت مدينة أورليان فيل من سكة الحديد الرابطة بين الجزائر ووهران، حيث شرعت الأشغال في الشطر الرابط بين أورليان فيل وغليزان في 15 جانفي 1870، والشطر الرابط بين أورليان فيل وافروفيل في 31 ديسمبر 1870، كما أنشئت سكة حديد تربط بين مدينة أورليان فيل ومدينة تنس الساحلية¹.

1-5 التطور العمراني لمدينة أورليان فيل خلال القرن 19م:

وبالرّجوع إلى مخطّط المدينة المؤرّخ في 12 سبتمبر 1848 نجد أنّ المدينة كانت في بدايتها عبارة عن مخيم عسكري، على شكل مثلث يتكون من شارعين رئيسيين على شكل طولي أين يتقاطعان كذلك مع شارعين رئيسيين بشكل عرضي، لكن بدون شك فإنّ مع مرور الوقت فإنّ هذا المخيم العسكري سوف يتغيّر وتطرأ عليه العديد من التطوّرات العمرانيّة، خاصّة في النّاحية الشّرقية منه، أين عرف توسّعا ملحوظا، حيث زادت المساحة الأوّلية لمخيم أورليان فيل، وهذا التوسّع لقي انتقادا شديدا خاصّة من طرف الطّبيب الرّئيسي في المخيم ديسورت DUSSORT، بسبب وجود منخفض كبير بعمق 10 إلى 15 متر تطلّب مجهودات كبيرة لإخفائه، حيث فضل DUSSORT التوسّع جنوب وشمال المخيم¹، ومن جملة العناصر المشكّلة للنّسيج العمراني في مدينة أورليان فيل لدينا:

1-5-1 السور:

سخرت وزارة الحربيّة الفرنسيّة مبالغ ماليّة معتبرة، من أجل إقامة سور منيع يحمي مخيم أورليان فيل من هجمات قبائل سنجاس وقبائل أولاد قصير، التي رفضت الوجود الاستعماري في المنطقة، فقد أقيم سور حصين مدعّم بخندق، هذا كان يحيط بالمخيم من الجهات الأربع للمدينة، أين فتحت فيه مجموعة من الأبواب.²

1-5-2 الأبواب:

فتحت في سور المدينة أربعة أبواب على الجهات الأربعة، حيث نجد باب وهران يقع في الجهة الغربيّة للمدينة على الضفّة اليمنى لواد تسيغاوت، باب تنس ويقع في الجهة الشّمالية للمخيم عند الضفّة اليسرى لواد شلف، أمّا باب السرسو فيقع إلى الجنوب، وأخيرا باب الجزائر العاصمة ويقع في الجهة الشّرقية للمدينة.³

لقد ساهمت هذه الأبواب المقامة على طول الجهات الأربعة لسور المدينة، في تسهيل حركة السّلع والضّائع من وإلى مدينة أورليان فيل، بالإضافة إلى دخول وخروج المستوطنين إلى المدينة والخروج إلى مراكز استيطانية أخرى أو الخروج إلى مزارعهم وحقولهم المتواجدة

1- Xavier Yacono, La Colonisation T2, op-cit ,p70.

2- Ibidem..

3- Ibid, T2 ,p70.

بمحاذاة المدينة إلى جانب ذلك سهلت دخول وخروج الجنود والعربات العسكرية من وإلى المدينة.

1-5-3 الثكنة العسكرية:

أنجزت هذه الثكنة في سنة 1853م، من أجل إيواء أكثر من 2.55 جندي، حيث أقيمت حجرات هذه الثكنة بالحجر والإسمنت وتمّ تغطية الأسقف بالقرميد، ويعتبر هذا النمط من البناء نمطا متطورا إذا ما قورن بالثكنة العسكرية، التي تمّ إنشاؤها في سنة 1834م، فقد كانت عبارة عن حجرات مغطاة بألواح خشبية، مع حيطان مدهونة بطلاء زيتي.

1-5-4 المستشفى العسكري:

عند تأسيس المخيم العسكري أورليان فيل سنة 1843م، أسس مستشفى عسكري، حيث كان عبارة عن خيم مصنوعة من جلود ووبر الجمال وجذوع النخل وجريده، لكن في سنة 1845م تمّ إنجاز مستشفى عسكري عبارة عن حجرات بشكل طولي مغطاة بشكل جيّد، قدرة استيعاب هذا المستشفى نحو 300 مريض¹.

تمّ تجسيد المستشفى العسكري في الجهة الجنوبية للمدينة، إذ يتوسّط الحيّ العسكري للخيّالة، والحي العسكري للمدفعيّة.

1-5-5 الحي الإداري:

ضمّ هذا الحيّ مكاتب أعوان الإدارة الاستعماريّة ومقر إقامتهم، وقد تمّ تجسيده في الجهة الشماليّة من المدينة على الضفّة اليمنى لواد الشلف، أقيم بجانبه مستشفى مؤقت.

1-5-6 مقرّ القيادة العليا:

ضمّ هذا المقرّ مكاتب كبار المسؤولين المدنيّين والعسكريّين في المدينة، تمّ بناء هذا المبنى في وسط المدينة، يقابله شمالا السّاحة العامّة، ويقابله جنوبا المستشفى العسكري، ويقع على يساره حي المشاة العسكرية، أمّا عن يمينه فنجد سكنات المدنيّين².

1- Xavier Yacon, La Colonisation, T2, op-cit, p78.

2- Ibid, T2 , p 79.

1-5-7 السّاحة العامّة La Place D'arme:

أقامت الإدارة الاستعماريّة في مدينة أورليان فيل ساحة عامّة تتوسّط المركز الحضري، مثلها مثل باقي المدن في الجزائر، جسّدت هذه السّاحة في الجهة الشّمالية من المدينة، إذ تتوسّط الحي المدني والمستشفى المؤقت.

1-5-8 جسر واد الشلف:

بهدف ربط مدينة الشلف مع المركز الاستيطاني للفيرم La Ferme، قامت السّلطات الاستعماريّة بمدّ جسر على واد الشلف، سمح هذا الجسر بمدّ الطّريق البرّي رقم 19 الرابط بين الشلف وتّنس.

1-5-9 المرافق العامّة:

بداية من سنة¹، 1948م شرعت الإدارة الاستعماريّة في إقامة العديد من المرافق العامّة للمستوطنين على غرار الكنيسة، والسّوق المغطّى، والمدرسة، والفندق وغيرها من المنشآت المدنية إلّا أنّ الزلّازل المدمّرة، التي ضربت منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري وبعد الاستقلال، هدمت ودمّرت كلّ المباني ولم يسلم من الدّمار إلّا النزر القليل.

1- Xavier Yacon, La Colonisation, T2, op-cit, p78.

2- تأسيس مدينة أفروفيل (Affreville):

2-1- الخصائص الجغرافية لمدينة أفروفيل:

2-1-1- الموقع الجغرافي:

أسست أفروفيل في منطقة استراتيجية في القسم الأعلى من حوض الشلف، حيث تقع على بعد 100 كلم شرق مدينة Orleansville، حيث يحدّها من الجهة الشماليّة مرتفعات جبال زكار ومن الجنوب مرتفعات الونشريس، ومن الشرق جبال الأطلس البلدي، ومن الغرب سهول حوض الشلف الأوسط، وهي بذلك تشكّل همزة وصل بين العديد من المناطق، كالمديّة، والشلف، وتيهرت، ومليانة، والجزائر العاصمة.

أمّا من الناحية الإدارية فيحدّها من الناحية الشماليّة مقاطعة مليانة، وهي مدينة قديمة في المنطقة وقد تحدّثنا في الفصل السابق عند الحديث عن مدن حوض الشلف قبل الاحتلال الفرنسي، ومن الجنوب المركز الاستيطاني عين السلطان الذي تأسس سنة 1852م، ومن الجهة الغربية المركز الاستيطاني Lavarande سيدي لخضر حالياً، والذي تأسس سنة 1853.

2-1-2 التكوين الجيولوجي:

تقع منطقة أفروفيل ضمن القسم الأعلى من حوض الشلف، والذي يتميّر بتكوين جيولوجي قديم، حيث يوجد آثار لفترة الميوسين، كما توجد ترسبات لصخور جييرية وكلسية فضلاً عن الصّخور الطّينية¹، كما تظهر مخلفات عصر الميوسين الأعلى في شكل كتلة طينيّة، كما نجد فترة الاوليغوسين شمال المنطقة بالضبط في مليانة، حيث تنتشر الصّخور الرّمليّة.²

1- عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، المرجع السابق، ص 12.

2- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 190.

2-1-3 المناخ:

بحكم وقوع منطقة أفروفييل بين سلسلتين جبليّتين من الشّمال زكّار، ومن الجنوب الونشريس، فقد ساد المنطقة المناخ القاريّ الذي يميّز بشدّة الحرارة والجفاف صيفا وانعدام التساقط وشدّة برودة الشتاء، مع هبوب بعض الرياح الصّيفية ذات الاتجاه الشّمالي الشرقيّ، فحسب ما أشارت إليه اللّجنة المكلفة بالرّي بأفروفييل بأنّ هذه الرياح تبدأ من السّاعة التّاسعة صباحا وتمتدّ إلى غاية الخامسة بعد المساء، تتميز بالبرودة وشدّة سرعتها، ممّا جعلها تقتلع بعض الأشجار، وتعيق بعض الأشغال في المنطقة¹.

2-1-4 التّربة:

تتميّز تربة منطقة أفروفييل بأنّها تربة رسوبيّة، صالحة للزّراعة نظرا لغناها بالمواد المعدنية والعضويّة، ومن خلال التّحليل الفيزيائي لها تبين وجود العديد من العناصر الأساسيّة مثل حبيبات الرّمّل الخشن كلّسية 45.0، حبيبات رمل خشن غير كلّسية 68.5، حبيبات رملية ناعمة كلّسية 233.0، حبيبات رملية ناعمة غير كلّسية 265.0، طمي 386.2، أمّا التّحليل الكيميائي فبين الأزوت 1.12، حمض الفوسفوريك 1.62، البوتاسيوم 7.20، الكلس 268.0، حمض الكالسيوم 155.68².

2-1-5 الغطاء النباتي:

تتوفّر المنطقة على غطاء نباتي متنوع، فالسلسلة الجنوبيّة بالونشريس خاصّة في جزئها الشرقي بها غطاء غابي كثيف، مثل غابات العرعار، والصنوبر، والبّلوط، والأرز، خاصّة في ثنية الأحد أين توجد حضيرة المداد، والتي أسستها السّلطات الاستعماريّة سنة 1923 وصنّفت عالميا كمحمية عام 1989م، كما تتوفّر جبال زكّار على ثروة غابية متنوّعة وكثيفة من أشجار البّلوط، والصنوبر، وأنواع أخرى، نظرا لقربها من المؤثّرات البحريّة الشماليّة القادمة من البحر المتوسط.

1- Xavier Yacono , La Colonisation,T1op.cit , p 122.

2- Ibidem

2-1-6 المجاري المائية:

تتوفر المنطقة على عدة أودية مهمة، حيث يأتي واد الشلف في مقدّمتها، بحيث يخرق سهول أفروفيل قادما من المدينة، أين يسقى العديد من المساحات الزراعيّة المنشرة على جانبيه، كما نجد بعض الروافد التي تصبّ في واد الشلف سواء القادمة من جبال زكّار أو القادمة من الونشريس ومن أهمّ هذه الروافد واد بوطان، واد سوفاي، واد رهان وكلها تعمل على تغذية واد الشلف.

2-2 التطور الإداري للمدينة:

بعد احتلال الجيش الفرنسي لمدينة مليانة سنة 1840 واحكام الادارة الاستعمارية سيطرتها على المنطقة المتاخمة لمليانة خاصة عند سفوح جبال زكار من الجهة الجنوبية ،سارع بعض المستوطنين في سنة 1845 الى الاستقرار في منطقة واد بوطان والشروع في استغلال اراضيها ،حيث كان يقدر عدد هؤلاء المستوطنين باربعين خيمة شكلت في مجملها مخيما اطلق عليه مخيم واد بوطان والذي اصبح فيما بعد مركزا استيطاني يحمل اسم افروفيل والذي تطور مع مرور الوقت واصبح مدينة اوروبية في سهل الشلف الاعلى¹ كانت السلطات الاستعمارية تطمح الى جعل مخيم واد بوطان مركزا استيطانيا يتوفر على كامل الشروط الضرورية لاقامة الميوتوطنين الاوروبيين فيه ،نظرا للموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به علاوة على خصوبة اراضيهِ وتوفر مياه السقي من روافد واد الشلف المار عبر المنطقة

كما كانت السلطات الاستعمارية تهدف كذلك من انشاء هذا المركز الاستيطاني الى قطع الطريق امام قوات الامير عبد القادر التي كانت تنتقل من الغرب الى المدينة والمناطق الداخلية

في بداية تشكل المخيم قام الجنرال Levasseur حاكم مقاطعة مليانة باقتطاع العديد من الاراضي الخصبة ومنحها لبعض المستوطنين من اجل الاستقرار في مخيم واد بوطان، والذين قدر عددهم بحوالي 21مستوطن ،حيث ان 18 منهم كانوا برفقة عائلاتهم وبداية من شهر جانفي 1847م وضعت اللجنة الاستشارية بمليانة دفتر شروط للراغبين في الاستقرار في المخيم ومن بين هذه الشروط ماييلي:

-اقامة مسكن ب200فرنك

-امتلاك وسائل وعتاد للزراعة

-غرس 30شجرة مثمرة او غابية في الهكتار الواحد

-استصلاح الاراضي البور والغير صالحة للزراعة وجعلها صالحة للزراعة في مدة ثلاث سنوات

1 -Xavier Yacono,La Colonisation ,T1,op-cit ,p321.

وفي يوم 9 اكتوبر 1848 م صدر مرسوم يقضي بتسمية مخيم واد بوطان بمخيم افروفيل نسبة الى الاسقف اوغست دوستنا فرو اسقف باريس الذي توفي في شهر جوان 1848 م واصبح المخيم يسمى بمركز affreville على مساحة تقدر ب450هكتار ويضم حوالي 40 عائلة اوروبية¹.

1-Xavier Yacono,La Colonisation,T2,op-cit,p81.

2-3 - الأنشطة الاقتصادية:

تنوّعت وتعدّدت الأنشطة الاقتصادية في المدينة بحكم الموقع الجغرافي للمدينة، وكذا الإمكانيات والموارد التي كانت متوفّرة في المنطقة، ويمكن توضيح تلك الأنشطة على النحو التالي:

2-3-1 - التجارة:

كانت التجارة النّشاط الأوّل الذي ظهر في مخيم واد بوطان، نظرا لموقع المخيم، فهو يقع في ملتقى طرق تجارية هامّة، طريق ثنية الأحد المؤدّي إلى منطقة سرسو وطريق جنّدل المؤدّي إلى المدينة، وطريق lavarande المؤدّي إلى Orleansville، كما كان مخيم أفروفيل فيل قريب من العديد من الأسواق الأسبوعية، كسوق الأربعاء بجنّدل وسوق الثلاثاء بالقنطرة.

عرف مخيم أفروفيل حركية تجارية واسعة في بداياته، بفعل الإنتاج الزراعي والحيواني الذي كان يقوم به أهالي القبائل في المناطق المجاورة للمخيم، مثل قبائل هاشم وعريب، بالإضافة إلى الأنشطة الزراعية، التي كان يقوم بها المعمّرون الذين استقرّوا في أفروفيل. لقد سمحت المنافذ التجارية المؤدّية إلى المنطقة بحصول تبادل تجاري بين المنطقة وباقي المناطق الأخرى، فقد وصلت السلع والبضائع الصحراوية القادمة من الصحراء عبر المدينة، كما وصلت سلع وبضائع منطقة السرسو عبر طريق ثنية الأحد، وكانت هذه السلع خاصّة الحلفاء والجلود موردا هاما للمستوطنين في إقامة العديد من الأنشطة الصناعية التي ظهرت مع مرور الوقت في أفروفيل، ومن جهة أخرى وصلت المحاصيل الزراعية كالحبوب والقطن والخضر والكروم، التي اشتهرت في منطقة أفروفيل إلى العديد من الجهات الداخليّة والساحليّة¹.

سمح تجسيد طريق سكة الحديد الرّابط بين الجزائر ووهران والمار عبر أفروفيل بإنشاء محطة في مدينة أفروفيل، بنقل المسافرين والبضائع والسلع من المنطقة إلى مختلف المناطق، الأمر الذي ساهم في انتعاش الحركة التجارية في المنطقة، حيث قدر متوسط البضائع المشحونة من محطة أفروفيل في الفترة الممتدة من 1880 إلى 1890 بـ 13 ألف

1-Xavier Yacono,La Colonisation,T2,op-cit,p83.

طن في السنة، وبذلك فاقت محطة افروفيل كل من محطة أورليان فيل ومحطة غليزان في متوسط البضائع المشحونة بأكثر من 50%، فيما قدر عدد التجار في أفروفيل سنة 1948 بـ 1944 تاجرا منهم 1462 من الجزائريين، إلى جانب محطة المدينة، فقد عرفت أفروفيل انتشار العديد من المخازن التعاونية، ونقاط تجميع الحبوب التي قدرت كمية تخزينها بـ 60 ألف من الحبوب وأغلبها تابعة للشركة الزراعية، وفرع القرض العقاري والشركة الجزائرية، فهاته المؤسسات الاقتصادية ساهمت في تنشيط الحركة التجارية في المنطقة سواء بتصديرها للبضائع أو جلبها لها.

كما لعبت البنوك هي الأخرى دورا أساسيا في الحركة التجارية، وذلك بتقديم قروض للمستوطنين الراغبين في فتح أنشطة اقتصادية في المنطقة، حيث ساهمت سنة بنوك في فتح 120 مؤسسة تجارية في مدينة أفروفيل¹.

3-2- النشاط الزراعي:

لم يكن النشاط الزراعي في المركز الاستيطاني في السنوات الأولى من تأسيس أفروفيل منتشرا كثيرا، حيث لم يكن عدد الفلاحين أو المزارعين يتجاوز الخمسة سنة 1846، كما كانت المساحة المستغلة ضئيلة هي الأخرى، إذ لم يتجاوز عشرة هكتارات في سنة 1846، لكن مع مرور السنوات وتزايد عدد المستوطنين في المنطقة، وإقدام سلطات الإدارة الاستعمارية على تجسيد العديد من المشاريع لصالح المستوطنين، توسع النشاط الزراعي، بحيث تم إنشاء هيئة خاصة بشؤون الري، والتي أوكلت لها مهمة تجفيف البرك والسبخات المنتشرة على ضفاف واد بوطان، الأمر الذي ساهم في ازدياد المساحات الزراعية، والتي قاربت 2000 هكتار سنة 1852.

ونظرا لاهتمام السلطات الاستعمارية بقطاع الزراعة، وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية لتطوير الزراعة، كاستصلاح الأراضي وتقديم المساعدات المالية للمستوطنين، حيث قدرت هذه المساعدات المالية بـ 800 فرنك فرنسي للمزارع الواحد في سنة 1849، وذلك بغية تشجيع المستوطنين على ممارسة حرفة الزراعة، كما عملت الإدارة الاستعمارية على توفير مياه السقي، وذلك بشق قنوات الري وإقامة السدود لتزويد المنطقة بالمياه في فصل

1- Xavier Yccono , La Colonisation,T2 ,op.cit, p 247.

الصيف وأوقات الجفاف، حيث يأتي سدّ غريب الذي أقيم إلى الغرب من Lavarande في مقدّمة هذه السدود، فإنّ الزراعة عرفت تطوّرًا ملحوظًا من ناحية الكميّة أو النوعية، حيث قدّرت المساحة المزروعة سنة 1850 بـ 168 هكتار من القمح و 68 هكتار من الشعير بالإضافة إلى الخضر والكروم، كما قدّرت في سنة 1853 المساحة المخصّصة لزراعة القمح 273 هكتار و 125 هكتار لزراعة الشعير.

إنّ اتساع المساحة المزروعة أدّى بدوره إلى ارتفاع كمية إنتاج المحاصيل الزراعيّة، كما ساعد أيضا استعمال الأساليب والتقنيّات الحديثة في الزراعة من طرف الأوروبيين، فمثلا استعمال أسلوب تحضير الأرض المسبق¹، والذي طبّق بدءًا من سنة 1895 في أفروفييل زاد من إنتاجية المساحات الزراعيّة، حيث انتقلت كمية إنتاج القمح من 4-8 إلى 10-12 قنطار في الهكتار الواحد.²

كما ساهم أسلوب استعمال الأسمدة الكيماويّة هو الآخر في زيادة إنتاج المحاصيل، والتي اعتمدها لجنة الزراعة في أفروفييل منذ سنة 1907م، بحيث تعدّدت المحاصيل والمنتجات الزراعيّة المنتجة في منطقة أفروفييل، فإلى جانب إنتاج القمح والشعير والكروم، أدخلت محاصيل أخرى، مثل زراعة الذرة والبرسيم، كعلف للحيوانات، كما أدخلت زراعة القطن، والبنجر السكري، والفاصولياء، وإنتاج الفواكه مثل البرتقال والماندرين، والخوخ والشمش، والتين، والزيتون، والشمش، والخوخ، واللوز.³

لقد كان لإنجاز مشاريع الري في المنطقة دور في اتّساع المساحات المسقيّة خاصّة من خلال السدّ عريب، فقد قدّرت المساحة الإجماليّة للأراضي الزراعيّة في منطقة أفروفييل سنة 1954 بـ 37 ألف هكتار، حيث قدّرت المساحة المروية بـ 9000 هكتار منها 1.169 هكتار خصّصت لزراعة محصول البرسيم الذي كان يستعمل في تغذية الحيوانات

1- أسلوب اعتمده المزارعون، وهو حرث الأرض بعمق 8-10 سنتيمتر قبل بداية موسم البذر، حيث تسمح هذه التقنيّة بالاستفادة من مياه الأمطار التي تسقط في فصل الخريف.

2 -Xavier Yacono,La Colonisation,T2 , op.cit, p167.

3 -Ibid, p 230.

خاصة الأبقار، حيث اهتمّ المزارعون بهذا المحصول نظرا لمساهمته الفعّالة في ازدياد عدد الأبقار، وفيما يلي جدول يبين اجمالي المساحة المسقية موزعة على بعض المحاصيل الزراعية في منطقة افروفييل سنة 1938¹.

المحصول	حبوب	برسيم	محاصيل تجارية	كروم	اشجار الزيتون	حمضيات	محاصيل اخرى
المساحة	16000	6000	1000	1000	1000	3000	2000

تأتي في مقدمة المحاصيل الزراعية المنتجة في منطقة أفروفييل الحبوب، وهي في ذلك لا تختلف عن باقي المناطق الأخرى في الجزائر، حيث يعود الاهتمام بزراعة الحبوب في الجزائر إلى فترات قديمة، ذلك أنّ القمح يعتبر الغذاء الأساسي للجزائريين، ثمّ تأتي في المقام الثاني زراعة البرسيم والذي كانت تزداد مساحته في كلّ سنة، لأنّه يدخل في تغذية الأنعام، والتي حظيت باهتمام من طرف الأهالي والمعمّرين في منطقة أفروفييل كما سنرى فيما بعد، يضاف إليها أنواع أخرى كالكروم، والزيتون، والحمضيات، والخضر، والتي كانت محلّ اهتمام كبير من طرف المعمّرين الأوروبيين في المنطقة.

3-3-3- الإنتاج الحيواني:

انتشرت تربية الحيوانات في المنطقة قبل دخول الفرنسيين إليها في 1840م، فقد اشتهرت قبائل هاشم وجندل وزمول بتربية عدّة أنواع من الحيوانات، سواء كانت موجهة للاستهلاك كالأغنام والبقر والماعز، أو كانت تستعمل في الأنشطة اليومية كالتنقل والحرث وغيرها، حيث ساعدت الظروف الملائمة على تربية الحيوانات، مثل المراعي وانتشار الأسواق الأسبوعية مثل سوق الأربعاء بجندل والثلاثاء بالقنطرة، وفي ما يلي جدول لقبائل المنطقة وثروتها الحيوانية في سنوات 1844 و 1845 و 1848².

1-Xavier Yacono,La Colonisation,T2, op.cit, p208.

2- Ibid,T1, p 226.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

جدول يبين الثروة الحيوانية عند قبائل منطقة الشلف¹

الجمال	البغال			الخيول		الأبقار		الماعز		الأغنام		القبائل
	1844	1848	1844	184	1844	1848	1844	1848	1844	1848	1844	
1848	1844	1848	1844	184	1844	1848	1844	1848	1844	1848	1844	القبائل
	45		45		45		45		45		45	
		250	40	105	100	2.973	2.493			9.117	11.18	جندل
											5	
		258	40	33	80	1.995	1.442		1000	7.095	7.916	هاشم
		102	45	48	80	1.003	581			7.281	3.844	زمول
		9	4	1	6	64	37			1.100	644	عريب

إنّ هذه الإحصاءات تستثني المناطق الجبلية، وإلا فإنّ مجمل الثروة الحيوانية في المنطقة لدى الأهالي معتبرة، وتفند المزاعم القائلة بأنّ المنطقة لم تكن أهلة بالسكان، ولم تكن تمارس فيها الأنشطة الاقتصادية.

1 -Xavier Yacono,La Colonisation,T1, op.cit, p 226

بعد توطن العديد من المستوطنين الأوروبيين في مخيم واد بوطان منذ سنة 1848، مارس هؤلاء المستوطنين إلى جانب نشاط الزراعة والتجارة نشاط تربية الحيوانات، حيث تم استحداث هيئة تربية الحيوانات في سنة 1948، والتي أوكلت لها مهمة تطوير هذه الشعبة بهدف تطوير الإنتاج وتلبية احتياجات السوق من اللحوم والحليب، حيث عرفت سنة 1949 قفزة نوعية في إنتاج مادة الحليب والتي قدرت بـ 4.824 لتر، وبغية الاستفادة من هذه المادة، فقد عمدت السلطات الاستعمارية إلى إنشاء ملبنة في أفروفيل، حيث أوكل المشروع إلى شركة الشمال الإفريقي بالمساهمة مع بعض المنتجين في المنطقة، وكان من مهام هذه الملبنة تجميع الحليب وبسترته وتبريده وتوجيهه نحو الجزائر العاصمة، حيث كان من آفاق هذه الملبنة هو إنتاج 50 ألف لتر يوميا¹.

تنوّعت الثروة الحيوانية لدى الأوروبيين في المنطقة، والجدول الآتي بين مجمل أنواع الحيوانات لسنة 1951².

الخنازير	الماعز	الاعنام	الابقار	الحمير	البغال	الخيول
44	155	1907	300	/	49	74

نلاحظ اهتمام العنصر الأوروبي بتربية شعبة الأبقار وشعبة الأغنام، حيث يعود هذا الاهتمام كون هاتين الشعبتين واسعتي الاستهلاك اليومي، خاصة توفير اللحوم الحمراء، إلى جانب توفير مادة الحليب التي هي مادة واسعة الاستهلاك اليومي، كما تساهم هاتين الشعبتين كذلك في تطوير الصناعة النسيجية بما توفره من جلود وأصواف.

كما نلاحظ أنّ السكان الأهالي اهتموا بشكل كبير بتربية الحيوانات مقارنة بالعنصر الأوروبي، الذي ركّز على التجارة والزراعة والصناعة، ومرد ذلك أنّ الأهالي انتزعت منهم جلّ أراضيهم التي كانوا يزرعونها قبل الاحتلال الفرنسي، يضاف إلى ذلك أنّ الإدارة الاستعمارية عملت على توفير الإمكانيات التقنية والعلمية للأوروبيين، والتي سمحت لهم بممارسة أنشطة وحرف صناعية متطورة.

1-Xavier Yacono, La Colonisation, T2, op-cit ,p248.

2- Ibid, p222.

2-3-4 -النشاط الصناعي والحرفي:

انتشرت في منطقة سهل الشلف الأعلى نهاية العهد العثماني العديد من الحرف والصناعات البدائية لدى سكان المنطقة، إلا أنّ هذه الحرف والصناعات لم تكن في مستوى التطور الذي وصلته أوروبا بفضل الثورة الصناعية، حيث كانت مصادر هذه الصناعات ما توفّره الزراعة من أصواف وجلود وغيرها، كما أخذت هذه الحرف الطابع الحضري بنسبة كبيرة، خاصّة في مدينة مليانة التي عرفت انتعاش للحياة الاقتصادية نهاية العهد العثماني بفضل موقعها الاستراتيجي، حيث كانت مليانة ملتقى أهمّ الطرق التجارية بين الغرب والشرق والجنوب¹.

تأتي الصناعة النسيجية في مقدّمة الصناعات لدى الأهالي، حيث تمثّلت في صنع الألبسة والأحذية والزّرابي والأغطية، إلى جانبها الحدادة والنّجارة، التي اعتمدت على ما تمدّه جبال زكار وجبال الونشريس من مواد أولية.

وفي الفترة التي خضعت فيها لسلطة الأمير عبد القادر، فقد عرفت المنطقة ميلاد العديد من الأنشطة الصناعية على غرار الصناعة الحربية والنسيجية، فقد عمل الأمير عبد القادر على تطوير اقتصاد دولته حتّى يتخلّص من التّبعية للخارج، فقد أسّس مصنعا للبارود في مليانة التي جعلها مقاطعة من مقاطعات دولته وعيّن عليها خليفته بن علال، الذي عمل على تشجيع الزراعة والحرف في المنطقة.

ومع وقوع المنطقة تحت سلطة الاستعمار الفرنسي في سنة 1840، تحوّلت معالم المنطقة إلى الطابع الاستعماري، والذي استمرّ إلى غاية الاستقلال.

كما أشرنا سابقا أنّ المعمّرين في منطقة أفروفيل في بداية استقرارهم في المنطقة أولوا اهتمامه للنشاط التجاري والزراعي، حيث لم تحظى الصناعة باهتمام واسع من قبل المستوطنين، على الرّغم من تلك الجهودات، والتسهيلات التي كانت تقدّمها الإدارة الاستعمارية للمستوطنين.

1-Xavier Yacono ,La Colonisation,T1, op-cit,pp27.228.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، بدأت معالم النشاط الصناعي تظهر في منطقة أفروفيل، حيث شجعت الإدارة الاستعمارية العديد من المستوطنين من تجسيد العديد من المشاريع الاستثمارية ذات الطابع الصناعي في المنطقة، حيث أصبحت أفروفيل ورشة للعديد من الصناعات، كما تعددت فروع النشاط الصناعي كالصناعة النسيجية والصناعة التحويلية والصناعة الغذائية والصناعة الاستخراجية¹.

النقل	الصناعة التحويلية	إنتاج الطاقة والصناعة الأولية	النشاط
361	577	36	الأوروبيون
755	2.013	17	الجزائريون

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ظهرت العديد من المؤسسات الصناعية، فقد أنشأت ثلاثة مصانع لصنع القرميد وقوالب الآجر، ومؤسسة لصناعة الخزف، مصنع لصهر المعادن، ومحطة توليد الكهرباء ومصنع لصناعة أنابيب الري والتي وصل إنتاجها في سنة 1951 إلى 8000 طن موجهة لتدعيم شبكة الري في المنطقة، تم إنجاز هذا المصنع من طرف الشركة التجارية والمنجمية لإفريقيا الشمالية، والتي قدر عدد عمالها بـ 259 عامل من بينهم 214 عامل جزائري².

أما فيما يخص الصناعات الغذائية، فقد وجدت في مدينة أفروفيل وحدة إنتاج الحليب تابعة لشركة إفريقيا الشمالية، مهمتها جمع وتبريد وبسترة الحليب وتوزيعه، وقد وصل إنتاج هذه الوحدة إلى 50 ألف لتر يوميا، خاصة وأن شعبة تربية الأبقار نالت أهمية كبيرة من طرف مستوطني المنطقة.

كما حلّ بأفروفيل مهندس من شركة نيسلي Nestle من أجل معاينة إمكانيات المنطقة لزراعة المحاصيل الصناعية والشجرية، من أجل إنشاء وحدة إنتاج السكر، ووحدة الصناعات المقطرة، ووحدة إنتاج التصبير والتعليب³.

1- Xavier Yaccono, La Colonisation, T2, op-cit ,p246

2-Ibid.p247.

3-Ibid p248.

2-4- التطور الديمغرافي لمدينة افروفييل:

توطّنت في منطقة سهل الشلف الأعلى قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة مجموعة من القبائل، والتي شكّلت في مجموعها قبائل سكّان البدو الرّجل والقبائل المستقرّة، إلى جانبها مجموعة سكّان الحضر الذين استقرّوا في مدينة مليانة إلى الشّمال من منطقة سهل الشلف الأعلى، وفيما يلي بعض الإحصائيات الخاصّة بسكّان القبائل حسب إحصاءات سنتي 1845 و1848.¹

القبائل	المساحة/هكتار	سنة 1845/نسمة	1848/نسمة
جندل	10000	1686	3944
هاشم	8200	609	2992
زمول	3200	948	2238
عريب	3000	92	269

يتبيّن من خلال الإحصاءات المقدّمة من طرف الفرنسيين أنّ المنطقة كانت أهلة بالسكّان قبل وصول الفرنسيين إليها، وهذا يعارض فكرة أنّ فضل تعمير المنطقة يعود إلى الفرنسيين، كما نستشفّ كذلك أنّ تعداد سكّان القبائل متباين بين قبائل المنطقة، كما تتباين مساحة كلّ قبيلة، على الرّغم من أهميّة هذه الأرقام والإحصاءات المقدّمة من طرف الإدارة الاستعماريّة، فيما يخصّ تعداد السكّان في المنطقة خصوصا، والجزائر عامة إلا أنّها تفتقد إلى الموضوعيّة والصدّق، نظرا لعدّة اعتبارات طبيعيّة وبشريّة وسياسيّة.

1-Xavier yacono,La Colonsation ,T1,op-cit,p210.

وهناك إحصاءات أخرى ذات صلة بالتوطن البشري في منطقة سهل الشلف الأعلى قبل الاحتلال الفرنسي تشير إلى عدد الخيام، التي كانت مستقرّة في المنطقة من خلال نفس تعدادي السّكان السّالفي الذكر¹.

القبائل	الخيام سنة 1845	الخيام سنة 1848
جنّدل	350	564
هاشم	260	420
زمول	170	315
عريب	/	26

ومع تأسيس مخيم واد بوطان سنة 1848 بدأ العنصر الأوروبي في التوطن والاستقرار في المنطقة، حيث تعداد الأوروبيين في نفس السنة بـ 100 نسمة معظمهم من المزارعين وقدامى العسكريين، حيث وصل إلى المخيم في سنة 1850 حوالي أربعين مستوطن جديد منهم 26 مزارع و14 عسكري متقاعد، وكنتيجة للسياسة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر والرّامية إلى تشجيع الاستيطان الأوروبي في الجزائر بنوعيه الحرّ والمنظّم، فإنّ منطقة أفروفييل عرفت هي الأخرى تطوّراً في عدد المستوطنين القادمين من المتروبول وأوروبا، خاصّة بعد تصويت البرلمان الفرنسي على قرض بـ 50 مليون فرنك من أجل إقامة مستوطنات زراعية في الجزائر²، كما وضعت حكومة باريس مجموعة من الامتيازات للمستوطنين الوافدين إلى الجزائر منها:

- مسكن مغطى ومكون من طابق أرضي، ومكون من غرفتين مقاس متر 3.50 على 5 أمتار.

- قطعة أرض بمساحة، تقدر من 8 إلى 10 هكتارات، يخصّص جزء منها لتشييد حديقة -معدات ووسائل فلاحية للبذر، والحصد، وبعض الأغنام.

1- Xavier yacono, La Colonsation ,T1,op-cit,p215.

2- مجموع هذه المستوطنات 42 مستوطنة، منها 12 مستوطنة في اقليم الجزائر، 21 مستوطنة في اقليم وهران، 9 مستوطنات في اقليم قسنطينة، انظر محمد عيساني، تطور النشاط الاستيطاني، المرجع السابق، ص 51.

- حصّة يومية من المؤونة إلى غاية 31 ديسمبر 1851.

قدّمت هذه الامتيازات للمستوطنين مقابل أن يلتزموا بجعل ملكياتهم حيّز الخدمة والاستغلال لمدة ثلاث سنوات متوالية، وفي سبتمبر 1848 ناقش البرلمان الفرنسي مسألة القرض الموجّه لإقامة المستوطنات الزراعيّة في الجزائر، كما درست الإدارة الاستعماريّة إمكانيّة تطوير الاستيطان في منطقة حوض الشلف.

تميّز التطوّر الديمغرافي في المركز الاستيطاني أفروفيل في السّنوات الأولى من تأسيسه بوتيرة بطيئة لكنها منتظمة، تحكمت فيه العديد من العوامل السياسيّة المتمثلة في رغبة حكومة باريس في تعزيز وجودها في الجزائر، وهذا المشروع لا يمكن تحقيقه إلا بتثبيت العنصر الفرنسي والأوروبي في المنطقة، إلى جانب هذا فإنّ مركز أفروفيل عرف استقبال المنفيين من المعارضة السياسيّة في باريس، والتي شاركت في أحداث باريس 1848، أو ما يسمّى بثورات 1848 في باريس.

لقد تنوّعت جنسيات المستوطنين الوافدين إلى مركز أفروفيل، حيث تعود حصّة الأسد إلى الفرنسيين بحكم أنّ فرنسا، هي الدّولة التي استعمرت الجزائر يضاف إلى الجالية الفرنسيّة جاليات أوروبيّة أخرى كالإسبان والألمان والبرتغاليين والمالطيين، قدموا إلى الجزائر بتشجيع من الإدارة الاستعماريّة في الجزائر¹.

لم يكن كلّ الأوروبيين الوافدين إلى منطقة أفروفيل فرادى، وإنّما كانوا عائلات، حيث يظهر ذلك من احتواء عددهم على النّساء وحتّى الأطفال، حيث قدّر عدد الأوروبيين سنة 1855 بـ 97 منهم 23 طفل و15 امرأة و59 رجل².

عرف النّمّو الديمغرافي في منطقة أفروفيل تراجعا نسبيا خلال سنوات 1851 و1852، بسبب ظهور وباء الملاريا الذي ضرب الجهة الجنوبيّة من المخيم، مما دفع بسلطات الإدارة الاستعماريّة بتحويله من محاذاة واد بوطان إلى نقطة أخرى³.

عرف النّمّو الديمغرافي بعد نهاية الحرب العالميّة الأولى تطوّرًا ملحوظًا في أفروفيل لدى كلا العنصرين الأهالي والأوروبي، فقد قدّر عدد الاهالي في سنة 1917 بـ 2304

1- Xavier Yacono , La Colonisation, T2, op-cit, p 263.

2- Ibid, p97.

3- Ibid, p84.

نسمة بينما قدّر عدد المستوطنين بـ 1591 نسمة، وفي سنة 1926 وصل عدد الأهالي إلى 800 نسمة و 1800 نسمة بالنسبة للأوروبيين وفي سنة 1952 وصل عدد الأهالي إلى 9925 نسمة، بينما وصل عدد المستوطنين إلى 2085 نسمة¹.

نلاحظ من خلال الإحصائيات السابقة أنّ عنصر الأهالي دائماً له التفوق على العنصر الأوروبي، وهذا الأمر تحكّمت فيه عوامل منها عامل الهجرة الأوروبية، فعدد الوافدين من المستوطنين لم يكن بشكل كبير، كما أن عقلية ونظرة الأوروبيين والأهالي تختلف حول الزواج والإنجاب وعدد أفراد الأسرة، فالأهالي انتشر بينهم الزواج المبكر، وليس لديهم ثقافة تنظيم الإنجاب وتحديده، أما الأوروبيين كانت لديهم ثقافة تحديد النسل.

1- Xavier Yacono ,La Colonisation, T2, op-cit,p 246.

2-5 التطور العمراني لافروفيل:

عرف النسيج العمراني للمدينة تطورا مستمرا منذ انشاء المركز الاستيطاني لواد بوطان سنة 1848م ، والذي اخذ اسم افروفيل¹ ونحن سنحاول ان نشير الى بعض ملامح العناصر العمرانية التي عرفها هذا المركز منذ نشأته كمركز استيطاني عام 1848، رغم شح الوثائق الارشيفية والتاريخية التي تتناول الجانب العمراني للمدينة ، وعموما فان افروفيل في تطورها العمراني او نسيجها العمراني لا تختلف عن بقية المدن الكولونيالية التي انشأتها سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر عامة ومنطقة حوض الشلف خاصة ، على غرار مدينة اورليان فيل ومدينة غليزان² .

على العكس من مركز اورليان فيل الذي كان عبارة عن مخيم عسكري ، فإن مخيم افروفيل اخذ صبغة اقتصادية بحتة ، حيث اقدمت السلطات الاستعمارية الى تاسيس مخيم ياوي المعمرين الفرنسيين الذين وفدوا الى المنطقة وتملكوا اراضي زراعية في سفوح جبال زكار ، بالمحاذاة لواد بوطان ، نظرا لخصوبة التربة ، توفر المياه المتدفقة من واد الشلف وواد بوطان ، قام السلطات الاستعمارية بتتصيب مركز افروفيل على هضبة مقابلة لضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر في سفوح مليانة ، حيث قدر عدد المستوطنين الاوروبيين في المركز في سنة 1848 ب12 معمرا على مساحة تقدر ب450 هكتار ، منح لكل معمر ملكية تقدر ب20 الى 30 هكتار ، لمزاولة أنشطة زراعية وتربية الحيوانات .

خلال سنة 1849م وضع قائد مقاطعة مليانة الجنرال ليفيسار levasseur

1 -نسبة الى القديس اوغست افرو اسقف باريس ،توفي في جوان 1848

2 - خيلبي بلقاسم ،المرجع السابق ،ص 401.

مساحات زراعية تحت تصرف بعض المعمرين الذين وصلوا الى المنطقة في اطار تشجيع السياسة الاستطانية الرسمية الى الجزائر ،والذين قدر عددهم ب21معمرا منهم 18معمرا استقروا بعائلاتهم.

من خلال مخطط عمراني لمدينة افرو فيل ، يعود الى سنة 1940م¹ ،نلاحظ ان المدينة قد اخذت الشكل الشطرنجي في مخططها العمراني ،الخاص بالسكنات والمرافق ،شأنها في ذلك شان الكثير من المدن الكولونيلية التي انشئت في الجزائر مثل مدينة غليزان ومدينة اورليان فيل،حيث يعتبر شارع القديس افرو الشارع الرئيسي في المدينة ،الذي تتحدد على اساسه الجادات والشوارع الثانوية في المدينة،يقطع هذا الشارع المدينة من الشرق نحو الغرب تتخلله العديد من الازقة والجادات الفرعية .

احتوت المدينة على اربعة ابواب رئيسية ،منها باب الجزائر العاصمة من الجهة الشرقية ،وباب اورليان فيل من الجهة الغربية ،وباب مليانة من الجهة الشمالية ،وباب تيارت من الجهة الجنوبية .

لم تختلف مدينة افرو فيل عن بقية المدن الكولونيلية في الجزائر من حيث مكونات نسيجها العمراني ،فقد انشأت العديد من المرافق والهياكل ذات الطابع المدني والعسكري ،بغية تسهيل اقامة المستوطنين الاوروبيين الذين قدموا الى المنطقة ،ومن جملة مكونات النسيج العمراني نذكر ما يلي:

***محطة القطار:**

انشأت محطة القطار بعد الانتهاء من اشغال سكة الحديد العابرة لأفروفييل والرابطة بين مدينة الجزائر العاصمة ووهران ،حيث وقعت هذه المحطة في الاطراف الشمالية الغربية من المدينة ،وذلك بغية تجنيب السكان مخاطر استعمال سكة الحديد¹.

***الساحة العمومية:**

انشأت مصالح الادارة الاستعمارية ساحة عمومية وسط مدينة افروفييل ،حيث تفتتح هذه الساحة على الشارع الرئيسي للمدينة ،استعملت هذه الساحة لاغراض الراحة والترفيه .

***الكنيسة:**

اشات الكنيسة في مدينة افروفييل،من اجل اقامة المستوطنين للطقوس الدينية الخاصة بالمسيحية ،كما قامت سلطات الاحتلال الفرنسي باقامة معبد للجالية اليهودية من اجل ممارسة طقوسهم الدينية²

***المستشفى العسكري:**

اقيم المستشفى العسكري في وسط المدينة ،من اجل تقديم خدمات صحية للجنود ،حيث كان تمركز هذا المستشفى في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة.

1- انظر الملحق ص 443

2- انظر الملحق ص 451

***المركز الصحي:**

خصص هذا المركز الصحي لتقديم الخدمات الصحية للمستوطنين وبعض السكان الجزائريين الذين يقطنون بضواحي المدينة او القادمين من المناطق الريفية ،نتيجة تعرضهم لبعض الامراض والابوئة¹

***مركز التوليد او مركز الامومة:**

حرصا منها على تقديم خدمات صحية في الوقت لمستوطنين ،نجد سلطات الادارة الاستعمارية تعمل على اقامة مركز خاص بالامومة ،تقدم فيه خدمات التوليد للامهات الحوامل

***مدرسة الذكور ومدرسة الاناث:**

شرعت سلطات الادارة الاستعمارية منذ السنوات الاولى للاستيطان الاوروبي في الجزائر عموما ومنطقة الشلف خصوصا ومنطقة افروفييل على الاهتمام بالتعليم الفرنسي ،لذا نجدها تجسد العديد من المدارس على النمط الفرنسي ،حيث استقبلت هذه المدارس كلا الجنسين الذكور والاناث من المستوطنين في بداية الامر ،ثم فتح المجال لبعض الجزائريين وذلك في اطار سياسة الفرنسة المنتهجة من قبل الادارة الاستعمارية في المنطقة.

***دار البلدية:**

انشأت سلطات الادارة الاستعمارية العديد من المرافق المدنية على غرار دار البلدية ،وذلك بعد صدور مرسوم انشاء افروفييل كبلدية مختلطة تضم جالية اوروبية وبعض العناصر الجزائرية،حيث اخذت دار البلدية الطابع العمراني الاوروبي

*السوق:

سهرت سلطات الادارة الاستعمارية على انشاء كل المرافق الهياكل الضرورية ،لاستقرار المستوطنين الاوروبيين في منطقة افروفييل،حيث شيدت سوقا تجاريا وهو عبارة عن مبني واسع مغطى بصفائح حديدية ،يمارس فيه التجار نشاط التجارة يوميا،بغية توفير مستلزمات العيش الضرورية للساكنة¹.

3- تأسيس مدينة غليزان 1857:

بعد إخماد المقاومة الوطنيّة الشّعبيّة في منطقة سهل الشلف، التي قادها الأمير عبد القادر وبعده الشيخ بومعزة وسيدي لزرق بلحاج، استطاعت سلطات الاحتلال الفرنسي أن تسيطر على سهل الشلف الأوسط، فبعد أن سيطرت على مدينة مازونة سنة 1842، وأقامت المركز الاستيطاني المسمّى أورليان فيل سنة 1843، توجهت الإدارة الاستعماريّة إلى إقامة مركز استيطاني سمي بغليزان سنة 1857، والذي تطوّر وأصبح مدينة قائمة بذاتها خلال الفترة الاستعمارية، وحتى بعد الاستقلال.

3-1 الخصائص الجغرافية لمدينة غليزان:

3-1-1 الموقع:

تقع مدينة غليزان في الجزء الشمالي الغربي للجزائر، تتموقع في حوض الشلف الأسفل، فبالاعتماد على المظاهر التضاريسية الكبرى يمكن تحديد مدينة غليزان على الشكل الآتي، فغليزان يحدّها من الشمال جبال الظّهرة، ومن الجنوب الشرقي جبال الونشريس الغربي، ومن الجنوب الغربي جبال بني شقران، أمّا من الناحية الشرقية فنجد سهل الشلف الأوسط، ومن الناحية الغربيّة نجد سهول وهران العليا.

أمّا إداريا، فنجد المدينة تقع وسط العديد من المراكز الاستيطانية، التي أسستها الإدارة الاستعمارية خلال القرن 19م¹، فمن الجهة الشرقية نجد المركز الاستيطاني لواد الجمعة Ferry، الذي تمّ إنشاؤه سنة 1878م، ومن الجهة الغربية نجد المركز الاستيطاني المطمر Clinchant الذي أسس سنة 1889م، ومن الجهة الشماليّة نجد المركز الاستيطاني بلعسل

1 محمد عيساني، المرجع السابق، ص 32

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-1900م

Bel Hacer، الذي تأسس في سنة 1848م، ومن الجنوب الشرقي نجد المركز الاستيطاني لزمورة Zemoura، الذي تأسس سنة 1864م¹.

3-1-2 المناخ:

يسود منطقة غليزان بحكم وقوعها في منطقة حوض الشلف الأسفل، الذي يقع بين سلسلة جبال الظهرة شمالا، وسلسلة جبال الونشريس جنوبا، المناخ القاري الحار صيفا بارد جاف شتاءً، حيث يسجل المدى الحراري في الفصل البارد 18.80 درجة، أما المتوسط الحراري بغليزان فلا يتعدى 10.4 درجة، أما عن التساقط النسبي الذي تعرفه المنطقة خلال فصل الشتاء، فإنّ الفارق لا يتعدى 200ملم في السنة مقارنة بعين الدفلى في الشلف² الأعلى.

3-1-3 الرياح:

تشهد منطقة غليزان رياح متعدّدة الاتجاهات بحكم الموقع، والتضاريس، والبعد عن البحر الأبيض المتوسط، والجدول التالي يبيّن نسبة متوسط الرياح (%):

المحطة	شمالية	شمالية شرقية	شرقية	جنوبية شرقية	جنوبية	جنوبية غربية	غربية
غليزان %	18	11	3	3	12	13	25

3-1-4 الغطاء النباتي:

يسود المنطقة غطاء نباتي متميّز عن باقي مناطق حوض الشلف، حيث تتعدّم الغابات الكثيفة بالإضافة إلى انتشار الأعشاب الجافة، ويعود هذا إلى طبيعة التربة الكلسية والصخرية المنتشرة في المنطقة، وكذلك المناخ الجاف السائد في المنطقة³.

1- A.N.O.M, Tableau d Assemblage Du Territoire ,Relizane, 23-04-1857

2- Xavier Yacono, La Colonisation , T2 , op-cit , pp135-136.

3- Ibid, T2, p142

3-1-5 التربة:

تبيّن من خلال التّحليل الفيزيائي، والتّحليل الكيميائي لعينة من تربة غليزان المعطيات التالية:

التّحليل الفيزيائي¹ :

العناصر	رمل كلسي خشن	رمل غير كلسي خشن	رمل كلسي ناعم	رمل غير كلسي ناعم	ظمي	غضار	دبال
الوحدة بالآلاف	11.15	25.64	174.76	788	/	/	/

التّحليل الكيميائي²:

العناصر	الآزوت	حمض الفوسفوريك	البوتاسيوم	الكلس	كلوريدات الصوديوم	الجير	تفاعل كيميائي
الوحدة بالآلاف	1.46	1.21	4.86	1.70	/	109	/

نلاحظ أنّ من خلال التّحليل الفيزيائي لتربة غليزان غلوب العناصر الرّملية، وغياب العناصر العضوية، الأمر الذي أفقد التّربة الخصوبة مما ساهم في ظهور الأعشاب الجاقّة، كما نلاحظ من خلال التّحليل الكيميائي، وهو غلوب العناصر الكلسية والجيرية في التّربة ممّا جعلها تربة شديدة الملوحة.

1- Xavier Yacono ,La Colonisation, T1,op-cit ,p95

2- Ibid,p96

3-2- التطور الإداري لمدينة غليزان:

تم إنشاء مركز غليزان بموجب المرسوم الامبراطوري الصادر بتاريخ 24 جويلية 1857 بعمالة وهران دائرة مستغانم، وبعد الانتهاء من بعض الأشغال التي أوكلت لمصلحتي الهندسة والعمليات الطبوغرافية، والتي أعلنت في يوم 20 أفريل 1856 أنّ أعمال تهيئة المركز قد تمت، وبعد الاطلاع على مداوات مجلس حكومة الجزائر المنعقد بتاريخ 03 و10 نوفمبر 1856 تقرر إقامة المركز بمساحة 4.000 هكتار و 100 مسكن، بهدف تثبيت 100 عائلة، حيث أعلن الحاكم العام راندون بتاريخ 13 فيفري 1857 أنّه يمكن تمديدها إلى أكثر من ذلك وأن 2.000 هكتار من الأراضي الواقعة خارج إقليم غليزان مخصصة للامتيازات الصّغيرة والمتوسطة، حيث تم اقتطاع أغلب الاراضي من القبائل الواقعة على الضفة اليمنى لواد مينا¹.

تؤكد الإدارة الاستعمارية في تقرير لها بتاريخ 20 مارس 1856 أنّ غليزان تم إنشاؤها في أرض تابعة للملك العام، وأنّ الجزائريين لم تكن لهم عقود حيازة الملكية.

وأمام إصرار الحاكم العام نحو تأسيس المركز الاستيطاني غليزان، حيث نقرأ في مراسلة بتاريخ 14 نوفمبر 1856 إلى وزير الخزينة يؤكد إلحاحه في أن يكون سببا في إصدار مرسوم يقرّ بإنشاء مركز غليزان، والذي وافق عليه مجلس الحكومة فعليا، وقد كلفت مصلحة الهندسة بالإشراف على تأسيسه، حيث تم توزيع 4.000 هكتار على الشكل الآتي، وهذا حسب ما تقرّر في مداوات مجلس الحكومة بتاريخ 10 نوفمبر 1856:

*أراضي محجوزة للدّومين 400 هكتار.

*أراضي محجوزة للبلدية 400 هكتار.

* 100 امتياز بـ 12 هكتار : 1.200 هكتار.

* أراضي مخصصة للحدائق، ملكية متوسطة وكبيرة، طرق مستغلة، تخطيط قنوات الري مع ترك مساحات على طول القناة 2.000 هكتار، وقع الاختيار على الموقع الذي أقيم عليه المركز، نظرا لعدة عوامل منها الطبيعية، والجغرافية، والتاريخية¹

في تصريح لبيجو بتاريخ 14 ماي 1840، قائلا: " يلزمنا أن ننزل المعمّرين في كل مكان كانت مياهه عذبة وأرضه خصبة، وجعلهم ملاّكين دون محاولة للتّعرف على أصحابها" ، وتنفيذا لهذه السّياسة كانت منطقة مينا بغليزان بمياها وتريتها مجالا خصبا، وعامل جذب للاستعمار الفرنسي، فقد أكّدت رسالة مؤرّخة في 02 جوان 1856 من طرف الجنرال قائد المقاطعة إلى الماريشال راندون تشير إلى وجود العديد من المزايا التي تتوفّر عليها منطقة غليزان، فهي تحتوي على الأراضي الصّالحة للزّراعة والأكثر جمالا بمقاطعة وهران، كما احتوت سجّلات مداولات الحكومة أنّ خصوبة الأراضي في سهل الشلف الأسفل كانت عاملا رئيسيا لإنشاء مركز غليزان، بإستقبال المعمّرين الوافدين إلى المنطقة، وبالتالي إتاحة الفرصة لهم بالعمل في الزّراعة، بالإضافة إلى وجود واد مينا الذي يوفّر المياه لسقي السّهول، والذي تتدفّق مياهه بـ 33000م³/ثا، ممّا يشكّل ثروة مائية معتبرة لإنعاش النّشاط الزراعي وإنتاج وفير في مادة الحبوب خاصّة، وهذا ما أكّده الجنرال راندون أثناء زيارته للمنطقة سنة 1855، كما أنّ تربة المنطقة صالحة لإنتاج بعض المحاصيل الزراعيّة كالقطن والتّبغ، مما دفع باللجنة بالجزم أن غليزان ستكون لها أهمية استراتيجية في المستقبل وأنها تستطيع استيعاب طاقة بشرية تتراوح بين 3.000 و 4.000 نسمة في تقريرها المؤرّخ

1- ايف لاکوست، اندري نوشي، اندري بريان، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبول رايح ومنصوري عاشور، د م ج، الجزائر، 1984، ص 293.

في 20 مارس 1856، بالإضافة إلى الدور الاقتصادي يوجد الدور السياسي والعسكري، فهي حلقة وصل بين وهران وأورليان فيل ثم الجزائر، وتصل الشمال بسهول السرسو بتيارت.

كما اعتبرت منطقة غليزان كذلك مركزا تجاريا هاما في المقاطعة بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي، والذي سبقت الإشارة إليه، فقد توقّرت على سوق تجاري يضاهاي سوق تيارت وعين تموشنت خاصة فيما يتعلق بالحبوب والخيول، حيث أكد نفس التقرير أن فتح الطريق بين غليزان وتيارت سيسمح بالاتصال بين الموانئ في الشمال والمناطق الداخلية، وسيقلل من تكاليف النقل وسيسهل عملية تبادل السلع بين المناطق الشمالية، والمناطق الجنوبية خاصة الصّوف والحلفاء¹.

كما عدت منطقة غليزان نواة لظهور بعض الصناعات اعتمادا على وفرة مياه مينا التي استغلّت في تسيير مطاحن الحبوب وصناعات أخرى في مقدّمتها الكتان والصّوف، وبالتالي شكلت مجالا لاستقطاب المعمّرين إلى المنطقة منذ سنوات الخمسينات من القرن 19م .

3-3 - التطور الديمغرافي لمدينة غليزان:

تعدّ سنة 1853 سنة وصول أولى الهجرات الاستيطانية القادمة من الجنوب الفرنسي إلى منطقة غليزان، حيث انطلقت هذه الهجرة من مرسيليا نحو وهران وكان أغلب هؤلاء الوافدين من الطبقات الفقيرة، والمشرّدين، والبطّالين، حيث دفعته الحكومة الفرنسية إلى الجزائر من أجل التخلّص من أعباءهم، وكما رأينا سابقا أنّ سلطات الإدارة الاستعمارية شجعت الاستيطان بنوعيه القسري وكذلك الإغرائي، فوفد عدد كبير من المعمّرين من داخل المقاطعات الفرنسية والدول الأوروبية إلى منطقة الشلف عموما، فبمجرّد أن وصلت تلك الهجرة القادمة من مرسيليا إلى وهران توجه المستوطنون إلى سان كلو " قديل " وسان لو " بطيوة" ومنها إلى مستغانم ووصلوا إلى ماسرة وسيرات وبوقيراط والمطمر إلى أن وصلوا إلى منطقة غليزان، حيث استقبل المستوطنون من طرف عناصر الحامية العسكرية في المنطقة، حيث يصف فنسان ايسكلاباس الظرف قائلا: "في الأفق على رأس هضبة جرداء تقف القلعة المهيمنة بفخر على ما يجاورها من مناطق، تقدّمتنا مع القافلة، تقودنا أرجلنا إلى هذه القلعة الصّغيرة، يحيط بها العنّاب البرّي والشّوك الحادّ... في المركز رأينا مئات الخيام الكبرى للعائلات المرابطية، ومن ثمّ تمّ إدخالنا إلى مخيّمنا وتمّ إغلاقه، في زاوية من ساحة المخيم، رأينا كوخ من اللّوح مغطّى بالطين والقصب والترّاب المجفّف من حرارة الشّمس، لقد كان مركز الحراسة المخصّص للجنود المشاة".¹

نستشفّ من هذا الوصف أنّ منطقة غليزان كانت أهلة بالسّكان، عكس ما تروج له الإدارة الاستعمارية أنّ المنطقة كانت خالية من العنصر البشري، وأنّه يرجع الفضل إلى الفرنسيين في تعميمها ونشر مظاهر الحضارة والمدنيّة بها، وبعد أن وصلت القافلة إلى المخيم

1- Esclapez Vincent , Relizane surnommée la petite Cayenne d algerie , sa creation en un siècle de colonisation 1853-1856, oran , 1957,p25

العسكري الذي أنشئ منذ 1842 بالمنطقة وبهذه العبارات قدم الوفد نفسه: "سيدي الملازم، أمامكم قافلة من المهاجرين الفرنسيين، جاءت من وهران لإنشاء المركز الاستيطاني الجديد غليزان"، فأجاب الضابط مرحبا: "أرحب بكم هنا باسم فرنسا، وطننا المشترك، أنا سعيد لأن أقدم لكم نفسي، الملازم بونيفاس خط سير 88° قائد المكان والمنطقة، وصولكم تم إعلامنا به من القادة وبأوامر محددة بأن نستقبلكم جيّدا، ونسهّل استقراركم بكل الإمكانيات المتاحة تحت سلطتي، في البداية سأضمن لكم الأمن وسنساعدكم على الاستقرار.."¹

كان أول مكان استقطب الوفدين الجدد هو ساحة كولونا دورنانو، حيث تم قضاء أول ليلة بها وبها قدم القائد بونيفاس توجيهات للمستوطنين، قائلا: "أصدقائي، سأعطيكم نصيحة لمصلحتكم، لا تتركوا المخيم لأي سبب، فحول المكان وفي النواحي المجاورة يعيش الأهالي من اللصوص المستعدين لذبحكم بسكاكينهم الحادة، إلى جانب الحيوانات البرية الضارية... في الأدغال إلى جانبكم، أعتقد أنه من واجبي تحذيركم لتجنب الخطر.."²

نستخلص من كلام الضابط الفرنسي، وتحذيراته للمعمّرين الفرنسيين أنّ سكان المنطقة من الجزائريين كانوا رافضين للوجود الاستعماري بكل أشكاله، خاصة قبائل المحال وفليّنة، الذين أدركوا حقيقة المشروع الاستعماري وأهدافه، بالإضافة إلى تلك الإجراءات، والتدابير، والتسهيلات، التي عملت الإدارة الاستعمارية إلى تطبيقها، وتقديمها للمستوطنين من أجل تحقيق المشروع الاستيطاني في المنطقة، والذي كان الجنرال بيجو من أشدّ المتحمسين إلى تجسيده في الجزائر.

1- Esclapez Vincent, *op-cit*, p 43

2- *Ibid*, p 46

كذلك من الصّعوبات التي واجهت المستوطنين القادمين إلى مركز غليزان تلك الظروف المناخية الصّعبة، حيث لم يستطع المستوطنون التكيف مع درجة الحرارة المرتفعة، خاصة وأنهم قادمون من منطقة بروفانس ذات المناخ المعتدل، حيث أطلقوا تسمية كيان الجزائر الصّغيرة *petite cayenne de l'algerie*، لكن من أجل تخطّي هذه الصّعوبات، فإنّ الإدارة الاستعمارية ما فتئت تشيّد بالدور الحضاري والتميّز، الذي سيلعبه المستوطنون في المنطقة مستقبلا، هذا إلى جانب تقديم كل التسهيلات وتوفير كلّ الإمكانيات من أجل استقرار المعمّرين بالمنطقة، حيث نجد القائد بونيفاس يصرّح قائلا: "أنا لست كاهنا، ولكن لدي شعور صادق أنّه بفضل جهودكم الدؤوبة، ومع الوقت ستنشئون من العدم غليزان، فبعد قرن ستعرف بيوسبيدريس الجزائر".¹

وإلى جانب الحرارة المرتفعة في المنطقة، نجد قلّة الإمكانيات البشرية والمادية، حيث انعدم الأطباء، والصّيادلة، والبنّائون، والحدّادون، حيث يصف لنا أسكلاباس الوضعية الصحيّة للمعمّرين في غليزان، كما يلي: "عدّة مرات كنّا نجلس على عتبة أكواخنا رؤوسنا بين أيدينا من الضّجر والتّعب، والإرهاق، لنجد أنفسنا في يأس أمام مصيرنا البائس المجهول، قضينا أيّاما كئيبة وليال رهيبة، تحت قساوة رياح السيريكو الحارّة التي تهبّ دون توقف، الصّيف، البرد، المطر، الشّتاء دون وجود ملجأ مريح، المستنقعات الوبائية الراكدة، البعوض الذي يمتص دماننا، الذباب الجشع، الحمى وسوء استعمال الكينين، الكوليرا، التيفوس، الزحار، الملاريا، الأوبئة تحت أسماء مجهولة ممن أصابت عائلتنا ودمرت صحتها، الجفاف، الجنادب، الجراد، انعدام الأمن، شرب المياه الموحلة لواد مينا... هذه هي مصائبنا اليومية المتجدّدة باستمرار، هذا هو حظّ مستوطني غليزان، في كيان الجزائر، الاسم الذي تستحقّه بجدارة، مع إنّنا كنّا نتوقع هذا في طريقنا من خلال الخطوة الأولى إلى

غاية محطّتنا الأخيرة إلى هذه الأرض... إذ لا يمكن خداع المستوطنين البروفانسيين...
...أردنا بإرادتنا أن نذهب إلى السجن في غليزان .. أننا خدام جيدون.. فلماذا نشتكى؟¹

وفي سنة 1881 كتب طبيب الاستيطان في المنطقة السيد ديبوي dupuy حول عدم صحة المنطقة: "أعرف جيدا ضفاف مينا وأؤكد أنه من الأفضل وضع الفرنسيين أمام الرمي بالرصاص من إرسالهم إلى ضفاف النهر، فعذابهم سيكون أقلّ طولاً"، بهذه العبارات عبّر المستوطنون الأوائل عن ضجرهم واصطدامه بواقع صعب الذي ساقطهم إليه الإدارة الاستعمارية في المنطقة مستغلة ظروف فقرهم وبطالتهم، والذين أغرتهم حكومتهم بالثراء والغنى الموجود في الجزائر.²

ورغم هذه الظروف الطبيعية والمادية الصعبة، التي ميّزت المنطقة إلا أننا نجد أنّ عدد المستوطنين الفرنسيين، والأوروبيين الوافدين إلى غليزان في تطوّر مستمر، والذين منحت لهم تسهيلات للعبور المجاني من فرنسا باتجاه منطقة غليزان، كما أعطيت لهم عقارات من أجل استغلالها في نشاط الزراعة وتربية الحيوانات، حيث قدر عدد السكان 1.895 نسمة سنة 1866 من بينهم 1.002 نسمة من المستوطنين، حيث يغلب عليهم الإسبانين، وفيما يلي منحنى بين تطور تعداد السكان في غليزان من سنة 1856م إلى سنة 1948م

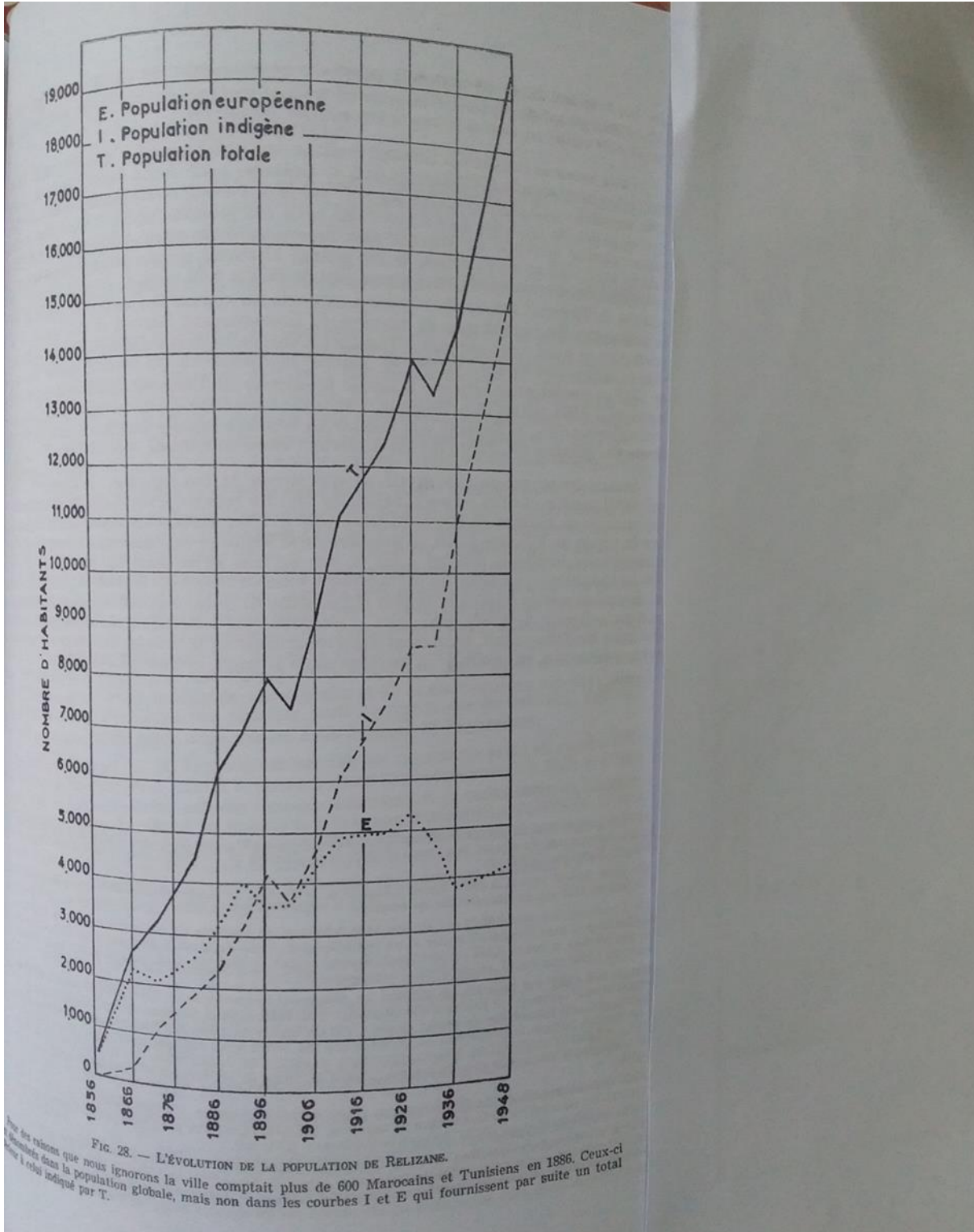
1- Esclapez Vincent, *op-cit*, p 49.

2 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريون ، تاريخ الجزائر، 1830-1854،ت محمد المعراجي ،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار ،الجزائر ،2008 ص 151.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

منحنى بياني يبين تطور السكان في مدينة غليزان من 1848 إلى 1956م¹



1- Xavier Yaccono ,La Colonisation, T2, op-cit ,p250.

ما يمكن ملاحظته من خلال الشّكل البياني أن عدد الجزائريين كان في تزايد مستمر في حين أن عدد المستوطنين عرف بعض فترات التذبذب، حيث وصل الى ذروته في سنة 1926، إذا بلغ عددهم 5.379 نسمة، ليبدأ في تراجع ملحوظ بعد هذه الفترة 1926- 1931 ومردّ هذا الانخفاض إلى تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية، يضاف إلى ذلك انهيار الشركة العامّة الجزائرية وتسريح العديد من العمّال فيها.¹

إنّ الأرقام المقدّمة حول تعداد السّكان الجزائريين، هي غير دقيقة وتبقى نسبيّة لكون أنّ إحصاء كل الجزائريين عملية صعبة خاصة إذا تعلّق الأمر بسّكان الأرياف، حيث كانت القبائل في تنقّل وترحال مستمر، ضف إلى ذلك الظروف الأمنيّة التي كانت تعرقل أعوان الإدارة الاستعماريّة في إحصاء السّكان الجزائريين، وفيما يلي بعض الإحصاءات المقدّمة من طرف الفرنسيين عن تعداد بعض القبائل المحليّة التي استوطنت المنطقة نهاية العهد العثماني، وبداية العهد الاستعماري:

الجدول التّالي يتضمّن إحصاءات جمعها تاتارو TATAREAU، الذي كان يشغل منصب نقيب في هيئة الأركان في الجيش الملكي، هذه الوثيقة مؤرّخة في 30 أبريل 1833م، أمّا الوثيقة الثّانية فتعود لمارسال MARCEL، نشرها في الجريدة الأسيويّة سنة 1835، وهي في الأساس تستند على معلومات جمعها أحد الضبّاط الفرنسيين في هيئة الأركان من عند بعض السّكان المحليين.²

1- Xavier Yacono ,La Colonisation, T2, op-cit ,p250

2- Ibid ,T1 , p208.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

المساحة بالهكتار	جدول MARCEL1835		جدول TATAREAU1833		القبائل
	الخيالة	المشاة	الخيالة	المشاة	
6.720	100	12	/	/	الصحاري
5.400	1000	800	/	/	المحال
3.300	3000	1.500	/	/	اولاد احمد
19200	3000	1000	400	800	عكرمة شراقة
12000	1000	500	/	/	اولاد خويدم

كما سبق وأشرنا آنفاً أنّ هذه المعطيات تفتقد إلى المصدقية والواقعية، ولا يمكن أن تعطي لنا صورة كاملة عن الوضع الديمغرافي في المنطقة، فالمعطيات التي احتوت عليها كلا الوثيقتين تركز على عدد الأفراد المجندين في فرق المشاة وفرق الفرسان، في حين أهملت الأفراد الغير معيّنين بالعمل الحربي مثل النساء والأطفال والشيوخ، كما أنّ وثيقة TATAREAU لم تشر إلى أهم القبائل في المنطقة.

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

وهناك وثيقتين تتضمنان معطيات ديمغرافية، وثيقة تعود لسنة 1839م، ووثيقة أعدها

وارني سنة 1838.¹

جدول عام 1838			جدول عام 1839م			القبائل
جندي مشاة	فارس	خيمة	جندي مشاة	فارس	خيمة	
100	200	300	40	100	160	صحاري
/	/	/	70	140	300	عكرمة
/	/	/	70	160	250	مكاحلية
30	70	100	30	70	100	اولاد احمد
30	110	140	30	100	150	اولاد لعريبي
/	300	320	70	100	200	اولاد خويدم
40	100	250	30	100	200	المحال
30	90	120	40	80	150	اولاد سويد

نلاحظ تباين واضح بين معطيات الجدول الأول والجدول الثاني، فالمعطيات التي قدمها MARCEL سنة 1835 فيها نوع من المبالغة إذا ما قورنت بمعطيات سنة 1838 وسنة 1839 والتي هي أقرب للواقع نسبياً، بدليل أن خليفة الأمير عبد القادر في منطقة حوض الشلف، وهو الميلود بن عراش لم يتمكن من تعبئة سوى 9500 جندي ضد قوات العدو الفرنسي، وهذا رقم بعيد عن الأرقام التي قدمها MARCEL، إذ قدر مجموع المحاربين بين فرسان ومشاة بـ 27.912 بما فيهم قبائل أولاد عباس وأولاد قصير والعطاف، في حين أرقام وارني وأرقام سنة 1839 قدرت المحاربين الجزائريين 1.680 جندي.

1- Xavier Yacono, *La Colonisation*, T1, op-cit, p209

الفصل الثالث: المدن الجديدة في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-

1900م

هناك وثيقتين تعودان إلى سنتي 1845 و 1848، حيث تقدم لنا أرقام هاتين الوثيقتين

صورة شاملة، وعامة حول تعداد سكان قبائل المنطقة:¹

جدول سنة 1848		جدول سنة 1845		القبائل
المساحة/هك	السكان	المساحة/هك	السكان	
6720	1120	6720	1236	صحاري
5046	785	5046	558	اولاد سويد
5400	1440	5400	1164	المحال
2300	1755	2300	498	اولاد احمد
5220	1210	5220	1878	اولاد لعربي
19200	4410	19200	3870	عكرمة شراقة
12000	1530	12000	1800	اولاد خويدم

إنّ أرقام وثيقة سنة 1845 تفنقر إلى المصادقيّة، نظرا لعدّة اعتبارات منها أنّها أخذت في الحسبان المناطق السّهلي فقط وأهمّلت قبائل المناطق الجبليّة، كما أنّ هذه الفترة عرفت اشتداد نار المقاومة الوطنيّة بقيادة الشّيخ بومعزة، إلى جانب مقاومة الأمير عبد القادر.

3-4 - التطور الاقتصادي:

تعددت الأنشطة الاقتصادية في منطقة حوض الشلف الأسفل، والتي تقع ضمنها ومدينة غليزان خلال العهد العثماني والفترة الاستعمارية، حيث نجد نشاط الزراعة، والصناعة، والتجارة، وتربي المواشي بحكم المميزات الطبيعية لمنطقة غليزان.

3-4-1 النشاط الزراعي:

عكس ما تروّج له بعض الكتابات الغربية على أنّ منطقة غليزان منطقة فقيرة، ولم تكن مأهولة، ويعود الفضل لانتعاشها للفرنسيين الذين استوطنوا المنطقة بداية من منتصف القرن 19م، فإنّ المنطقة عرفت توطنا بشريا منذ القدم، وعرفت الازدهار الاقتصادي ولعبت دورا بارزا في الحياة السياسية والعسكرية بحكم موقعها الاستراتيجي، فهي همزة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، خاصة في فترة العهد العثماني.

وحسب شهادات بعض الضباط العسكريين الفرنسيين، الذين وصلوا إلى المنطقة، فإنّ حوض الشلف الأسفل كان منطقة واسعة مزروعة بالحبوب قدرت بـ 160 كيلومتر، حسب ما ورد في حوليات H. PEUT، لشهر جوان 1854، كما يذهب الجيولوجي VILLE، وهو أول جيولوجي يتناول منطقة حوض الشلف الأسفل بالدراسة سنة 1857، على أن سهول الشلف السفلى تشكل مساحات خصبة، وأهلة بالسكان ومزروعة من طرف العرب.¹

اشتهرت سهول واد مينا بإنتاج العديد من المحاصيل كالحبوب، مثل الشعير الذي يحتلّ المرتبة الأولى، والقمح والأرز الذي كان يسقى بمياه واد مينا، إلى جانب ذلك نجد العديد من القبائل تشتهر بزراعات محاصيل أخرى كالخضر والفواكه، فقبيلة اشتهرت بامتلاك العديد من البساتين والحدائق، وقبيلة عكرمة شراقة اشتهرت بزراعة الكمثرى

1- Xavier Yacono, La Colonisation, T2, op-cit, p222.

الطّماطم وأشجار الخوخ والبرقوق والعديد من الفواكه، كما اشتهرت قبيلة أولاد سيدي العربي بإنتاج التّين، والرّمان، وامتلاك البساتين الخضراء¹.

بغية تحقيق المشروع الاستيطاني في المنطقة، فإنّ الإدارة الاستعماريّة عملت على تقديم كافّة التّسهيلات للمستوطنين خاصّة فيما يتعلّق بإجراءات العبور المجاني من الضّفة الشماليّة إلى الضّفة الجنوبيّة للمتوسّط، بعد دراسة طلبات الهجرة من طرف لجنة استشاريّة، كما كان يتّسم التنسيق مع المسؤولين في عمالة وهران ودائرة مستغانم ومسؤولي المقاطعات الفرنسيّة التي ينتمي إليها هؤلاء المستوطنين الرّاعيين في الدّخول إلى منطقة غليزان، حيث نجد مراسلة من مسؤول في عمالة وهران إلى الماريشال راندون بتاريخ 14 أكتوبر 1857، يطالب فيها الجهات الرّسمية بالاستجابة للامتيازات المقدّمة، والحصول على القطع الأرضيّة المرتبطة بأسماء بعض العائلات من مقاطعة نيم وتسهيل إجراءات العبور²، وبتاريخ 06 نوفمبر 1857 قدّم محافظ لاقارد lagarde السيّد نيما بيار جوزاف بغاريون Numa Pierre Joseph Baragon ، قائمة بأسماء 29 عائلة من المقاطعة نفسها طلبت العبور إلى منطقة غليزان والحصول على امتيازات وضرورة الالتحاق بأراضيهم³ ، وبتاريخ 16 نوفمبر 1857 منحت سلطات الإدارة الاستعماريّة في منطقة غليزان لسنة أفراد من ساكني مقاطعة لاقارد قطع أراضي زراعيّة وأخرى كحدايق واوعية عقارية لبناء مساكنهم⁴.

نلاحظ أنّ سلطات الإدارة الاستعماريّة عملت على بذل مجهودات جبّارة من أجل تحقيق المشروع الاستيطاني في الجزائر عامة، ومنطقة حوض الشلف الأسفل ونواحي مينا، وذلك بمنح المعمّرين قطع الأراضي الصّالحة للزّراعة، بعدما تفتّنت في انتزاعها من الجزائريّين بمختلف الأساليب، نذكر بعضا منها لا على سبيل الحصر كون منطقة غليزان

.1- Xavier Yacono, La Colonisation, T2, op-cit , p223.

2- A.N.O.M:GGA, 1L Carton 158-169, 14/10/1857

.3- Ibid, 06/11/1857

4- Ibid, 16/11/1857

والسكان الجزائريين، تعرّضوا بشكل رهيب لقوانين نزع الملكية مثل قانون السيناتيس كونسيلت 1863-04-22 و قانون وارني 1873-07-26، حيث ساهمت هذه إجراءات تمليك العقارات للمعمّرين في بقاء الجزائريين دون أرض ودون مصدر للعيش كون الأرض هي المصدر الأساسي لعيش الجزائريين سواء في إقامة الزراعة أو تربية المواشي.

ومع تزايد عدد الوافدين إلى غليزان، فقد تزايدت معهم طلبات الحيازة من أجل إقامة مساكن وضيعات ومشاريع استثمارية، لذا نجد العقيد القائد لدائرة مستغانم في رسالة له إلى الجنرال منتبون بتاريخ 26 أوت 1857، يلحّ على تخصيص المزيد من الحصص الأرضية ومنحها للمستوطنين الراغبين في الاستقرار في منطقة غليزان¹.

ساهمت هذه السياسة في تزايد المستوطنين، والذين أصبحوا يملكون أراضي وعقارات هامة في إقليم غليزان واصبت بعض أسماء المعمّرين مشهورة في المنطقة نظرا لاستحواذهم على أجود الأراضي، وعلى مساحات شاسعة مثل المعمّر فلوري FLORY، والمعمّر بونارد BONARD، والمعمّر بروزات BROZAT، حيث أقام هؤلاء المعمّرين وغيرهم ضيعات وحقول لزراعة الحبوب حيث بلغت المساحة المزروعة بين 33 و 140 هكتار، وفي ما يلي جدول يبيّن تطوّر المساحة المزروعة بالكروم المسقية في منطقة مينا وحوض الشلف الأسفل²:

المساحة/هك	1937	1938	1939	1940
مينا	330	360	425	439
الشلف الاسفل	13	15	22	52

1 A.N.O.M, Affaires Civiles Au Sujet De Relizane , Mostaganem, 26-08-1857.N.1724-

2- Xavier Yacono , La Colonisation ,T2,op-cit,p205

نلاحظ من خلال المعطيات الإحصائية أنّ المساحة المسقية في منطقة غليزان عرفت تطوّراً ملحوظاً، ويعود هذا إلى استغلال السدود التي أقامتها الإدارة الاستعماريّة في منطقة غليزان على غرار سد بخدة وسدّ غليزان.

3-4-2 المحاصيل الزراعية :

تعددت المحاصيل الزراعية في منطقة غليزان في الفترة الاستعمارية، والتي عرفت هي الأخرى تطورا في النوع والكم، بسبب استعمال المعمرين للوسائل والتقنيات الحديثة على غرار المحراث الآلي واستعمال الأسمدة وغيرها، والجدول التالي يبين المساحة المخصصة لأهم المحاصيل في منطقة غليزان في سنتي 1938 و1939م¹ :

الشلف الاسفل		مينا		المحاصيل
1939	1938	1939	1938	
1966	3512	2440	2485	الحبوب
181	174	1070	610	الاعلاف
140	93	100	73	محاصيل صيفية
10	4	/	/	البرسيم
10	10	246	245	القطن
108	64.5	270	220	الكروم
7.5	5.5	55	35	الزيتون
22	15	425	360	اشجار متنوعة
2	55	43	40	الحوامض
228	185	534	537	الذرة
2174	3686	3510	3095	محاصيل تجارية
527	403	1673	1510	مجموع المحاصيل الصيفية
2614	4089	1420	1605	مجموع المحاصيل الشتوية

1- Xavier Yacono, La Colonisation ,T2,op-cit ,p206

3-4-3 تربية الحيوانات:

انتشرت في منطقة غليزان خلال العهد العثماني، حرفة تربية المواشي، بحكم خصوصية المنطقة التي سمحت للقبائل المحلية بممارسة هذا النشاط الحيوي، والجدول التالي يبيّن ملكية أهم القبائل لرؤوس الماشية من خلال وثيقة سنة 1848م¹.

الجمال	البغال	الخيول	الابقار	الماعز	الاعنام	القبائل
15	20	75	600	250	15000	المحال
/	10	60	280	/	2300	اولاد احمد
/	80	300	2000	2500	12000	اولاد لعربي
/	42	417	2030	855	11480	عكرمة شراقة
15	8	80	980	2995	5530	اولاد خويدم
40	70	50	700	250	5250	صحاري

ومع استقرار المستوطنين في منطقة غليزان بداية من منتصف القرن 19م وتأسيس المراكز الاستيطانية، وتقديم الإدارة الاستعمارية جميع التسهيلات، والامتيازات للمعمّرين بامتلاك أخصب الأراضي في المنطقة تطور نشاط تربية المواشي لدى الكولون في مختلف البلديات المختلطة في منطقة غليزان، والجدول التالي بين تعداد رؤوس الماشية لدى المعمّرين بالبلدية المختلطة لغليزان سنة 1951م².

ما تجدر الإشارة إليه أنّ أساليب تربية المواشي عند المعمّرين كانت تختلف عن تلك المنتهجة عند الجزائريين، فالمعمّرين يعتمدون على الأساليب الحديثة والمتطورة، ورغم ذلك فإنّ الماشية كثيرا ما كانت مهدّدة بالنفوق بأعداد كبيرة خاصة في فترات الجفاف، إذ تصل الخسارة إلى ما يزيد عن 70%³.

1 Xavier Yacono, La Colonisation ,T1,op-cit ,p226.-

2- Ibid,T2, p 222

.3- Ibid,p223

3-4-4 النشاط الصناعي:

انتشرت في منطقة غليزان قبل الاحتلال الفرنسي عدّة أنشطة صناعية بارزة، كباقي المناطق الأخرى من ربوع الإيالة، حيث اشتهرت بعض القبائل ببعض الصناعات الاستهلاكية، فقبيلة عكرمة الشّراقة تميّزت بإنتاج مادّة الملح الأبيض، الذي يتمّ استخراجه من سبخة بن زيان، والذي يميّز بنوعيته الجيدة، حيث يباع في كامل منطقة حوض الشلف والمناطق الداخليّة للإيالة، كما استفادت قبيلة أولاد سيدي العريبي من وجود محطة حموية معدنية، والتي كانت تستقطب العديد من المرضى من أجل العلاج والتداوي، حيث تتميز مياهها المعدنية الساخنة بمميزات علاجية عالية، تحت أشجار الزيتون التي تظلّل المرضى¹.

أمّا فيما يخصّ النشاط الصناعي في إقليم غليزان خلال الفترة الاستعماريّة، فإننا نجد المنطقة تعرف تطوّرا صناعيا ملحوظا، حيث وجدت في منطقة غليزان العديد من المصانع مثل مصنع الجير، ومصنع الآجر وورشة لصناعة قوالب الاسمنت، بالإضافة إلى عديد الورشات الخاصّة بالتّصنيع. كما وجدت بمدينة غليزان طاحونتين للدقيق للمعمّرين، حيث قدرّت الطّاقة الإنتاجيّة للطّاحونة الواحدة بـ 600 قنطار من الدقيق خلال أربعة وعشرين ساعة وسبعة طاحونات يمتلكها الأهالي بالإضافة إلى معصرة لصنع المرّي، حيث قدرّت قدرتها الإنتاجية السنوية بـ 1.500 طن من المرّي و 450 طن من مادّة لبّ الفواكه و 25 طن من المصبّرات الغذائيّة²، كما قدرّت قدرة تشغيل يد عاملة بـ 200 عامل بمختلف الأصناف، ومعصرتين لعصر الزّيتون، إلى جانب ذلك وجدت ورشة لصناعة العجائن الغذائيّة، وإلى جانب الصناعة الاستهلاكية، نجد الصناعة البتروليّة والصناعة الطّاقوية،

1- Xavier Yacono, La Colonisation,T1,op.cit,p227

2- Ibid,T2,p252

ففي سنة 1897 تم اكتشاف البترول في منطقة تليوانت جنوب غرب غليزان على عمق 25 متر فقط، وفي أبريل 1913 تم استغلال آبار البترول على عمق 165 متر، ثم توالى عمليات البحث والتنقيب عن البترول في المنطقة من طرف الشركة الجزائرية العامة، خلال الفترة الممتدة بين 1923 الى 1932م لكن الأشغال توقفت لأسباب موضوعية.

وبداية من سنة 1941م استأنفت أشغال التنقيب والإستغلال تحت وصاية الحاكم العام، حيث أنشأت الشركة الوطنية للأبحاث واستغلال البترول SNREPAL¹ في سنة 1946، حيث استطاعت أن تستخرج 6000 لتر يوميا من البترول من آبار تليوانت، إلى جانب الصناعة الاستخراجية وجدت في منطقة غليزان شبكة توليد الطاقة الكهربائية من سدّ بخدة، والتي بلغت قدرة إنتاجه حوالي 120.000.000 كيلواط ساعي، والتي خصص جزء كبير منها لتشغيل شبكة سكة الحديد².

كما نجد في منطقة غليزان مصنع لاستغلال الحلفاء وصناعة الورق، ورشة للصناعة الكيماوية المتمثلة في صناعة الكلور، ورشة لمعالجة الملح الذي كان متوفرا في منطقة وادي الجمعة.

1- هذه الشركة عملت بالاشتراك مع مكتب الأبحاث البترولية التابع للحكومة الفرنسية، حيث قدر رأسمالها سنة 1951 بـ 2.600.000.000

فرنك فرنسي، انظر: Xavier Yacono, La Colonisation, T2, op-cit, P253:

2- Ibidem

3-4-5 النشاط التجاري:

تشير كتابات الفرنسيين على أنّ منطقة مينا كانت تتوفّر على سوق تجاري مشهور، خاصة لبيع الحبوب والأصواف والخيول خلال العهد العثماني، حيث نجد العديد من الأسواق الشّعبية الأسبوعيّة في ناحية غليزان، فنجد سوق الخميس بمارونة وأولاد خويدم، وسوق السّبت بالمكاحليّة، وكانت منطقة مينا تعرف تبادل تجاري مع العديد من المناطق الأخرى، حيث نجد منطق السرسو، والتي تزوّدها بمنتجات المناطق الداخليّة والصّحراوية كالحبوب والتّمور والمنسوجات وغيرها، كما نجد الطّريق التجاري القادم من مستغانم والطّريق التجاري القادم من الجزائر العاصمة والمار بمنطقة الشلف¹.

وزاد نشاط التجارة تطوّرا واتّساعا، خاصة بعد تأسيس المركز الاستيطاني لغليزان سنة 1857م حيث عمد المستوطنون إلى استغلال المنطقة زراعيًا، وتأسيس الورشات الصناعية كما رأينا سابقا مما زاد في توسّع دائرة النشاط التجاري، خاصة بعد تأسيس خطوط سكة الحديد في منطقة غليزان الرابطة بين غليزان والشلف وبين غليزان وتيارت وبين غليزان ووهران، والجدول التالي يبيّن تطوّر التّبادل التجاري في محطة غليزان بين سنة 1938 وسنة 1951م².

1951	1950	1949	1948	1947	1938	محطة غليزان
23.657	18.127	22000	18445	11.804	13984	الحمولة/طن

عموما نلاحظ أنّ كمية الحمولة التي عبرت عبر محطة غليزان عرفت تطوّرا ملحوظا من سنة 1938 إلى غاية سنة 1951، مع وجود بعض الانخفاض في بعض السّنوات، يعود سبب هذا التطور هو اتّساع دائرة النشاط الاقتصادي في منطقة غليزان واستخدام الأساليب

.1- Xavier Yacono, La Colonisation, T1, op-cit, , p230

.2- Ibid, T2 , p 247

التكنولوجية المتطورة، إلى جانب تطوّر عدد السّكان سواء بالنسبة للجزائريين أو الأوروبيين مما زاد من اتساع دائرة الطّلب على السّلع والبضائع لتلبية الحاجيات المتزايدة.

3-4-6 شبكة المواصلات:

أدركت الإدارة الاستعمارية أهميّة المواصلات في منطقة غليزان، وعلى أنّها من أهم العوامل الأساسيّة المساهمة في ازدهار وتنمية المنطقة، لذا قرّرت البدء في مشروع إقامة جسر مينا لأعالي النّهر لتسهيل عملية الاتّصال، إلى جانب دراسة مشروع طريقين رئيسيين، الطّريق الرّابط بين الجزائر ووهران المار عبر الشلف، والطّريق المار بين غليزان وتيارت والمار عبر المركز الاستيطاني زمورة ودار بن عبد الله، كما أكّد تقرير لجنة 20 مارس 1856 على ضرورة إنشاء طرق جديدة تربط مركز غليزان بالمراكز الاستيطانيّة الأخرى، كما تمّ إدراج مشروع السّكة الحديديّة وهران الجزائر والمار عبر غليزان¹.

3-4-7 السياسة المائية ومشاريع الري في منطقة غليزان:

تعدّ المياه عاملا أساسيا في استقرار الإنسان في أيّ منطقة من المناطق، نظرا لكثرة استعمالاته، فزيادة أنّه مصدر حياة الإنسان والحيوان، فهو عنصر لقيام الأنشطة الاقتصادية المختلفة، خاصّة الزراعة والصناعة، وبغية تجسيد عملية استقرار المعمرين في غليزان، فإنّ الإدارة الاستعماريّة أعطت اهتماما كبيرا لعنصر المياه، لكن هذا المشروع لاقى صعوبات جمّة منها أنّ المنطقة تتميز بارتفاع نسبة الملوحة في مياه واد ميا والسبخات المجاورة له، مثل سبخة بن زيان بالإضافة إلى الآبار التي تمّ حفرها كذلك، وللخروج من هذه الوضعية الصعبة، لجأت الإدارة الاستعماريّة إلى حلّ يشبه الحلّ الذي اعتمده الرومان سابقا في المنطقة، ويتمثّل هذا الحل في جلب المياه العذبة من منبع عين العنصر ذات النوعية الممتازة بتدفّق 10ل/ثا وبما يزيد عن 800م³/24سا.¹

لقد أكّدت هذه اللّجنة المشار إليها سابقا على ضرورة الاعتماد على مياها هذا العنصر المائي، من أجل تزويد الأحياء السكنية وتلبية كافّة احتياجاتها، وقد قدر مدير تهيئة الإقليم في مراسلة بتاريخ 10ماي 1856 عملية جلب المياه من منبع واد العنصر مرورا بزمّورة إلى غليزان، بـ 600.000 فرنك، معتمدين في ذلك على إتمامها على نحو القناة الرومانية القديمة، وقد كلفت إدارة تهيئة الإقليم بمراقبة تخطيط القنوات إلى جانب القائد العام الأعلى للهندسة بالتنفيذ.

لقد تمّ إعداد العديد من الدراسات بغية الاستخدام الجيد لقنوات الري، وتنظيم استهلاك المياه بشكل منتظم بين المستوطنين على ضفتي واد مينا وتكثيف الزراعة، ولأجل ذلك فقد طالب القائد العام للهندسة بإلحاح سنة 1857 تخصيص بناء مقر لحارس توزيع المياه، وتجديد صمّام القنوات الرئيسيّتين المستمدّتان من واد مينا بنفقة تضاعفت إلى 124.000

1- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 86.

فرنك، أما بالنسبة إلى السدود فإن الإدارة الاستعمارية قد أعطت كذلك اهتماما بالغا لبناء السدود نذكر منها سدّ مينا وسدّ بخدة.

بالنسبة لسدّ مينا فقد تمّت إقامته سنة 1852 من طرف سلاح الهندسة (Génie)، حيث كان بدائيا إلى حدّ ما، وتمّت إعادة بناءه بين سنتي 1870 و1872 بموادّ البناء (Maçonnerie)، وكان طوله حوالي 120 مترا وعلو 13 مترا، يزود قناتين رئيسيتين واحدة على الضفة اليمنى والثانية على الضفة اليسرى، ويسمح بسقي حوالي 8400 هكتار مخصّصة للزراعة الشتوية والزراعة الصيفيّة.

- سدّ بخدة: يندرج إنشاء سدّ بخدة (Barrage Bakhadda)، ضمن برنامج سنة 1920 حيث قرّرت الإدارة الاستعمارية إنشاء سدّ على واد مينا الأعلى بالقرب من منطقة مشرع الصفا (تيارت)، ذلك أنّ سهل مينا ظلّ ولمدّة طويلة يتزوّد من سدّ غليزان، ولم يكن ذلك كافيا.

السدّ تمّ بناءه بنفس طريقة بناء سدّ غريب نظرا لهشاشة أرضيته هو الآخر، حيث تمّ اعتماد طريقة السدّ الركامي (Barrage D'enrochement) أين تمّ تهيئة الأرضية وحواف السدّ بأكثر من 300 ألف م³ من الصّخور مع إقامة جدار بطول 45 مترا بإمكانه تجميع ما بين 37 إلى 56 مليون م³، ومن أجل منع التّسرب فقد تمّ إقامة حائط بسمك 4،5 م وعمق 17 مترا أسفل الوادي مع ضخّه بالإسمنت لغلق الفجوات، كما تمّ بالموازاة مع ذلك إنشاء محطة لتوليد الكهرباء تمّ الانتهاء من بناءها سنة 1949 قدرتها 5،4 مليون كيلواط سنويا.¹

بمساحة تقدر بـ 13650 هكتار فإن سدّ بخدة لم يساهم إلا في سقي مساحة قليلة، والحقيقة أنّ مياه سدّ بخدة، التي تمّ الشروع في توزيعها منذ سنة 1938 استعملت في البداية شبكة لقنوات أرضية كانت موجودة من قبل مع إدخال بعض الصيانة الجزئية عليها، ليتم بعد ذلك إقامة شبكة قنوات حديثة شبه كلية، ذات مردودية عالية إلا أن قدرة هذا السد لم تتمكن بعد ذلك من توسيع المساحات المسقية، وكان لابد من إقامة سدود خزّانة من الحجم الصّغير على روافد واد مينا، ومنها واد التّحت (Oued El Taht)، وواد العبد (Oued El Abd)، إلا أنّ إدراج هذه المشاريع ضمن جدول أعمال الجمعية الجزائرية قصد الحصول على قروض لم يكن بالأمر الهين، بل في غالبية الأحيان قُوبلت هذه المشاريع بالرّفص حيث أكّدت المناقشات أنّ مثل هذه القروض أنهكت الخزينة، خاصة وأنّ هذا النوع من السدود التي تمّ إنشائها لم تأخذ في الحسبان أثناء الدّراسة الجدوى الاقتصادية والمالية، وكذا استشراف المردودية والمداخيل ومساهمات المستعملين وفي الأخير عمليات الصيانة التي أصبحت جدّ مكلفة¹ ، وما ينبغي التّويه إليه هو أنه وبالرغم من كلّ هذه الخطّة الرامية إلى توسيع المساحات المسقية بالاعتماد على سياسة مائية حديثة وفعّالة، إلا أنّها لم تجد الحلول الأزمة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين، بل زادت تعقيدا وحدّة.

3-5 التطور العمراني لمدينة غليزان:

سبق تأسيس المركز الاستيطاني لغليزان إجراء العديد من الدراسات أسندت إلى لجان مختلفة لدراسة تهيئة المركز الاستيطاني والذي سيكون النواة الأولى لمدينة غليزان، حيث أكدت كل التقارير على ضرورة إنشاء المركز الاستيطاني، رغم المشاكل التي كانت تعاني منها الإدارة الاستعمارية، من أجل استقبال الموجات الكبيرة من المستوطنين الوافدين من الضفة الشمالية للمتوسط، ومن أجل ذلك مجلس الحكومة المنعقد بتاريخ 03 نوفمبر 1856 نفقات مالية معتبرة من أجل تهيئة المركز الاستيطاني لغليزان، قدرت بـ 171.540.000 فرنك، قسّمت على الشكل التالي:

3-5-1 الأعمال الخاصة:

شملت عمليات تصيب الطرق وتسوية الأحياء بالإضافة إلى توزيع المياه على السكان، كما خصّص مبلغ 20.000.000 فرنك لعملية التشجير، والجدول التالي بين المساحات المخصصة للتشجير ونوعية التشجير في بلدية غليزان سنة 1876¹.

بلدية غليزان	الاراضي المخصصة	مساحة الاراضي	الحدائق	الميزانية
	اراضي زراعية	2هكتار	حدائق الصنوبر	64فرنك

.1- courrier de mostaganem , 28 septembre 1876,N:800

3-5-2 المباني المدنية:

خصّص لها مبلغ قدر بـ 60.000.000 فرنك فرنسي من أجل بناء وتجسيد العديد من المنشآت المدنية والتي تمثّلت في: مقرّ البلدية، السوق، مقرّ الخزانة، الكنيسة، المعبد، المدرسة، المحكمة، السّجن، مقرّ الدّرك، المكتب العربي، المذبح، المغسل، المقبرة.

كما خصص مبلغ 10.300.000 فرنك من أجل إنشاء الطّرق والجسور حول واد مينا، في حين خصّص لأعمال الرّي مبلغ 24.240.000 فرنك، وخصّص لعملية التّجفيف مبلغ 1.800.000 فرنك¹

تطوّر النّسيج العمراني للمركز الاستيطاني لغيليزان مع مرور الوقت، خاصّة مع إنشاء الطّريق الوطني رقم 04 الرّابط بين الجزائر العاصمة ووهران، فقد شكّل هذا الأخير محورا أساسيا لوسط مدينة غليزان، التي ضمّت شوارع رئيسيّة وأزقة فرعيّة خاصّة في الحي الأوروبي، كما ضمّت فضاءات واسعة، مع وجود مباني عصرية تضمّ طابعا عمرانيا غربيا مخالف للسكنات التي كانت في الأحياء التقليدية التي يقطنها الجزائريون، والتي كان يطلق عليها "أحياء السّود".

تميّزت مباني مدينة غليزان خلال القرن 19م بأنّها مباني أرضية منعدمة الطّوابق، لكن بعد سنة 1914م بدأت المدينة تعرف ظهور مباني ذات الطّوابق، وتجسيد العديد من المرافق العامّة الهامّة، لكن رغم هذا التّطور في النّسيج العمراني إلّا أنّ مدينة غليزان تميّزت بالطّابع الرّيفي على اعتبار أنّ أغلبية سكّانها كانوا مزارعين، مقارنة بمدينة أورليان فيل ومدينة أفروفيل، حيث وجدت العديد من البساتين داخل الأحياء، بالإضافة إلى الكثير من الإسطبلات التي كانت تأوي الخيول والمواشي، كما وجد في المدخل الغربي للمدينة فضاء

للتخيم قدر بستة هكتارات، مع وجود العديد من قطعان الماشية ومن مختلف الأنواع والتي تعمر سوق المدينة وشوارعها يوم الخميس، مما جعل المدينة تأخذ طابع زراعي أكثر منه تجاريا وصناعيا.

3-5-3 تطور النسيج العمراني لمدينة غليزان خلال العهد الاستعماري:

عرف النسيج العمراني لغليزان تطورا ملحوظا منذ تأسيس المركز الاستيطاني سنة 1857م بموجب المرسوم الامبراطوري المؤرخ في 24 جانفي 1857م بدائرة مستغانم التابعة لعمالة وهران، حتى اصبح هذا المركز الاستيطاني يحمل ملامح مدينة اوروبية نتيجة السياسة الاستيطانية التي اتبعتها الادارة الاستعمارية في المنطقة، وفي ما يلي اهم العناصر التي شكلت النسيج العمراني لغليزان:

-1851 قامت سلطات الاحتلال الفرنسي باقامة حصن صغير على الربوة التي اقيم ليها المركز الاستيطاني لغليزان

-1853 وصلت اول دفعة من المستوطنين الاوروبيين الى المنطقة وكان ذلك في 3 جوان

-1857 تم اقرار بناء مركز استيطاني لصالح 4000 نسمة من المستوطنين وهو المركز الذي سيتطور الى مدينة غليزان

-1859 شرع في بناء سد من اجل تجميع المياه

-1869 تم انشاء جسر يربط بين ضفتي واد مينا من اجل ربط المركز الاستيطاني مع مدن الجهة الغربية.

- في 6 جويلية 1869 أصبحت غليزان مقر البلدية¹، حيث استقادت من مستشفى ووكنيسة ومدرسة ومركز الدرك ومحطة القطار.
- 1870 تم انشاء خطين للسكة الحديدية، الاول يربط غليزان بوهران غربا والجزائر شرقا والثاني يربط بين غليزان وتيارت جنوبا ومستغانم شمالا.
- في مطلع القرن 20م اشيء حي للجزائريين سمي بحي الزوج يطلق عليه حاليا بحي القرابة وهو تجمع عمراني محلي، يختلف عن الاحياء الاوروبية .
- 1925 تم تهيئة اول حديقة عمومية في وسط مدينة غليزان وتم انشاء اول مطحنة.
- 1930 تم انشاء حديقة عمومية ثانية ومطحنة ثانية.
- 1957 تم ترقية بلدية غليزان الى دائرة تضم العديد من الاحياء الاوروبية والاحياء القصدية الاهلة بالجزائريين الذين هاجروا من المناطق المجاورة الى وسط المدينة
- 1960 ظهرت العديد من الاحياء وفقا لمشروع قسنطينة مثل حي الورد وحي الشوك كما تم انشاء مصنعين للنسيج.

1 ليلى بلقاسم، المرجع السابق، ص 75.

طرات على النسيج العمراني لمدينة غليزان العديد من التحولات في الشكل المرفولوجي والتنظيمي مع مرور الوقت ،حيث شهدت مدينة غليزان توسعا نحو الجهة الغربية متخطية بذلك واد مينا ،اذ ما زلت المدينة تحتفظ بالعديد من الشواهد العمرانية الكولونيالية مقارنة بمدينة اورليان فيل التي فقدت العديد من المظاهر العمرانية الكولونيالية بسبب الضربات الزلزالية المتوالية التي عرفتها المنطقة

خلاصة الفصل

الثالث

نستخلص مما سبق استعراضه في الفصل الثالث ،أن منطقة حوض الشلف قد عرفت سياسة استيطانية فرنسية منذ الاربعينات من القرن 19م ،حيث صاحب هذه السياسة الاستيطانية سياسة عمرانية واسعة مست مختلف المناطق السهلية في منطقة الشلف،حيث أنه لم يكد القرن 19 ينتهي حتى ظهرت العديد من المراكز الاستيطانية ،والتى شكلت النواة الاولى لظهور العديد من المدن الهامة في المنطقة ،ففي سهل الشلف الاسفل ومينا كانت مستوطنة غليزان التي وضعت اسسها الاولى منذ 1857م النواة الاولى لتشكل مدينة غليزان ،كما كان مخيم اورليان فيل الذي وضعت اسسه في ماي 1843 النواة الاولى لتشكل مدينة اورليان ،والتى تعتبر من اهم المدن الكولونىالية في منطقة حوض الشلف ،كما شكل المركز الاستيطاني لافروفيل ،والذي وضعن لبنته الاولى سنة 1848 ،النواة الاولى لتشكل مدينة افروفيل .

لقد صاحب ظهور هذه المدن الكولونىالية ،ظهور العديد من الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ،والتى ساهمت في التطور التاريخي للمنطقة خلال الحقبة الكولونىالية

لقد ادى ظهور هذه المدن الى انحسار وتراجع دور العديد من المدن الهامة ،والتى تعود الى الفترات القديمة ،فقد ساهمت مدينة غليزان في تراجع دور ومكانة مدينة مازونة في الجهة الغربية من الشلف ،كما ساهمت مدينة اورليان فيل في تراجع دور مدينة تنس في الجهة الوسطى من الشلف ،كما ساهمت مدينة افروفيل في تراجع دور مدينة مليانة في الجهة الشرقية من الشلف

الفصل الرابع

الفصل الرابع : انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف:

1-انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية في المجال العمراني.

1-1 ظهور المدن الاوروبية

2-1 ظهور الاحياء القصدية

3-1 ملامح الحياة الريفية

2- انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية في المجال الاقتصادي.

1-2 النشاط الزراعي

2-1 النشاط الصناعي

3-2النشاط التجاري

3-انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية في المجال الاجتماعي.

3-1 تغير التركيبة الاجتماعية للمجتمع المحلي

3-2ظهور المجاعات والابوئة

4-انعكاسات السياسة العمرانية في المجال الثقافي

4-1 سياسة الفرنسة

4-2سياسة التنصير

4-3القيم المجتمعية

5-انعكاسات السياسة العمرانية في المجال العسكري

5-1مقاومة الاغا جلول بن فرحات

5-2انتفاضة الشيخ بومعزة

5-3ثورة سكان فليطة 1864

1- الإنعكاسات في المجال العمراني:

1-2 ظهور المدن الأوروبية:

من بين الانعكاسات التي ظهرت عن السياسة العمرانية في المنطقة هو ظهور مدن جديدة او المدن الأوروبية ، وما نتج ذلك من انعكاسات على الجزائريين وقد تضاربت آراء المؤرخين الفرنسيين حول فكرة وجود المدن في الجزائر بين المعترفين بوجودها قبل الاحتلال والمنكرين لها، ومهما قيل فهناك العديد من المصادر والمراجع التي تطرقت إلى وجود بعض المدن في العهد العثماني حيث استقرت بها تجمعات سكانية متباينة، وعليه فإنّ الفضل لا يعود في إقامتها إلى الاحتلال كما يدّعيه البعض، بل كل ما فعله الاستعمار هو تخريب معالمها الحضارية، وإقامة مدن جديدة تناسب بالسكان الجدد.

وقد اختلفت الأحياء بين الجزائريين والفرنسيين، فقد كانت الأحياء التي خصّصها الفرنسيون للجزائريين عبارة عن أحياء شعبية بسيطة تفتقر لكلّ شروط العيش، فالمرافق الضرورية كانت منعدمة، والمنازل بسيطة وملتصقة مع بعضها البعض وضيقة، غالبا ما كانت تتألف من غرفتين على الأكثر، وغالبا ما تكون المساكن مشتركة في بعض المرافق إن وجدت¹ ، كما كانت مساكن الجزائريين منحصرة على هوامش المدن الكبرى، وهي عبارة عن أحياء قصديرية قديمة ومصقّفة بالأغصان، تتوسّطها ثقوب كانت تستخدم كمداخن² . لقد أدت الهجرة الداخلية للجزائريين نحو المدن في حوض شلف، إلى انتشار ظاهرة الأحياء القصديرية والتجمعات السكانية الفوضوية، واختفت المنشآت العمرانية التي كانت موجودة في المدن الكبرى، وظهرت مجموعة من الأحياء الجديدة الرّاقية الخاصة بالأوروبيين تقابلها تجمّعات عشوائية الأمر الذي أدّى بالجزائريين إلى الفرار إلى الجبال والأرياف، تاركين المدينة للفرنسيين.

وقد تحوّلت مدينة مليانة على سبيل المثال العريقة بطرازها المعماري إلى مدينة جديدة أوروبية، أما الجزائريون فهم أيضا تجمّعوا في مناطق بمحاذات المدن تفتقر إلى أدنى ضروريات الحياة، هذا ما دفع سكّانها إلى المطالبة بتهيئتها، وقد قام العديد منهم بالاحتجاج أمام المؤسسات الإدارية الفرنسية، المكلفة بإعادة تهيئة ظروف هذه الأحياء، وتوفير ما

¹ Bulletin Officiel Du Gouvernement D'algerie, op-cit, p 17

2- Alleg H, op-cit, P 141

يلزمهم من ضروريات مقابل الضرائب التي دفعها الجزائريون إلى الخزينة العمومية في سنة 1912، إذ أنّ سلطة الاحتلال لم تتمكن من تغيير هذا الوضع الذي ظلّ مهملًا¹. وعموما فقد تعرّضت المدن رغم قلة سكانها من الجزائريين إلى تغيير جذري، كان الأوّل من خلال تدهور أوضاعها بشكل عام، ثمّ من خلال ظهور فئة سكّانية جديدة حظيت فيها الفئة الشّغيلة "البرولتاريا" بالنّصيب الأكبر، إذ أنّ المدن الكبرى ظهرت وأخذت تتوسّع بشكل سريع يتماشى وسرعة الحركة الاستعماريّة، التي تطلّبت إقامة مجموعة من الأحياء والتجمّعات السّكانية الخاصّة بالأوروبيين، ولم تسلم أية مدينة عبر مختلف مناطق حوض شلف من الهمجية الفرنسيّة التي أحرقت الأخضر واليابس، وأرغمت العديد من القاطنين على مغادرتها، وهذا ما أدّى إلى بروز ظاهرة إفراغ المدن الكبرى من ساكنيها الأصليين ومجيء "الكولون: إليها والذين أحدثوا قطيعة بينهم وبين الجزائريين، الذين كانوا غرباء في بلدهم وكل ذلك نتيجة للسياسة الاستيطانية الفرنسية. وفي الملحق رقم يبين اهم المدن الاوروبية التي ظهرت في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري

2-2- ظهور الأحياء القصدية :

لقد أدت هذه الظاهرة إلى بروز الأحياء الطفيلية التي أخذت تظهر على حواف المدن التي أعاد المحتل بناءها، وقد كانت تشهد اكتظاظا سكانيا بسبب تدفق المهاجرين الجزائريين الذين جردوا من كل ممتلكاتهم وأصبحوا فقراء، وجاءوا من مختلف المناطق، وقد كان الفاصل بين أحساء "الكولون" والجزائريين وهميا نلاحظه من خلال اختلاف اللّغة وطريقة العيش وانتشار الجهل، وكان لأمل التّمييز الواضح المبني على أسس عرقية هو القاعدة الأساسيّة، التي تحدّد العلاقة بين المجتمعين، باعتبار النّظرية الاستعمارية التي ترى أنّ الدّول الخاضعة للاستعمار مهزومة وخاضعة لرغبات الدّول المسيطرة، وعليه فهي ملكا لها، فالفرنسيون هنا هم الأسياد، ولهذا نجدهم على رأس السّلم الاجتماعي يحتقرون ما دونهم حتّى العناصر الأوروبيّة، أمّا عن الجزائريين فقد تمّ إهمالهم ولم يتم إدراجهم ضمن البنية الاجتماعيّة، التي حدّدتها السّلطة الفرنسيّة حسب اختلاف المصالح، وقد اعتبروا أعداء

¹ Touati H, op-it, P 150

لسببين هما: ارتفاع عددهم وثقافتهم المختلفة، موقفهم المعادي لفرنسا والذي عبّروا عنه منذ اللحظة الأولى للاحتلال¹.

وقد أدى كل ذلك إلى تقسيم التجمّعات السكانية الخاصّة بالجزائريين إلى نوعين: الأوّل تجمّعات سكانية بسيطة، والثانية على شكل مراكز للإيواء مع الفصل بينهما²، حيث كان كلّ قسم يضمّ مجموعة من السّكان مختلفة عن الأخرى، ففي المدن الكبرى نجد سكان المدن الأصليين، والثانية تضمّ مجموعة المهاجرين الجزائريين من المناطق المختلفة من العمالة، وكانت هذه الطّريقة المثلى لتطبيق سياسة فرق تسدّ التي كانت تتبعها فرنسا الاستعماريّة في جميع مستعمراتها.

لقد انتشرت العديد من الأحياء الخاصّة بالمجتمع الجزائري، وعرفت ارتفاعا محسوسا في عدد ساكنيها، وهذا بسبب تزايد حركة الهجرة الداخليّة، ولم تعدّ هذه الأحياء الجديدة تكفي الأعداد الهائلة من الجزائريين، الذين قدموا من مختلف مناطق العمالة.

وعموما فإنّ ظهور وتطوّر المدن في حوض الشلف، إنّما كان نتيجة للتطوّر في المجال الاقتصادي، فتطوّرت التجمّعات العمرانيّة المدنية الخاصّة بالأوروبيين، وانتشرت بضواحيها الأحياء الشّعبية التي أخذت تتزايد وتتسع بفعل الهجرة الرّيفية، وقد شكّلت هذه الأخيرة مساكن قارة خاصّة بالعمّال الجزائريين³.

لقد رأى العديد من الفرنسيين أنّ الطّابع الغالب على الجزائر قبل الاحتلال هو البداوة والتنقل كما رأينا سابقا، والمدينة هو صنع فرنسي، فالمدينة التي أقيمت في الفترة الاستعماريّة أرغم العديد من الجزائريين على الاستقرار فيها، فوجودها حسب ابن خلدون ليس واجبا وإنّما ممكن وبناء المدينة ليس بفعل الأفراد وإنّما بفعل السّلطة التي تمثّل السيّادة، فهي وحدة سياسيّة ذات رئيس ومرؤوس خلافا للتجمّعات القبليّة⁴.

1- Gènevière D, op-cit, P 22

2- Ibid, P 154.

3- عدي الهواري، المرجع السابق، ص 72.

4- المرجع نفسه، ص 83.

2-3- ملامح الحياة الريفية في الجزائر المستعمرة:

حقيقة فقد غيرت فرنسا في الفضاء العمراني، فوسعت في مجال المدن على حساب الريف، وأدى ذلك إلى إحداث فارق كبير بين النمط العراني بين المدينة والريف، فالمدينة قد عرفت تغيرات جذرية كنبيلة سواء من الناحية المرفولوجية او الوظيفية كما رأينا ذلك سابقا، عكس الريف الذي بقي على حاله وبقي محافظا على ملامحه الموروثة عن الحقبة السابقة للاحتلال الفرنسي، فقد بقي السكان يعتمدون على المواد الغابية في تشييد مساكنهم، بالإضافة الى البيوت المبنية من الحجارة والطين والمحاطة بالحدائق من كل جهة، وكانت مساحتها لا تتجاوز ثلاثة امتار عرضا واربعة امتار طولاً، وليس لها طوابق، وباب المنزل عريض وليس بالطويل، حيث يفتح على ساحة داخلية ضيقة ومغطاة، وسكان هذه البيوت لا يعرفون النوافذ، فالضوء لا يدخل الا من البيت او ساحة المنزل .

يتوسط المنزل المطبخ، الذي يجتمع فيه افراد العائلة لتناول غذائهم، وهناك قاعة خاصة لتخزين المواد الغذائية السنوية مثل القمح والشعير والزيت في قفل فخارية، وتقع خلف هذه القاعة قاعة اخرى لمبيت الابقار والبغال والدواجن.¹

وهناك صنف اخر من المنازل وهي الخيام، وقد اتخذها السكان وفقا لحاجاتهم، فهم في الغالب يمارسون الرعي وهم بدو رحل، اينما وجدو الكلاء والماء ارتحلوا، وكانت هذه الخيام تصنع من الوبر والقماش، تاخذ هذه الخيام شكلها المكور او المثبت بواسطة اوتاد من الخشب، وتقاس ثروة المالك باتساع هذه الخيام وبعده الاوتاد التي تشدها كما كانت تحاط هذه الخيام بحجارة توضع عليها الاواني والذخائر اليومية ويخصص جزء منها للمطبخ، وفيه توجد الطنجلا والقذور وهي من الطين، لكن الصحون والملاعق خشبية، كما تربي الدواجن في الخيمة ويستعمل الجزء الاخر للمطبخ واستقبال الضيوف وغيرها.

الى جانب المباني السكنية المبعثرة هنا وهناك نجد ايضا بعض المراكز الثقافية، كالمساجد والزوايا والمدارس والمكتبات، حيث كانت مساجد الريف متواضعة بالنظر الى

¹ - بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في اواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، الموسم 2007-2008، ص ص 211.212

مساجد المدن ، فهي في الغالب مبنية بالجص او الجبس او الحجارة ،وقائمة على عرصات ضخمة وصوامع منخفضة ،وليس فيها من الفرش سوى الحصير او الزرابي البسيطة ،مع قليل من الاضاءة ومن العناية ،وكانت تحتوي على المحراب والمنبر والصومعة والقنديل والماء للوضوء.

الى جانب المسجد ،فقد انتشرت في الريف الزوايا انتشارا واسعا ،وكان تشييدها يختلف عن تشييد المسجد ،فالزوايا جمعت بين هندسة المسجد والمنزل ،وهي قصيرة الحيطان ،منخفضة القباب والعرصات ،قليلة النوافذ ،وإذا كانت للزاوية مسجد فهو في الغالب دون مئذنة ،فالزاوية من الناحية الهندسية غير جميلة ،بالاضافة الى كونها كثيرة الرطوبة والعتمة ،وشكل الزاوية يوحي بالعزلة والهدوء اكثر مما يوحي الى الحركة والاختلاط¹ .

¹ -بليروات بن عتو ،المرجع السابق،ص 213.

2- انعكاسات السياسة العمرانية في المجال الاقتصادي:

2-1 النشاط الزراعي:

2-1-1- طرق استغلال المعمرين للأرض:

اعتمد المعمرّون في المنطقة نمودجين مختلفين من الاستغلال، وهذا بسبب اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية كونهم ينحدرون من مناطق وجنسيات مختلفة، وعلى العموم فقد كانت هناك طريقتين لاستغلال الأرض وهما الاستغلال المباشر والاستغلال غير المباشر، وهذا يشبه إلى حدّ ما كان سائدا عند الجزائريين.

2-1-1-1- الاستغلال المباشر:

إنّ الخصائص الجغرافية للأرض في منطقة الشلف، هي التي كانت وراء اعتماد المعمرّين على أنفسهم لاستغلال الأرض على الأقل خلال العقود الأولى للاحتلال خاصة وأنها كانت بحاجة لبذل مجهود كبير، فالأراضي في المنطقة كانت بحاجة إلى تدخل الإنسان، ذلك أنّ أجزاء كبيرة منها كانت مغطاة بالأعشاب البرية ومليئة بالصخور، وبحاجة إلى تهيئة واستصلاح وغرس الأشجار لحمايتها من التعرية والانجراف، ومن هنا فإن الاعتماد على المزارع والخماس لم يكن ليحقق نتائج إيجابية، ولهذا ساد هذه المنطقة في المراحل الأولى من الاحتلال الاستغلال المباشر للمالكين¹، وكان هذا الأمر حتميا لعدة أسباب منها:

• طبيعة العلاقة بين المعمرّين والجزائريين والتي كان يشوبها الحذر بسبب علاقة العداوة التي كانت بينهما.

• جهل الجزائريين للأساليب الفرنسية من تقنيات، ووسائل عمل.

• رغبة المعمرّين في إقامة مشروع زراعي ناجح لإثبات نجاح فكرة الاستيطان و الاستعمار.

• عدم حرص الخماس أو الفلاح الجزائري على تحقيق مكاسب باهرة واكتفائه بضمان غذائه اليومي، ولتحقيق متطلباته الحياتية الدائمة.

وقد شجعت إدارة الاحتلال هذا الأسلوب من خلال تقديم الدعم المادي للمزارعين الفرنسيين مثل المساعدات المالية، تقديم الأراضي بصفة مجانية أو بأسعار رمزية وتسهيل الحصول على عقود الملكية، وضمن بقاء كل مستفيد في الأرض تم تمرير مرسوم 1904 و1924، واللذان نصّا على اتخاذ مجموعة من الإجراءات الصارمة ضدّ كل من يحول الأراضي إلى الجزائريين، كما تم رفع مدة الإقامة من 20 سنة إلى 40 سنة¹.

ولقد دافع الكثير من أنصار الاستيطان على فكرة الاستغلال المباشر، كأحسن أسلوب للنشاط الزراعي في الجزائر، فالمالك هنا يسعى من أجل إنجاز مشروعه، وهذا ما ولد عداوة دافية بين المالك الفعلي والمالك الجديد²، أضف إلى ذلك كانت أمام المعمّرين مهام عديدة، فالأرض لم تكن مهياة كلياً للنشاط الزراعي، فكان الأمر يتعلّق باستصلاح الأرض، قلع الأعشاب وغرس الأشجار المثمرة واستخدام تقنيات حديثة متطورة، وهذا يعني عدم الاعتماد على عمّال ومزارعين ذوي خبرة محدودة. فالمالكون الجدد فكروا في تطوير الزراعة بينما فرنسا حسب ما جاء في كتاب دو بيرمهوف (De Peyrimhoff)³ "كانت تعمل لضمان بقاء الأراضي الزراعية بيد الفرنسيين، وذلك من خلال فرض قوانين صارمة في هذا الشأن، ومنها تقديم التسهيلات وتمديد مدة الإقامة، وأيضاً منح مساحات محدودة من الأراضي تسمح لمالكيها بذل مجهود أكبر وتحقيق نتائج إيجابية، أضف إلى ذلك تقديم الدعم المادي من خلال تقديم القروض على شكل سيولة مالية أو بذور أو حتى وسائل عمل مختلفة، وقد تصل في بعض المرات إلى توفير اليد العاملة الزراعية، التي كانت متنوعة نجد فيها إلى جانب الفرنسيين، الإسبان، الإيطاليين والمالطيين الذين كانوا في معظمهم فلاحين ومزارعين. وقد استخدمهم بعض الفرنسيين كعمّال زراعيين في بادئ الأمر، ثم تمكّن البعض منهم من شراء مساحات صغيرة أو تأجيرها لتسهيل عمليات الاستغلال. وقد تم الاستعانة في بعض الحالات بأفراد العائلة الواحدة لتطبيق الزراعة المكثفة، وقد ساد هذا النوع في العديد من الأماكن بالمنطقة⁴.

1- Demontés V , L *Algerie Agricole*, op.cit, p386.

2- Revièr P, op.cit , p 139.

3- De Peyrimhoff P , op.cit , pp 117-118.

4- Le Pelley C , *Rome et l'Integration de l'empire*, 44avj , T2, PUF, 1998, p88.

إنّ الاستغلال المباشر كان حتمية فرضت على المعمّرين من أجل الاستغلال الجيد للأراضي الخصبة، واستصلاح الأخرى من أجل توسيع المساحة القابلة للزراعة. وعليه فقد بذل الأوربيون الأوائل مجهودا كبيرا من أجل الحفاظ على الجزائر كمستعمرة فرنسية. وقد دامت عمليات الاستغلال المباشر فترة زمنية طويلة استمرت إلى غاية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

2-1-1-1- الاستغلال غير المباشر: باقتراب اندلاع الحرب العالمية الأولى، وتجنيد فرنسا للعديد من الفرنسيين، وجد المالكون أنفسهم بحاجة إلى يد عاملة لاستكمال عملية تحديث الزراعة التي بدأها المزارعون الأوائل، وهنا أرغم العديد منهم على تغيير أسلوب استغلال الأرض فظهر الاستغلال غير المباشر، الذي اتخذ نمطين مختلفين هما:

أ- **تأجير الأراضي للمزارعين:** كان يتم من خلال إبرام عقد بين المالك الفعلي والمالك القانوني، يقوم هذا العقد على اتفاق بين الفردين يدفع فيه المستأجر مبالغ مالية محدّدة مقابل استغلال الأرض لحسابه الخاص، وقد كان لهذا الأسلوب انعكاسات سلبية، فالمستأجر هنا لم يكن يفكر في توسيع الأراضي، وإنما كان يفكر في جني الأرباح، ولهذا كان يعتمد على الزراعة الكثيفة، وقد أدّى هذا إلى إنهاك التربة. أمّا الجانب الإيجابي فيها هو وفرة الإنتاج وتنوّعه.

ب- **التعاون بين المالك والمزارع:** ويكون فيه الاستغلال من خلال إبرام عقد بين المالك والعامل الزراعي. هو عقد من نوع خاص يشبه تعاونية، بحيث يقدم المالك الأرض والعامل المجهود العضلي. ويتمّ في نهاية الموسم تقسم الغلة فيما بينهما، وهذا النوع من التعاون هو إيجابي مقارنة بالأول. وتظهر فوائده بشكل خاصّ إذا كانت مدة التعاونية طويلة تسمح للأجير ببذل مجهود أكبر قصد تحقيق المنفعة المتبادلة بين الطرفين¹، والملاحظ أنّ هذا النوع من طرق الاستغلال كان سائدا في الجزائر مثل ما ذكرنا سالفاً.²

ولعلّ هذا الشكل من الاستغلال كان يتناسب أكثر مع المنطقة، خاصّة في المناطق الداخليّة منها، فالمحصول هنا يقسم حسب كميّة الإنتاج، وهذا يعني أنّ حصّة كلّ واحد تعود إلى كميّة الإنتاج السنوي وإلى الظروف الطّبيعية. هذا النوع من الاستغلال كان يخدم أكثر

1- Rivière Et Lecq, op-cit, p138.

2- Le Pelley C, op-cit, p88.

المجتمع وقد اعتاد عليه خلال العهد العثماني. غير أن تعاقب الأحداث غيرت طرق الاستغلال الزراعي، فبرزت ظاهرة النزوح الريفي، وأصبحت الأسر الأوروبية أكثر انجذابا إلى المدن، ونفس الظاهرة عرفها الجزائريون بعد أن أخذ كل ممتلكاتهم في الريف، وقد ازدادت هذه الظاهرة حدة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، وتراجع أسلوب الاستغلال المباشر ليحل محله أسلوب التعاون في ظل غياب المالكين الفعليين للأرض.¹

والحقيقة أن الجزائريين لم يستفيدوا كثيرا من هذا التحول في طريقة الاستغلال، فنادرا ما كان يعتمد على اليد العاملة الجزائرية لعدة عوامل منها عدم مسايرتهم لتطور وسائل العمل، فاليد العاملة الجزائرية كانت بسيطة. وهكذا فإن المزارع الأجير أصبح شبه مالك، فالأرض ملك لغيره وله فقط حق التصرف فيها من حيث الاستغلال، دون أن يتدخل المالك الفعلي في عمليات الاستغلال. ولقد وجدت اليد العاملة الإسبانية مبتغاها، فتحوّلت من يد عاملة بسيطة إلى فنية، بل وأصبح البعض منهم مشرفين على ضياع واسعة كانت مصدر ثرائهم²، سادت هذه الطريقة أي التعاون بين المالك والمزارع في المنطقة كثيرا، حيث شكّلت القاعدة الأساسية في العمل وقد يتشارك المتعاقدون في وسائل العمل بالتساوي، ويعمل كل منهما على تجديدها، وقد تكون ملكا للمستأجر، كما قد تكون البذور ووسائل العمل ملكا لصاحب الأرض، ومع هذا فإنه لا يؤثر على كيفية التقسيم الذي كان يعتمد على المنافسة.³

وقد وُجدت طريقة أخرى لاستغلال الأرض في العمالة تقوم على تحقيق الفائدة على المدى الطويل لمدة سبع سنوات أو أكثر، وتكون بأن يمنح المالك الأرض لأحد المزارعين مقابل مبلغ مالي أو بدون مقابل، يتحمل خلالها مصاريف استصلاح الأرض وزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والكروم وغيرها. وبعد أن تنتج الأشجار يكون من حق المالك الاستفادة منها بالمنافسة مع المستأجر. وكان هذا النوع من طرق الاستغلال خاصا بزراعة الأشجار المثمرة خاصة الكروم. وقد استفاد منها الإسبان بشكل كبير بسبب قدرتهم على العمل وعدد أفراد الأسرة الواحدة المرتفع. وعموما إن طريقة التعاون والإيجار قد سادت

1- Rivière Et Lecq, *op-cit*, p 139.

2- Demontés V, *L Algérie Agricole*, *op.cit*, p390.

3- Millot M, *op-cit*, p 44.

بشكل خاص بين المعمرين الأوروبيين والفرنسيين، وقد أبعاد الفلاح الجزائري لأسباب اجتماعية واقتصادية.

وقد كانت هذه الطريقة تتناسب والملكيّات الصّغيرة والمتوسطة. أمّا الملكيات الواسعة فقد اعتمدت على طرق استغلال مختلفة ليس من حيث النموذج فقط وإنما من حيث طبيعة العمل، فالملكيات الواسعة التي تحتكم على 10.000 هكتار إلى 20.000 هكتار، والتي كانت ملكا للطبقة البرجوازية الفرنسية أو الأوروبية، وهذا يعني أنّ هذه الفئة كانت تعتمد على المنهج الرأسمالي في تسيير رؤوس أموالها وأملكها، وبدخولها إلى الجزائر وامتلاكها لمساحات واسعة من الأراضي أصبحت تعتمد على اليد العاملة الجزائرية، وهذا يعني إيجاد نوع من العلاقة ما بين الرأسمالية واليد العاملة الجزائرية، وتعود هذه الفكرة إلى المستثمرين الفرنسيين الأوائل الذين احتلوا سهول متيجة.

وقد تجدد العمل بها في حين تبنت الشركات المالية الكبرى في فترة الإمبراطورية الفرنسية الثانية، والتي منحت للشركات الفرنسية مساحات واسعة من أجل استغلالها، ومن أمثلة ذلك شركة الهبرة والمقطع والشركة العامة الجزائرية¹، هاته الأخيرة التي تحصلت على مساحات هامة في منطقة الشلف بلغت أكثر من 20 ألف هكتار، موزعة بين سهول شلف الأعلى في الغرب وشلف الأوسط وشلف الأدنى في الغرب.

وقد أبرمت هذه الشركات نوعا من التعاون مع الفلاحين الجزائريين، وبالمقابل كانت تمنع إيجاد هذا النوع من العلاقات في العمل عند الملاكين الصغار²، وهنا نلاحظ نوعا من التناقض في الكتابات الفرنسية بما فيها الوثائق، والتي تشير إلى أنّ طرق الاستغلال المباشر أو غير مباشر للأرض، والتي طبقت بشكل خاص على الملكية الصغيرة كانت تستبعد اليد العاملة الجزائرية لقلّة كفاءتها وخبرتها وعدم مساهمتها للتطور الحاصل، في حين نرى الآن المالكين الكبار قد اعتمدوا على اليد العاملة الجزائرية بشكل خاص، واعترف العديد منهم بمدى نجاح هذا الأسلوب وبجدية الفلاحين الجزائريين، والدليل النتائج الإيجابية التي تحققت من حيث ضخامة الإنتاج الزراعي وتنوعه.

1- Sari Djilali, *La Deposition Des Fellah*, SNED, Alger, 1975, p103.

2- Demontés V, *L Algérie Agricole*, op.cit, p 392.

وكانت هذه الطريقة تعتمد على تقديم وسائل العمل المختلفة مثل المحراث الحديدي وبذور الحرث وتبني الفلاحين الجزائريين أساليب العمل الأوروبية مثل تمشيط الأرض بواسطة آلة خاصة، واستخدام الأسمدة الكيماوية وغيرها، وبعدها يأتي عمل الفلاح الذي يأخذ على عاتقه مهمة استغلال الأرض بشكل فردي، لقد سهّلت هذه الإمكانيات الحديثة مهمة المستغل الجزائري، ونظرا للنتائج الإيجابية فقد تشجّع العديد من الجزائريين على استئجار مساحات محدودة بهدف استغلالها وكما يقول ديمونتس (Demontés) "إن الفلاح الجزائري يقدم انتاجا جيدا ووفيرا، إذا ما تمّت مراقبته وتوجيهه بشكل دائم تحت إدارة جيّدة"¹، وعلى الرغم من إيجابية هذا الأسلوب وفعاليتيه، فإنّه بقي حكرا على الفئة المقتردة سواء الأوروبية أو الجزائرية، وهذا خوفا من تحقيق رفاهية عامّة من شأنها أن تشكّل خطورة على مستقبل الفرنسيين في الجزائر عامّة، وقد أثبت الفلاحون الجزائريون قدرتهم على تطوير طرق عملهم.

وقد وجد شكل آخر من أساليب الاستغلال تمثّل في التّعاونيات والنقابات الفلاحية، هو أسلوب جديد متطور لاستغلال الأراضي، ظهر بشكل أخص بعد الحرب العالمية الأولى بسبب التطوّرات الحاصلة على القطاع الفلاحي، والذي شهد ثورة فعلية فيما يخصّ الإمكانيات المادية وحتى البشرية الخاصة بتسييره، فاختمت الاستغلال المباشر وغير المباشر وحلّت محلّه النقابات والجمعيات الفلاحية العديدة.

2-1- أساليب العمل الزراعي عند المعمرين:

بدأت عمليّات تحديث الزراعة متأخرة مع سنة 1870، حيث بدأ الاعتماد على الوسائل العلمية والآلات الحديثة لزراعة الأرض، وذلك باتخاذ مجموعة من الخطوات الأولية الخاصة بالزراعة بدءا بتحضير الأرض، ثمّ عملية الزرع وغيرها ويمكن العمل في ما يلي:²

2-1-1- تهيئة الأرض: عادة ما كانت التهيئة تمر بمرحلتين أساسيتين: التهيئة الأولية، وتبدأ بإعداد الأرض المسبق، خاصة وأنها كانت في حالة سيّئة بسبب الطرق التقليدية التي كان يتبعها الجزائريون في استغلال الأرض. ثمّ تأتي المرحلة الثانية من إعداد الأرض وتهيئتها جيّدا، لأنّ عليها تقف عمليّة الزرع. وقد اعتمد المزارع الفرنسي على المحراث

1- Demontés V, L *Algerie Agricole*, op-cit , p392.

2- A.N.O.M,F/80,Fond ,L *introduction A La Culture Des Céréales*,1922.

المتطور الذي يقبل الأرض بشكل عميق يتراوح عمقه ما بين 15 إلى 25 سم، وهذا ما يجعل التربة هشة ويساعد التربة على التهوية والحفاظ على نسبة الرطوبة بها.¹ وقد ساعدت عملية التهيئة هذه على رفع نسبة الإنتاج الزراعي خاصة الحبوب. ومع إيجابياتها، فقد أظهرت التقنية الجديدة خطورة الحرث العميق على التربة مما جعل العديد من الخبراء الزراعيين يفكرون في إيجاد حلول مناسبة، فتوصلوا إلى تبني طريقة خاصة في التهيئة تجمع بين الأسلوب الفرنسي العصري والأسلوب الجزائري التقليدي، وذلك بالاعتماد على سياسة الحرث العميق نسبيا واقتلاع الأعشاب الضارة، وزرع الأرض مرتين على الأقل في السنة. وبدأ الحرث في فصل الربيع حيث تحرث الأرض بأعماق متوسطة، الهدف منها قلب التربة الرطبة، وتركها فترة راحة مدة معينة من أجل استعادة بعض المواد المعدنية والعضوية، وأيضا لتشبع بالرطوبة المناسبة بفضل تساقط الأمطار، وبهذه الطريقة يضمن الفلاح بقاء الأرض هشة ورطبة في نفس الوقت.²

ويرى البعض أن المزارعين الإسبان هم الذين أدخلوا هذه المعدات في سنة 1905، وذلك من أجل تطوير زراعة الحبوب. وقد انتشرت في مناطق عدة من القسم الغربي والشرقي من سهل الشلف في كل من الصبحة وأولاد فارس وبوزغاية، وكذلك في عين الدفلى وجنوب خميس مليانة وغيرها. وقد تم إدخال تغييرات جذرية على طريقة الحرث، وهذا وفق الاختلافات الجغرافية والتضارسية لكل منطقة³، وقد تم تبني سياسة الزراعة في الأراضي الجافة وهي طريقة كانت متبعة في الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة كاليفورنيا، ولكن ما غاب عن الخبراء الفرنسيين أن هذا النموذج في حرث الأرض كان موجودا أصلا في الجزائر على غرار بقية دول المغرب، وهذا في العصور القديمة وأول من طبقها هم الفينيقيون، وقد تحدت عنها ستيفان غزال (Gsell).⁴

وقد تم الاعتماد على محراث كيلفر (Killefer)، حيث تقوم آلة الحرث هذه بتقوية التربة، وتساعد شفراتها على إحداث تشققات داخلية في الأرض، عكس الطريقة التقليدية،

1- A.N.O.M, GGA 0193, Léon Rousset, **L introduction A la Culture Des Céréales**, 1922.

2- Demontés V, **L Algérie Agricole**, op-cit, 103.

3- A.N.O.M, **Buletin Des Etudes Algeriennes**, 1905, p265.

4- العودة الى كتاب ستيفان غزال بعنوان الحضارة القرطاجية الخاص بالملكية العقارية يسرد فيه نوع من الملكية العقارية المرتبط اساسا بالنشاط الزراعي .

فالأساس في الحرث هو التهوية لتأخذ الكمية المناسبة من الأوكسجين وطرح الغازات السامة التي تنتجها النباتات البكتيريا الموجودة بها، كما يساعد على تسرب أشعة الشمس بشكل جيد، وهي خطوة أساسية بالنسبة للنباتات في عملية التمثيل اليخضوري وتسمح بامتصاص الأسمدة والاحتفاظ بالرطوبة.¹

إنّ الاعتماد على هذه الآلة الحديثة تساعد في تهيئة الأرض بالشكل الجيد بأقلّ جهد وأقلّ وقت وحتى تكلفة أقلّ خاصة في مجال الريّ، لأنّ الأرض تكون قد أخذت كفايتها من الرطوبة، ولهذا فقبل تساقط الأمطار تبدأ عملية التهيئة مما يسمح بتسرب المياه الداخلية المحجوزة في الانتشار تدريجياً، ممّا يساعد على بقاء التربة رطبة. وقد تتمكّن جذور النباتات من امتصاصها والتوغّل في الدّاخل بحثاً عن الرطوبة، وبالتالي تأخذ أو تمتصّ الموادّ العضويّة والمعدنيّة الضرورية.²

أمّا الخطوة الثانية فهي تنحصر في القيام ببعض الأعمال السطحية كشقّ الأتلام، وحرث مساحات واسعة في وقت قصير، والتي تبدأ خلال فصلي الشتاء والربيع، لأنّ العملية الأولى كانت تسمح بتهوية الأرض وتحلّل الموادّ المعدنيّة خاصّة الحديد الضروري للنباتات، فأمطار الخريف والشتاء تسمح بتحلّل الصّدأ الذي تكوّن في الصيف والربيع، والذي تمتصّه الجذور وتخزّنه في الأرض.³

إنّ من أهم نتائج الحرث المبكر بالاعتماد على آلة كيلفر تظهر فيما يلي:

- النمو والتطور السريع للمحاصيل الزراعيّة.

- محاصيل زراعية جيّدة من حيث الكمية من 20 إلى 22 قنطاراً في الهكتار الواحد، ومن حيث النوعية بحيث تكون غنيّة بالقيم الغذائيّة.
- مدّة النضج تكون بطيئة وفعّالة.

والى جانب ذلك، فإنّها تساعد على عملية الريّ، فالأرض الرطبة لا تحتاج إلى المياه بكثرة ويسهل حرثها، أضف إلى ذلك يساعد على وضع الأتلام بشكل مستقيم يسمح بتسرب المياه جيّداً. وبعد فترة الحصاد، يكون سطح الأرض هشاً يسمح بتسرب الهواء والأوكسجين،

1- A.N.O.M,GGA 0139 Service Economique ,P.Perrenin,La Methode De Sous-Solage Killefer,p34.

2- Ibid,p05

3- Ibid,p06.

كما تساعد البكتريا على توفير المواد الضرورية للنباتات، والنتيجة الأكيدة تحسن الإنتاج كما ونوعا، ولهذا فقد تبني العديد من المعمّرين هذه الآلة، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى.¹ إن الاعتماد على آلة كيلفر في تهيئة الأرض أمر ضروري، فهي عبارة عن آلة حرث مميزة ذات تخصصات عديدة، تستخدم للحرث أولا والزرع ثانيا، ومع أهميتها فقد بينت بعض الأبحاث خطورة الحرث العميق والمكثف، فتم إعادة العمل بالطريقة التقليدية بزراعة الحبوب المكثفة في الأراضي الجافة. وقد شجعت إدارة الاحتلال العمل بها، وركّزت على بدء زراعة الحبوب في فصل الربيع، وتم تهيئة أراضي زراعية قدرت مساحتها بـ 275.061 هكتار في سنة 1923 بعدما كانت قد زرعت سنة 1924 مساحة 220.622 هكتارا. وهذا يعني زيادة المساحة المزروعة بمعدل 54.429 هكتارا.²

وكان يضاف للأرض بعدها الأسمدة لتعويضها بالمواد الضرورية، فلم يكن الحرث هو التغيير الوحيد في ممارسة الزراعة في الجزائر، بل قد شمل جوانب عدة، فبعد إتباع سياسة المكثفة، رأت الهيئات المشرفة على النشاط الفلاحي ضرورة العناية بالتربة، وكحل لمعالجة نقص المواد العضوية والمعدنية في التربة تم اللجوء إلى استخدام الأسمدة، وقبل ذلك كان لزاما على الخبراء الزراعيين دراسة نوعية التربة ومكوناتها من أجل معرفة المواد الكيماوية والعضوية التي تحتاجها، وبالتالي إضافتها وفق نسب وكميات مدروسة. وقد بينت فيما بعد أن الأرض تحتاج غرام واحد من الحمض الفسفوري والآزوت والبوتاس.³ وانتشر استخدام الأسمدة بشكل واسع في المنطقة، خاصة في القسم الأوسط والغربي من سهل الشلف، وقد تم اللجوء إلى الأسمدة بشكل خاص بعد توسيع المساحات الزراعية من خلال الاستصلاح الذي بدأت به إدارة الاحتلال بسبب نقص الأراضي الزراعية وتزايد عدد المعمّرين.⁴

1- A.N.O.M,GGA 0139 Service Economique ,P.Perrenin,La Methode De Sous-Solage Killefer,pp7-9.

2- A.N.O.M,GGA, *Annuaire Staistique De L ale gerie* , *Compagne 1922-1923*.

3- انظر في هذا الشأن كتاب **Demontés T4, op-cit**,pp150-152، حيث يتحدث فيها عن أنواع التربة في الجزائر، وكميات المواد العضوية التي تحتويها.

4 -Tinthon R, L evolution, **op-cit** p254.

لقد تمّ الاعتماد على الأسمدة الطبيعيّة في بادئ الأمر، ثمّ اللّجوء إلى استخدام الأسمدة الكيماويّة بسبب إنهاك التّربة، الأمر الذي انعكس سلّبا على المحاصيل الزراعيّة خاصّة الحبوب، ولهذا لجأ الكولون إلى استخدام الأسمدة، وقد أعطت نتائج إيجابية. غير أن مجريات الحرب العالميّة وتوقف التجارة الخارجيّة أثر سلّبا على استخدام الأسمدة، لتعود في الانتشار بعد نهايتها. وهنا قد تضاربت الآراء حول إيجابيّات استخدامها وأهمّيّتها في رفع قيمة الإنتاج الزراعيّ وسليبيّاتها، ومنها نوعيّة وجودة الإنتاج. ومع هذا فقد استمرّ العمل بها وأصبح الهكتار الواحد من الأرض يحتاج إلى ستّة كلغ من الفوسفات. وتمّ تحديد كمية 300 كلغ في الهكتار الواحد. وقد لوحظ فعاليّة الاعتماد عليها في نهاية الموسم الفلاحي بحيث ارتفع الإنتاج إلى 11 قنطارا في الهكتار الواحد، ثمّ إلى 14 قنطارا في الهكتار، ولهذا تمّ رفع كمية استخدام حوالي ثلاثة قناطير من الفوسفات في القنطار الواحد. وهذا يعني أنّ الأسمدة كانت تعيد للتّربة خصوبتها، وتساعد على الحفاظ على نسبة الرّطوبة بها، إلى جانب القضاء على الأعشاب الضارّة والحشرات والطفيليات خاصّة الدودة البيضاء التي تشكّل خطرا على المحاصيل الزراعيّة¹.

لقد أصبح استخدام الأسمدة شائعا ليس في الجزائر فحسب، بل في العديد من الدّول الكبرى، فهي من النباتات التي لا خطورة فيها، تساعد على بقاء المواد الأزوتيّة في التّربة، وتساعد البكتيريا على التفاعل الجيد في التّربة، وبالتالي ضمان خصوبة التّربة وجودتها. تتكوّن الأسمدة الخضراء من مواد طبيعيّة موجودة في الأرض تتكوّن من دويال طبيعي، وهو بقايا النباتات التي تتحلّل وتحوّل إلى أسمدة تساعد إلى إنهاء عمل الأزوت، وهو نفس العمل الذي تقوم به الأسمدة الفوسفاتيّة. إنّ الأسمدة الطبيعيّة تقوم بنفس الدّور الذي يقوم به الفوسفات بشكل طبيعي وتساعد التّربة على استرجاع موادّها العضويّة وحتى المعدنيّة، خاصّة وأنّ هناك بعض النباتات كانت تمتصّ الأزوت وتثبته في التّربة، ومنها الخضر التي كانت تقوم بهذا الدّور. ولهذا فقد رأى البعض أنّه من الأحسن تبنيّ هذا الأسلوب في الحفاظ على خصوبة التّربة بدل الأسمدة الكيماويّة، وللقيام بذلك يجب إدخال السّماد الأخضر في

1- Farces J, op-cit , p509.

التربة قبل أن تنمو النباتات، وذلك باستخدام عربة خاصة بدون أن تلحق ضررا بالمحصول.¹

وتعمل آلة "كيلفر" إلى جانب الحرث بهذه العملية، فهي مزودة بمشط أسطواني يعمل على إزالة الأعشاب الطبيعية المضرة للأرض، وتعيد ردمها في التربة بعمق 20سم، فهي تقوم بقطعها وخلطها جيّدا بالتربة، فتصبح هشة وسهلة للحرث. وبهذا الشكل تحدث تحلل المواد العضوية وتتحوّل إلى دبال.² إلا أنّ هذا الأسلوب كانت له آثار سلبية أهمها زيادة نسبة الحموضة في التربة والتحلل السريع لعناصر التخصيب، وتبخّر الرطوبة.³

وتأتي الخطوة الثالثة وهي انتقاء البذور، وقد كانت حkra على المزارع الأوروبي. وتقوم على انتقاء البذور بهدف الحصول على إنتاج وفير وذوي نوعية عالية. وأوّل محصول تمّ انتقاء بذوره كان الحبوب، وهذا عن طريق إختيار أحسن الأنواع التي تتلاءم مع المناخ وتربة الجزائر، وهذه الخطوة الجديدة في الزراعة تعتمد في الأساس على إختيار أجود الحبوب، ثمّ إدخال تعديلات جينية عليها بحيث تتمكّن من التأقلم مع مناخ وتربة الجزائر. وقد لاقت هذه الفكرة اهتمام العديد من المهتمين بالشؤون الزراعية في الجزائر خاصة في بداية القرن التاسع عشر والعشرين، وقدّموا عدّة أنواع من الحبوب الجيدة التي يمكن لها أن تنمو في الجزائر.

ولم يهمل خبراء الزراعة الحبوب المحلية، التي أكّدت جودتها ولاقت رواجاً كبيراً في الأسواق الخارجية، فأدخلوا بعض التغييرات عليها. وكانت عملية تقوم على انتقاء البذور وفصلها من حيث النوع والحجم. ثمّ تبدأ دراسة كل بذرة على والوقوف عند مزاياها، ومن ثمّ يتم إختيار أجودها⁴، وقد وجد "الكولون" أنفسهم أمام خيارات عديدة في ما يخصّ أنواع الحبوب المراد زرعها في الجزائر، ووجدوا أنفسهم أمام احتمالات، وهي: إدخال نوع جديد من البذور التي أعطت نتائج إيجابية في عدّة مناطق من العالم، أو الاعتماد على بعض الحبوب المحلية التي أثبتت نجاحها، أو التوصل إلى عدّة أنواع شبيهة بالأنواع المحلية أنفسهم، وأمام هذه الوضعية بدأ المزارعون "الكولون" الأوائل الاعتماد على الحبوب التي ألفوا

1- A.N.O.M,GGA,0139Service Economique ,P,Perrenin,La Methode De Sous –Solage,Killefer, op-cit,p10.

2- A.N.O.M,GGA,0139Service Economique ,P,Perrenin,La Methode De Sous –Solage,Killefer,op-cit,p101

3- Demontes, V,T5,op-cit ,p 166.

4- Ibid , p168.

استخدامها في بلدانهم الأصلية. وقد كانت هذه الخطوة ارتجالية، ومن أهم الحبوب التي تمّ إقحامها في السّهول التّلية، حبوب إسبانيا الأكثر انتشارا والمعروف باسم قمح ماهون "Mahon" أو توزل، والذي يمتاز بكثافة إنتاجية وقوته وقدرته على مقاومة الصّدأ والجفاف. وإلى جانبه اهتمّ "الكولون" بالقمح اللين الذي تمّ إحيائه من جديد، وقد أطلق عليه اسم قمح (فرانسييس)، وتمّ استيراده من منطقة ميدي "Midi" بفرنسا. وقد أعطى هذا النوع من الحبوب بعد زراعته إنتاجا جيّدا كما ونوعا، خاصّة في المنطقة، وهناك نوع آخر تمّ إدخاله هو قمح بوردو (Bordeau)، الذي حقّق نتائج إيجابية ممّا أدّى إلى انتشار زراعته في مختلف مناطق الجزائر، ونجح بشكل أساسي في منطقة تيارت، ولكن سرعان ما عرف انتكاسة بمرور السّنوات، فتمّ الاعتماد على نوع آخر هو قمح أوديسا "Odessa" الذي أعطى نتائج جيّدة بعد إجراء عمليات التّهجين، فأعطى أفراد الجيل الثاني نوعا جديدا ملائما للجزائر¹. وبالرغم من إدخال القمح اللين فقد ظلّ التّركيز على زراعة القمح الصّلب في الجزائر، وهذا يدلّ على استعانة الخبراء الزراعيين الفرنسيين بالتّجربة الجزائريّة المحليّة، فهم وجدوا في الجزائر سيادة زراعة القمح الصّلب، ولهذا ركّزوا اهتمامهم عليه. وبعدها أخذوا يدخلون الأساليب والتّقنيات الجديدة، ودليل ذلك اعتماد المزارعين في زراعة القمح على نوع خاص كان يعرف باسم قمح جافا "Jaffa"، وهو النوع الذي ساد بشكل كبير في الجزائر، خاصّة في المناطق التّلية الخصبة. وهو نوع ينتمي إلى أحد أهمّ أنواع الحبوب التي كانت سائدة في دول البحر المتوسّط وقد كان بالجزائر أنواع عديدة من القمح الصّلب، وكانت في غنى عن استيراد أنواع جديدة وما كان على المزارعين الأوروبيين انتقاء أحسن البذور. وقبل البدء في عمليّة الحرث يجب اختيار أكثر الأراضي خصوبة من حيث الهشاشة والرطوبة وكميّة المواد الضّرورية بها. وبعدها يتمّ حرثها وزرعها. وقد قلّد "الكولون" في هذه الخطوة عمل الفلاحين الجزائريين، وهذا يعني أنّ الفلاح الجزائري كان ملهما للفلاح الأوروبي في كثير من خطوات العمل، مع إدخال تغييرات جوهرية عليها، وتبقى عمليّة انتقاء البذور خطوة مهمّة في تحديث الزراعة في الجزائر².

1- S.A, Les Cereals Exotiques En Algerie , op-cit , pp300-302.

2- Ibid, p304

2-1-2-عمليات الزرع: يرى الخبير الزراعي ليون روست "LeonRouset"¹ أن تحقيق النتائج الإيجابية في الزراعة خاصة الحبوب لا يمكن أن يتحقق إلا باتّباع أسلوب زراعي خاص، فعملية الزرع هنا يجب أن تكون بخطى دقيقة ومدروسة، حددها كالتالي:

2-1-3-اختيار الوقت المناسب للزرع: إنّ تأخير عمليات الزرع ينعكس سلبا على المحصول الزراعي، وكثيرا ما كان المزارع الفرنسي يؤخّر هذه العملية بسبب قلة اليد العاملة وارتفاع ثمنها. ولكن التطور الحاصل بسبب الثورة الصناعية، والاعتماد على الآلات الحديثة سهل من مهمة الفلاح. ولم يكن الفلاح في السابق يقوم بعملية الغرق أو التّظيف، ولهذا فقد كان الإنتاج الزراعي جدّ ضعيف. أمّا مع التحوّلات الهامة التي شهدتها قطاع الزراعة، فقد تمّ استخدام المعرفة لنزع الأعشاب الضارة، وهي عبارة عن آلة بسيطة تجرّها حيوانات وتعمل على إزالتها دون إلحاق الضرر بالمحصول. وتساعد هذه العملية على نمو المحاصيل بشكل جيّد، وهذا بسبب الشّروط الطّبيعية الملائمة مثل الرّطوبة والحرارة، وتحوّل المواد العضويّة إلى نترات، أي قيام التّربة بعملية النّترجة، وهذا هو الوسيط البيولوجي المناسب لنمو أي محصول من المحاصيل الزراعيّة. فالوسط الطّبيعي يكون جدّ ملائم للزراعة ما بين شهري سبتمبر وأكتوبر، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الجغرافية للمناطق، وعليه على الفلاح أن يبدأ عملية الزرع في هذه الأوقات.²

وبعد اختيار التوقيت المناسب، تمّ التّوصل إلى طريقة خاصّة للزرع، تكون فيها الخطى العمليّة الدّقيقة هي الأساس، خاصّة وأنّ النباتات تحتاج ظروف خاصّة للنمو، وهي الهواء، الماء والحرارة. ولتحقيق ذلك، يجب الاعتماد على زراعة البذور في خطّ مستقيم مع ترك مسافة محدّدة بين كل بذرة وأخرى. وتسمّى هذه الطّريقة بزراعة الخطّ التّوأمي أو الزّراعة المزدوجة، تقوم على وضع بذرتين في مكان واحد وترك مسافة 15سم بين كلّ بذرة وأخرى. أمّا المسافة بين كل خط وآخر، أي التّلم، فهو 45 سم. وبتطبيق هذه الطّريقة، فإنّ الظروف تكون جدّ ملائمة لنموّ النبات، وتسمح للبذور بإنتاج العدد المناسب من سيقان

1- A.N.O.M,GGA 0193,Léon Rousset ,L introduction A la Culture Des Céréales ,1922,op-cit ,p 2.

2- Ibid,p 3.

السَّابِل في المتر المربع الواحد وتسمح المعازف باقتلاع الأعشاب الضارة دون إلحاق الضرر بالسَّابِل الفتية بكل سهولة.¹

أما عن طريق الزرع بخط مستقيم، فتكون عبر إتباع الخطوات التالية:

- فتح أثلام مستقيمة عميقة حسب اختلاف المناطق.

- وضع بذرتين في كل منطقة مع احترام المسافة المتفق عليها سابقا.

- إعادة التربة على البذور بعد الزرع مع تفادي زرع البذور في أراضٍ محفورة حتى تأخذ الكمية المناسبة من الماء، وبهذا تبدأ البذور في عملية الإنبات بشكل سريع ومنتظم، فتظهر البراعم الأولى بشكل جماعي.

كانت عملية الزرع تتم بواسطة آلة توزيع البذور، والتي تستوعب من 60 إلى 70 كلغ من البذور أو ما بين 50 إلى 100 كلغ في الخط المستقيم المرسوم، وعلى آلة التوزيع وضع البذور في التربة بعمق 2 إلى 3 سم، ويتم تغطيتها بوضع طبقة رقيقة من التربة وذلك لحماية البذور. يمرر بعدها أسطوانة فوق التربة لتحاظ على هشاشتها ورطوبتها، وتسمح للبذور بالنمو بعد مرور 8 إلى 10 أيام بعد الزرع، فيظهر الحقل مخضرا بشكل هندسي دقيق ترسم فيه خطوط مستقيمة متوازية.²

ثانيا: القضاء على الأعشاب الضارة، وهي مرحلة أساسية لنمو البذور وتمرر بمجموعة من المراحل:

2-1-4-التنقية قبل الخريف: فبعد عملية الزرع تأتي عملية إزالة الأعشاب الضارة وذلك لحماية بذور القمح، فبمجرد ظهور سيقان وأعشاب بذور القمح تأتي عملية إزالة الأعشاب بواسطة المعازف وهي عملية أيضا لتهوئة الأرض، وفي هذا الشأن تم الاعتماد على آلة كيلفر لتقطيع الأعشاب، ويتم تمريرها فوق السيقان الصغيرة والهشة للقمح وكانت تسمى بجهاز ويدر كيلفر وتعمل شفراتها الحادة المصنوعة من الفولاذ الصلب على تقطيع الأعشاب الطويلة واقتلاعها من الجذور دون إلحاق الضرر بالمحصول، فهي قادرة على التوغل على عمق 20 سم.³

1- A.N.O.M,GGA 0193,Léon Rousset ,L introduction A la Culture Des Céréales ,1922, o-cit,p4.

2- Ibid,p 5.

3- A.N.O.M,GGA,0139Service Economique ,P,Perrenin,La Methode De Sous –Solage,Killefer,op-cit,p10.

2-1-5- في فصل الربيع: تبدأ من شهر فيفري إلى مارس، تكون البذور في هذه المرحلة قد نمت بفضل ملائمة الظروف الطبيعية وتدخل الإنسان فتلصق السيقان وتتكاثر السنابل. وهنا أيضا تنمو بعض الأعشاب التي تضرّ بالسنابل، مثل شقائق النعمان والجزر البري وغيرها، وهنا يجب إزالتها.

2-1-6- الاعتماد على عمليات الرش: ويبدأ من فصل الربيع ويستمرّ إلى غاية فصل الصيف. فبمجرد ما تنتهي عملية إزالة الأعشاب الضارة تأتي عملية الرش، وذلك بتوفير الكمية المناسبة من المياه على شكل قطرات من الماء، وتكون العملية ضرورية بمجرد ما يلاحظ الفلاح بداية جفاف الأرض، وهنا يصبح الرش أمرا ضروريا، فأتثناء امتلاء السنابل تكون بحاجة إلى كميات من المياه لتأخذ كفايتها من المواد العضوية.¹

2-1-7- طريقة توزيع الحبوب: إنّ النظام الذي اعتمد عليه الفلاح الفرنسي في زرع البذور عرف بنظام بيلتر (P.H. Pilter). هذا النظام الذي يسمح بمنح مجموعة من المزايا، وهو يعتمد على آلة الزرع التي تضمّ جهاز زرع ومعاذف ذات طاقة استيعاب مختلفة يتمّ تعديله برفع المقبض دون تغيير الدواليب المسنّنة. ومن أجل بذر البذور باختلاف أنواعها من القمح إلى البنجر السكري، يتمّ وضع معدل سرعة تتماشى وكل محصول، ويتمكّن الفلاح من التحكم في سرعة توزيع البذور بواسطة محركّ البذور.

2-1-8- فتح الأثلام: كانت كلّ ثلاثة سيقان حديدية المدعّمة للآلة تقوم بجر سكتين صغيرتين قابلتين للتمدّد ويمكن التحكم وضبط عملية شقّ الأثلام بأعماق مختلفة. إنّ الاعتماد على هذه الآلة كان له مزايا عديدة، فهي بإمكانها أن تزيل الحواجز أثناء الحرب مثل الحجارة التي قد تعيق ملامسة الحرث، والتي كثيرا ما كانت تؤدّي إلى تكسير عربات الحرث الخاصة بالجزائريين الحرث، والتي كانت تؤدّي إلى تكسير عربات الحرث الخاصة بالجزائريين. وقد تساعد أيضا في عملية ترطيب التربة ونهيئ عملية الحرث من جديد. أمّا ضغط البذور بعد زرعها فهي مهمّة، لأنها تضمن بقاءها في التربة. وقد تمّ الاعتماد في بادئ الأمر على الملابس الثقيلة، ولكن تمّ التخلي عنها واستبدلت بنظام الضّغط بواسطة النابض الذي يعتمد على ملابسة تتكون من أسطوانتين من الفولاذ يتمّ تلحيمها مع بعض. إنّ

1- A.N.O.M,GGA 0193,Léon Rousset ,L introduction A la Culture Des Céréales ,1922,op-cit, pp 6-7 .

الملامسة الثقيلة كانت لها سلبيات، فقد تترك بعض المناطق دون غلقها، زيادة إلى ذلك، فإن وزنها لم يكن يناسب كل الأراضي الزراعية، فهناك اختلاف لكثافة التربة المختلفة التي قد تكون في الحقل الواحد. أما النابض فإنه يضغط على الأثلام بشكل مستمر وفعال.¹

2-1-9- الضغط على البذور: وتتم هذه الخطوة بتغطية البذور بالتربة بشكل جيد، وبمجرد سقوط أول قطرات المطر تنمو البذور، وحين يتم إزالة الأعشاب الضارة، فإنه يتم ردم الأثلام وتغطية البراعم الصغيرة بطبقة إضافية من الجذور، التي تساعدها على إضافة المزيد من المواد العضوية والكيميائية. إن تغطية البذور أمر ضروري وتستخدم فيها آلة حرث مزودة بملاسة تجرّها سلاسل خاصة، تضمن وضع طبقة خاصة من التربة التي تحمي البذور، وتحافظ على رطوبة التربة وتمنع عملية تبخر الماء من الأرض.²

إن هذه الطريقة مناسبة جدا لزراعة الحبوب، وعندها يتم الاعتماد على آلة واحدة تقوم بكل خطوات العمل السابقة الذكر في آن واحد، فعملية إزالة الأعشاب الضارة هي جد مهمة، لا تتطلب إمكانيات ولا وقتا كبيرا، تقام ثلاث مرّات في السنة، يقوم بها عامل واحد يعمل على قيادة الآلة التي تجرّها الحيوانات، ونلاحظ هنا أن تكاليف الحرث والزرع تكاد تنعدم.³ لقد تعدّد استخدام الآلات الزراعية الحديثة لاستغلال الأرض، والهدف منها هو مضاعفة الإنتاج. وقد اشتدّ التنافس من أجل التوصل إلى إيجاد تقنية حديثة ومتطورة تعمل على مضاعفة الإنتاج بأقل جهد وأقلّ تكلفة. ولهذا فقد تمّ الاعتماد على آلة أخرى للحرث عرفت باسم آلة بيتش بول "Pitch Pole"، التي تمّ تجربتها في عدّة دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. كانت هذه الآلة تتكوّن من سلسلة من الأسنان الموضوعة بشكل مخالف، فحين تكون السلسلة الأولى على سطح الأرض السلسلة الثانية في الأعلى في حالة سكون، وتبدأ بالعمل بمجرد ما ينتهي دور السلسلة الأولى، أي أنّ عمل هذه الآلة مزدوج. ومع قوتها لم يتّسع إنتشارها مثل المحراث الذي يحتوي على الممشط أو المسلف⁴، ولهذا تمّ تبني آلة حرث جديدة هي المحراث الماشط بالنابض، وقد تمّ الاستغناء عنها بعد فترة من تجربتها

1 A.N.O.M,GGA 0193,Léon Rousset ,L introduction A la Culture Des Céréales ,1922,op-cit,pp 6-7 .

2-Ibid,p10.

3-A.N.O.M, GGA 0139 Service Économique,Léonrouset, Lintroduction À La Culture Sarclé Des Céréales,op-cit,pp8-9.

4-A.N.O.M,GGA0139 Service Economique ,Les Produits Coloniaux Et Le Materiel Colonial ,op-cit,p106 .

لتخوف العديد من المزارعين منها. وتم الاعتماد على ماشطة خاصة تقوم بعملية إزالة الأعشاب في نفس الوقت، وهي تتكوّن من سلسلة ذات جزأين، يشكّل الجزء الأول حلقات مربعة ملتصقة مع بعضها البعض لتشكل في النهاية دوّاسة ممتدة بعرض ثمانية أقدام. أمّا الجزء الثاني فهو عبارة عن منحنيات ربط، تحكّم الحلقات المربعة مع بعضها البعض، وبهذا الشكل فإنّها تحدث شقوقا في التربة بعمق الإبهام بعد احتكاكها بها. وتكمن فائدة هذه الماشطة بأنّها تقوم باقتلاع جذور النّخيل ممن خلال آلة القصّ الموجودة فيها. وفي آن واحد تعمل على جمع الأعشاب وتشكيلها على شكل حزم تتراكم على سطح التربة، وهذا يعني أنّ لهذه السلاسل دورا كبيرا في التّنتقية دون إلحاق الضّرر بالمحصول المزروع¹، وعلى الرّغم من أهميّة هذه الخطوة، فإنّ الكثير من المزارعين "الكولون" قد أبدوا تخوفهم من استخدام هذه الماشطة، فهي في نظرهم قادرة على اقتلاع السّنابل، أو تخريب جذورها من الأعماق. ولهذا فقد رفض العديد منهم على الأقل في المراحل الأولى من تطبيقها واستخدامها في إزالة الأعشاب التي تنمو مع المحاصيل الزراعيّة، ومع تأكّد فعاليتها، تمّ استخدامها بشكل واسع². وقد تمّ إضافة عملية أخرى إلى جانب التمشيط، وهي عملية تراكم الأتربة الهشة فوق النّبات، لتعاود النّمو من جديد، فتظهر سيقان وأوراق جديدة، وهذا ما يزيد من صلابة النّبتة وقوتها فعليّة الرّدم هذه تؤدّي إلى نموّ جذور جديدة تزيد في قدرة النّبتة على تحمّل الجفاف، وقد كانت هذه العمليّة تطبّق في عدّة دول أوروبية، ولهذا تمّ استخدامها في الجزائر بتحفظ بسبب تخوف بعض المزارعين الأوروبيين من احتمال إلحاق الضّرر بالمحصول، بسبب اختلاف الظروف المناخيّة ما بين أوروبا والجزائر³، ومع تخوف العديد من "الكولون" في بادئ الأمر من مدى نجاح هذه التّجارب الزراعيّة في الجزائر، فإنّها طبقت بشكل تدريجي. وقد ساعدت هذه الطّرق على توفير 50 % من بذور القمح، وقلّلت من استخدام اليد العاملة ورفعت من نسب المحاصيل الزراعيّة. فحسب الإحصاء الرّسمي للموسم الفلاحي سنتي 1921 و 1922، فإنّ الاعتماد على الزّرع بواسطة الخطوط التّوأمية قد أثبتت نجاحها، وفق إنتاجها الإنتاج الزراعي بواسطة النّثر بفارق يقدر ما بين 2 و 5 قنطار وقد يصل إلى 9

1- A.N.O.M,GGA0139 Service Economique ,Les Produits Coloniaux Et Le Materiel Colonial ,op-P 206.

2- Ibid , P 207

3- Demontés V ,L Algérie Agricole T5, op-cit, Pp 187-188..

قنطار.¹ ولم تنحصر أهمية هذه الطريقة عند حجم الإنتاج، بل تتعداها إلى غير ذلك، فقد تأقلمت البذور التي تم اختيارها في زراعة الحبوب مع الظروف الطبيعية للجزائر، حتى وإن كانت هذه الأخيرة غير ملائمة في بعض الأوقات، فبذور قمح "تروزل" كانت أكثر مقاومة للجفاف وفاق إنتاجه بثلاثة قناطير مقارنة بنوع حبوب "بلاديت" الذي يعطي إنتاجا وفيرا، إذا سقطت الأمطار بكميات مناسبة خاصة في فصل الربيع.

2-1-10-مرحلة الحصاد:

تم الاستعانة بالحاصدات، وهي عبارة عن آلات ميكانيكية سريعة، ترافقها العربات أو ناقلات الحبوب تسيران في خط متواز مع بعضها. تعمل الحاصدات على نزع السنابل وفصل الحبوب عنها وتفرغها في العربات. أما ما تبقى منها فيلف على شكل حزم مستطيلة الشكل محكمة القبض تشكل مخزون غذائي للحيوانات²، وهنا نلاحظ أن المزارع الأوروبي يبذل أقل مجهود في حصاد غلته، فقد نجد عاملا أو عاملين، وهذا حسب عدد الآلات الميكانيكية، التي يعمل على قيادتها، وهي تقوم بعمل مزدوج وبسرعة فائقة.

وبعد الحصاد تأتي عملية التخزين، فقد تبني "الكولون" في بادئ الأمر نظام المطمورة، الذي كان سائدا في المنطقة لدى الجزائريين مع إدخال بعض التغييرات عليه. فقد أدركوا أهميته وتلاؤمه مع الظروف الطبيعية، خاصة التقلبات الجوية التي كانت تشهدها المنطقة. فقد يعقب موسم فلاحي ناجح موسما فاشلا، وهنا يلجأ السكان إلى استغلال المخزون الموجود في المطمورة. هذا الأسلوب الذي أكد فعاليته فقلده "الكولون" ولكن بشكل متطور، وذلك بإقامة جمعيات تعاونية للاحتياط، والذي كان لها دور جد مهم، فهي تعمل على تخزين الحبوب وتقديم المساعدات المالية للفلاحين في حالة نقص البذور أو ارتفاع أسعارها، أي أنها تقدم الدعم للفلاحين في فترات الأزمة. وللوصول إلى هذا، كان على كل مستفيد دفع مساهمات أو اشتراكات مالية شهريا مقابل حصوله على قروض خاصة.³

1- Demontés V, L'Algerie Agricole T5, op-cit P 194.

2- Isman P, Pratique De La Culture Des Céréales En Lignes À Fakrounia", In R.A.A.N , 05-12-1926, Pp778-779

3- A.N.O.M., GGA, Boulier (M), Rapport Sur Le Sujet De Loi Publique Des Sociétés De Prévoyance, Chambre Parlementaire Des Députés, 1890, N° 1860.

وأمام الارتفاع المتزايد لإنتاج الحبوب، ظهرت تعاونيات خاصة للتخزين. فحسب الإحصائيات الصناعية لسنة 1926، فقد وجدت 85 مؤسسة خاصة بالدرس تضم 1909 عاملا، وقد تضاعف عددها مع تطور الإنتاج. وقد لقيت هذه المؤسسات الدعم من قبل الحكومة، وكانت النتيجة تضاعف عددها. وأضيفت لوهران 20 مؤسسة ولعمالة الجزائر 22 مؤسسة ولقسنطينة 9 مؤسسات، وكانت تتلقى مساعدات مالية تتراوح ما بين 15 إلى 20 ألف فرنك فرنسي.¹

كانت المؤسسة تقوم بتخزين الحبوب فبمجرد انتهاء عمليات الحصاد والدرس، تتكفل هذه المؤسسات بالنقل والتخزين، وبهذا الشكل يضمن الفلاح الحفاظ على مخزونه بأقل تكلفة. ونظرا لتضاعف الإنتاج بفعل الأساليب والتقنيات الجديدة، فقد تم إقامة تعاونيات خاصة تتناسب والتطور الحاصل للنشاط الزراعي خاصة في منطقة السرسو.²

وهكذا، فقد شهد القطاع الزراعي خلال الفترة الاستعمارية تحولا جذريا من حيث استخدام وسائل عمل حديثة وتقنيات جديدة، رفعت من كميات الإنتاج باختلاف محاصيله. وحوّلت النمط الإنتاجي الاستهلاكي الضيق إلى نمط استهلاكي تجاري، فتوسّعت المساحات الزراعية وامتدت لتشمل مناطق داخلية، وهذا كله بفضل المكننة والطرق الزراعية الحديثة، زيادة على الاعتماد على سياسة التخصص الزراعي التي تقوم على تقسيم الأرض الفلاحية إلى مربعات، يزرع في كل منها محصول معين يتم تغييره في المرحلة الثانية من الحرث. وهكذا ترتاح الأرض وتكتسب مواد عضوية جديدة، وكميات إضافية من الرطوبة، وبالتالي يتحصّل الفلاح على تنوع في المحاصيل الزراعية، وتتلقى التربة ما تحتاجه من فترة راحة ومواد ضرورية.³

1- A.N.O.M., GGA, 0139, Statistique Industrielle, 1926.

2- A.N.O.M., Boyer Banse M, 24-03-1922, P 187

3- Tinthoin R,L evolution,op-cit,p245.

2-2- النشاط الصناعي:

قبل الخوض في موضوع انعكاسات الاستيطان على النشاط الصناعي، وجب التنويه بأن المنطقة وقبل وصول المعمّرين إليها كانت تُعرف بعض الأنشطة الحرفيّة التقليديّة والتي هي أقرب إلى الصناعة، حيث كانت تنتشر أيضا بعض الصناعات التقليديّة لدى قبيلة أولاد العباس، على سبيل المثال التي اشتهرت بمختلف منتجات الصناعات النسيجية التقليديّة وكذا لوازم الخيول، وقبيلة عكرمة الشراقة التي اشتهرت بصناعة الملح نظرا لتواجد سبخة بن زيان داخل نطاق أراضيها بالقرب من واد مينا، بالإضافة إلى منتجات قطعان الحيوانات من جلود وصوف، وحتى مادة الرّفّ لمعالجة بعض أمراض الحيوانات، وكذا الألبسة التقليديّة والأواني الفخّارية وغيرها من المنتجات الأخرى، إلا أنّ هذه الحرف التي كان يغلب عليها الطابع الصناعي، وإن كانت تتميز بالجودة كونها يدويّة، فإنّ كميتها كانت محدودة وموجّهة على وجه الخصوص للاستهلاك العائلي والمحلي بدرجة أساسية¹.

وقد اهتمت الإدارة الاستعماريّة بهذا القطاع الحرفي الخاص بالجزائريين، وقامت بتقسيمه إلى قسمين مختلفين، وهذا حسب أهمية كل حرفة، فنجد أولا الحرف الأساسية كالصناعات النسيجية وصناعة الجلود، وثانيا الحرف الثانوية كصناعة الفخّار والسلال وحرفة البناء، وقد سعت الإدارة الاستعماريّة إلى إضفاء صفة النشاط الصناعي على هذه الحرف، والتي تحوّلت من حرفة مهنيّة تقليديّة إلى نشاط صناعي ذا بعد تجاري.

وقد نتج عن هذه السياسة حدوث اندماج للحرف الصناعيّة الجزائريّة بصفة عميقة في الرأسمالية الصناعيّة، وما تبع ذلك من صعوبات في تنظيمها الاقتصادي والتجاري، هذا الإدماج الاستعماري للاقتصاد أدّى إلى وجود علاقة تأثير مباشرة للاقتصاد الفرنسي على الاقتصاد الجزائري بصفة جوهرية وعمامة².

وهكذا فقد شهد القطاع الحرفي تحوّلًا عامًا في طبيعة نمطه، فمن قطاع تقليدي محلي إلى قطاع عصري فرنسي، ولم يكتف الفرنسيون بالسيطرة على مصدر الرزق هذا الخاص بسكان المنطقة وتحويله إلى قطاع عصري يسعى إلى توفير حاجيات السوق الفرنسيّة

1 -Xavier Yacono,La Colonisation ,T1,op-cit, pp 348-352.

2- محمد لخضر بن حسين ، الازمات الاقتصادية، تر: أحمد سفير ،منظمة العمل العربيّة، مطبعة التجارة، الجزائر، 1995، ص 81.

والأوروبيّة، بل انتقلوا إلى إقامة نشاط صناعي جديد في أبعاده وأهدافه، نشاطه مرتبط بتوجهات السياسة الفرنسيّة في مجال التصنيع.

لقد ذكرنا عند حديثنا عن انعكاسات الاستيطان على النشاط الزراعي بأنّ الاستيطان الفرنسي الأوروبي في المنطقة، كان استيطاناً فلاحياً بدرجة أساسية، ولذلك راحت سلطات الاحتلال تصادر الأراضي الزراعيّة وتوزّعها على الكولون، اللّذين قاموا بإنشاء مستوطنات فلاحية، وشرعوا يستصلحون الأراضي ويوسّعون المساحات المرويّة، ويدخلون زراعات جديدة إلى المنطقة، في حين فإنّ النشاط الصّناعي ظلّ بسيطاً يرتكز في أساسه على الصّناعات الاستخراجية، التي مسّت بعض المناجم والمعادن، التي كانت منتشرة في المنطقة أو بعض الصّناعات الغذائيّة، والتي ارتبطت ببعض المنتجات الفلاحية، كالخمور، والزّيوت، والقطن، وغيرها وعليه، فإنّه يمكن أن نصف هذه الصّناعات الاستعمارية بأنّها مرتبطة بالزّراعة أو مكّلة لها.

والواقع أنّ النشاط الصّناعي للمنطقة تأثّر بعاملين أساسيين، أولهما طبيعة المعمرين اللّذين استوطنوا المنطقة وغالبيتهم مزارعون، حيث ظهرت عائلات زراعية كبرى استوطنت المنطقة من أبرزها عائلة (Paul Robert)، و (Dombretphillipe)، اللّتان اشتهرتا ببيع الحبوب وكانت تملك مطاحن ومزارع كروم، وعائلة (VivierPaul) التي اشتهرت ببيع الخمر، وعائلة (SelsisRené)، التي كانت تملك مطحنة خاصة بالحبوب و (DesmonsHector) الذي كان طبيباً، والعامل الثّاني هو طبيعة المنطقة كونها زراعية بدرجة أساسية¹، ومن زاوية أخرى، فإنّ الاستثمارات الفرنسيّة انصبّت على الزّراعة بدرجة أساسية، فلم ينشأ الاستعمار إلّا القليل من الورشات المتواضعة الخاصّة أو بعض المناجم الاستخراجية.

وقد ظهرت الحاجة الملحة من أجل تنظيم النشاط الصّناعي في الجزائر عامّة، وذلك بالاعتماد على المواد الأوليّة المحليّة، وقد تأكّدت هذه الفكرة بعد الحرب العالميّة الأولى بشكل خاصّ، حيث توصلّ المستوطنون إلى ضرورة التّخلص من التّبعيّة الاقتصادية لفرنسا، والاعتماد على النّفس من خلال تنشيط الحركة الصّناعية في الجزائر²، والحقيقة أنّ الحاجة

1- Lahouri Addi, *op.cit*, pp 127-128.

2- Demontes V, *Algerie Industrielle*, *op.cit* pp11.

الملحة للمواد الأولية التي كانت تفتقر إليها فرنسا جعلتها تبحث وتتقّب في كلّ مكان من الجزائر، وفي هذا السياق، فقد تمكّنت سلطات الاحتلال من اكتشاف ثلاثة مناجم بالمنطقة وهي منجم بوقائد الخاص بالزنك والرصاص ومنجم زكار الخاص بالحديد ومنجم تنس الخاص بالنحاس، وتجدر الإشارة أنّ الاستعمار الفرنسي على العموم لم يهتمّ إلا بالصناعة الاستخراجية، والتي كانت تصدر إلى فرنسا على شكل مواد خام، وبجانبتها كانت تنتشر بعض الصناعات التحويلية الغذائية بدرجة أساسية التي كانت ترتبط بالزراعة.

وعليه سوف يصنّف النشاط الصناعي في المنطقة إلى صنفين، مرتبط كل واحد منه بقطاع اقتصادي محدّد، فالأول مرتبط بالقطاع الزراعي، فوجدت قطاعات صناعية عديدة مرتبطة بها، بينما شمل الصنف الثاني القطاع الصناعي المرتبط بالمواد الأولية الباطنية، حيث توجّهت الإدارة الاستعمارية إلى الاهتمام بها لوفرتها لاسيما بعد أن قامت بضبط خريطة المعادن بالجزائر عامّة والمنطقة خاصّة¹، وقد أعطت هذه المواد دفعا قويا للاقتصاد، وتحوّل من قطاع اقتصاد زراعي تقليدي إلى اقتصاد صناعي رأسمالي، وتوازن هذا مع تدفق رؤوس الأموال الفرنسية إلى الجزائر، وإذا كان منجم بوقايد الواقع بجبال الونشريس، قد تمّ اكتشافه وشرع في استغلاله منذ منتصف القرن التاسع عشر من طرف الشركتين الأوروبيتين terallon و Cahen، ثمّ من طرف الشركة البلجيكية Vieille Montagne² ابتداءً من تاريخ 1888، فإنّ منجمي زكار وتنس لم يشرع في استغلالهما إلا مع بداية القرن العشرين.

وقد ساهم تطور وتوسع شبكة المواصلات في تطور هذه الصناعات الاستخراجية، التي كانت تجد طريقها إلى الموانئ خاصّة ميناء تنس والجزائر العاصمة، سواء باستعمال السكك الحديدية أو الطرّق المعبّدة.

ومن زاوية أخرى، فقد انتشرت بعض الصناعات البسيطة لدى الخواص، ومن بينها صناعة الحدادة التي اشتملت على المحاريث وبعض الأدوات الفلاحية الأخرى.

يضاف إلى كلّ ذلك نشاط البناء ومستلزماته من مواد البناء كالقرميد والأحجار، والإسمنت ضف إلى ذلك الصناعات النسيجية خاصّة في ظلّ نجاح زراعة القطن في

1- Payen Et Ladreit, Les Richesses Minères De L Afrique Du Nord , In Parcoure, 1929, p43.

2- Somibar , Une Page De La Mine De Boucaid-Ouarsenis , Boucaid 2003, p12.

المنطقة، وأمّا الصناعات التي لقيت رواجاً، فهي الصناعات الغذائية المرتبطة بالزراعة، ومن بينها صناعة الخمر في كلّ من جندل وتاوقريت وعين مران حيث كانت تنتشر مزارع الكروم، وأيضاً معاصر زيت الزيتون في المناطق الساحلية، وفي مجّاجة وزكّار وصناعة السكر بخميس مليانة ومطاحن الحبوب في كلّ من مدينة شلف وواد سلي بالإضافة إلى بعض المنتجات الحيوانية المختلفة.

وإذا كانت الفلاحة تساهم بحوالي 85% من صادرات المنطقة إلى فرنسا والخراج، فإنّ المنتجات الصناعية خاصّة المواد الخام السّالفة، فإنّها لم تكن تشكّل سوى 10% من صادرات المنطقة، وبذلك فإن مساهمتها في الدخل الإجمالي الخام للجزائر كانت جدّ ضعيفة مقارنة بمناطق أخرى من الوطن¹.

1 -Lahouri Addi ,op.cit , pp129-130.

3-2 النشاط التجاري:

كان لمصادرة أراضي سكان المنطقة من جهة، وتدمير البنية التحتية لاقتصادهم الزراعي والصناعي القائم على تحقيق الاكتفاء الذاتي، أن ربطهم المستعمر باقتصاد كفاف ووعدهم بمشاركة سياسية ورفاهية اقتصادية في نفس مستوى المعمّرين، حيث كان لهذا كله أن دفع الجزائريين لأن يطمحوا إلى حياة أفضل.

وبالرغم من الامكانيات الضخمة التي كانت تتوفر عليها الجزائر، إلا ان الميزان التجاري لإدارة الاحتلال ظل يسجل عجزا كبيرا في الجزائر عامة ومنطقة الشلف خاصة¹.

وإذا كانت بعض المصادر التاريخية تذكر ان مدينة تنس، كانت تلعب دورا بارزا في المبادلات التجارية بفضل موقعها وميناءها، فان هذا الدور بقي وازداد اتساعا مع الاحتلال الفرنسي للمنطقة، بحيث بقيت تحتفظ نوعا ما بنشاطها التجاري، كما بقيت بعض القبائل التي تسكن بجوار تنس، تتزاول نشاطها التجاري القديم مثل اولاد يونس التي الذين نصبوا خيامهم على بعد 15 كلم غرب تنس.

لكن مع مرور الوقت، فان تجارة تنس غطت عليها تجارة الفرنسيين²، كما استولى العدو على وسائل التجارة الداخلية وراقب خطوطها وحولها الى صالحه³.

فبعد القضاء على نشاط الفلاحة والصناعة لدى الجزائريين من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي، حل الدور على قطاع التجارة هو الآخر، حيث عمد العدو الى خنق التجارة والتي كانت مزدهرة قبل الاحتلال الفرنسي، لاسيما حركة المبادلات التجارية الداخلية بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، فما كادت السنوات الاولى للاحتلال الفرنسي تمر حتى اصبح الميزان التجاري للجزائر خاسر، وفي العشرية التي سبقت ثورة اول نوفمبر 1954، فان الحديث عن التجارة الخارجية اصبح منعذما⁴.

ويلاحظ ان سلطات الاحتلال، قد فرضت عزلة تامة على قطاع التجارة في الجزائر، واستبعدت اي منافسة اجنبية لفرنسا، ففرنسا وحدها كانت تسيطر على 87% من الصادرات

1- شارل روبيير اجيرون، تاريخ الجزائر المعصرة، المرجع السابق، ص 641

2- هاينريش فون ملتسان، المرجع السابق، ص ص 224-225.

3- محمد لخضر بن حسين، المرجع السابق، ص 103.

4- محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 20.

الجزائرية المتمثلة اساسا في المنتجات الزراعية والمواد الاولية ،اما الواردات فلقد كانت بنسبة 80% ،على شكل مواد مصنعة والباقي عبارة عن مواد غذائية موجهة للاستهلاك ،كالقهوة والشاي والسكر ،وبالالي فان الاقتصاد الجزائري قد ارتبط بالقتصاد الفرنسي باحكام كبير .

كما نجد ان السلطات الاستعمارية تصدر قوانين في حق الجزائريين ،بان لا يباشر الجزائريين اي عملية نقل بحري على السفن الفرنسية الجزائرية ،ونتيجة لذلك فقد كانت التجارة المستوردة اكثر من الصادرة ،ومن الصادرات نذكر ما يلي :الخمور،الغنم والصوف الحديد ، الرصاص ،ومن الواردات نذكر:السيارات ،السكر ،القهوة،الاواني والوقود.¹ هذا اضافة الى ان المعادن عرفت تطورا ملحوظا ،ففي عام 1913 بلغت قيمة الصادرات من الحديد والفوسفات 32مليون فرنك.²

وبما ان التجارة تتطلب انشاء الاسواق لعرض المنتجات ،فقد قام بيشارد BECHARD ،باحصاء عدد من زوار الاسواق بمنطقة الاصنام من 300الى 400 جزائري ،وحركة البضائع تبلغ قيمتها من 50.000الى 60.000 فرنك فرنسي كل يوم وفي سنة 1849 بلغت نحو 120.000فرنك ،ويمقارنة اسواق حوض الشلف باسواق القبائل الاخرى نجد بعضها انهارت ،الا اسواق الاصنام بقيت نوعا ما محافظة على استقرارها ،خاصة في واد الفضة والعطاف .³

ولقد ذكرت جريدة المبشر في احدى اعدادها أن اسواق منطقة الشلف كانت في غاية العمارة ،حيث يلجأ اليها الكثير من العرب لبيع المواشي والخيول والاصواف.⁴ ومن جملة الاسواق التي اشتهرت بها منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري ،نذكر سوق قصر البوخاري يقع على الضفة اليمنى لواد الشلف ويرتفع 623متر عن سطح البحر ،اذ

1 - احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ط1، دار النشر، بيروت، لبنان ، 1958، ص 133.

2 - عبد الحكيم رواحة ،المرجع السابق، ص 124.

3 - فايزة بوحسون ،الايضاح الاقتصادية لحوض الشلف من خلال جريدة المبشر 1848-1851،مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الاقتصادي والاجتماعي 1815-1962،جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الانسانية،الموسم 2015-2016م ص43.

4 - جريدة المبشر ،العدد 92 الصادر بتاريخ 01/07/1851 ص 352.

يعتبر مركز تجاري هام ،لان كل القبائل المحيطة به تتجه اليه للتسوق ،وكان يعمر كل اثنين ،يعتاده 3872 من المسلمين و 916 من الاوروبيين ،الى جانبه نجد سوق ثنية الاحد ،وهو سوق عامر كل يوم احد تمارس فيه كل عمال البيع والشراء.¹

وبالحديث عن المجال التجاري في منطقة الشلف ،لابد من الحديث عن بعض التجار الذين كانوا موجودين في مدينة الاصنام ،من بينهم التجار الذين كانوا متواجدين في الحباير وبعضهم في سنجاس ،ومن الاعيان نذكر احمد بن السايح ،ومن بين انواع تجارته نذكر الحبوب ،الدقيق ،القهوة ،السكر ،الشايالخ ،ومن اعيان تجار ميزاب نذكر السيد الحاج عيسى والسيد عبد الرحمان والسيد ابراهيم و الاديب السيد عبد الله واولاد حمادي وتجارتهن ومن انواعها نذكر القماش ،الخيطة ، وسائر انواع البز والديباچ²

لقد كانت نتيجة السياسة الاقتصادية الاستعمارية ناجحة من ناحية السيطرة على اقتصاد الجزائريين واستنزاف اراضيهم وممتلكاتهم ،فلقد زادت من بؤسهم وشقائهم في عقر دارهم ،فاصبحو خدما لدى المعمرين .

ومن ناحية اخرى نجد ان السياسة الاستعمارية بقدر ما كانت نقمة على الجزائريين بقدر ما كانت نعمة كذلك ،حيث جعلت الفرد الجزائري يفتن ويدرك النوايا الحقيقية للمستعمر ،وهذا ما جعله يقف في وجه المستعمر الغاشم .

وهكذا تصادم اقتصاديين متضادين أحدهما تقليدي معيشي، والثاني حديث ورأسمالي توسعي يبحث أصحابه على الثروة، بيد أن التناقض الذي عاشه الجزائريون عامة وسكان المنطقة خاصة، لاسيما بين البنية السياسية الفرنسية والقهر الاقتصادي الجزائري، وعن طريق تحويل التوكيد في الصراع من الجانب الاقتصادي إلى الجانب السياسي برهن عن النزعة الاستعمارية التي كانت تتميز بها الإدارة الفرنسية، وقد كان ذلك دافعا لظهور ونمو النزعة الوطنية الجزائرية، التي كان إلى حد ما ردًا سياسيا على القهر السياسي، ومع ذلك فإن مطالب الوطنيين كانت تتعلق بالوضع الاقتصادي العام للجزائر، وكانت تتطور هذه المطالب وفقا لذلك.

1- احمد توفيق المدني ،هذه هي الجزائر،المرجع السابق ،ص 207-231.

2- فايزة بوحسون ،المرجع السابق ،ص 51.

وقد ازدادت معاناة سكان المنطقة على غرار باقي سكان الجزائر نتيجة الممارسات الاستعمارية من جهة والظروف السياسية المحلية والدولية من جهة أخرى، فقد كانت الحربين العالميتين الأولى والثانية عبئا ثقيلا عليهم، حيث زادت الحالة الاقتصادية من تفاقم خطر تدني إنتاج الغلال ومصادرتها بغرض توجيهها كمؤن من أجل القوات في ألمانيا وإيطاليا، وتأثر الريف كعادته من جراء هذه الحرب فقد تناقصت الأغنام والماعز في المراعي، الأمر الذي ساهم في خراب صغار الفلاحين وإعدامهم بالإضافة إلى كل هذا تخلف الأجرور عن الأسعار بينما زاد عدد السكان المحليين على الرغم من نسبة الوفيات العالية، وبالموازاة مع ذلك اجتذبت المراكز الحضرية أمواجا متدفقة مستمرة من سكان الريف الباحثين عن عمل، وفيما بين عام 1936 وعام 1948 زادت نسبة المراكز الحضرية من 13% في عام 1936 إلى 16,4% في عام 1948 وبين عامي 1930 و1940 حدث تغيير رئيسي في بنية الملكية.

لقد كان منتظرا من الاستيطان أن يساهم، وبشكل فعال في إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل فرنسا المتنامية، من خلال توفير المادة الاقتصادية الزراعية والصناعية القابلة للتصدير، عبر الموانئ الجزائرية باتجاه الأسواق الأوروبية. والحقيقة أنّ المجتمع الجزائري أثناء فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي، كان يتسم بمظاهر النمو الاقتصادي وازدواجية النشاط بين الحياة الريفية القائمة على زراعة الحبوب، والحياة الرعوية والحضرية القائمة على الحرف التقليدية والتجارة، وهذا ما نجده جليا في منطقة غليزان إلا أنّ الطابع الريفي كان هو الغالب.¹

إلا أنه وبعد الحرب الاستيطانية التي شنتها فرنسا على الشعب الجزائري في شكل حرب إبادة مدروسة ومخطّط لها، الهدف منها القضاء على كل ما هو جزائري، ليحلّ محله الأوروبي المتعطّش للنّروة بالقضاء على الفرد الجزائري ماديا من خلال تحطيم الهياكل الاقتصادية المحلية، واستنزاف خيرات البلاد الباطنية والسطحية، مما ولد انعكاسات كارثية على المجتمع الجزائري من خلال سياسة الطرد المقنّن، بسيطرة المعمّرين على حقوق ليست لهم في الواقع باستخدام التشريع كأسلحة نهب بهدف اقتلاع الجزائريين من أراضيهم بمختلف

1- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 299.

الصّيع والأساليب، حيث انعكس ذلك سلبا على طبيعة الملكية ممّا أدّى إلى انهيار مؤسّسات صلبة كالزوايا، وبالتالي التحوّل القسري إلى وسائل إنتاج دخيلة على المجتمع الجزائري، قائمة على تقسيم الملكية نتج عن ذلك انتشار البيوع والشراء جراء سلب العقار في الريف، وتراجع الحرف والنشاط التجاري في الحواضر جرّاء التحوّلات الاقتصادية والزبوية، إذ يسجل الجيلالي صاري على سبيل المثال لا الحصر: " تزايد النّمو السّريع للهجرة سنة 1896 في منطقة مازونة، كنتيجة لتراجع الحرف، والنّزوح إلى الأحياء الهامشية كبروليتاريا"¹.

ويذكر الجيلالي صاري أنّ مازونة عاصمة بايلك الغرب في سنة 1568 اشتملت 1.701 ساكن في حين سنة 1830 اشتملت على 1.500 فرد من البربر وقدّر بها عدد المساكن ما بين 200 إلى 300 منزل وأنّ السّكان من الحرفيين في حوزتهم تقاليد ودلائل ثقافية وينطبق ذلك أيضا على القلعة حيث اشتملت على 800 عائلة منها 80 عائلة من الكراغلة خلال القرن 19 م، واشتغل أغلب سكّانها في الأعمال الحرفية والملكيّات الواسعة بالخصوص حول سهل السّمار²، وما ميز هذه الحواضر تركّز الثروة بالخصوص في أيدي الموظّفين الكبار في البايك والعائلات المرابطية، كأولاد سيدي هني، وأولاد سيدي عمّار، وعبد الصّادوق، وعائلة دوّاجي، بمازونة، وفي هذا يذكر أيضا الجيلالي صاري: أنّ الحيّازات العقارية الفردية في جبال الظّهرة خاصة بفحوص مازونة الخصبة، كانت يمتلكها وبنسبة 24 بالمائة حضر مازونة، وكانت الأرستقراطية تملك من 20 إلى 180 هـ من الأراضي الخصبة³ وعليه فلقد تمّ إفراغ هذه الحواضر من دورها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بالقضاء على عوامل النّمو منها هجرة العمالة إلى المناطق الأخرى من مازونة إلى سهل الشلف غليزان ومستغانم⁴، جرّاء التقلّبات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها مازونة بسبب الافقار المتواصل للريف وتدمير الملكية العائلية والمديونية وتراجع تربية المواشي، وكنتيجة لتفكيك الملكية الجماعية أساس ترابط المجتمع الجزائري تحوّل الكولون إلى مالكين حقيقيين، إذ تشير الإحصائيات إلى تركّز الثروة قبل الاختراق الاستيطاني بالمنطقة في أيدي الجزائريين، ذلك أنّ الأرض تعدّ القاعدة المادية للمجتمع، على أساس

1- Sari Djilali , *Les Villes Prcoloniales En Algerie occidentale* , op.cit , p174.

2- *Ibid*,p154.

3- *Ibid*, p65.

4- Belhamissi Molay, *op-cit* , p84.

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

ايدولوجية التلاحم وتضامن الوحدات العائليّة ووحدة المجتمع القبلي ضمن التآلوث المحرّم (الأرض-الدّم - الشرف) تستغلّ فيها الأرض وفق إمكانيات مادية محدودة وسلوك اقتصادي يتحرّك وفق التّضامن القبلي القائم على تقاسم أعباء العمل في مجال الزّراعة والرّعي والسّقي وحتّى في النّسوق وغيرها، والجدول التّالي يمثّل عيّنة عن حجم الأراضي المزروعة وأدوات الإنتاج بالمنطقة¹.

القبيلة	المساحة	المساحة المزروعة	الأدوات
المكاحلية	21641هـ	4036 هـ 403	محراث
لمحال	12707هـ	3900 هـ 390	محراث
عكرمة الشراقة	26446هـ	1220 هـ 889	محراث
الصحاري	6118هـ	1513 هـ 151	محراث
أولاد خويدم	21000هـ	15090 هـ 951	محراث
أولاد سيدي بوعبد الله	13240هـ	4420 هـ 442	محراث
أولاد العباس	19055هـ	6820 هـ /	

من خلال قراءة الإحصائيات يتّضح أنّ القسم الأكبر من الأراضي الزراعيّة خصّصت للحبوب، وهذا ما يؤكّده استخدام المحاريت الخشبيّة، إذ تزرع الأرض سنة وتترك لترتاح سنة أخرى لضمان مردود جيّد ووفير، وقد تنوّعت المحاصيل الزراعيّة بين انتشار زراعة الحبوب في المناطق السّهلية بين واد مينا وواد الشلف، وفي عرش فيلتا إلى زراعة الأشجار المثمرة بالأخص في المناطق الجبليّة الظّهرة والونشريس، والجدول التّالي يبيّن أهمّ قبائل المنطقة، ونوعيّة الإنتاج²:

1- سلطنة عابد، التراتبية الاجتماعيّة ببايك الغرب واثرها على مقاومة الامير عبد القادر 1832-1847، اطروحة دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران الموسم 2010-2011، ص 91.
2 - المرجع نفسه، ص 92.

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

اسم القبيلة	نوعية الانتاج الفلاحي	التسوق
أولاد سويد	الحبوب	سوق زمورة الأربعاء - مينا الخميس
أولاد عامر	الحبوب	سوق مينا الخميس
مازونة	الحبوب - الأشجار المثمرة	أسواق الخميس والثلاثاء
لمحال	الحبوب بكل أنواعها	مينا - المكاحلية
عكرمة الشراقة	الحبوب-التين-الأشجار المثمرة	سوق الأحد
أولاد خويدم	انتاج وفير للحبوب	بني مسلم- بني وراغ- مكاحلية

رافق هذا الاختراق نظام اقتصادي رأسمالي خاضع للتسوق، فأفرغت المطامير من مخزون الحبوب بأولاد صابر وقبائل عرش بني وراغ وبالقبائل المحيطة بالمطمر كنتيجة للمضاربات الربوية، ودخول الاقتصاد النقدي إلى داخل القبائل، وفي هذا يقول بن أشنهو أنّ الدخول في القنوات التجارية الأوروبية والعالمية شجّعهم على بيع احتياطاتهم التقليدية، مما يتسبب في حالة المحصول السيء وضعا متزعزعا عند شراء ما ينقصهم من الحبوب، ونلاحظ هنا أنّ آية ظاهرة ستكون ذات اتساع كبير في سنوات المحصول السيء¹.

كان الهدف من وراء هذه السياسة الاقتصادية، توجيه الاقتصاد الجزائري نحو متطلبات السوق الخارجية في ظلّ عجز الفلاح الجزائري عن مواكبة التغيرات، وتحول الأرض إلى سلعة تجارية، وهذا ما أقرّه السناتيسكونسيلت من خلال إحلال البيع والشراء المنجز عن تقسيم الملكية، فلقد قاد الفلاح الجزائري إلى مواجهة كل الضغوطات من دون سند خارجي، ويختفي الاحتياطي الجماعي من الحبوب، ويخضع الفلاح صاحب القطعة المجزأة إلى التغيرات المناخية، وبالتالي يتعرّض للربا وانتزاع الملكية منه².

كان النظام السائد قبل الاحتلال قائم على تخزين الحبوب في المطامير، لمواجهة التقلبات المناخية والتغيرات السياسية التي قد تهدد وجود القبيلة، والجدول التالي يبيّن أهمّ المطامير بفيدرالية بني وراغ، وبني تغرين، وبني مسلم، وأولاد خويدم، التي تمّ إحصائها قبل عملية الاختراق الرأسمالي والنقدي لهذه القبائل³:

1- عبد الطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص 70.

2- المرجع نفسه، ص 64.

3- A.N.O.M,2m16, Cm, Ammi Moussa , Arondissement De Mostganem ,Beni Ourag,Beni Tegrin,Beni Meslem , Ouled Khoudem, Fraction Renseignements,Staistique.

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

القبيلة	عدد المطامير	عدد الأمكنة
أولاد العباس	376	17
مكناسة	609	29
مطماطة	340	34
أولاد صابر	187	11
التوارس	350	18

ومن خلال قراءة الجدول يتّضح حجم النّماء والنّزاع الاقتصادي في المنطقة المعتمد على الزراعة المعيشية -الحبوب- ممّا ضمن الحدّ الأدنى من الاكتفاء الذاتي للسكان وجنب المجتمع الكثير من الكوارث بالخصوص المجاعات خلال الفترة العثمانية. وممّا زاد في مأساة الجزائريين النظام الضريبي الجائر، والدفع نقدا إذ أصبحت القبائل مجبرة على تسويق قسم من إنتاجها لدفع الضريبة، والجدول التالي يمثل قيمة الضرائب العامة، التي مست قبائل المنطقة¹:

القبيلة	1867	1897
أولاد العباس	29.163 فرنك	34.840 فرنك
أولاد أحمد	11.952 فرنك	17.030 فرنك
عكرمة الشراقة	22.904 فرنك	29.824 فرنك
المحال	14.404 فرنك	26.268 فرنك
أولاد خويدم	30.214 فرنك	19.049 فرنك
أولاد سيدي بوعبد الله	15.783 فرنك	13.465 فرنك

من خلال قراءة الإحصائيات نلاحظ ارتفاع قيمة الضرائب ما بين 1867 و 1897 ممّا أدّى إلى إفقار السكان، ويمكن إدراج هذا ضمن تدمير البنى الإنتاجية والاجتماعية، وإزاحة

1- Lecq.M.H , Commission D'etude Des Amelioration A Apporter Dans La Situation Agricole De La Vallee Du Cheliff , Rapport A Monsieur Le Gouverneur General De L'algerie , Alger , Imprimerie Orientale 1898 , PP 122-123.

السكان بكلّ الأساليب من السهول، والمناطق الزراعيّة لتقام على إطلالها بنى إنتاجيّة اجتماعيّة مطواعة من صنعها¹.

يضاف إلى ذلك الدّخول في المديونيّة من أجل شراء الحبوب والعجز عن أداء الدّين مما يؤدي حتما إلى طرد الدائن من ملكيته كنتيجة للربا التي أرسنها الإدارة الاستعماريّة، وفي هذا يروي النّائب الفرنسي أوغست بيردوا (Auguste Bierdoit) في تقرير رفعه إلى مجلس النّواب في الجزائر بتاريخ: 04 ديسمبر 1891 جاء فيه ما يلي: "عندما أُدخِلت في حياة هؤلاء الفلاحين الذين يعيشون في اقتصاد اكتفائي، الطّرق والتنّظيمات الإداريّة، أدّى هذا إلى تسريع تفكّك الأطر الصّارمة لنمط حياتهم البدائيّة فمذ ذلك اليوم الذي فرض عليهم انسجاما مع فضائل التحضّر، دفع الضّريبة مقابل فتح الطّرق وتشييد المستشفيات والمدارس... انتقلوا آليا إلى اقتصاد السّوق وانعدمت مقوّمات المقايضة.... وإذا ما حلّ الجفاف أو كان الموسم اللاحق سيّئا فإنّ الكفاية تصبح مستحيلّة، ويبدأ مسلسل النّكبات: تسليفات. فوائد. رهنّيّات وأخيرا مصادرة الأرض وبيعها وطردهم الفلاح، فإذا لم تنتبه إلى ذلك، فإنّ بروليتياريا محليّة تتشكّل شيئا فشيئا، وهي أكثر ترهيبا من كلّ الفئات الأخرى لأنّها ستكون مصدرا لقطاع الطّرق وللانقفاضات المسلّحة²."

وزادادت معاناة الجزائريّين جرّاء الضّرائب المفروضة عليهم من طرف الإدارة الاستعماريّة، حيث كانت هذه الأخيرة تلجأ من أجل تحصيلها من لدن الجزائريّين إلى تشكيل لجان إداريّة منظمّة تضمّ بعض الجزائريّين يتمّ اختيارهم وتعيينهم من قبلها: باشاغا. أغا. القائد. الشّيخ.... وكانت هذه التّعيينات تتمّ بناء على اعتبارات الولاء بالإضافة إلى مهمّة القمع والمراقبة، وقد كلّف هؤلاء الجزائريّين بجمع الضّرائب مقابل حصولهم على 10% بالمائة من الضّرائب المجبّاة والاستفادة من أعمال السّخرة في أراضيهم ونقل منتجاتهم... وقد شجّع هذا التّشريع عمليات اختلاس الضّرائب بالإضافة إلى ما يوفّره من إمكانيّة لهؤلاء الجزائريّين بتجميع ثروات نقدية كبيرة أكثر فأكثر³.

1 - أحمد بعلبكي، المسألة الزراعيّة أو الوعد الرّاقد في ريف الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، 1985، ص 11.

2 - أحمد بعلبكي المرجع السابق، ص 36.

3 - عبد اللطيف بن اشنهو، المرجع السابق، ص 71.

3- الإنعكاسات في المجال الاجتماعي:

3-1 تغير التركيبة الاجتماعية :

انعكس التغيير الجذري في بنية الملكية في الجزائر عامّة ومنطقة الشلف خاصّة بطبيعة الحال في التنظيم الاجتماعي للقبائل كما أثر فيه ايما تأثير، لقد اكتملت عملية التثنية بواسطة الإجراءات الإدارية، التي هدفت إلى إحلال قبائل يربط بينها الموقع محل قبائل تربط بينها علاقة الدم¹، وبالفعل، فإن أقساما من قبائل مختلفة كأولاد قصير جمعت معا لتشكّل دوارا واحدا أو أقساما من القبائل ذاتها قسمت إلى عدد صغير من الدواوير، ولم يكن من التّادر أن تدخل أجزاء من قبيلة واحدة تحت سلطات تشريعية إدارية مختلفة.

ونتيجة لذلك، وعن طريق تفجير الوحدة الإقليمية والإدارية للقبيلة، وعن طريق إدخال عنصر القرية الأوروبية المثير للاضطراب في العالم المحلي، لم تترك عملية الاستعمار للمفاهيم القبلية القديمة شيئا، إلا أنّ الروابط العاطفية بقيت وتجلّت من خلال الوعي بالانتماء للجماعة نفسها، وسنتناول هنا بعض التشكيلات الطبقيّة حتّى يتّضح مدى تغيير الترتيب الاجتماعي، ولصالح أيّ فئة.

من بين أهم التشكيلات نجد الأرسقراطية، وقد انعكس تثنية التنظيم القبلي هذا بالضرورة على تكوين الجماعات الاجتماعية التي كانت تشكّل القبائل، لقد تأثرت الأرسقراطية الدينية وارسقراطية المخزن على نحو مختلف، حسب ما إذا كانت قد تحالفت مع العسكرية الفرنسية أو مع زعيم المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر²، ومع زعماء آخرين من بعده، لقد حاربت الأرسقراطية الدينية بشكل عام بجانب الأمير في حين أنّ أرسقراطية المخزن حاربت ضده، وجنحت قبائل كثيرة إلى جانب أو آخر، حسب قدرتها على احتمال حرب طويلة، وبوجه عام فإنّ الحرب كبّدت الارسقراطية الدينية والمحاربة سلطتها الاقتصادية والاجتماعية، وبعد أن كسرت المقاومة كانت التمردات القبليّة تعاقب بفرض سياسة الحجز على الأراضي المفروضة من الاستعمار كما رأينا، وقد رافقت هذه الحجزات

1- مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر، تر سميير كرم، مؤسسات الابحاث العربية،بيروت، 1980 ص 60.

2- المرجع نفسه، ص 61.

مع إجراء جديد بحظر على القبائل استخدام الغابات ومع زيادة في الضرائب، وبهذا أكملت عملية إفقار الأرستقراطية القبليّة.

وتفسّر شهية المستعمرين للأرض كما تقول مغنية الأزرق¹، العداء الذي غنّوه ضدّ "العائلات الكبيرة" الجزائريّة، التي كانوا يشيرون إليها أيضا بوصف "السادة الإقطاعيين"، ومع ذلك فإنّ الانهيار الذي أصاب هذه العائلات كان مدعاة انزعاج ببعض الفرنسيين الذين كانوا أكثر اهتماما بالسيطرة الاجتماعيّة، وهكذا قيل أنّه "أثناء تعقّب هذه الأشباح فكّنّا المجتمع المحليّ بصورة كاملة إلى حدّ أنّنا إذا احتجنا إلى أن نفعل، فعليا فيه نجد أنّنا لا نملك سيطرة عليه. غير أنّنا نواجه أفرادا منعزلين"، ونتيجة لهذا "فإنّنا من دون وسطاء سواء لإبلاغ نيّاتنا ولتنفيذ أوامرنا أو لتقدير حاجات هؤلاء النّاس وأمزجتهم .

وقد اقترح البعض الاستعاضة عن الأرستقراطية القديمة بأرستقراطية جديدة، تتألّف من أولئك الذي حاربوا في صفوف الجيش الفرنسي، وأولئك الذين عيّنوا للخدمة في الإدارة العسكريّة، وأولئك الذين اكتسبوا أرضا نتيجة لقانون 1873، وفي هذا الصّد يقول ياكونو² هكذا أنّه " لم يحدث اختفاء لفئة اجتماعيّة ما، إنّما استبدال بعض كبار ملاكي الأرض بآخرين من كبار حائزي الأرض" الذين أثروا عن طريق شراء أراضي الفلاحين الفقراء"، ومع ذلك فإن قائمة تغييرات الملكية التي يقدّمها تشير إلى أنّه كان هناك عدد صغير من كبار ملاكي الأرض³، إذ كانت خمس أسر تحوز ما بين 100 و500 هكتار، في حين أنّ أسرة واحدة كانت تملك ألف هكتار، وكما يلاحظ هو بنفسه فإنّ الظروف ذاتها التي جعلت بإمكان البعض أن يركّز ثروته كانت مسؤولة عن القضاء على هؤلاء الملاكين الجدد خلال فترة زمنية قصيرة للغاية، والحقيقة أنّ المستعمرين كانوا يعارضون وجود ملاكين من الأهالي، ولو لم يعارضوا وجود زعماء قبائل فيهم ففي "أثناء المرحلة الأولى من الإدارة العسكريّة حاولت هذه أن تعيد بناء الإدارة التّركية عن طريق الاحتفاظ بالمراكز والألقاب ذاتها⁴، وتأمين المزايا الماديّة لرجال القبائل المتعاونين، ومع ذلك فإنّهم حدّوا من السّلطة الفعلية

1 - مغنية الأزرق، المرجع السابق، ص 62 .

2 - Xavier Yacono , La colonisation ,T2, op-cit ,pp 304-305.

3 - مغنية الأزرق، المرجع السابق، ص 62.

4 - المرجع نفسه، ص 61 .

لمساعدتهم المحليين وسرعان ما حوّلوا وظائفهم إلى مجرد ألقاب شرف، أمّا أولئك الذين جرت استعارتهم لخدموا في الأجهزة الإدارية الإشرافية (أي المكاتب العربية) ك مترجمين ومحرّرين ومحامين إسلاميين، فقد اكتسبوا أهميّة اجتماعية أكبر في أعين رجال القبائل بسبب قدرتهم على الوصول إلى الممسكين الجدد بالسلطة (وأن تكن هذه القدرة محدودة)، وضاعف من تقليص الوظائف القديمة لكلّ من الآغا والقايد تعيين أفراد من غير الأرسقراطيين لشغلها، حيثما تمردت القبائل المدارة.

هكذا ظهرت في المقدمة مجموعة جديدة بأكملها يشار إليها عادة من جانب الجزائريين باسم "الرّعاة"، وكانوا في الغالب من الأشخاص الأميّين الذين يتلقّون دخلا ضئيلا ولا يتمتّعون بأيّ أمان وظيفي، فقد كانوا يعيّنون ويفصلون في أيّ وقت.

ولكي يبقوا على قيد الحياة، كان هؤلاء الموظفون يمارسون سلطتهم المحدودة والمستعارة ليحصلوا على مزيد من الفائض من الجماعات التي كانوا يساعدون في إدارتها، وكانوا غالبا ما يفعلون ذلك بنزعة انتقامية، مبدّين في الغالب فظاعة وقسوة، وخاصة إذا عينا لدى جماعات لا تربطهم بها أية روابط اجتماعية، وبالتالي لا يشعرون اتجاهها بمسؤولية.

وهؤلاء لا يمكن بأيّ حال من الأحوال تعريفهم بأنهم أرسقراطية صاعدة، فإنّهم كانوا تحت ضغط من مستخدميهم لكي يفرضوا عددا متزايدا باطراد من الضرائب، ولأنّهم عاجزون عن أن يعيشوا حياة كريمة، ولأنّهم يقابلون باستنكار السّكان المحليين، فإنّهم كانوا صورة مصغرة لاحقايات الحكم الاستعماري، وكانوا يتعرّضون للوم المستعمرين الذين يعارضون الإدارة المحليّة ولم الجزائريين الذين كانوا يعترضون على الضرائب الباهضة، والحقيقة أنّ الإدارة الفرنسيّة احتفظت بكلّ الضرائب التي كانت الحكومة التّركية قد فرضتها، وفي العام 1874 اكتسبت هذه الضرائب طابعا أكثر توحيدا، وأضيفت إليها ضرائب جديدة مثل الضريبة على الأشجار¹.

وفي عام 1898 أمرت الحكومة الفرنسيّة العسكريين بأن يعرّزوا "سلطة الرّعاء المحليين وأن يعيّنوا على رأس القبائل والقرى فقط أولئك الأهالي الذين يتمتّعون بنفوذ موروث

1-Charles R. A ,Les Ageriens Muusulmans,op-cit, pp252 - 263

حقيقي على مواطنيهم، أو الأعيان الذين تتجاوز مكانتهم أي شك¹، وذلك حتى تكون طاعتهم من قبل الأهالي مضمونة، لذا "لم يكن يسمح بإعطاء مناصب لمتعاونين سابقين مجهولين أو لسعاة البريد أو الخدم الذين كانت فضيلتهم الوحيدة تفانيهم في خدمة الموظفين الذين يستخدمونهم"²، ومع ذلك فإن إعطاء المراكز الإدارية للأرستقراطية القديمة لم يستعد سلطتها ومكانتها الاقتصادية والاجتماعية، كما كان يطمح هؤلاء، فقد خيبت فرنسا أمالهم، وفي هذا الشأن "نقل المؤرخ رين (Rinn) رسالة أعرب فيها أحد أعضاء الأرستقراطية المتدهورة عن مشاعره اتجاه الإدارة الفرنسية "إنكم تضحكون بنا نحن الأجاويد الذين ساعدناكم ولا نزال نساعدكم... وهكذا على الرغم من كل جهودنا، على الرغم من الدم الذي أرقناه من أجلكم . فإننا لن نخلف لأبنائنا الكرامة التي خلفها لنا أجدادنا"³، ولقد أخذ بعض أعضائها فعلا المراكز التي عرضت عليهم و لكن هؤلاء كانوا ينتمون للمراتب الدنيا من السلم الهرمي البيروقراطي، وقد سهلوا اندماج أبنائهم في النظام الاستعماري حيث وفروا لهم تعليما فرنسيا.

أما المجموعات الجديدة التي إكتسبت مزيدا من الأرض خاصة في المناطق التي لم يكن المستعمرون قد توغّلوا فيها، فكوّنوا أرستقراطية جيّدة أقلّ ممّا كانوا "برجوازية ريفية"، ولا يبدو أنّ تدهور ما يشار إليه غالبا أنّه "الطبقة الوسطى الريفية" يشكّل تغييرا ذي مغزى في البنية الاجتماعية الجزائرية، وفي المراكز الحضرية أصبحت البرجوازية التقليدية التي كانت تتفاخر بروحها الإسلامية وأسلوب حياتها الراقى وعدائها للثقافة الفرنسية، أصبحت تدريجيا فئة اجتماعية هامشية، ونشأت محلّها فئة اجتماعية جديدة، تتألف من رجال أعمال ومصدّرين لمنتجات المزارع، وسماسرة وتجار غلال، وتبغ، بالجملة والمفرق، ومنتجي زيت، وملاك أراضي، وأصحاب فنادق، أمّا المنقّفون أي الأساتذة والمعلمون والقضاة الشرعيون، والمحامون، والمترجمون فكانوا يمثّلون قسما من هذه الفئة، وكانت هذه بمثابة شبه برجوازية لأنّه جرى تحجيم اندفاعها من قبل البرجوازية الفرنسية الفائقة القوّة، والتي تسمح لهذه الفئة بمعنى ما أن تعيش في ظلّها.

1 - Charle R.A ,Les Algerien muusulmans,op-cit, p 631.

2 Ibid , P 632

3- مغنية الازرق ، المرجع سابق ، ص 23.

الخمّاسون والعمل المأجور¹، كانت بين العمّال الرّيفيين فئتان اجتماعيتان جديدتان المزارعون والعمّال ويشير ياكونو² إلى "أنّه حتى عام 1902 كان الأفراد الذين يعيشون على الأجر وحدها نادرين للغاية، وقد تطوّر العمل المأجور نتيجة للأزمات الاقتصادية في أواخر القرن 19 التي جعلت المصادرات أسهل، وكانت الحجّة هي أنّ المستعمرين يحتاجون إلى مزيد من الأرض ليحافظوا على حركة الاقتصاد".

3-2- ظهور المجاعات والابئة:

لقد ساهمت المجاعة في بؤس وشقاء الجزائريين ممّا أدّى بقوافل المتضرّرين إلى الهجرة نحو المناطق التي يتواجد بها الأوروبيين، والتي لم تتضرّر بفعل المجاعة، وقد وصف بعض الرّهبان تلك القوافل بـ: "الهيكل العظمية الحيّة التي تمشي على الأرض"، وقد أورد تلك الأوصاف بعض الرهبان منهم راهب مدينة حجوط Marengo وراهب بومدفع وراهب تنس وراهب مليانة، وفي هذا الإطار يقول راهب مدينة بومدفع، ما يلي: "توافد على بستاني أطفال ورجال ونساء، فأخذوا جميعهم باقتلاع أوراق الشجر، والحشائش، وقد كانوا على هيئة الثعالب، وهي تلتهم فرائسها، وهذا ينافي عاداتنا"³.

وعلى إثر تراجع المحاصيل الزراعية والغذائية منذ 1865 بسهل الشلف، بسبب شحّ الأمطار واستمرار حالة الجفاف، وقد دام الجفاف الذي تعرّضت له المنطقة مدّة تزيد عن ثلاث سنوات خاصة عام 1967 كان يصل عدد الضحايا 30 يوميا بواد رهيو (in karmane- Relezane)، وذلك لجفاف الينابيع صيفا وشدّة البرد خلال فصل الشتاء، فانعدمت المون وتضرّر السّكان ويسترسل قائلا: "إنّ هذه الكارثة جعلتنا نرى قرى بأكملها تندثر عن بكرة أبيها وهناك 10/1 من الجزائريين حصدهم وباء الكوليرا، فمن مجموع تعداد 2500000 نسمة بلغ عدد الضحايا من جراء استفحال الوباء بـ 250000 في ظرف شهرين اثنين⁴، وفي هذا الصّدّد يذكر ياكونو أن سعر القمح وصل إلى 50 فرنك للقنطار،

1 - مغنية الأزرق، المرجع سابق، ص 63

2-Xavier Yacono , La Colonisation,T1, p 312

3 - سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر 1867- 1892، ط 1، دار الشروق للطباعة والنشر،الجزائر 2009، ص 280.

4 - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 - 1871، منشورات دحلب 2007، ص 123.

وهذا في الوقت الذي تدهور سعر الماشية، فقد وصل إلى سعر الثور إلى 25 فرنك أما الكباش فقد تراوحت ما بين 5 إلى 7 فرنكات أما البقرة، فقد بيعت بـ 30 فرنك، وأمام هذه الأسعار المتدنية فلم يعد للأهالي من ملجأ يحتمون به، فالأراضي صودرت والثروة الحيوانية استنزفت وهكذا اشتدت الضائقة على الجزائريين، وسكان المنطقة لدرجة أن لا فيجري يصف ذلك بالقول بأنه، وعلى طول الطريق المؤدية من العطاف إلى مدينة الأصنام، فإننا كنا نرى الجثث متناثرة على حافة الطريق بعدما أهلكها الجوع، حيث إنتشرت بينهم مجاعة شديدة أدت إلى هلاك عدد هام، وذلك في ظلّ قلة إنتاج القمح بفعل الجفاف، وبالتالي ارتفاع أسعاره الأمر الذي حال دون تمكن الأهالي من شرائه، والجدول الموالي يبين ذلك.

السنة	سعر القطار من القمح بالفرنك	يومية الفلاح بالفرنك
1848	40 – 30	1.5
1864	17.50	2 – 1.25
1868	معدل 24	1.50 – 1

وإزاء خطر المجاعة الداهم، والذي تضرّر منه الجزائريون أشعر إسماعيل عريان مستشار الإمبراطور نابليون الثالث حكومة بلاده بخطورة الوضع، ممّا حدا بالإمبراطور نابليون الثالث إلى أن ي كاتب الجنرال مكماهون، الذي عمد إلى التّضليل ولم يطلع الإمبراطور بما يجري وما حقيقة المجاعة وما خلفته، وممّا صرح به نابليون الثالث في هذا الصّدّد، هو: " عن فرنسا لا تريد أن يقال عنها في يوم ما أنّها تركت من كانوا تحت حكمها يموتون جوعاً"¹، هذا وقد نقل عن مكماهون في أكثر من مناسبة أنّ سكان التّل الأوروبيين الذين توجه إليهم المنكوبون الجزائريون كانوا أيضا في ضيق شديد وكرب، وذلك لقلّة مردود إنتاجهم الفلاحي، وأردف قائلاً: " إنّي طلبت من السّلطات المدنية أن تقدّم لهم يد العون، غير أنّ الأوروبيين خافوا من أن تنتقل إليهم عدوى الأمراض المتفشية في الأهالي، لذلك أعطيت

1 - المهدي البوعبدلي، "الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"، مقالة بمجلة الأصالة، العدد

08 ماي/ جوان 1978م العدد الممتاز، ص 312

الأوامر لضباط الجيش لإنشاء محتشدات لهم في كلّ من مليانة، والأصنام، وغيليزان، وتمّ حشد حوالي خمسة وأربعون ألف شخص¹.

إنّ تدخل السّلطات الاستعمارية الرّسمية، وكذلك الحاكم العام كان بطيئاً جدّاً ممّا فسح المجال أمام الكاردينال لافيجري لمواصلة نشاطه التّبشيري، لا سيما أمام الكمّ الهائل من ضحايا المجاعات والأوبئة، كما أنّ جمع الأهالي في محتشدات عسكرية كان الهدف منه توفير الأمن للأوروبيين بدل من إسعافهم من مخالب الجوع، وللزيادة في التفصيل نقول بأنّ الشّعير الذي كان يباع بـ 20 فرنك قد ارتفع إلى 22 فرنك بسهولة متيجة و35 بمنطقة القبائل و40 بمليانة و75 بالجلفة²، وفي فترة 1945 - 1947 مرّت ببطء شديد على السّكان بسبب المجاعات إضافة إلى فترة الجفاف الطّويلة، فيذكر نائب مدينة الجزائر السيّد: س. أو لوفايير (C.E Lefebre) صدقوني أنّ الطّرق مملوءة بالجثث أمّا الدكتور فرانشي (Franchi)، فقد قال أنّنا ندفن الأطفال والشيوخ الذين ماتوا بسبب الجوع³، وقد نشرت جريدة الأقدام قائمة بأسماء الأهالي الذين ماتوا من الجوع في شلف وعمي موسى وفي البلّيدة، ووجه صالح سي هني إلى المحافظ أثناء مروره في منطقة شلف، هذا الكلام "الأهالي لم يعودوا يجدون موارد في دوارهم فجاءوا إلى مدينة يستعطفون القلوب الرّحيمة". فقد كان سبب الأزمة أنّه غداة الحرب تمّ تسخير السّفن لصالح الجيش، وقلة وسائل النّقل، وبطء تلك الوسائل المستعملة، وارتفاع أسعار المنتجات الفلاحية، وصعوبة الاتصالات الدّاخلية إلى حدّ

1- يذكر عتبة الجيلاني بن عبد الحكم في هذا الإطار: "وأما السيّد الحاج عبد الحكم بن أحمد بن عبد الله والسيّد بن عودة والسيّد جلّول، فإنهم نتقلوا من الشلف ونزلوا قرب سيدي امحمد بن أبي عبيدة، واشتروا أرضاً من أولاد أبي عبيدة، ولا زالوا أولادهم الآن ساكنين هناك بعد ما أخذت الدولة أرضهم الكائنة بالشلف واشتراها الخوريّ (الباباس)، وقسمها على المجنسين الذين ألجأتهم الفاقة عام 1284هـ وجمعوا منهم قريتين قرية تسمى سان سبريان، وقرية تسمى سانت مونيك" المرأة الجلّية في ضبط ماتفرق من اولاد سيدي يحي بن صافية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط1، مطبعة ابن خلدون، الجزائر، 1953، ص 98.

2- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 102 - 106 .

3- محمد قريشي، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى اندلاع الثورة التحريرية 1949-1954، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الموسم 2002-2003، ص 140.

كبير، ارتفاع الأسعار خلال الحرب، وارتفعت أسعار الموارد الاستهلاكية كثيرة، فتقهقرت القدرة الشرائية¹.

وقد وصف بعض الكتاب الجزائريين على هذا العام عدة أسماء منها المجاعة العظمى والمصبغة الكبرى أو عام النشر²، الراسخ في ذاكرة الشعب الجزائرية إلا أن سكان سهل الشلف هم المتضررين بهذه الفاجعة، وهذا ما أكدته التقارير الفرنسية يمكن أن نلخص الأسباب التي أدت إلى المصبغة الكبرى في النقاط التالية:

3-2-1- زحف الجراد:

إن جميع المصادر التاريخية أجمعت على نفس السبب الأساسي في حدوث هذه المجاعة تتمثل في اجتياح الجراد عبر كل التراب الجزائري، وذلك ابتداء من سنة 1864 ليصل إلى قمته مع بداية 1866³، حيث الوسط البلاد هو الذي تأثروا بالخصوص في مقاطعة تنس وواد الشلف هذا لأن مرور الجراد كان أسبق من فصل الحصاد، فحسب الإحصاءات المحلية والجهوية أن الجراد أكل كل المراعي وأفسد القمح والشعير... أما فيما يخص الحدائق والمحاصيل تأثرت كثيرا خاصة الأشجار التي أكلت حتى قشرتها⁴، وقدرت الخسائر في مقاطعة الجزائر بـ 13.9 مليون فرنك وألحق الخسائر بوهران وفي العديد من النواحي، وبالخصوص زمّورة، فقد كان مجموع الذي أتلّف 34.061 من بينهما 30.783 هكتار من حبوب و1406 هكتار من النباتات البقولية، والباقي يتكوّن من الزراعات العلفية والنبات صناعية⁵، وبذلك فقد الناس إنتاجهم وتعرضوا لضائقة مالية شديدة⁶، قد شمل كل إنسان وبقي ضرر محفوظ في ذاكرة إلى يومنا هذا⁷.

1- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 26-29 .

2- الحسين جيلالي بن فرج، "استغلال الكنيسة الكاثوليكية للمجاعة 1868 في نشر المسيحية في حوض الشلف، وردود الفعل المحلية"، الملتقى الوطني الأول الأمن الغذائي في الجزائر، عبر التاريخ، مدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2013، ص 44.

3- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 163 .

4- الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 226 .

5- المرجع نفسه، ص 227.

6- سعيدي ميزان، المرجع السابق، ص 276

7- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 231.

3-2-2 الجفاف والقحط:

وإلى جانب موجة الجراد التي كانت سبب في المجاعة، نجد عاملا آخر وهو الجفاف والقحط، وهذا الأخير كان سببه قلة في سقوط المطر، وعلى أثره تراجع مخزون المحاصيل الزراعية والغذائية منذ 1865 بسهل الشلف بسبب شح الأمطار وحالة الجفاف، وقد دام الجفاف الذي تعرّضت له المنطقة ما يزيد عن ثلاث سنوات خاصة 1867، كان يصل عدد الضحايا 30 فرد يوميا بواد رهيو، وذلك لجفاف الينابيع صيفا وشدة البرد خلال الفصل الشتاء، فانعدمت المؤونة وتضرّر السكان¹، وهذه الظاهرة جاءت جرّاء المجاعة التي أصابت البلاد، حدث ذلك في عام الشر²، وقد وصف فيتال في إحدى رسائله لإسماعيل أوربان يوم 1867م، قال فيها إنّ الأخبار السيئة ترد علينا من نواحي عمالة قسنطينة الغلال ضاعت، والمواشي بدأت تموت، والكلّ فاقد الأمل بسبب الجوع والعطش... كما أنّ المواد الغذائية ارتفعت أسعارها بشكل كبير، وهذا ما أثار دهشته، ولذلك بعث رسالة أخرى في 25 جوان 1867 يقول فيها بأنّ سعر القمح بلغ من 100 فرنك للصّاع الواحد وأنّ سعر الشعير بلغ 45 فرنك للصّاع الواحد، بحيث كان يباع عند الحرث بـ 26 فرنك للقنطار في السوق³.

3-2-3 الزلزال:

وفي جانفي 1867 ضرب زلزال عنيف مس مدينة البليدة⁴، وضرب متيجة وموزاية والعفرون والشّفة، الأمر الذي جعل سكان تلك المناطق في ضنك من العيش⁵، وادى إلى خراب كبير وبقاء العديد من العائلات دون مأوى ولا معيل⁶، حيث أشارت إليه جريدة المبشر، وذلك عن طريق نشرها رسالة بعث بها الحاكم العام لحكّام العملات الثلاث يوم 12 جانفي وفيها وصف مخالفة الزلزال، وفي الرّسالة يستحدث حكّام العملات عن أن ينشطر في

1- الحسين الجيلالي بن فرج، المرجع السابق ص 46.

2- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 165.

3- ابراهيم لونسي، بحوث في تاريخ الاجتماعي، والثقافي للجزائر، إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013، ص44.

4- الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 191.

5- المبشر جريدة يومية، يوم 17 جانفي 1867.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق، ص 152.

جمع التبرعات لضحايا الزلزال ويقول لهم أيها المحب إن أهالي مملكة الجزائر قد حلت بهم داهية (كذا) ولا يخافكم من أدرج في الأوراق الخيرية من شديد المصائب التي نزلت بوقوع الزلزلة يوم 2 جانفي وإنها أخرجت (كذا) أربع قرى وأحواش كثيرة¹.

3-2-4- التيفوس ومرض وكوليرا:

ظهر عام 1866 بشكل محدود واشتد خطره عام 1867²، فهو ينشر بسهولة إذا وجد الأرضية الخصبة وهو ما يعني حالة المجاعة وقلة الأغذية، لاسيما أن الوباء يتزامن مع فترة الشتاء والربيع وحسب التحليلات فمنطقة الوسط هي أكثر تضررا ما بين 12 إلى 15% من ضحايا 1868 وما بين 72000 إلى 90,000، فالمجموع العام ما يقارب 200.000 ضحية هو بالتقريب الخمس³، وفي نفس سياق يذكر أن 10/1 من الجزائريين حصدهم وباء الكوليرا ضمن مجموع 250000 نسمة، بلغ عدد الضحايا من جراء استفحال الوباء بـ250000 في ظرف شهرين اثنين⁴، وفي سنتي 1941 - 1946م 12000 حالة تيفوس أدت إلى 300 حالة وفاة في سنة 1942 و 1943 ازدادت الإصابة بالتيفوس لتردي الظروف المعيشية⁵، وهذا راجع إلى قلة المراكز ووسائل الصحة، فلم يتجاوز عدد المستشفيات في الجزائر 149 مستشفى منها 12 مستشفى عسكري، وبها طاقة استيعاب ضعيفة، فعدد الأسرة بكل هذه المستشفيات لم يكن يتجاوز 26037 سرير أما المراكز التي توجد في المراكز النائية سوى مراكز بسيطة لحفظ جثث الأموات من الجزائريين، أما الغرب الجزائري لم يكن هناك أي طبيب ولا أية خدمات صحية، فالطبيب الوحيد التي كلفته الإدارة الاستعمارية لزيارة هذه المنطقة كان يقطن بعيدا عنها بأكثر من 26 كلم، وكان يقوم بجولة في شهر فقط وهناك 6 شاحنات وهي مستوصف متنقل منها ثلاث شاحنات تقوم بمهامها

1- المبرش جريدة يومية، يوم 17 جانفي 1867

2- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 163.

3- الجبالي صاري، المرجع السابق، ص ص 195-196.

4- بقطاش خديجة، المرجع السابق، ص 123.

5- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والاشهار وحدة الطباعة الروبية، 2014، ص 258.

في مدن سطيف، شلف وتقوم بجولة مرة في الشهر¹، وفي منطقة الشلف تم تدشين مستشفى سان سيبريان بالعطّاف تقوم لتقديم الإسعافات، فالأخوات كن يقصدن الأهالي في جبل والمغارات والأكوخ²، وكانت وسائل التّطبيب عند الجزائريين طبّ طبيعي تقليدي من خلال الأعشاب³، وهذا لم يكن كافيا ورغم هذا أدّى لهلاك عدد كبير من الأهالي، فيذكر إبراهيم الونيسي أنّه ورد في التقارير التي رفعت للهيئة التشريعية بتاريخ 20 مارس 1867 إنّ عدد ضحايا الكوليرا يقدر بـ 89.557 من بينهم 86.791 أهلي، وكان هذا المرض يتزايد يوما بعد يوم في القرى والمداشر والأعراش بشكل كبير، وبالضّبط أين تكثر الأحياء القصديرية⁴، وحسب تقدير "دي ونفير Dewenpffer" في 23 ماي 1868 والذي أشار إليه عبد الحميد زوزو يقول ففي ناحية أورليان فيل بلغ مجموع الوفيات 12,851 من مجموع السّكان البالغ 80.000 نسمة أي ما نسبته 16% وذلك في فترات 15 أوت 1867 وفتح شهر جوان 1868، وفي مركز تنس التابع لقسم المدني بلغ عدد الوفيات 2315 من مجموع سكان 6.004⁵.

يذكر جيلالي صاري أنّ النّازحين القاصدين البليدة يصلوا إلى المدينة بشقّ الأنفس ليموتوا، هناك فقد سجل من نوفمبر 1867 إلى ديسمبر 1868 في الشلف حوالي 60 مليانة وشرشال، وهي الدّواوير القريبة من هاتين المدينتين تقريبا 30 دوار، والونشريس ما يقرب الـ 20 ومستغانم والمدينة والمغرب 15 تقريبا أمّا نواحي الأخرى، مثل تنس وتيارت ووهران، فهي أقلّ تمثيلا أقلّ من 10 لكن حالات كثيرة بقيت غامضة وغرب البلاد هي الصّدارة الشلف (الأصنام والدّواوير والقرية مليانة)⁶، ومن المظاهر المؤلمة التي تقشعرّ لها الأبدان من جزاء هذه المجاعة ما صوّرته لنا بعض الكتابات، ومن ذلك: حاجة النّاس إلى

1- محمد قرشي، المرجع السابق، ص113.

2- سعدي ميزان، المرجع السابق، ص431.

3- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 60.

4- إبراهيم لونسي، بحوث في تاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013، ص ص 46، 47.

5- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 119.

6- الجليلي صاري، المرجع السابق، ص ص 35، 36.

الموارد الغذائية مما أدى بهم إلى أكل جذور الحشائش أكل الحشائش وأوراق الأشجار والحيات والكلاب، كما أنّ الأهالي نبشوا القبور وأكلوا جثث الموتى، ومن لم يفعل ذلك مات جوعا، وفي هذا الصدد ذكر صالح العنترى "إنّ الفقراء أكلوا ما لا يحل أكله، وكذلك الأغنياء الذين أفقرتهم المجاعة السّوداء وخلت ديارهم من المخزون وتلفت الحيوانات لفقدان العلف أيضا"¹.

لقد صارح المجتمع الجزائري المجاعة المتلاحقة وتدهورت حالة الفقراء في المدن، ولوحظ أنّ النّكب لم تصب المناطق التي استوطنها الكولون بشكل كبير، وإنّما أصابت الأراضي التي بها الأهالي أي الفلاحين، وبذلك اتّضحت أنّ المسألة ترجع إلى الإهمال والإفقار التي اتبعتها السّلطات الفرنسية مع السّكان²، وهكذا تعني السيطرة على نصف مليون هكتار حرمان ثلاثة أرباع سكان المنطقة، ولم يكن هذا الحرمان يمس الجانب الاقتصادي، فحسب بل مست الجوانب الاجتماعية والنفسية أيضا، فقد أفقدت السياسة الاستعمارية الفلاحين أرضهم واضطرتهم إلى الهجرة وعاشت أعداد كبيرة منهم حالة من الفقر نتيجة البطالة التي أصابت قطاعا واسعا من سكان الرّيف، والحق أنّ هذه السياسة ترتّبت عنها انعكاسات سلبية، تتمثّل خصوصا فيما يلي³:

أ . أدّى صدور هذه المراسيم وتطبيقها إلى هبوط في تربية المواشي بسبب الاستيلاء على الأراضي التي كانت صالحة للرعي، وتأثّر بشكل مباشر هذا الوضع التقليدي لنشاط القبائل الاقتصادي، وتعرقلت بل توقفت في أغلب الأحيان حركة قطعان الماشية الموسمية من الجنوب إلى الشّمال، وكذلك تأثر على النشاط التجاري المترتب على تربية الماشية، إضافة إلى الآثار المترتبة على غذاء المواطنين، حيث أنّ اعتمادهم الأساسي في هذا على اللحوم.

ب . أدّت هذه السياسة الاقتصادية الاستعمارية كذلك إلى هجرة عدد كبير من المواطنين الذين لم يتمكنوا من التكيف مع الوضع الجديد، أو الذين رفضوا هذه السياسة غير قادرين

1- صالح العنترى، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 15.

2- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص 152،

3- جيلالي بن فرج حسين، المرجع السابق،، ص ص 70 .

على مقاومتها، وكانت هذه الهجرة داخلية إلى المدن أو المناطق الجرداء البعيدة عن التأثير الغربي الاستعماري وخارجية إلى المغرب، وسوريا، وفرنسا، ودول أوروبية أخرى.

ت - إن هذه المراسيم والإجراءات اجتذبت عددا من المرابين، والمضاربين على الأرض لا في البيع والشراء فحسب، بل أيضا في القروض التي يقدمونها لأصحاب الأرض لدفع الضرائب والرسوم على الأرض أو إقامة دعاوي بسبب المصادرة أو الحجز أو غيره، وهذا الإقراض مقابل فائدة يتقاضونها من المالكين عينا أو نقدا، وكانت نسبتها مرتفعة في كثير من الأحيان حيث تصل إلى حد 120%¹.

ث - أدت هذه السياسة إلى اختفاء المؤسسات لقبلية التقليدية التي كانت تساعد الفلاحين حين يكون المحصول سيئا، وعلى سبيل المثال نتيجة لتملك الإدارة الاستعمارية لأرض الحبوب تم إلغاء الزوايا بصفقتها مؤسسات تقليدية كانت تساعد الفلاحين، لكن يجب أن نشير إلى أن تلك الزوايا كانت إقطاعية في بعض الأحيان حيث كانت تقدم الإعانات للفلاحين لتحفظ بسلطتها، ولتستفيد أيضا من الوضع الاقتصادي القائم.

و - كما تدهورت عادة خزن الحبوب التي كانت تساعد الفلاحين في المواسم غير المنتجة، وكانت لتلك العادة فوائد يجنيها الفلاح في وضع اقتصادي إقطاعي ومن ثم رأسمالي لا تتوفر فيهما على أي حال الضمانات المعيشية المستقرة لحياة الفلاح وأسرته، لذا كان الادخار وخزن الحبوب عادة يستفيد منها الفلاح في الأوقات، والظروف الصعبة التي تواجهه، وباختصار كان الرّيف هو الذي واجه هذه الصّعوبات، وكان الرّيف الذي يشكّل قوة الانتاج الحقيقية ومركز النّقل السّكاني أكثر من عانى من الاستيطان الاستعماري، ولذلك كان ردّ فعله عنيفا عن طريق الثّورات والتمردات المسلّحة التي قامت بها القبائل، ولم يكن الدّافع الاقتصادي هو الوحيد وراء هذه الثّورات، فهناك أسباب أخرى عديدة إلا أن إنزاع الأرض من الفلاح كان المحرك الأساسي لثورته.

1- طاهر بن خرف الله، "التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري 1830-1962م"، مجلة الذاكرة، العدد الثاني، 1995، ص 154.

إنّ وجود هذه الأعداد الكبيرة من المستوطنين الفرنسيين الأوربيين في الجزائر لمدّة طويلة كان له تأثير ثقافي، حيث أنّ وجود مجتمع أجنبي داخل المجتمع المحلي لمدة قرن ونصف القرن تقريبا قد أثر بطريقة مباشرة في ثقافة الشعب خاصّة، إذا أخذنا بالاعتبار أنّ سياسة الاستعمار الثقافي والقضاء على الشّخصية الوطنية للشّعب العربي في هذه المنطقة كان مخطّط لها من ضمن الأهداف الاستعمارية التي سعت إليها فرنسا طبقتها في المنطقة، وكان من النّتائج أيضا أن توسّعت الهوية بين طائفتين من السّكان الأصليين والجدد، وما انفكت تتوسّع حتى حدث الانفجار الكبير سنة 1954 .

3-3 تدهور المستوى المعيشي:

النّتيجة الأخرى التي يمكن أن نضيفها إلى النّتائج أو الانعكاسات الاجتماعية، والتي يمكن أن نتوصّل إليها في إطار الكلام عن زعزعة البنى المختلفة من جرّاء هذه السياسة الاستيطانية التوسعية، هي زعزعة علاقات الأفراد بالملكيّة وتكسير المؤسسات التقليديّة القبليّة التي كانت تساند السّكان الرّيفيون في نشاطاتهم اليومية، وهو الأمر الذي سننتطرق له عند الحديث عن الانعكاسات الاجتماعية للاستيطان الأوروبي في منطقة الشلف.

لقد أدخل المستعمرون الفرنسيون مؤسسة الزّراعة، كبديل أكثر اقتصادية عن نظام المشاركة في المحصول (المحاصصة)، فالنظام الأخير كان يمكن أن يكون باهظ التّكاليف خاصة إذا كان الخماسون يفلحون أرضا جيّدة، أمّا المزارعون الذين يستأجرهم المستعمرون الفرنسيون الأفراد والشّركات الخاصّة، فكان يتمّ التّعاقد معهم سنويا فقط وكان يتعيّن عليهم أن يدفعوا إيجاراتهم الأساسيّة نقدا، وكان هؤلاء يشكّلون 3،12% من مجموع السّكان الرّيفيون العاملين أمّا العمل الرّيفي المأجور، فكان يتألّف من ثلاثة أنواع :

_ عمّال موسميّين وشبه دائمين ودائمين فكانت أجور العمّال الموسميّين تتباين من 1،50 فرنك يوميا إلى 1،75 فرنك للرجال، ونصف فرنك للنساء والأطفال.

_ أمّا العمّال الدائمون فكانوا يتقاضون 300 فرنك في السّنة، ولم يزد إدخال نظام المزارع والعمل المأجور وإلا خلق مجموعة مميّزة من النّاس، كما كان أنصار عملية الاستعمار يدعون غالبا، وفي الحقيقة أنّ الحسابات المبنية على معدّل الأجور بالنسبة لكلّ هكتار مفلح

من الأرض قد برهنت على أنّ العمل المأجور، قد خلق وضعاً "أقلّ فائدة من وضع الملاك الصّغير الذي كان يستطيع أن يفلح عشرة هكتارات من الأرض كلّ سنة"¹. وباعتبار أنّ الأرض لم تعطي، فهي لا تبخل عكس العمل المأجور الذي يتحرّك إلاّ بنسبة قليلة، لقد ساءت حال المشاركين في المحصول نتيجة لإدخال المكننة في الزراعة، وقلّت المكننة من اليد العاملة الفلاحية، ولم يعد الفلاح الجزائري يشارك في إنتاج الحقول والمزارع أو الضيعات التي يفلحها، وسرعان ما تحوّل هذا الفلاح إلى عامل مأجور يعير خدماته كعامل موسمي في أرض المستعمر، بينما يقوم بمهمة محاصصة بالنسبة لمالك الأرض. وهناك فئة أخرى تتواجد تحت الخمّاسين وهي فئة جديدة من الرّجال الذين كانوا يعيشون على إحسان أقاربهم وأصدقائهم، وغالبا ما كان هؤلاء يملكون قطعة أرض صغيرة للغاية يزرعونها ببقول الفول وبربون عليها الدّواجن وقليلاً من الماعز، وهي ظاهرة لازالت قائمة في اقتصاديات الرّيف الجزائري، وكان عدد هؤلاء يقدر بنحو 60 ألف شخص عند نهاية القرن، فهي تشكّل إذا بروليتاريا ريفية رثة، وكانت هذه البروليتاريا الريفية مصدر قلق للمديرين المحليين الذين كانوا يخشون أسفين أن تسبب لهم يوما ما حرجا شديدا، وقد نظر بشكل صحيح إلى الوضع على أنه يرتبط بالافتقار العام للمجتمع المحلي، مع ازدياد تدهور هذه البروليتاريا بغير شفقة مهدّدة باكتساح البنية الاستعمارية كلّها في أعقابها، ويلاحظ أحدهم هنا "أنّ تدهور الشّعب المحلي إلى حالة بروليتاريا يشكّل خطرا جسيما بالنسبة للمستقبل، فسوف يحرمننا هذا أقوى وسائل التأثير في الجنس المنقرض، أي الخوف من العزل، سيثير في المستعمرة مسألة اجتماعية يكمن أكثر ما فيها حدّة في أنّها ستترافق مع كراهية عنصرية ودينية"²، لم تبق هذه البروليتاريا لوحدها في الرّيف، بل تعزّزت "بظهور بروليتاريا صناعية حديثة التّكوين"، هذا و قد ازدادت معيشة السّكان سوءا بعد تدهور حالتهم الصّحية، ذلك أنّ الخسائر المرتفعة في الأرواح التي سجلت في العقود الأولى من العهد الاستعماري، كان سببها حدوث الأوبئة التي نشرتها الجيوش الفرنسية عبر المناطق العديدة، وأدّى إلى سقوط

1- مغنية الأزرق، المرجع السابق، ص 64 .

2- Charle Robert Ageron ,Les Algeriens Muusulmans,op-cit, p 846.

الأهالي بين صرعى المرض التي زعزعت قبائل برمتها¹، وتحولت أحياء الجزائريين إلى حقول خصبة لظهور، ونمو الأمراض المعدية وأصبحت مناطق لزراع الموت البطيء، وأصبحت ممنوعة على المستوطنين خوفا على أنفسهم من نقل عدوى المرض²، فقد شهدت منطقة الأبنام سوء في الأحوال الصحية والمعاشية خلال القرن التاسع عشر وفي هذا الصدد ذكرت جريدة المبشر إصابة الأهالي بالجدي بناحية ثنية الأحد من أولاد ونساء³، وذكر أحد المؤرخين في هذا الصدد أنه في عام 1847 وصل الجدي إلى منطقة تنس وفي الشهر ماي الموالي أصيب أهل ثنية الأحد بهذا الداء وأحدث خسائر حيث أصيب ثلث السكان⁴.

أما بناحية مليانة اشتد ألم الوباء، حيث ازداد مرض المسلمين، فقرّر طيب المكتب العربي معالجة المسلمين الأهالي حيث بلغ عددهم نحو 745 مسلم ومنح الأدوية إلى 440 شخص كان مريضا، وبلغ عدد المرضى الذين تمت معالجتهم في فترة حدوث هذا الوباء بتلك الناحية حوالي 1185⁵، ويجمع كتاب مؤرخو الحقبة الاستعمارية على أن السواد الأعظم من الشعب الجزائري كان يعيش في حالة بؤس لا مثيل لها فقرا مدقع يتقلب فيه أمراض فتاكة لا وقاية منها ولا منقذ من شرّها فلقد كانت الأوبئة تضيق فتكها إلى الجوع، وفي سنوات معدودة قتلت حمى التيفوس التضحية مئات الآلاف من الجزائريين⁶، وأوردت المبشر في أحد أعدادها، أنه توفي العديد من الجزائريين نتيجة تفاقم الوباء إلى أقصى درجة حيث بلغ في وطن آغا بني مسلم حوالي 122 شخص، أما بوطن أولاد بن رياح 45 شخصا بالإضافة إلى أولاد صبور 45 من الأهالي وفتك أيضا حوالي 68 شخصا ببني وراغ⁷. كما ذكرت المبشر أن منطقة شرشال هي الأخرى لم تسلم من اجتياح مرضى

1- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص 36.

2- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 25.

3- المبشر، جريدة يومية عدد 05-02 ذي الحجة 1263، الموافق لـ 15 نوفمبر، 1847.

4- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 77.

5- المبشر، العدد 12.81 ربيع الأول، الموافق لـ 15 ماي 1851، ص 337.

6- أحمد حداد، الشيخ أحمد حماني وقاضيا عصره 1915 - 1998م، رسالة مقدمة لنيل ماجيستر في تاريخ المجتمع المغربي-2008، ص 20.

7- أحمد بن بلة، مذكرات احمد بن بلة، ط3، دار الألب، بيروت، 1981، ص 48.

الجدري لها، حيث أصيب العديد من الناس بهذا الداء، مما أجبر الكثير إلى زيارة الطبيب لاستعمال التلقيح¹.

لقد عاود انتشار الوباء في المناطق التالية: الجزائر ومليانة بالإضافة إلى الأصنام²، كما أن الجزائر لم تعرف فقط مرض الجدري، لقد كانت عرضا لانتشار أمراض فتاكة كانت تؤدي بالآلاف، فهاز عدد المصابين بالسّل مثلا نصف مليون جزائري ونسبة وفيات الأطفال نحو 50% ونسبة الأطباء طبيب واحد لكل 50 ألف جزائري³ إلى جانب انتشار حمى المستنقعات واضطرابات المعدة والالتهابات الرئوية والتيفوتيد والحصبة⁴، وتسمّم مياه الآبار والمنابع والمجاري بفعل الجراد⁵، ورغم هذا الوضع الصحي المتدهور للجزائريين إلا أنهم رفضوا التلقيح حيث صدر في 18 جوان 1948 قانون يحدد شروط التلقيح، لكنهم اصطدموا برفض الجزائريين لذلك.

وقد تناولت أيفون توران (Yvonne Turin) بإسهاب مشكلة رفض التلقيح ضدّ الجدري في كتاباتها (Affrontements Coloniale dans l'Algérie)، والتي تعني "الصدام الثقافي في الجزائر المحتلة"، وهذا بين أنّ الجزائريين ينفرون التلقيح ضدّ الجدري⁶.

عبّرت المصالح الصحيّة في البلدة وفي المكاتب العربية بالأصنام ما بين 1848 - 1850 عن الصّعوبة التي تتلقّاها مع المسلمين رغم إقناعهم بفعالية التّقنية الفرنسية لاعتقادهم أنّ الهدف من التلقيح هو ترك علامة بارزة في أطفال العرب المسلمين، فقد كان أن صدر قانون يعتبر جزء من استراتيجية الاحتلال القائمة على "العلاج من اجل الهيمنة"، وفي نهاية المطاف ظلّ الأطفال الجزائريين عرضة للموت والعمى⁷. فالخسائر البشرية الهائلة جرّاء الأمراض والأوبئة⁸، فقد سجلت أعداد كبيرة من الضحايا، حيث كانت الجثث

1- المبشر، عدد 22.39 جمادى الأولى 1267، الموافق ل 15 أبريل 1851.

2 المبشر العدد نفسه .

3- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص ص 8 - 9.

4- حورية مايا بن فضة، المرجع السابق، ص 81.

5 عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 113.

6- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 83.

7- المرجع نفسه، ص 80

8- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 25.

المرمية على الطرقات والحفر والسواقي، كما وجدت جثث نهشتها الحيوانات¹، فقد كان هنا اختلاف في الإحصائيات فيذكر الأب برونزي قائلاً: "أنه ليصعب التعرف على العدد الحقيقي للضحايا لكن مجموع الذين ماتوا خلال شهرين مائتان وخمسين ألف شخص²، وقدّر جيلالي صاري عدد الضحايا بمليون نسمة ما يعادل ثلث السكان".

1- محمد قريشي، المرجع السابق، ص 54.

2- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 107.

4- الإنعكاسات في المجال الثقافي:

4-1- سياسة الفرنسية:

أمّا في الجانب التعليمي فحاولت الإدارة الفرنسية جعل اللغة الفرنسية لغة سيّدة في الجزائر، لقد أعلن الفرنسيون منذ الأيام الأولى لاحتلالهم للجزائر، أنّ هدفهم هو إخراج الجزائريين من مرحلة التّوحش والتّخلف إلى مرحلة التمدّن والتحضّر، ولكن لا يمكن لهم القيام بذلك إلا عن طريق إحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلاميّة القائمة، وأحسن وسيلة لتحقيق هذا الهدف هو تكوين فئة جزائرية قابلة للاندماج والدّوبان في المجتمع الفرنسي، والانقطاع والانسلاخ عن ماضيها وتراثها اللّغوي والدّيني، وبذلك تصل الإدارة الاستعماريّة في الجزائر إلى هدفها الأسمى، وهو جعل المجتمع الجزائري مجتمعا متفرنسا لغة ودينا ونظما.

إنّ الإدارة الاستعمارية عند سعيها لنشر اللّغة الفرنسية في أوساط الجزائريين كانت تدرك تمام الإدراك أنّ الشّعب الذي يفقد لغته الأصليّة ليكتسب لغة الغير، إنّما يكتسب في الوقت نفسه ثقافة وأسلوب وحياة المستعمر الناطق بتلك اللغة إذ ينحصر اهتمامه باكتساب المعرفة من المنشورات والكتب التي يصدرها المستعمر، وفي الأخير يجد هذا الشّعب أسيرا لحضارة جديدة مفروضة عليه يتفاعل معها ويتعاطف مع المستعمر في قضاياها ومشاكله¹، لهذا رأت الإدارة الاستعماريّة ضرورة محاربة اللّغة العربيّة في الجزائر لأن بقاء هذه اللّغة في أوساطهم سيثكّل العقبة الكبرى في طريق فرض سيطرتها التامة والنّهائية على الجزائر، التي لا يمكن لها أن تتحقّق إلا بفرض اللّغة الفرنسيّة على الجزائريين².

ومما لا شكّ فيه أنّ عدد الجزائريين العارفين باللّغة الفرنسيّة عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر كان لا يتعدّى بعض الشّخصيات القليلة جدا والمحصورة في مدينة الجزائر، والتي كانت على احتكاك بالفرنسيين، ولذلك فقد شرعت سلطات الاحتلال من بداياتها الأولى في

1- La Revue Africaine, 1857 p 74

2- أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ، ص 93-94.

نشر اللغة الفرنسية في أوساط الجزائريين، حيث سمحت في البداية لبعض الأهالي بالالتحاق بالمدارس التي قامت بفتحها في المنطقة لأبناء المعمّرين¹.

4-2- سياسة التنصير:

أما في المجال التنصيري، فقد تمثّلت الخطة التنصيرية للكاردينال لافيغري في منطقة الشلف من خلال خوضه لتجربة استيطانية فريدة من نوعها، تمثّلت على وجه الخصوص في تجميع اليتامى من الجزائريين عامّة ومن سكان الشلف خاصّة، والذين أنهكتهم المجاعة والفقر خاصّة بعد السنوات العجاف التي عرفت الجزائر بين سنتي 1867 و1868، حيث تمّ إنشاء قرى استيطانية خاصّة بهم في سهول الشلف لعزلهم عن مجتمعهم الأصلي العربي الإسلامي، أملا منه في أن يكون جيلا جديدا من شأنه أن ينصهر في أتون الحضارة الأوروبية المسيحية².

ارتبطت البدايات الأولى لنشاط لافيغري³ في الجزائر بحدوث مجاعة رهيبة مع بداية 1867م، بحيث تعتبر هذه الأخيرة من أبشع الكوارث التي حلّت بالجزائر عامّة وسهل شلف خاصة لكثرة الخسائر البشرية⁴، ممّا أدّى بقوافل المتضرّرين إلى الهجرة نحو المناطق التي يتواجد فيها الأوروبيين، والتي لم تتضرّر بفعل المجاعة تذكر بعض المصادر أنّ هجرات ريفية قدمت نحو الجزائر من الشلف ومليانة المدية بلديات صور الغزلان عين بسّام سيدي عيسى، وفي نفس الصّدّد يذكر جيلالي صاري أنّ سكان منطقة بلدية وخاصّة المدينة، فإنّ سكّانها تكاثروا بفعل الهجرة الريفية، ولقد تضاعفت في 1868.

1 - La Revue Africaine, 1858 p 419

2- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 163.

3- لافيغري: هو شارل أنطوان مارشال لافيغري Charles Antonines Martial Lavigerie ولد 31 أكتوبر 1825 بوير (قرب بابون على سفوح جبال الزبيبي بفرنسا) درس في المدرسة الكليريكية الصغرى للدراسات الأسقفية بروسور 1840 دخل إلى المدرسة الكليريكية سان نيكولا سارس في 1843 لبس لافيغري بهذا المعهد لباسا إكليركيا وهب نفسه لخدمة الكنيسة، تولى لافيغري عدت مناصب دينية في 1866 عين أسقفا لجمعية مدارس الشرق، والتي هدفها نشر المسيحية، ومن هنا بدأت المسيرة التبشيرية الميدانية، في 1867 عين مطرانا للأسقفية بالجزائر، 1869 عين لافيغري مندوبا رسوليا باباويا بمنطقة الصحراء وإفريقيا، وتوفي في 26 نوفمبر 1892، في قصر هبسانت أوجين ببولوجين بالجزائر. ينظر: أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 سيدي مزيان، المرجع السابق ص 31-35.

4- المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 312 .

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

لقد وصل الحاصل إلى 365 على مجموع 600، وهو ما يعادل 60% ولكن في الواقع هو 71.4% من الفترة التي تمتد من جانفي إلى أبريل¹، والجدول الآتي يبيّن نموّ حركة الهجرة في مدينة الجزائر ونسبتهم المئوية².

المهاجرين إلى مدينة الجزائر		الإحصاء السكاني	المكان
النسبة المئوية	عدد المهاجرين		
		356.890	الجزائر
	//	132.140	مناطق أخرى
11%	11	14.650	صور العزلان
7%	7	9.650	المدينة
4%	4	4.940	مليانة
3%	3	3.720	الشلف
1%	1	1.600	البليدة

ومن المظاهر المؤلمة التي تقشعر لها الأبدان من جراء هذه المجاعة ما صوّرتة لنا بعض الكتابات، ومن ذلك: حاجة الناس إلى الموارد الغذائية، ممّا أدّى بهم إلى أكل جذور الحشائش أكل الحشائش وأوراق الأشجار والحيات والكلاب، كما أنّ الأهالي نبشوا القبور وأكلوا جنث الموتى، ومن لم يفعل ذلك مات جوعاً، وفي هذا الصّدّد، ذكر صالح العنتري "إنّ الفقراء أكلوا ما لا يحلّ أكله، وكذلك الأغنياء الذين أفقرتهم المجاعة السّوداء، وخلت ديارهم من المخزون، وتلفت الحيوانات لفقدان العلف أيضاً"³.

لقد صار المجتمع الجزائري المجاعة المتلاحقة، وتدهورت حالة الفقراء في المدن، ولوحظ أنّ النكب لم تصب المناطق التي استوطنها الكولون بشكل كبير، وإنما أصابت الأراضي التي بها الأهالي، أي الفلاحين وبذلك اتّضحت أنّ المسألة ترجع إلى إهمال والإفقار التي اتّبعتها السّلطات الفرنسية مع السّكان⁴.

1- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 43.

2- محمد قريشي، المرجع السابق، ص 146

3- صالح العنتري، المرجع السابق، ص 312.

4- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 152، 153.

بداية من شهر نوفمبر 1868، تمكّن الكاردينال لافيغري من شراء خمسة قطع من الأراضي بلغت مساحتها 1330 هكتار، وهي بالأساس ملك للشيخ بن يحي - أغا سابق لقبيلة العطاف - وكذا الحاج خوجة - قايد سابق بنفس المنطقة - كذلك بعد أن أثقل كاهلها بالضرائب والديون وأثقلت أراضيهم بأربعة وعشرين رهنا، وهكذا فقد وضعت تلك الأراضي للبيع في المزاد العلني بمجلس قضاء البليدة¹، وقد كلف الكاردينال لافيغري الطبيب روش بمتابعة عملية البيع بالمزاد وهكذا فقد كثر الإقبال على تلك الأرض وقد ارتفعت أسعارها من 87925 فرنك إلى 92419 فرنكا وقد صارت القطع الأرضية من نصيبه منذ 18 جوان 1869، وبعدها بـ 15 يوم بعث الكاردينال لافيغري الأب قيباس (Guysse) مقتصد ملجأ ابن عكنون مع الطبيب روش لمعاينة الأرض وقد تركزت ممتلكات الكاردينال لافيغري بالمنطقة الممتدة من عين الدفلى حاليا إلى وادي الفضة، حيث يشمل: (العطاف، وسيدي بوعبيدة، الشيخ بن يحي، وادي روبنة)، وفي هذا الصدد أنشأ الكاردينال لافيغري بتاريخ 26 فبراير 1873 (société civile des orphelinats agricole d'algerie) عملها الأساسي في إنشاء وتطوير مؤسسات الإحسان بالجزائر، الملاجي، دار الأيتام، المستوصفات. كما كان يهدف إلى عزل أولئك الأيتام عن المجتمع الأوروبي، بحيث سيجدون أنفسهم في نسق اجتماعي لا يناسبهم بسبب العزلة التي ستفرض عليهم لاختلاف جنسهم، ومن جهة أخرى رفض تواجدهم مع مجتمع عربي مسلم لكون ذلك قد يؤدي بهم إلى الرجوع إلى دينهم².

وقد كتب لافيغري إلى مدير مدارس الشرق يقول: "في احد السهول الجزائرية ووسط سلسلتين جبليتين إحداهما تمتد نحو البحر (الظهرة) والأخرى مكوّنة للهضاب العليا (الونشريس) تمتد سكة حديد الجزائر وهران، وهناك يجري نهر الشلف ويحيط به بحيرة تيكزال لقد كان يوجد بالمنطقة مستوطنة رومانية مسيحية لأننا عثرنا على آثار لكنيسة اليوم

1- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 105.

2- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 328.

نصبت بها قرية، تمثل واحة وسط الصحراء¹. لقد دشنت قرية سان سيبريان في 15 مارس 1873، وقد حضر حفل التدشين لافيغري نفسه.

لقد أودع لافيغري 26 أسرة عربية مسيحية جزائرية في قرية سان سيبريان، ثم أضاف 24 أسرة أخرى بقرية سانت مونيك تخليدا لأخت القديس أوغسطين والتي دشنت في أوت 1875، وفي ذات السياق فقد فتح الكاردينال لافيغري بجوار القريتين العربيتين المسيحيتين مستشفى بقرية سان سبريان لتقديم الإسعافات، كما كانت الأخوات يقصدن الأهالي في الجبال، والمغارات، والأكواخ لتقديم الرعاية الصحية، وفي مقابل ذلك نشطت حركة مضادة تزعمها بعض شيوخ المنطقة وفي هذا الصدد يصف الشيخ الجليلي الفارسي (أحد تلامذة الشيخ عبد الحميد ابن باديس) الوضع الثقافي في مدينة الشلف بعد دخول الاحتلال الفرنسي فيقول: "إن مدينة الشلف (وهي نقطة مركزية في سهول الشلف الخصيبة، ومحطة وسطية بين مدينتي الجزائر ووهران) كانت كأغلب مدن القطر، ليس فيها حركة علمية، وليس بها أي أثر للتعليم العربي الإسلامي، بل هي من المدن التي أناخ عليها الاستعمار الأوروبي بكلاكه، وابتز كل ما حولها من السهول الخصبة والأراضي الممرعة وأنشأ بها لنفسه حدائق وجنات وقصورا عاليات، وجثم على أهلها جثوم الهّم على الصدر الكئيب، وطبعهم بطابع الثقافة الأجنبية وسدّ في وجوههم منافذ الأهوية العربية المنعشة، وأذكى نيران التّحاسد والتّنافس على خدمته بين عائلاتها، وصيرّ أنسهم وحشة وسعادتهم شقاء، ونعمتهم بلاء، وغناهم فقرا، وسيادتهم عبودية، وعريّتهم أعجمية، وأسنّتهم أوروبّية، وأخلاقهم جاهلية، حتى كاد يزيل الطّبائع عن مواضعها، ويستبدل الغرائز بأضدادها²".

رغم أنّ الشيخ الفارسي يقصد انعدام التعليم العربي الذي تقوده جمعية العلماء، إلاّ أنّه دليل على انتشار الفرنسة والتّغريب في المدينة خاصّة بين فئة الشباب، وهذا نفس ما لاحظته أحد العلماء حينما زار المنطقة سنة 1936، فقال: "ولا عيب يجده زائر الأصنام فيها إلا بعد شبابها عن الثقافة العربية إلا من رحم ربك³".

1- الشيخ بو عمران، التنصير في سهل الشلف، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، عدد نوفمبر 2007، ص 113.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، المرجع السابق، ص 247.

3- جريدة البصائر، العدد 35، في 18 ديسمبر 1936.

لقد انحصر التعليم وبأسلوبه التقليدي في مناطق جانبية ريفية من المنطقة بعيدة عن صخب المدينة، وقاد هذه الحركة العلمية الكثير من المدارس والزوايا العتيقة، تلك المدارس التي أخرجت أفواجا كثيرة من طلبة العلم النجباء والعلماء المتميزين، والذين أصبح لهم صيت واسع وشهرة كبيرة يقصدهم طلاب العلم من سائر الأقطار، لهذا نجد الشيخ أحمد حماني يشيد بعلماء المنطقة في العهد الاستعماري قائلا: "وقد اشتهر الشلف بالمعاهد، والتزام أصحابها بإتقان علمهم، واستظهارهم للقرآن، ولمتون كتب التوحيد، والفقه، وشهر عنهم أنهم يحفظون متن المختصر والرسالة كما يحفظون القرآن، ومنهم من ختم دراسة المختصر مرارا، وكانوا يرتحلون في طلب العلم وينهلون من معاهده في الشرق والغرب، ويصلون في المغرب إلى القرويين، وإلى الزيتونة بتونس، وقد يتجاوزون إلى القاهرة، وكلّ منهم لا يرجو أن يحقق منزلة دنيوية من علمه بل العكس، لأنهم يعلمون أنّ الإدارة الاستعمارية لا تتوقع من غرضهم نفعاً لها، ولهذا كانت تناصبهم العداوة والحرب النفسية والتضييق عليهم في معاشهم ومراقبتهم¹"، وعلى هذا ينبغي التنويه بدور مدرستين عريقتين في منطقة الشلف كان لهما الدور الكبير في الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي، ألا وهما مدرسة مجاجة ومدرسة الحاج بن شرقي (الحاج المشرقي) بالعطّاف.

أدت السياسة الاستيطانية في المنطقة إلى تدمير الحياة الاجتماعية جرّاء الاضطرابات التي عرفت بالمجتمع الجزائري عامّة، ومنطقة الشلف خاصّة وفي مقدّمتها عمليات التهجير والتقتيل الجماعي، بالإضافة إلى إنشاء مستوطنات وأخذ أجود الأراضي على حساب الجزائريين، كما صادرت أكثر من 20 ألف هكتار في المنطقة الواقعة بين واد الفضة وواد سلي (الجزء الأوسط من سهل الشلف) وهي أجود الأراضي الزراعيّة بالإضافة إلى مصادرة 36 ألف هكتار في المنطقة الواقعة بين واد رهيو وغيليزان (الجزء الغربي من سهل شلف)، وذلك نتيجة مساندة الأهالي للمقاومات بالإضافة إلى أزيد من 20 ألف هكتار أخرى واقعة بين العطّاف وخميس مليانة (الجزء الشرقي لسهل الشلف)²، وذلك بالتحالف مع فرنسا،

1- أحمد حماني ، وفاة العلامة الشيخ الجليلي الفارسي رزق عظيم، يومية المساء، يوم 30 جوان 1994.

2- شارل روبيير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق ، ص 45.

مقابل الاعتراف لهم بحقوق الملكية من هؤلاء المتحالفين في المنطقة نجد القاضي سي هني¹ في مجّاجة.

وعائلة سيدي لعربي في غليزان ومنطقة فليته²، حيث قدرت الأراضي المستولى عليها في منطقة الشلف خلال ق 19 مما يزيد من 60 ألف هكتار هذا دون احتساب المساحات الزراعية المحيطة بتلك المراكز الاستيطانية، فإنّ العدد يرتفع إلى أضعاف³، و بالمقابل تهيمش السّكان المحليين ممّا دفع بالكثير منهم للتّراجع إلى المناطق الجبلية حيث البؤس والفقير⁴، وكانت منازلهم عبارة عن خيم لا تقفل معرضة للريّح والمطر مصنوعة من جلود البقر القذرة، وينامون فوق الأرض الصلبة⁵، بمقابل المعمّرين كانوا يملكون منازل فارهة الجمال، ويعيشون حياة ماديّة مترفة، أما الفرد الجزائري كان له مستوى معيشي متردّيا حيث يتناول في طعامه الرّديء ثلث القمة الغذائية التي يتناولها الفرد الأوروبي.

ترى التّقارير التي أعدت بمنطقة وادي الفضة بالونشريس من موظفي الإدارة المختلطة عام 1950م بأن 10000 فرنك فرنسي قديم المدخول العام للجزائر، وكانت موجّهة للغذاء والملبس وإعالة عائلة تتكوّن من 6 أفراد طيلة عام كامل، ولهذا لم يكن غريبا أن يتغذّى هذا المواطن على حبّات الدّرى، وعلى الحليب في أحيان نادرة، ولا يستهلك القهوة والسكر إلّا نادرا، وليس هناك مجال لاستعمال الزيت والصابون، فالوضع المتدهور قابله من جهة أخرى

1- سي هني: من أشرف مجّاجة، حيث نسبت إليه مدرسة، وله زاوية كبيرة القدر يقصدها المتعلمون والمضطرون، وشهرتها تغنى عن التعريف ثم صار أمرها قائم إلى ولده قافي القضاة على دائرة الأصنام قاطبة الشيخ محمد وله جاه معتبر وكلمة نافذة كان سي هني من أولاد السيد محمد بن السايح صاحب الأخلاق المرضية ورغم ماله وجاهه، فقد كان مشغولا البال بعبادة ربه وكان معتكفا على تعمير المساجد أجداده مثل مسجد سيدي أحمد بن علي ورتب فيها العلماء للتدريس وان يجالسهم ويكرمهم، فهو الذي بنى لمجّاجة المجد والكرم بعد سيدي محمد بن علي اشتهرت به مجّاجة. ينظر: محمد عيساني، المرجع السابق، ص 108. بينما يرى سعد الله أن عائلة سي هني هي التي مكنت الاحتلال الفرنسي بالمنطقة بعد تحالفها مع قوات الاستعمارية ضد المقاومات الشعبية التي عرفتها المنطقة وقد نالت أوسمة تدرج جل أفراد هذه العائلة تقريبا في عمل القيادة عند السلطات الاستعمارية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق، ص 127.

2- عبد اللطيف بن أشهنو، المرجع السابق، ص 27.

3- Xavier Yacono, La Colonisation, T1, op- cit, p258.

4- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 7.

5- هاينريش فون مالتسان، المرجع سابق، ص 149.

تطور مذهب للمستوى المعيشي وارتفاع دخلهم السنوي¹، فبالنسبة إلى مهن المعمّرين كانت تختلف من عمّال محاجر، ومطاعم ومخابز، إلى جانب البقالين، والحلاقين، بالإضافة إلى أنّ العسكريين كانت لهم الأولوية في توزيع الأراضي الزراعيّة سنة 1855 خلال تقسيم الأراضي الزراعيّة الخاصّة بزماله الصبيح بالقرب من مركز وادي السلي ((Malakoff الذي تمّ إنشائه سنة 1869 تحصل 15 عسكري على أراضي زراعية تراوحت بين 3 إلى 5 هكتار للفرد الواحد، حيث تمّ توظيفهم كحدّادين، بنّائين، نجّارين ومصلحي عربات بالإضافة إلى فلاّحين اشتغلوا في إنتاج الخضر والحبوب لتغطية احتياجاتهم العائلية من خلال استغلال الأراضي التي منحت لهم، أما بالنسبة للعامل الجزائري يعيش حالة مزرية للغاية إبّان الفترة الاستعمارية يفقر فيها إلى أدنى الحقوق الإنسانية، فقد كان يعاني من ضغوطات خصوصا فيما يتعلّق بالوقت، حيث يقطع مسافات طويلة للوصول إلى مكان عمله، يجابه فيها التعب والتضاريس المنطقة الجبلية الصعبة ومناخها القاسي سعيا وراء أجر زهيد مقرون بأقصى أنواع الإهانة والذلّ، وحين يصل إلى المنجم متأخرا بدقيقة واحدة يفصل نهائيا عن العمل، واستخدمت سياسة التقيّف في الأجر بحجّة كثرة اليد العاملة، وقلة المال، فمثلا الأجور لم ترتفع عن فرنك ونصف يوميا ما يعادل إلى حوالي ربع ما يتقاضاه العامل الأوروبي ونسبة ضئيلة من الجزائريين ممّن يحتفظ بمنصب عمله بصفة دائمة، فالعامل الجزائري يقوم بواجبه الذي يحتمّ عليه التّحمل.

وما هذا إلى نوع من السياسة الاستعمارية الهادفة إلى استغلال الأهالي وتسييره إلى صالحها، ممّا دفع الجيلالي بونعامة ورفقائه إلى شنّ إضراب استمر لخمسّة أشهر 1952/10/2م والذي يعدّ من أهمّ التّطورات السياسيّة التي عرفتها منطقة الونشريس²، كما أنّ المجتمع الشّلفي مجتمع زراعي ونتيجة توسّعات الاستيطانية، تحوّل الفلاح تدريجيا إلى أجراء خمّاسيين، وفي أسوأ الحالات عند المعمّرين يشتغلون من قبل طلوع الشّمس إلى

1- محمد قريشي، المرجع السابق، ص 60-71.

2 محمد عيساني، تطور النشاط الاستيطاني، المرجع السابق، ص 104.

الغروب مقابل أجر زهيد لا يسد الرّمق في غالب الحالات¹، والخريطة التّالية تبين التوسّع الاستيطاني على مدى امتداد نهر الشلف.

وهكذا بدأت الإدارة الاستعمارية في تثبيت العنصر الأجنبي بالمنطقة والقضاء على العنصر المحلي، حيث أصبح الفرد الجزائري من طبقة الكادحة في المزارع الكولون التي كانت ملكه². فعملت كذلك على استتباب الأمن والاستقرار في المنطقة من أجل المستوطن لإنجاح عملية الاستيطان، فقامت ببذل جهدها من أجل القضاء على المقاومات في الشلف التي أبداها سكّان المنطقة ضدّ المستعمر فاقترفت جرائم وحروب وإبادة في حقّه³، وهذا ما أدّى إلى ارتفاع معدّل الوفيات في وسط السّكان حيث تراوحت التّناقص الديموغرافي في فليتا والظّهرة والونشريس ما بين 30% و60%، وهذا راجع لارتكاب مجازر في حقّ سكّان الشلف⁴، وعموما فقد عرف حوض الشلف ارتكاب العديد من المجازر في السّكان الجزائريين العزل من طرف الإدارة الاستعمارية، وفيما يلي نماذج لأبشع تلك المجازر.

3-4 - القيم المجتمعية:

4-3-1_ التّجنيس والفرنسة:

إنّ معظم الجزائريين من سكان منطقة حوض الشلف الذين تتصّروا بالقرى المسيحية المذكورة سالفا، والتي أنشأها الكاردينال لا فيجري خصيصا لهذا الغرض، تحصّلوا بالضرورة على الجنسية الفرنسية بعد المدة القليلة لإقامتهم في تلك القرى حيث تخلّوا عن أحوالهم الشّخصية الإسلامية، وأكثر من ذلك فقد تمّ تزويجهم وفقا لقواعد الديانة المسيحية بمسيحيات أوروبيات حيث تمّ تسجيل العديد من الملبسات والانحرافات القانونية التي خضعت لها عملية تزويج اليتامى الجزائريين، وقد وقعت أول عملية تزويج لليتامى سنة 1872م أثناء تدشين كاتدرائية السيّدة الإفريقية، والتي تمثل حالات تكتنفها الغرابة علما بأنّ الجوع والفقر هما العاملان الأساسيان اللذان استغلها الكاردينال لافيغي في عملية تنصير العديد من الجزائريين، لذلك فإنّه وبعد إدبار سنوات المجاعة منع لافيغي الاتّصال بين الأطفال، وما

1- الجيلاني عتبة بن عبد الحكم، المرأة الجليلة، المصدر السابق، ص 151 - 152.

2- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 03.

3- محمد عيساني، تطور النشاط الاستيطاني، المرجع السابق، ص، 36.

4- ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 222 .

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

بقي لهم من أسر وقرابة، وقد تدخلت السلطات الاستعمارية، وطلبت منه ألا يحرم أولئك الأطفال من الاتصال بأسرهم.

وبذلك ظهر فريق من الجزائريين يحملون أسماء غريبة، ولما سعى الكاردينال لافجري وخلفاؤه من بعده أن يمنحوا لهؤلاء المنتصرين أراضي رفض المعمرون ذلك ولم يعترفوا بهم كمسيحيين، وهكذا عاش كثير من هؤلاء التّعاسة في هذه النّاحية مذبحين يحملون أسماء مثل: روبرت بن عبد القادر، وجوزيف بن عبد الله، وقد ظلمهم السّكان المسلمون وصاروا يسمونهم بـ "المطورنيين"¹ أي المتجنّسين إلى أن انقضوا قبل الحرب العالمية الثانية، حيث لم يبق منهم إلا بقية ضئيلة جلت مع المعمّرين عند استقلال سنة 1962م²، والجدول الموالي يبيّن عينة من هذه الفئة.

الاسم واللقب	تاريخ ومكان الزواج الديني	تاريخ التجنس	تاريخ ومكان الزواج المدني
بن عيسى فرونسوا	كنيسة السيدة الافريقية	1872/07/02 1874/05/21	سان سبريان 1875/08/30
زيتوني جلول ماتيو		1873/03/13 1875/03/15	سان سبريان مرسوم 1874/04/17
سان سبريان		1876/01/11	سان سبريان مرسوم 1875/12/11
قويدر لويس		1876/01/11	سان سبريان 1874/08/29
علي ويس أنطوان		1873/10/22	عين الدفلى 1875/04/15Duperre

فيما يخص مسألة الذين تنصروا في منطقة الشلف، فان تنصيرهم لم يكن عن قناعة، وانما الظروف الاقتصادية والاجتماعية هي التي دفعت بهؤلاء الى التنصر من اجل الحصول على بعض المكاسب والامتيازات المادية، فوضع هؤلاء لا يختلف عن وضع الجالية الجزائرية التي هاجرت الى فرنسا من اجل البحث عن فرص العمل او هؤلاء الذين تجندوا في صفوف الجيش الفرنسي، فعادة ما نجد الجزائريين المنتصرين يبقون متمسكين بمبادئهم

1- بوعزة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال ق 19، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحرة الوطنية، وثورة نوفمبر خاصة، ص 128 - 129 .

2- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 312 - 312.

وافكارهم وقيمه الروحية والوطنية، وخير مثال عن هذا الجزائريون المتفرنسون ومساعدتهم للثورة التحريرية .

4-3-2- قانون التلقيب وآثاره على الأسر الجزائرية بمنطقة شلف:

عمدت السُلطات الاستعمارية إلى تفكيك الأسر الجزائرية عن طريق سنها لمرسوم 1882 القاضي بتسجيل الأسر في سجلات الحالة المدنية (قانون التلقيب)، وهذا لعدة أغراض منها: الخوف من تكتلهم وقيامهم بثورات ضد سلطة الاحتلال، وكذا لكسر شوكتهم وتمزيق الصلة الدموية بينهم ليصبحوا فيم بعد لا ينتسبون إلى بعضهم البعض، من حيث الحسب والنسب، فتتلاشى المحبة فيما بينهم وتذهب ربحهم، كما وقع هذا مع ذرية أولاد سيدي بلقاسم بن ميرة الذين كان عدد كبير منهم في جيش الأمير عبد القادر، وما حدث لذرية بن ميرة من تفكيك وتمزيق هو ما حدث لمعظم الأسر الجزائرية¹، في نفس السياق فقد أدت السياسة الاستعمارية في المنطقة إلى خلق حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي، جراء الاضطرابات التي عصفت بالمجتمع الجزائري في مقدمتها عمليات الإبادة والتّهجير والتقتيل، التي أعقبت الثورات الشعبية على رأسها ثورة سيدي لزرق 1864م، والتي كانت بلاد فليتا ميدانا خصبا لها وما فتئت أن شملت بلاد بني وراغ وبني مسلم وكل المنطقة تقريبا، حيث فرضت جوا من اللأمن، مما اضطرّ القوّات الفرنسيّة إلى ممارسة سياسة الأرض المحروقة، وهذا ما ورد على لسان لاباسي (Lapsset) منذ جوان 1864، كان التالي:

02 جوان: تم حرق أراضي قبائل الظهرة.

03 جوان: ضربت كل قبائل المنطقة.

04 جوان: إخضاع جميع القبائل.

14 جوان: اختراق منحدر واد رهيو من طرف طابور لاباسي وروز وإحراق قرى مكناسة².

ومن خلال هذه القراءة يتّضح الاضطهاد الوحشي الذي آلت إليه المنطقة عقب ثورة فليتا، والتي نتج عنها مصادرة الألاف من الهكتارات، ونفي أكثر من 300 نائر إلى جزيرة كورتي بكورسيكا وكاليدونيا الجديدة، زاداها حجم الضرائب القاسية والغرامات المالية

1- محمد بن اسماعيلي، المرجع السابق، ص ص 78-86

2 - Annie Rey, Goldzeigeur, Le Royaume Arabe, La Politique Algerienne De Napoléon III, 1861-1870, P 301-

المفروضة على السكان التي شكلت موردا هاما للاستعمار، ونقلنا عن ابن اشنهو يقول ل - بوليو: «أنّ الضرائب العربية هي التي أمّنت الإيرادات الأكثر ضمانا تصاعديا للاستعمار... لا يمكن إظهار نوايا الضرائب العربية أكثر من ذلك من جهة الخدمات التي وفّرتها للمعمّرين. يجب أن لا ننسى أنّ هذه الرسوم كانت مرهقة وكان من الأفضل تخفيفها في بعض الظروف بدلا من زيادتها كما يقترح أحيانا المعمّرون¹.» شملت الرسوم على المسكن والسوق والحيوانات والطرق... ومما أدّى إلى تفاقم المأساة، هو تحالف بعض التيارات المحليّة من الأرستقراطية المحليّة انطلاقا من السياسة الاستعمارية القائمة على استعمال المخزن بالخصوص خلال الثورات المسلّحة كوسيلة لاختراق ومحاصرة القبائل الجزائرية، وهو ما شكل طبقة مخزنية وطبقة الأجواد وقسما من الأرستقراطية الدينيّة من بعد "في منطقة مينا والشلف اشتهرت أسرة سي العربي" التي تعتبر من أقدم العائلات في عمالة وهران، والتي أدارت منطقتي مينا والشلف السفلي خلال فترة الأتراك، وحتى عقد الأربعينات من القرن التاسع عشر، نجدها منطوية بنفس القيادة خلال العقدين التّالين، ويعين خليفة على المنطقة "سي ابن عبد الله ولد سي لعربي" كضابط سامي وحامل وسام جوق الشرف ابتداء من 1865 وتقلدت من بعده شخصيات أخرى من هذه العائلة وظائف قيادة، مثل "محمد ولد بن عبد الله، وقدر ابن علي ولد بن عبد الله وشعبان ولد الحاج محمد ولد سي لعربي وسي لكحل وعلي"²، وفي ذلك تذكر قولدزيقار: «إن القيادة الفرنسيّة اتّبعّت توجيهات الخليفة سي لعربي، والذي ورد عنه التالي: «إذا اردتم إحكام السّيطرة على غليزان وقراها التي أصبحت ملجأ لعدوان فليتا والمتحالفين معهم من القبائل الأخرى، يجب أن يرحل هؤلاء إلى السّنغال وجزيرة كيان، أمّا القبائل الستة الأخرى من الشّرفة التي دفعت بالآخرين إلى الثّورة صادروا أراضيهم ومنحوها للكولون إنّها الوسيلة الوحيدة للحصول على سلام دائم لضمان عدم المواجهة في المستقبل بما لا يعرض هيمنتكم للخطر³.

1 - عبد اللطيف بن اشنهو، المرجع السابق، ص 65 .

2 - مهديد إبراهيم، "الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن 19م والرأسمالية الاستعمارية، إشكالية الاندماج الاجتماعي"، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، العدد 04، جانفي . أبريل 1998، ص ص 79 . 80 .

2 - Annie Rey Goldzeiguer, op-cit, p308,

كانت الثورات إحدى وسائل الممارسات الاستعمارية في إخضاع الفرد الجزائري انطلاقاً مما كتب "الاقتصادي المستوطن ليري بيوليو (Lury pyoliot) في هذا الشأن أنه من الخطأ عدم الاستفادة من الثورات العربية لاحتجاز الأراضي لأجل الحضارة، وهذا ما يفسر عمليات المصادرة التي تمت بالمنطقة، والتي مسّت الكثير من العروش التي شاركت في الثورة"¹، ونتيجة لعمليات الإبادة والإبعاد، التي تعرّض لها السّكان أدرجت المنطقة ضمن المناطق الأكثر بؤساً صورتها الكتابات الفرنسية خلال زيارة نابليون الثالث سنة 21 ماي 1865 لمواساة مستوطني المنطقة والتّخفيف عن معاناتهم جراء ثورة 1864 والاطّلاع على المشاريع الاستيطانية منها سدّ مينا، وهو في أوساط الحشود البائسة المتظاهرة تلتمس منه رفع الإجراءات العقابية المتخذة في هذا الصّد. يذكر أوكتاف تيسي (Octave Teissier) في الشأن، قائلاً: "مر صاحب الجلالة أمام العرض والسوق، فإذا بموجات بشرية من الأهالي تعدت 2.000 برونس أحاطت بعربة الإمبراطور التي توقّفت، بحيث يتعذر وضع القدم على الأرض من شدّة الجموع.. أغليبتهم قاتلوا ضدنا في السنة الماضية، لقد أرادو من جلالته إطلاق سراح أبناءهم المساجين المحتجزين لدى فرنسا"².

ومع ذلك فإنّ هذه الزيارة أدّت في الواقع - إلى اقتناع الإمبراطور بحجم الخطر الذي يحيط بمستوطني المنطقة رغم إعلانه العفو الشّامل على بعض المساجين، سيما وأنّ المستوطنة منحصرة بين جبال الظّهرة وجبال الونشريس المتميّز بالاضطراب وبضرورة إنهاء المشاريع الاستيطانية في مقدّمها السّد في الخزّان-بمينا لري 25.000 هكتار من الأراضي الخصبة لتنمية الزراعة الأوروبية بالخصوص منها الصّناعية وخلق وحدة عسكريّة لحماية المستوطنة.

لقد قادت السياسة الاستيطانية إلى ارتفاع معدّل الوفيات في أوساط السّكان، الأمر الذي هدّد الوضع الديمغرافي في المنطقة كنتيجة لعمليات إفقار الفرد الجزائري ففي مواطن فليتا والظّهرة والونشريس " تراوح التناقص ما بين 30 إلى 60 بالمائة، وفي مجال مينا وأولاد بوعفان 65.7 بالمائة وأولاد بوعلي والونشريس وحول غليزان 62.4 بالمائة، وفي بني زنطيس على سفوح الظّهرة 58.5 بالمائة... وبأولاد يايا بجبال زمّورة لم يبق 1869 إلا

1 - Henri Ahmed , La Colonisation Agraire Et Le Sous-Developpement En Algerie , Snd 1981 , P 35 .

2- Teissier Octave , Napoleon III , En Algerie , Paris 1865 , P 182.

791 فرد من مجمل 2460 فرد الذين شملهم إحصاء 1866، ما يمثل خسارة ب : 67.8 بالمائة¹، وعلى مستوى بلدية غليزان نقرأ من خلال جلسة بتاريخ سنة 1866م من خلال مناقشة ميزانية 1866 أنّ المفوض المدني أقرّ بإدراج 200 فرنك لأجل تسديد تكاليف الدواء الموجه إلى الأهالي، بسبب الأمراض التي اجتاحت البلدية بكثافة ولقد اضطرّ ذلك الأمر ونظرا لانتشار الحمى وجّه طبيب الاستيطان طلبا شمل ضرورة العمل على توزيع دفعات من الأدوية على العائلات المحتاجة مبلغ 220 فرنك، وقد وافق رئيس البلدية على ذلك بموجب المادتين 80-81-84، وما يجب الإشارة إليه هنا أنّ هذه المساعدات المادية جاءت في إطار الحدّ من ظاهرة انتشار الأمراض والأوبئة المنتشرة حتّى لا تصل إلى دائرة المراكز الاستيطانية، حيث الكولون كما يلاحظ قيمة المساعدات الضئيلة المخصصة للقضاء على الأوبئة².

يتّضح من خلال ما سبق ذكره الخلل الذي أصاب الخريطة الديمغرافية في المنطقة في المنطقة، وحجم التناقص السكاني، وزوال قبائل في حدّ ذاتها، الأمر الذي أدى إلى كسر روح المقاومة والعصيان ضد السلطة الاستعمارية، مع أنّ المجتمع السكني بالمنطقة خلال فترة ما قبل الاستعمار كان يعيش حالة من الاستقرار والثراء، والذي تعدّ الخيمة المصنوعة من الصّوف إحدى مظاهره، والجداول التالية توضح أهمّ القبائل التي سكنت المنطقة، والنّمط السكاني لكلّ عرش قبل الاحتلال في ظلّ استقرار الوضع الاقتصادي القائم على التّكامل بين حرفتي الزراعة والرّعي³:

أ- / بني مسلم:

مجموع السكان	الاطفال	الإناث	الذكور	البيوت	القرابي	الخيام	القبيلة
6088	3084	1400	1604	01	818		بني مسلم
1887	714	606	567	06	304		أولاد صابر
1807	665	590	555	20	284		الشكالة

1- Annie Rey Goldzeiguer, op-cit, p 453

2- A.C.R. Budget 1866.

3- عابد سلطانة ، المرجع السابق ، ص ص 128-133.

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

ب/- قبائل الظهرة:

مجموع السكان	الأطفال	الاناث	الذكور	البيوت	القرابي	الخيام	القبيلة
4433	1247	1490	1696	867	444	897	مازونة
2781	887	980	914	46	305	283	المدبونة

ج/- قبائل سهل الشلف:

مجموع السكان	الأطفال	الاناث	الذكور	البيوت	القرابي	الخيام	القبيلة
2290		576	821	893	69	520	لمحال
5414	1500	1866	2048	03	140	1041	عكرمة الشراقة
10477	400	4287	5790	19	30	276	الصحاري
4339		1286	1485	1568	148	690	اولاد خويدم
2613	721	900	992	08	154	479	اولاد سيدي بوعبد الله
5061	939	2014	2108	08	667	651	اولاد العباس

د/- قبائل بني وراغ:

مجموع السكان	الأطفال	الاناث	الذكور	البيوت	القرابي	الخيام	القبيلة
16558	6030	5472	5056	08	274	2619	بني وراغ
5180	1980	1328	1872	98	169	438	مكناسة
3937	1396	1272	1269	39	129	463	مطماطة
4790	1531	1361	1898		133	689	بني تيغرين
5232	1979	1687	1566			936	الحلوية
1227	479	412	336		15	226	المعاصم
5504	2120	1805	1579		42	890	الكرائش

ه/- قبائل فليتة:

مجموع السكان	الأطفال	الاناث	الذكور	البيوت	القرابي	الخيام	القبيلة
2729	879	960	890	04		505	أولاد سيدي احمد بن احمد
767	359	216	192	04	10	129	اولاد سيدي يحي بن احمد
1244	585	267	392	02	45	264	الشوالة
1904	605	677	622	04	122	362	اولاد سيدي يحي

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

1603	508	515	580	16	17	320	العمامرة
1477	505	541	431	02	05	270	الحرارثة
2259	734	744	781		07	425	اولاد عامر
2172	729	732	711	77	20	356	الحساسنة
1277	458	403	416	01	03	233	اولاد سويد

ما يلاحظ أنّ جل السّكان يسكنون الخيام لملائمتها للنّشاط الرّعوي والفلاحي، كما أنّ البيوت اقتصرت فقط على الأعيان من أمثال أولاد سيدي لعربيي بعرض أولاد سيدي بوعبد الله، وأولاد سيدي الشّادلي، بأولاد يعيش إلى جانب الاستقرار السّكاني الذي ميّزه حالات الاكتفاء الذاتي، والجدول التّالي يمثّل حالة التّفهقر السّكاني في بعض القبائل بالمنطقة التي مسّتها القوانين التّشريعية ما بين 1867 - 1897:

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	أولاد عباس قرواو اهل القورين	6452	5.333	17.018 هـ

12.865 هـ اقتطع منه 4.153 هـ لخلق عين كرمان - واد رهيو، دوار واريضان الحق خلال هذه الفترة في جزء منه ببلدية عين كرمان وجزء منه بالبلدية المختلطة رنو سيدي أمحمد بن علي.

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	أولاد احمد القبايبي اولاد عدي بلناصل	3.991	4.265	21.966 هـ
1897-1867	المحال واد الجمعة واد الحامول	2.679	2.870	9.907 هـ

تمّ اقتطاع 1.091 هـ لخلق مركز فيري - واد الجمعة - الوارنين واد الجمعة وواد الحامول يشكّلان جزء من البلدية المختلطة زمورة.

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	أولاد معلة	2.482	2.628	8.672 هـ

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة العمرانية الفرنسية على منطقة الشلف

دوار أولاد معلة في هذا الفترة جزء تابع لبلدية يّلل المختلطة.

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	أولاد سلامة	1.123	1.354	3.681 هـ

الدوار تابع حاليا للبلدية المختلطة رنو، سيدي امحمد بن علي.

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	أولاد خويدم مرجة قرقر عبد القوي توراس	4.493	5.841	25.643 هـ

تمّ اقتطاع 5.409 هـ لخلق مركز سانت ايمي - جديوية - و عين كرمان - واد رهيو دوار التوارس جزء منه خاضع لبلدية عين كرمان وجزء للبلدية المختلطة عمي موسى ودوار عبد القوي جزء منه تابع لبلدية واد رهيو - عين كرمان وجزء منه لسانت ايمي - جديوية.

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	أولاد سيدي بوعبد الله التاغية	2.377	2.604	25.643 هـ

الدوار في هذه الفترة تابع للبلدية المختلطة رنو.

السنوات	القبائل الدواوير	السكان/ن	المساحة	ملاحظات
1897-1867	عكرمة الشراقة الحمادنة	4.272	3.436	13.171 هـ

تمّ اقتطاع مساحات لحاجيات الاستيطان، الدوّارين الجرّارة والحمادنة حاليا جزء من البلدية المختلطة رنوا.

ما يلاحظ من خلال قراءة الجداول هو حالة التّفهقر السّكاني في مدة 30 سنة والتّموديمغرافي البطيء في أغلب القبائل فمثلا في عرش أولاد العباس بلغ عدد السكان سنة 1867م عدد 6.452 نسمة في حين بلغ عدد السّكان سنة 1897 عدد 5.333 نسمة، صف إلى ذلك حجم الضّرائب الباهضة فلقد بلغت في ذات العرش قيمة 29.163 فرنك سنة 1867 في حين بلغت قيمة 34.840 فرنك سنة 1897، صاحب ذلك عمليات

الاقتطاع التي نالت المساحات الإقليمية للعروش بالمنطقة الموجهة لصالح الاستيطان الأمر الذي انعكس سلبا اجتماعيا واقتصاديا على سكان المنطقة.

وبعدّ قانون 23 مارس 1882م¹، القاضي بإنشاء الحالة المدنية شكلا آخر من أشكال التّحطيم والاختراق للمجتمع الجزائري، والذي نصّ على منح الأشخاص القابا، وكنيات جديدة تنسب في الغالب إلى قطعة الأرض من حيث لونها أو نباتات أو مظهر سطحها، وكثيرا ما منح ألقاب تحمل في طياتها عبارات السّخرية والقذح²، والتي لا زالت تداعياتها إلى اليوم تثير جدلا نفسيا وقضائيا واجتماعيا كموروث استعماري بغرض، كان الهدف منه تسهيل عملية اغتصاب الأراضي وتجريد الجزائريين من ملكياتهم.

وما يلاحظ هو حالة الغليان في قبائل بني وراغ بمنطقة عمي موسى وقبائل فليتّا في حركات انتقاضيّة فردية وجماعية ضدّ تطبيقات قانون الحالة المدنية، والتي امتدّت في الغالب إلى خارج مواطن هذه القبائل ممّا أدّى إلى انتشار ظاهرة اللّامن، والعنف في مراكز مثل زمورة، وغليزان، والمناطق الشّلفية³.

وهذا ما تؤكّده جلّ التقارير الفرنسيّة بما فيه الصّحف أنّ المجتمع الأهلي كان رافضا للسياسة الاستيطانية ممّا أثار مخاوف الإدارة الاستعماريّة التي كانت تبادر إلى تطبيق الأحكام الرّديعية والجزريّة، ومن الأمثلة على ذلك تعرض مستوطنة المعمر

1- تم تطبيق هذا القانون في 02 فيفري 1892 في كل من واد الجمعة (البلدية المختلطة زمورة) و بتاريخ 21 ماي 1892 في مرجة فرقر (البلدية المختلطة رنو) وبحلوية الشرفة (البلدية المختلطة عمي موسى)، وفي 19 اوت 1892 على قرارية (البلدية المختلطة يلل)، العجامة (البلدية المختلطة عمي موسى)، وبتاريخ 11 نوفمبر 1892 في أولاد بركات (البلدية المختلطة عمي موسى)، وفي بني يسعد والعمامرة وأولاد سيدي حمد بن محمد (البلدية المختلطة زمورة) وقربووسة والشلافة (البلدية المختلطة يلل)، حيث أعلن أنه بموجب المواد المنصوص عليها في قانون 23 مارس 1882 يقتضي على الأشخاص استعمال اللقب والإعلان عن الميلاد والوفاة والزواج والطلاق، طبق هذا القانون أيضا حسب الجريدة الرسمية 1893 على ماريوة (البلدية المختلطة عمي موسى) وتالشوالة وأولاد بركات والجرارثة، وأولاد بلحي (البلدية المختلطة زمورة)، وأولاد بوعبسة (البلدية المختلطة يلل)، وعلى الشكالة وأولاد العباس (البلدية المختلطة عمي موسى) المصاحبية (البلدية المختلطة يلل)، الرجوع إلى: ليلي بلقاسم، المرجع السابق، ص 294

2- عدة بن داهاة، المرجع السابق، ص 371.

3- كريمة مجذوب، الاستعمار وانعدام الأمن وإشكالية المقاومة الشعبية والاجتماعية بالغرب الجزائري 1881 - 1920، رسالة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران، الموسم 2009-2010، ص 10.

سابوسيريا (Saposyria) ببلدية يّلل بتاريخ 28/09/1885 لحريق¹ لم يتعرّف فيه على المجرمين، لقد كانت حرب العصابات تعبيراً صارخاً عن حالة عدم الاستقرار والاستياء كنتيجة لاضطرابات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالخصوص في مناطق تتميز بالغلجان الشعبي كنواحي زمّورة وعمّي موسى ومواطن فليتا جزاء الحركة الاستيطانية التي طالت الأرض والإنسان الجزائري، ليظهر مصطلح "قاطع الطريق الشريف" الظاهرة التي استفحلت حول المراكز الاستيطانية الاستراتيجية تحدياً للوضع الاستعماري، والتي باركها العرف والزوايا والقبيلة، وقد سجّلت حالات منها الاعتداء على مزارع الكلون بنواحي زمّورة والسّطو وسرقة قطعان الماشية كنتيجة لسياسة التّفكير الاستيطاني.

ومما تجدر الإشارة إليه من جهة أخرى أنّ الكثير من الملكيات الأرضية، قد آلت إلى الكولون بتواطؤ المتعاملين الإداريين من القياد والبشاعات وأعيان الدواوير، وبعض رجال الدين المتحالفين مع الاستعمار حفاظاً على مصالحهم الإقليمية بالخصوص خلال تطبيقات القرار المشيخي في تكريس النّفوذ الاستعماري الاستيطاني في المنطقة مقابل تولّي مناصب إدارية والحفاظ على المكانة الدينية، لكن ذلك لم يمنع بعض الجزائريين في المنطقة من الاحتجاج بطريقة سلمية وحضارية تتمّ عن مدى الوعي، واستيعاب خطورة المشاريع الاستعمارية الاستيطانية التي استهدفت العقار، ومن ذلك الوثيقة المبينة في الملحق للحاج أحمد بن سيدي علي من عرش أولاد خويدم - الذي لم يبق من العرش إلا الاسم - جزاء عمليات تفتيت العروش الجزائرية، وهو من أعيان العرش وكبار المالكين يشتكى فيها بطريقة إدارية ضياع أملاكه وضمّها إلى أملاك الدّومين منها المتعلقة بأرض كركابة في 03 مارس 1868 جزاء تطبيقات السيناتيس كونسليت²، الملحق 58، وهنا يتّضح حجم الجريمة الاستعمارية بأدواتها المادية والمعنوية في حقّ المجتمع الجزائري.

1- كريمة مجذوب، المرجع السابق، ص 86 .

2- A.N.O.M , Ouled Khoudem , 2 N 87 , 03 - 03 - 1868.

5- الإنعكاسات في المجال العسكري:

كان من انعكسات السياسة العمرانية الاستعمارية في منطقة حوض الشلف، ظهور العديد من المقاومات والحركات الراضية للوجود الاستعماري الاستيطاني وسياسته المنتهجة ضد سكان المنطقة، من قتل ونهب ومصادرة للأراضي والأموال من جهة، وكذا تشجيع سياسة الاستيطان الفرنسي، الذي صاحبه سياسة عمرانية أو تجميرية واسعة، كنا قد اشرفنا إليها في الفصل السابق الخاص بالمدن الكولونيالية في المنطقة، ومن جملة هذه المقاومات نذكر على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

5-1 مقاومة الأغا جلول بن فرحات :

لقد كانت مقاومة الاغا جلول بن فرحات في حوض الشلف من بين أهم المقاومات التي وضعت الاحتلال الفرنسي للمنطقة على المحك، ولقد كانت الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر¹ على القوات الفرنسية في أكثر من واقعة، سببا في محاولة الجيش الفرنسي تجنبه خاصة بعد معركة المقطع فقد ذكر الرحالة الألماني كارل بيرنت أن رؤوس جنود العدو الفرنسي حملت حتى مدينة مليانة ومدينة المدية وعلقت على أبواب المدن² وأجبر الجيش الفرنسي على توقيع معاهدة دي ميشال³ التي حددت الأراضي الخاضعة للأمير عبد القادر وتمتد عبر كامل التراب الوطني باستثناء الجزائر وما حولها ووهران وما حولها والمناطق التابعة لأحمد باي باي قسنطينة الذي كان يخوض مقاومة كبيرة ضد الإستعمار الفرنسي⁴ وقد نصت معاهدة دي ميشال على إدراج منطقة الونشريس والسررسو ضمن

1 - نظم الامير عبد القادر دولته و قسمها.... للمزيد من المعلومات انظر: بليل حسني، النظام القضائي في عهد

الامير عبد القادر، موسوعة الفكر القانوني، دار الهلال للخدمات الاعلامية، وهران، بدون تاريخ ص ص 90 . 103

2- محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 150.

3 - نصت معاهدة ديميشيل على ستة (06) شروط و نصت على الاعتراف المتبادل، للمزيد انظر:

عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 74.

الأراضي الخاضعة للأمير عبد القادر وحملت معاهدة التافنة نفس الإعراف كما حددت حدود دولته التي تضمنت منطقة الونشريس والسرسو وذلك في الشرط الرابع من المعاهدة.

إلى جانب ذلك شرع في تنظيم منطقة الونشريس والسرسو ، حيث قام بتعيين جلول بن فرحات (1779-1854) أغا على المنطقة وكان مقره ثنية الأحد بولاية تيسمسيلت حاليا وضمت قبيلة أولاد عياد التابعة لإقليم مليانة ويتميز الأغا جلول بن فرحات الذي مارس الأغاوية في العهد العثماني - وكلف بمرافقة الداوي عند تفقده لبعض مناطق الدولة - وضم له الأمير عبد القادر القبائل المجاورة عرفانا بقوته وحسن تسييره

وبسبب قوة شخصيته قربه الأمير عبد القادر منه وأصبح من أصدقائه المخلصين ، ولكفاءته أصبح مساعد خليفة الأمير عبد القادر في مليانة، لكن الأمير عبد القادر لم يستطع الإستغناء عنه وألحقه تحت سلطته مباشرة وأوكل له حماية الزمالة بعد أن لجأ إلى جنوب السرسو¹ وذكر قدور بن رويلة في مخطوطه وشائح الكتاب الذي كتبه تحت إشراف الأمير عبد القادر أن الأغا جلول جاء ذكره بعد الأمير عبد القادر تحت اسم جلول الأشيب الملياني ورتبته رئيس العسكر المحمدي

وقد واجه الأغا جلول بن فرحات عدوين هما :

- العدو الأول هو الإستعمار الفرنسي الذي بدأ الزحف على السرسو عام 1841 بعدما أحتل بيجو وشانقارني عدة مدن كانت تحت سلطة الأمير عبد القادر منها مليانة ، الثنية الأحد وتازا (التي ستحمل اسم برج الأمير عبد القادر فيما بعد).

أما العدو الثاني هم إخوته خاصة بن فرحات الذي كان ألد أعداء إخوته وحاول استمالة خليفة مليانة بن علال بن مبارك لتعيينه بدل الأغا جلول بن فرحات ولما فشلت محاولته مع الأمير عبد القادر إنقلب على الأمير عبد القادر وقدم نفسه هدية للفرنسيين وأظهر إخلاصا

1-Mercier E , op-cit,p44.

وانصياعا في خدمتهم وأصبح أداة في تنفيذ سياسة فرنسا من خلال استمالة القبائل وتجنيدهم العملاء¹.

لم تنزع الثقة المتبادلة بين الأمير عبد القادر والأغا جلول بن فرحات ، بسبب خيانة بن فرحات وأخوته ودخولهم تحت لواء فرنسا - باستثناء أخيه علي بن فرحات الأخ الأصغر الذي لازم الأغا جلول وبقي وفيما لخط المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي - وكلفه الأمير عبد القادر بحماية الزمالة وخصه بحماية عائلته شخصيا.

وفي نوفمبر 1842 باغت الأمير عبد القادر بمشاركة الأغا جلول بن فرحات الجيوش الفرنسية في واد واصل واستطاع أن يلحق بهم هزيمة نكراء ثم زحف الأمير عبد القادر على ثنية الأحد بمشاركة نفس الأغا الذي كان يعرف مسالك المنطقة جيدا ، وتمكن من إبادة جيش بن فرحات في عملية جد قاسية رغم المراقبة الصارمة واليقظة ولم ينجو منها إلا بن فرحات الذي فر إلى مليانة وبمفرده.

لكن سنة 1843 حملت الكثير من المأسى للأغا جلول بن فرحات ، التي زادت صلابته ، ففي ربيع 1843 وصلت الجيش الفرنسي معلومات من طرف ابن فرحات حول موقع زمالة الأمير عبد القادر وكان من بين المشاركين في الزحف عليها، لقد كان هدف دوق اومال (Duc Aumale) إلقاء القبض على الأمير عبد القادر وهدف عامر بن فرحات إلقاء القبض على أغا أمير عبد القادر وكان الأول يبحث على الانتصار والثاني يبحث على الإنتقام فهو يشعر بأنه أفضل منه حتي وهو مهزوم² وكلاهما فشل في هدفه واكتفيا بالأسري من النساء و الأطفال ونهب الأموال التي كانت تضمه بيت المال ، وهذه الواقعة قسمت قبيلة أولاد عياد وعائلة بن فرحات بين أغا الأمير عبد القادر وأغا فرنسا الذي لم يذكره الأرشيف الفرنسي إلا عيوبه، وعدد كل قبائحه وسلوكاته المريبة ، ويرى باجيجا (Bageja)

1 -Pelissier Euggène De Reynaud, *Annales Algeriennes*, 2eme ,ED,T2,Alger ,1858,p169.

2 -Pelissier Euggène De Reynaud ,op-cit,pp47-48

أن الأغا جلول أختار الجانب الخاسر في المعادلة لكنه ظل يدافع على اختياره للأمير عبد القادر.

و في عام 1844 واجه الاغا جلول بن فرحات هجوم قادة الجنيرال يوسف المملوك اليهودي وضع حدا لمقاومة منطقة الونشريس والسرسو خاصة بع لجوء الأمير عبد القادر إلى المغرب الأقصى وهذا مادفع بالأغا جلول بن فرحات إلى أن يسلم نفسه لدوق أومال (Duc Aumale) الذي عامله معاملة خاصة ، اعترافا بشجاعته وعندما نقل إلى ثنية الأحد استقبلوه سكانها استقبال الأبطال وشبهه باجيجا (Bageja) عودة الأغا جلول بن فرحات إلى ثنية الأحد بعودة نابليون بونبارت إلى فرنسا بعد هروبه من السجن 1814¹.

وتقدم إلى السلطات الفرنسية بطلب الانتقال إلى بني مايدة في قلب السرسو للإقامة عند صديقه ردا على المعاملة القاسية من قبل إخوته والمبالغة في إهانته وقد علق على ذلك بنفسه وبمرارة عن معاملة إخوته القاسية وبالترحيب الذي لقيه من صديقه

وبعودة الأمير عبد القادر إلى الجزائر من المغرب الأقصى تجددت المقاومة بين قبائل السرسو (بني مايدة وبني لانت) وقادها الأغا جلول بن فرحات نفسه ولم تضع السلاح إلا في نهاية سنة 1846 وسلم الأغا جلول نفسه إلى الجنرال يوسف الذي سلمه بدوره إلى السلطات الفرنسية نزولا عند رغبته بعدما وجه له لوما قاسيا رغم قيود الأسر جاء فيه " ينبغي أن تعرف أنك تقف أمام أغا بن أغا ...".

وقامت السلطات الفرنسية بنفيه إلى الجنوب (الأغواط) حيث يقيم أخواله وتحول إلى فلاح معدم لايملك إلا 150 رأس من الماشية و 15 رأس من الإبل

1 - ألان جرانت ، هارولد تمبرلي ، أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ترجمة بهاء فتحي ، ط 6 ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 121

وبحلول عام 1852 اشتدت المشاكل في ثنية الأحد وكثرت وتعددت بسبب تصرفات الأغا عامر بن فرحات الطائشة الذي لم يتقبلها حتى العسكريون الفرنسيون أنفسهم ودفع السلطات الفرنسية للجوء إلى الأغا جلول بن فرحات ونصبته أغا على ثنية الحد، ولقي هذا التعيين تجاوبا ورضا من طرف قبيلة أولاد عياد التي تكن له كثيرا من الوفاء والاحترام والإخلاص وقد تولد عنه ارتياح السلطات الفرنسية بسبب هدوء المنطقة، لكنه وبعد أقل من سنتين من تعيينه تخلى عن منصبه وبرر ذلك بظروفه الصحية¹

وفي عام 1854 توفي الأغا جلول بن فرحات وهو يؤدي فريضة الحج ، حيث عاش مجاهدا ومات في الأراضي المقدسة متعبدا كما كان يدعو لقد خصص له باجيجا (Bageja) رثاء فيه كثير من المدح جاء فيه " لم ترى السلطات الاستعمارية في الأغا جلول بن فرحات ، أغا الأمير إلا خصما عنيدا، شيخا لم تضعف عزيمته ولا قوته لقد أحدث موته حزنا عميقا عبر كامل الجزائر ، حالة كبيرة من الجود اختفت وتحفة نادرة لم تعد فوق الأرض."²

5-2- إنتفاضة الشيخ بومعزة :

كانت منطقة الشلف تابعة للامير عبد القادر بمقتضى معاهدتي : ديميشيل سنة 1834 و معاهدة تافنة عام 1837³ ، فاتخذ مليانة عاصمة لاحدى ولاياته في جبال زكار شرق الظهرة ، و أنشأ بها مصنعا للسلاح و قاعدة لقواته العسكرية ، و إتخذ مدينة تاقدمت في السفوح الجنوبية الغربية لجبال الونشريس غرب تيارت مركزا لادارته و نشاطه العسكري ، و إتخذ المدينة في التيطري عاصمة و مركزا لولاية التيطري كذلك شرق الونشريس و السرسو .

1- Pelissier Euggène De Reynaud ,op-cit,p81

2-ibid,p90.

3 -Charle Richard,Etude Sur l'insurrection Du Dhahra1845-1846,Alger,1846,p51.

و بعد أن نقض الفرنسيون معاهدة تافنة أواخر عام 1839 ، أخذ جيش الاحتلال الفرنسي يزحف على هذه المنطقة لاحتلالها في إطار محاربة الامير عبد القادر ، و جرت على أديمها معارك مهولة خاصة بعد ان قدم بيجو bugeaud بقوات ضخمة سنة 1840 ، ففي أواخر عام 1842 تفقد الامير عبد القادر مناطق فليطة بسفوح الونشريس الشمالية الغربية و أقام مدة لدى أولاد قصير و الصبيحات و بني مسلم و بني أوراغ و إصطدم بقوات الجنرال جنتيل Gentil و الكولونيل لاباسي Lapasset في مطلع جانفي 1843 التي غنطقت من مستغانم و طبق الجيش الاستعماري أسلوب الحرق و التخريب و السلب ضد سكان بلعاص و و اعالي جديوية و تويزة و واد عمور و بني مسلم.

و إضطر الامير عبد القادر أن ينسحب إلى جبال الظهرة لمعاقبة سكان مازونة و قائدهم الذين تضامنوا مع جيش الاحتلال و منهم ابن عبد الله و قدور بن المخفي ، و جند هناك حوالي 500 فارس و ألف خيال و حقق إنتصارات كثيرة على الاعداء و إستمال إليه سكان الظهرة ماعدا مازونة ، و قام جيش الاحتلال بمعاقبة بني زروال فخرّب منازلهم و قطع أشجار ثمار حقولهم و سلب منهم قطعان مواشيهم خاصة بعد المعركة التي جرت حول ضريح سيدي لكحل يوم 12 مارس 1843 و قبض على النساء و الاطفال و صادر 400 رأس بقر و 3000 رأس غنم و دامت المعارك في هذه المنطقة حوالي سبعين يوما¹.

وخلال هذه الاحداث بين سكان المنطقة و جيش الاحتلال ظهر الثائر محمد ابن عبد الله المدعو (بومعزة) و تزعم حركة الثورة و المقاومة قرابة أربع سنوات.

والشيخ بومعزة هو ابن وداح بن عبد الله من أولاد خويدم في حوض الشلف ، هاجر أجداده في وقت مبكر من تارودانت بالمغرب الاقصى إلى المغرب الاوسط (الجزائر و إستقروا لدى أولاد يونس في جبال الونشريس ، و إرتبط في صغره بالطريقة الطيبية

1 -Un Ancien Officier De L'Armée Du Rihn , Le General Lapasset ,T10,Paris Ed 1899 , Pp10-18.

الدقاوية¹، و شب في وسط ديني و إرتبط بارملة متدينة إعتقد فيها. الناس الولاية و الصلاح و مال إلى حياة الزهد و التقشف و غعتمد على الصدقات التي كان الناس يقدمونها إلى تلك الارملة الصالحة²، و لم يكن يقاسمه وحدته سوى معزة و قيل غزالة إهتم بتربيتها و يصحبها أينما ذهب مما جعل الناس يطلقون عليه لقب (بومعزة).

و قد اثر بوحدته و تزدهه و ثيابه الرثة أنظار الناس ، فأعتبروه شريفا و صالحا و شاعت شهرته في كل مناطق جبال الظهرة و حوض الشلف و جبال الونشريس حيث اصبح له أتباع و مريدون و كان الناس يعتقدون بانه (المهدي المنتظر) أو (مول الساعة) و انه هو من سيخلصهم من الاحتلال و يطرد المسيحيين من البلاد.

و بسبب نشاطه الدعائي الواسع خلال سنة 1844 ، جند المارشال بيجو قوات كبيرة لمواجهته هو و أنصاره و أتباع الامير عبد القادر تزعمها الجنرال بورجولي Bourjolly و الجنرال ريفو Revue و الكولونيل سانت ارنو saint Arnaud و الكولونيل Pellicier و الكولونيل Ladmirault و في شهر مارس 1845 غادر بومعزة منزله متجها إلى السواحلية فرع أولاد يونس و قصد منزل الحاج حامد اليونسي و قدم له نفسه باسم محمد بن عبد الله و أوضح له بأنه يسعى لطرد الفرنسيين من البلاد و طلب منه أن يتعاون معه فقبل ذلك و جمع له وجهاء القوم في المنطقة فحدثهم عن مشاريعه لطرد الفرنسيين و أنه سيهاجم عن قريب مدينة الاصنام و كل مزارع المعمرين الاوروبيين و كانت مشاريعه هذه سببا في إنتشار سمعته إلى كل المناطق و الاقاليم السابقة الذكر.

و هكذا زودوه بالاموال و الاسلحة و الذخائر و البغال و الاحمرة و صنع له الوجهاء علما للجهاد و اعطاه احدهم حصانا ليركبه و ينتقل عليه.

1 - Henri Garrot, *Histoire General De L' Algerie*, paris, 1910, Pp 864-866

2 - Lappasset , *op-cit* , P 25.

و قام هو بتنظيم أتباعه و انصاره ، فعين الكتاب و جباة المال و الشواش و الجنود و عين اغوات العساكر و اغوات الخيالة و خصص لاغوات الخيالة 15 دورو شهريا و لاغوات العساكر 10 دورو و غتخذ لنفسه كاتبا خاصا يدعى سي الصادق¹.

و بعد أن إنتهى من هذه التنظيمات و الاستعدادات ، غادر أولاد يونس و عسكر بوادي أوخلال بالقرب من سيدي عيسى بن داود على حدود منطقتي الاصنام و مستغانم و شن غارة على قائد مديونة الحاج الصادق الذي كان معارضا له و قتله و إتجه يوم 14 أفريل إلى عرش الصبيحات في الشلف بينما خرجت قوات فرنسية من مستغانم لاعتراض طريقه بقيادة سانت أرنو Saint Arnaud .

و في كورناسة بسهل قرني في عرش الصبيحات جرت أول معركة بينه و بين القوات الفرنسية في نفس اليوم فقتل له ستون من رجاله و أسر له 15 آخرون أعدمتم القوات الفرنسية في الحال لارهاب السكان، فانسحب إلى مازونة و أخذ من هناك يرأسل السكان و يحثهم على حمل السلاح و يشرح لهم خيانة خصومه الذين حاربوه أمثال الحاج بلقاسم و أتباعه و جند له المازونيون 300 رجل ،و أبدوا إستعدادهم للمقومة معه و إضطر سانت ارنو أن يجند المزيد من القوات و يلاحقه إلى سيدي عيسى بن داود و يستدعي قوات أخرى من تنس².

تجدد مع بومعزة عدد كبير من أخواله فرسان أولاد عبد الله من أولاد بن هني ، بزعامة قائدهم محمد بن هني و اخذوا يحثون الناس على حمل السلاح و هاجموا الضابط الفرنسي بياتريكس (Beatrix) رئيس المكتب العربي بتنس ، في غابة واد الريحان و قتلوه و حزوا رأسه و اطرافه و حملوها إلى المناطق الجبلية ليحفزوا بها الناس على الثورة .

1 - Lappasset , op-cit ,P 87.

2 -Paul Azan , L'emir Abdelkader 1808 -1883 ,paris,1925, Pp 199 – 200 -

و في يوم 18 أفريل خاض بومعزة و أولاد يونس معركة في منطقة برج البعل ضد فرقتين فرنسيتين و كاد كانروبر Canrobert نفسه أن يقع ضحية في يد الثوار و غستغل بومعزة هذا الانتصار فكاتب أولاد حيجة شرق تنس لينظموا إليه و إستجابوا له كما غستجاب سكان الظهرة و إشتراكوا جميعا في مهاجمة معسكر المضايق الفرنسي ، و كان عددهم حوالي 500 ثائر ، و جددوا الهجوم يوم 22 أفريل و إقتربوا من مدينة تنس و قتلوا ضابط الهندسة الحربية الفرنسي¹ .

و في اليوم الموالي تعرضوا لقاافلة فرنسية بواد علالة كانت في طريقها من تنس إلى الاصنام و خاضوا ضدها معركة دامت يوما كاملا و حاصر قريق من الثوار مدينة تنس نفسها و قطعوا الطريق بينها و بين الاصنام ، و إضطر سانت أرنو Saint Arnaud أن يكاتب بورجولي Bourjolly و يعلن له عن خطورة الوضع و ثورة سكان 22 قرية جبلية بالمنطقة على اسهم بوتحيجة و بني حوة و يؤكد إمتداد الثورة إلى اغوية الزاتيمة و بني مناصر و متيجة و شرشال إلى مدينة الجزائر² ، و قد ذكر بول أزان Paul Azan بأنه ظهر في هذه الفترة بومعزة آخر خلال شهر أفريل 1845 لدى بني مناصر بشرشال و لكن الفرنسيين إعتقلوه و أعدموه أمام الناس كما ظهر ثائر اخر يدعى محمد بن عبد الله من بني زقزق سلم نفسه للفرنسيين بمليانة و هو من اصل مغربي و شقيق لالول³ .

و حاول رئيس المكتب العربي شارل ريشارد Charle Richard أن يحدد أسباب ثورة بومعزة و سكان الونشريس و الشلف و الظهرة و تساءل هل كانت نتيجة لطبيعة الحكم الفرنسي للاهالي ؟ أم من تأثير مقاومة الامير عبد القادر ؟ أم من طبيعة الجزائريين انفسهم

1 -Lappasset ,op-cit, , Pp 24 - 25.

2 -Paul Azan ,op-cit, Pp204 – 205.

3 -Ibid,p204-205.

؟ أم من تأثير الدن؟ و إنتهى على القول بأن أهم سبب لها هو نزعة الجزائريين المتقدمة للجهاد و الحرب الدينية و الطرق الدينية عليهم خاصة القادرية و الطيبية .¹

و قد تمكن بومعزة من دخول حوض الشلف و إنظم عليه سكان الصبيحات على ضفتي الوادي بزعامة قائدهم محمد بن هني و راسله سكان جنوب مدينة الاصنام و امدوه بالرجال و الاسلحة و إضطر جنود الاحتلال إلى تحصين مدينة الاصنام بالخنادق و الحراسة المشددة و حاول بومعزة مرات عديدة أن يهاجمها و يحكم عليها الحصار فلم يفلح و دامت مناوشاته ضدها حوالي ثلاثة أشهر.

و أمام خطورة الوضع و تفاقم أحداث بومعزة ، جند بيجو Bugeaud قوات كبيرة و قادها بنفسه إلى جبال الظهرة و وصل إليها يوم 9 ماي و بقي بالمنطقة إلى غاية يوم 12 جوان 1845 و غشترك بنفسه في العمليات العسكرية و المعارك ضد الثوار ، و إرتكب بيليسي Pellissier مجزرة رهيبة ضد سكان أولاد رياح الثائرين بالظهرة² .

كان بومعزة في بداية أمره قويا و خاص عددا من المعرك و المناوشات غير فاصلة و لكن النتائج التي تحصل عليها كانت ضعيفة ، فتضعض مركزه و ضعف و تسرب الفشل إلى اتباعه و أنصاره و عجز عن فرض إرادته عليهم كما كان يفعل الامير عبد القادر بسبب ضعف شخصيته و سوء تخطيطه و ضعف الامكانيات المادية خاصة الاسلحة و الذخائر .

و من سوء حظه كذلك معارضة كل من أغا الونشريس أحمد بن شاوش و اغا الصبيحات محمد بن عبد الله له بدعم و تاييد من جيش الاحتلال الفرنسي غير أن هذين الرجلين سيدفعان حياتهما ثمنا لهذه المعارضة رغم حصولهما على تفوق في البداية .

1 -Charle Richard,op-cit,p71.

2- محمد عيساني،الانعكاسات الاقتصادية،المرجع السابق،ص274.

فقد إعترض أحمد بن شاوش طريق بومعزة لدى بني قريين بينما كان يحاول انسحاب إلى الجنوب و إفتك منه أمتعته و قتل له عددا من الرجال فرد عليه بومعزة و غعترض سبيله بتاريخ 16 جويلية في واد مروى قرب مازونة بينما كان يرافق موكب عرس إبنته و قتله مع عدد من أفراد الموكب و سلب ما كان معهم من الامتعة و الاثاث و حول موكب العرس إلى مآتم و هاجم في مساء اليوم نفسه أغا الصيحات و قتله كذلك و تخلص من أكبر معارضيه .

ولا شك أن هناك أيادي ساعدته على ذلك ، و ليس من قبيل الصدفة بعد هذه الغارات الخاطفة إنسحب بومعزة إلى مواطن فليته و إعتصم بها بعض الوقت و ساعده في كفاحه الزعيم الثائر مولاي محمد و الحاج موسى الاغواطي من رجال الطرق الصوفية و تعاونوا جميعا على تجنيد الناس للعمل معهم فإمتدت احداث الثورة بسبب ذلك و عمت كل الغرب الوهراني إلى نهر ملوية و إمتدت شرقا إلى جبال الاوراس¹

و في أوائل شهر نوفمبر 1845 إتجه بومعزة إلى تنس و هاجم في الطريق اعوان الفرنسيين و حث الناس على الثورة و أقام لدى بني مدوم بعض الوقت ، ثم إتجه إلى غرب تنس و أقتع سكان الشراير بحمل السلاح معه، و أحرق بعض مزارع المعارضين له و عسكر في المغارات ، ثم إنتقل إلى شرق تنس و اخذ طريقه على الاصنام لمهاجمتها² .

و في أوائل شهر جانفي 1846 إصطدم بالقوات الفرنسية و اعوانها في وادي سيدي سالم فقتل له 150 رجلا من بينهم الاغا و لد ربال و بن هني زعيم بن حيجة و فقد الفرنسيون بعض الرجال كذلك و إنتقل من هناك إلى حوض وادي سيدي إبراهيم على الضفة

1- عن الشريف مولاي محمد و الحاج موسى الاغواطي إنظر : يحي بوعزيز ، المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري، الاصاله عدد 55/54 فيفري / مارس ، الجزائر 1978 .

2- Charle Richar, op-cit ,Pp 10 – 20.

اليمنى و عسكر هناك و خاض عددا من المناوشات الصغيرة و فقد عددا من الحيوانات و الامتعة و الاسلحة .

و خلال شهر فيفري خاض سكان مديونة معركة قاسية ضد قوات الضابطين لا باسي Lappasset و كانروبير Canrobert في أحواز مازونة و تنس و تعضدت القوات الفرنسية بوصول قوات بيليسي Pellissier في شهر أفريل و حمي و طيس المعارك في الظهرة و الشلف و الونشريس إشتراك فيها بيجو نفسه¹ .

من جهة اخرى تعضدت حركة بومعزة بعودة الامير عبد القادر من جديد إلى الجزائر من المغرب الاقصى ، فإنظم إليه و إتجها معا إلى جبال جرجرة و إشتراك مع الخليفة أحمد الطيب بن سالم في مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي² ، غير أن بومعزة سرعان ما إختلف مع الامير عبد القادر و انفصل عنه في اكتوبر 1846 و إلتحق بسكان بني سنانس و بني سنوس في منطقة الحدود الغربية ثم عاد إلى فليطة من جديد و عضده زعيمها ابن جلول و جند له عددا من المجاهدين في فليطة و الظهرة و و كان ذلك سببا لامتداد حوادث الثورة من جديد.

كان عام 1846 صعبا على جيش الاحتلال الفرنسي في المنطقة بسبب تجد مقومة الامير عبد القادر و حركة بومعزة و رفاقه ، فجدد بيجو قوات كبيرة و وجهها إلى المنطقة بقيادة كل من الضابط ماري مونج Marey Monge و الجنرال هيربيون Herbillon و خاض الثوار ضدهما معارك كثيرة في واد مينا بحوض الشلف و فليطة خلال جانفي و فيفري 1847 و عجز بومعزة عن الصمود أمامهما فانسحب إلى الظهرة و من ورائه الضابط ماري مونج .

1 -Lappasset ,op-cit, Pp 23 - 35 -

2 -Paul Azan,I emir Abdelkader,op-cit,pp199-200.

و في أوائل مارس إنتقل إلى الونشريس و خاض معركة كبيرة في ثنية الحد ضد ماري مونج Marey Monge و هيريبيون Herbillon في قلب الونشريس و غرر به بعض اصدقائه غير المخلصين له و إعتقلوه و سلموه إلى سانت أرنو saint Arnaud و قيل أنه سلم نفسه بإرادته فأرسل غلى الجزائر العاصمة يوم 13 مارس 1847 و من هناك إلى طولون و باريس حيث وضع في المعتقل ، فأخذ من هناك يرسل أخاه عمر و أباه وداح بن عبد الله و صهره مصطفى ابن زيدان و الاغا التلي من أولاد نائل و معزوزا من اولاد ساعد باولاد نائل و ذلك عن طريق الضابط لاباسي Lappasset يطلب منهم جميعا أن يسعوا لجمع أفراد اسرته و إسكانهم في مدينة تنس تحت كفالة لاباسي Lappasset رئيس المكتب العربي بها¹ .

و اثناء إعتقاله بباريس فر من السجن و إتجه إلى مرسى بريست الحربي مشيا على الاقدام فأعتقل و اعيد إلى السجن إلى أن اطلق نابليون الثالث سراحه بعد تسريح الامير عب القادر عام 1852 ، فسافر إلى الاستانة و تطور في الجيش العثماني خلال حروب القرم ، ثم إتجه إلى العراق و اقام مدة في بغداد و عاد بعدها إلى باطوم حتى عام 1878 ، ثم إنتقل إلى دمشق و جاور الامير عبد القادر مدة من الزمن و من هناك عاد غلى الجزائر مرة اخرى على أمل تجديد حركة الكفاح و لما لم يوفق عاد غلى باطوم في البلاد العثمانية و مات هناك بمرض الكوليرا² .

1 - كان لبومعزة أب اسمه وداح بن عبد الله ، و ام إسمها عيشة بنت بوهني بالاضافة على أخوان : أحدهما اكبر منه يدعى لابن عبد الله و الثاني أصغر منه غسمه عمر ، و زوجة إسمها مريم بنت مصطفى بن زيان قاضي أولاد يونس ، و أيضا عمان أحدهما إسمه قادة بن عيسى و الثاني إسمه بوخيرة بن التريكي و كلاهما كانا قائدين في عهد الاتراك و الامير عبد القادر . أنظر : لا باسي Lappasset ص ص 94 - 95 .

2 - محمد بن عبد القادر الجزائري، ج1، المصدر السابق ، ص ص 296- 297 و 313 - 314

و في شهر افريل 1848 ثار بنو حساين و ريغة جنوب الجزائر العاصمة و إمتدت ثورتهم إلى أولاد نائل و التيطري و سور الغزلان و ثار بنو زقزق ايضا و بنو مناد في المدينة و مليانة و تعاون كل من الجنرال ماري مونج حاكم المدينة و الجنرال كامو حاكم مليانة على محاربتهم و إستعملا اسليب الحرب و التخريب و القتل الجماعي و التشريد و المصادرة¹ .

5-3- ثورة سكان فليطة عام 1864:

في الوقت الذي إندلعت فيه ثورة اولاد سيدي الشيخ في ربيع عام 1864 بالبيض و الجنوب الوهراني و إنتشرت إلى جنوب العاصمة و الواحات الشرقية ، ثار سكان فليطة بجبال الونشريس و حوض الشلف بزعامة الشيخ المتصوف سي لزرق بلحاج² الذي ينتسب على الطريقة القادرية .

و قد نسب الجنرال لاباسي Lappasset أسباب هذه الثورة إلى مايلي :

أولا : إضطراب العقول و تشوشها و تقلبات الانظمة الادارية الفرنسية .

ثانيا : إضطراب أوضاع المكاتب العربية و ضعف الحكام الاداريين .

ثالثا : تعيين قواد جدد أجانب عن السكان يفهمون أوضاعهم و مشاكلهم .

رابعا : ديموقراطية الشعب الاهلي .

1 - Henri Garrot: Op – Cit , Pp 865 – 883 .

2 - هو سيدي الازرق بن بن عودة ،ولد سنة 1809م بدوار الحمومية بلدية اولاد السلام حاليا التابعة لولاية غليزان، ينتمي الى عائلة شريفة النسب معروفة بالتقوى والتصوف والجهاد من اعراش قبيلة فليطة التي قاومت المستعمر الفرنسي ،حفظ القرآن ،ودرس مختصر خليل ،ادى فريضة الحج ،قاد لواد الجهاد ضد المحتل الفرنسي سنة 1864ملمزيد انظر: محمد مفلح ،اعلام من منطقة غليزان ،سيدي الازرق بلحاج ،ط1،دار المعرفة، الجزائر 2008صص 39-48.

خامسا : قوة و كثرة الحركات الدينية في كل البلاد الاسلامية و وقوفها ضد عوامل التحديث و العصرية و التطور .

سادسا : إخلاء الجزائر من معظم القوات العسكرية الفرنسية التي أرسلت إلى أوروبا و أمريكا للحروب الاستعمارية التوسعية .

كما إدعى لاباسي Lappasset في إحدى رسائله إلى الجنرال فلوري Fleury ، بأن سياسة اللين التي يتبعها الامبراطور نابليون الثالث تجاه الجزائريين هي السبب في ثورة سي لزرق بلحاج و رفاقه ، كما ان نشاط مبعوثي تركيا السريين في طرابلس و تونس و تغاضي المسؤولين عن إيقافهم هناك و طبيعة العائلات الارستقراطية الجزائرية هي السبب الرئيسي و الحقيقي في هذه الثورة و هي التي يجب ان تناقش كما أكد أن سي لزرق بلحاج إدعى للناس خلال صلاة الجمعة بأن شيخه عبد القادر الجيلاني هو الذي أوحى عليه بمحاربة الفرنسيين الذين لا تؤثر أسلحتهم فيه .¹

و يحاول لا باسي بهذه الادعاءات و الروايات أن ينال من زعماء المقاومة الجزائرية و يصفهم بالتعصب و الدروشة ، و ذلك هو موقف معظم الكتاب و المؤرخين الفرنسيين تجاه المقاومة الجزائرية و رجالها .

و اغفل لاباسي Lappasset اهم سبب لثورة سكان فليطة و كل سكان الجزائر و هو الرغبة في تحرير البلاد من براثن الاستعمار و الحكم الاجنبي الذي إستغلها و اذل شعبها و أهانه و إحتقره .

جند سي لزرق بلحاج معظم سكان فليطة و خاض معركة كبيرة في خنقة العازر يوم 27 أبريل 1864 ضد قوات الاحتلال بقيادة الجنرال مارتينو Martineaux و قتل له 9 ضباط و 68 جنديا و جرح 39 آخرين ، و قتل من الثوار 400 شخص حسب رواية لاباسي Lappasset نفسه¹.

و خلال ليلتي 12 و 13 ماي من نفس السنة هاجم سي لزرق و رجاله قوات لاباسي Lappasset في جهات واد مينا و وادي رهيو و تعاون مع لاباسي Lappasset كل من الاغا الحاج جلول و ابنه بلقاسم و بلعالية ، و كان عدد الثوار في هذه المعارك حوالي 2000 خيال و 500 فارس و تم تخريب معظم منازل المعمرين في زمورة و غليزان و انسحب لاباسي Lappasset إلى الاخيرة و طلب نجدات و اسلحة و ذخيرة .

و بعد معارك زمورة و غليزان ، انسحب سي لزرق إلى داخل فليطة و اخذ يعد للهجوم على معسكر الرحوية (تيارت) و غيره ، كما اخذ الفرنسيون يحصنون مراكزهم في عمي موسى و وادي رهيو و مستغانم و نكمارية بالظهرة ، و كثر هروب اليهود من غليزان و كل القرى المجاورة إلى مستغانم و شاع لدى الناس بأن يوم 19 ماي سيسيطر الثوار على هضبة بايموت في أعالي مدينة مستغانم و يضطر اليهود إلى النزوح إلى ميناء المدينة على ساحل البحر² .

1- Lappasset : T 11 , Op-Cit,pp 8-15.

2 -Ibid, Pp 18-22.

جند سي لزرق سكان بني مسلم و اولاد صابر و الشكالة و الحلوية و الكرايش و مدينة إلى ثوار سيدي الشيخ الاخرين ، و أصبحت غليزان مفتوحة للثوار من كل جهة ، و أرغم الاوربيين على إيقاف الاعمال في معسكر و عمي موسى و اخليت القرى الموجودة بين غليزان و وادي رهيو على طريق الجزائر العاصمة و فر الاوربيين و باقي اليهود إلى مستغانم.

و قد تمكن سي لزرق من تخريب معسكر الرحوية الفرنسي (بتيارت) يوم 20 ماي و معسكر عمي موسى و اد رهيو و واصل نشاطه الثوري حتى قتل في معركة (ظهرة عبد الله) يوم _ جوان 1864 أمام قوات الجنرال روز Rose الذي كان مكلفا بملاحقته.¹ خلفه بعد ذلك في القيادة سي عبد العزيز الذي سرعان ما سلم نفسه للفرنسيين أو قبض عليه يوم 25 جويلية من نفس العام.²

جند سي لزرق سكان بني مسلم و اولاد صابر و الشكالة و الحلوية و الكرايش و مدينة إلى ثوار سيدي الشيخ الاخرين ، و أصبحت غليزان مفتوحة للثوار من كل جهة ، و أرغم الاوربيين على إيقاف الاعمال في معسكر و عمي موسى و اخليت القرى الموجودة بين غليزان و وادي رهيو على طريق الجزائر العاصمة و فر الاوربيين و باقي اليهود إلى مستغانم.

و رغم مقتل سي لزرق و إستسلام سي عبد العزيز فإن أحداث الثورة إستمرت في فليطة و الونشريس سنوات بعد ذلك في إطار ثورة اولاد سيدي الشيخ و شهدت المنطقة احداثا كثيرة و سجل السكان صحفا مشرقة في تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية ، و كانت ثورة بني

1 -Charle Feraud, **Le Sahara De Constantine** ,Alger 1887 ,P 500 , Et Aussi Lappasset Pp 23 – 25.

2 -Trumelet, **Note Pour Server L'histoire De L'insurrection Dans Le Sud De La Province D'alger** , Alger 1879 ,Pp 33 – 39.

مناصر عام 1871 وغيرها من المقاومات الاخرى حلقات أخرى من حلقات كفاح سكان منطقة حوض الشلف ضد الاستعمار الفرنسي.

خلاصة

الفصل الرابع

نستخلص مما سبق استعراضه في الفصل الرابع ،انه كان للسياسة الاستطانية والعمرانية الفرنسية في منطقة الشلف خلال الفترة الاستعمارية ،ظهور العديد من الانعكاسات والاثار العميقة على السكان المحليين في مختلف المجالات ،فقدت تركزت ملامح الاقتصاد الكولونيالي في المنطقة في مختلف القطاعات كالزراعة والصناعة والتجارة ،كما تأثرت البنية الاجتماعية للسكان نتيجة تأثير الجاليات الاوروبية في المنطقة ،الامر الذي انعكس على المنظومة القيمية للسكان ومستواهم الاجتماعي والثقافي ،كما نتج عن الوجود الاستعماري وممارساته ظهور رد فعل عنيف من طرف السكان المحليين تعبيراً عن رفضهم للمستعمر الاجنبي ودفاعاً عن مقوماتهم ومقدساتهم واملاكهم واعراضهم ،حيث شكلت مقاومة الامير عبد القادر ومقاومة الشيخ بومعزة ومقاومة سيدي لزرق بلحاج في منطقة حوض الشلف فصلاً من فصول جهاد ومقاومة الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي

خاتمة

خاتمة :

من خلال دراستنا لموضوع تطوّر المدن في الجزائر خلال العهد الاستعماري مدن حوض الشلف نموذجا 1843-1962: Orleansville- Affreville – Rélizane، خلصنا إلى الوصول إلى بعض الاستنتاجات والتي نعرضها كما يلي:

- تميّزت الجزائر بتطوّر العمران والعمارة على مرّ العصور والحقب الماضية ، إذ لازالت العديد من الشواهد والآثار العمرانية شاهدة على ذلك الرّخم العمراني من الفترة القديمة إلى الفترة الوسيطة نهاية بالفترة العثمانية والفترة الاستعمارية محلّ دراستنا في هذه الأطروحة.

- لقد تميّزت وتباينت العمارة و مظاهر العمران في الجزائر عبر مختلف الحقب التاريخية التي عرفتها الجزائر، فالعمارة النّوميديّة والرّومانية تختلف عن العمارة الإسلاميّة، كما تختلف هذه الأخيرة عن العمارة الكولونيالية التي تناولنا جانبها منها في هذا البحث.

- لقد تعدّدت العوامل المؤثّرة في قيام وسقوط المدن في الجزائر عبر مختلف الحقب التاريخية كالعوامل السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والثّقافيّة وما تراجع دور المدن التي كانت مشتهرة في منطقة حوض الشلف خلال العهد العثماني بعد دخول الاحتلال الفرنسي مع بداية العقد الرّابع من القرن 19م إلى منطقة حوض الشلف وظهور مدن جديدة دليل على صحّة هذا الطّرح ،فقد ساهمت السياسة الاستعماريّة في اندثار وتراجع دور العديد من المدن العثمانية في الجزائر ،في اطار تجسيد المشروع الاسيطني الغربي في الجزائر وكذا خدمة المصالح الاستراتيجية للادارة الاستعمارية بشكل عام.

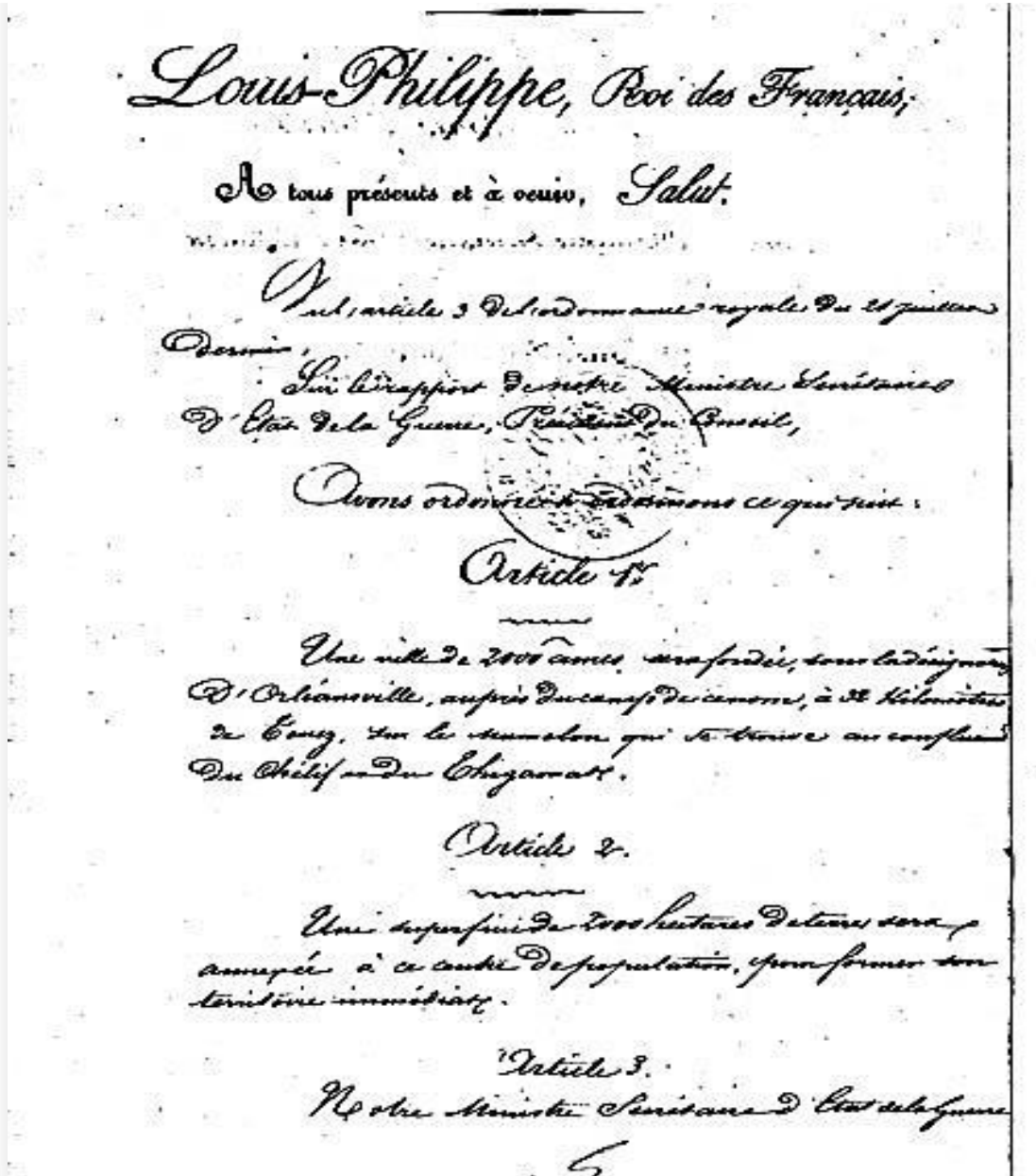
- لقد ساهمت الخصائص الجغرافية لمنطقة حوض الشلف في جلب التوطن البشري عبر مختلف العصور، وازداد الاهتمام بالمنطقة خلال الفترة الاستعمارية.

- لقد عرفت منطقة حوض الشلف توطنا بشريا صاحبه تركز عمراني قبل الاحتلال الفرنسي، الأمر الذي يفند الادعاءات الاستعمارية القائلة بأن تعمير المنطقة يعود للفرنسيين ونشاطهم في المنطقة.
- لقد عرفت المنطقة حركة استيطان شديدة خلال الفترة الاستعمارية، في إطار تحقيق المشروع الاستعماري للجزائر كما اشرنا الى ذلك انفا.
- شكّل موضوع الأرض بثرواتها الاقتصادية هدفا أساسيا للاستيطان الفرنسي في منطقة الشلف، حيث قادت السياسة العمرانية الفرنسية منذ 1843-1962م إلى نتائج وخيمة على المجتمع المحلي في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد اشرنا اليها في هذا البحث.
- لقد شكّلت المراكز الاستيطانية التي أقدمت الإدارة الاستعمارية على تأسيسها في منطقة حوض الشلف منذ 1843 النواة الأولى لظهور المدن الكولونيالية، فمخيم اورليان فيل الذي تأسس سنة 1843 في منطقة الأصنام والذي كانت بدايته على شكل مخيم عسكري ما فتى يتطور ويتوسّع إلى أن أصبح مدينة من أهم المدن في المنطقة خلال العهد الاستعماري وبعد الاستقلال.
- لقد صاحب السياسة العمرانية في منطقة حوض الشلف فقدان العديد من القبائل المحلية لأخصب وأجود أراضيها جرّاء سياسة المصادرة التي قامت بها سلطات الاحتلال الفرنسي، فقبيلة أولاد قصير التي كانت تتوطن في سهول الشلف الأوسط كانت من أكثر القبائل تضرّر من هذه السياسة الاستعمارية التعسفية.
- تمخّض عن سياسة التوطن والتعمير التي جسّدتها سلطات الاحتلال الفرنسي في المنطقة إلى تدهور الوضع الاجتماعي للسكان المحليين، إذ برزت العديد من المشاكل والأزمات في مقدّماتها التالوث الأسود، الفقر، الجهل والأوبئة لتسقط بذلك كل الإدعاءات القائلة بالدور الحضاري لفرنسا في الجزائر.

- لقد أظهرت سياسة الإدارة الاستعمارية تجاه العنصر المحلي خلال فترة المجاعات التي حلت بالمنطقة في سنوات 1867 و1868 مدى الحقد الصليبي الدفين الذي يكنه الفرنسيون للجزائريين المسلمين، فقد تجرد الفرنسيون من صفات الإنسانية مبادئ وشعارات الأخوة والمساواة التي نادى بها الثورة الفرنسية سنة 1789م، فبدل تقديم يد المساعدة للجزائريين من الجانب الإنساني راحوا يتركونهم يموتون جوعاً، وكذا مساومتهم في دينهم.
- أدت السياسة الاستيطانية إلى تحطيم البنية الاجتماعية من خلال إضعاف دور القبيلة التي هي مصدر كل الحركات الثورية ضد الاستعمار مع خلق قوى محلية موالية للإدارة الاستعمارية وما اختفاء معالم وأسماء قبائل في حد ذاتها إلا دليل واضح على حجم الاختراق الاستعماري للمجتمع الجزائري.
- لم يقف سكان منطقة الشلف موقف المتفرج إزاء الممارسات الاستعمارية الرامية إلى القضاء على وجودهم وهويتهم، بل نهضوا يقاومون ويجابهون المحتل وممارسته بكل ما يملكون من وسائل وإمكانيات مادية وبشرية، وما ظهور سلسلة المقاومات والانتفاضة المسلحة كمقاومة قبائل فليطة والشيخ بومعزة ومقاومة سيدي لزرق بلحاج وقبلها مساندة انضواء سكان المنطقة تحت لواء مقاومة الأمير عبر القادر لتعبير واضح عن ذلك الرفض القاطع للمحتل الأجنبي .

قائمة الملاحق

الملحق رقم 1: وثيقة تبين القرار الامبراطوري القاضي بتحويل المخيم العسكري لاورليان فيل الى مدينة¹



1- المرجع: www.histoire chlef.com (زيارة الموقع بتاريخ 2022/01/15 على الساعة 16.30)

الملحق رقم 2: شيوخ البلديات الذين تداولوا على بلدية الشلف خلال فترة الحكم العسكري¹

- Les commissaries civils 1851-1870

1 - Charles Oscar de Montigny	1851 - 1854 (muté au C.Civil de Ténès)
2 - Ferdinand Duboc	1854 - 1859 (administrateur muté de Constantine)
3 - Poulhariès	1859 - 1862
4 - Franz Lienhart	1862 - 1864 (absences fréquentes, suppléé par Aumérat)
5 - François Aumérat	1864 - 1866 (ancien Adjoint, intérimaire)
6 - Jules Mathieu	1867 - 1867 (ancien Adjoint, intérimaire)
7 - Auguste Blanc	1867 - 1869
8 - Auguste Casanova	1869 - 1870

1 - المرجع : الموقع الالكتروني www.histoire.chlef.com (googel). (زيارة الموقع بتاريخ

2022/01/15 على الساعة 16.30)

الملحق رقم 3 شيوخ البلدية لاورليان فيل خلال فترة الحكم المدني¹

II- Les maires 1870- 1962

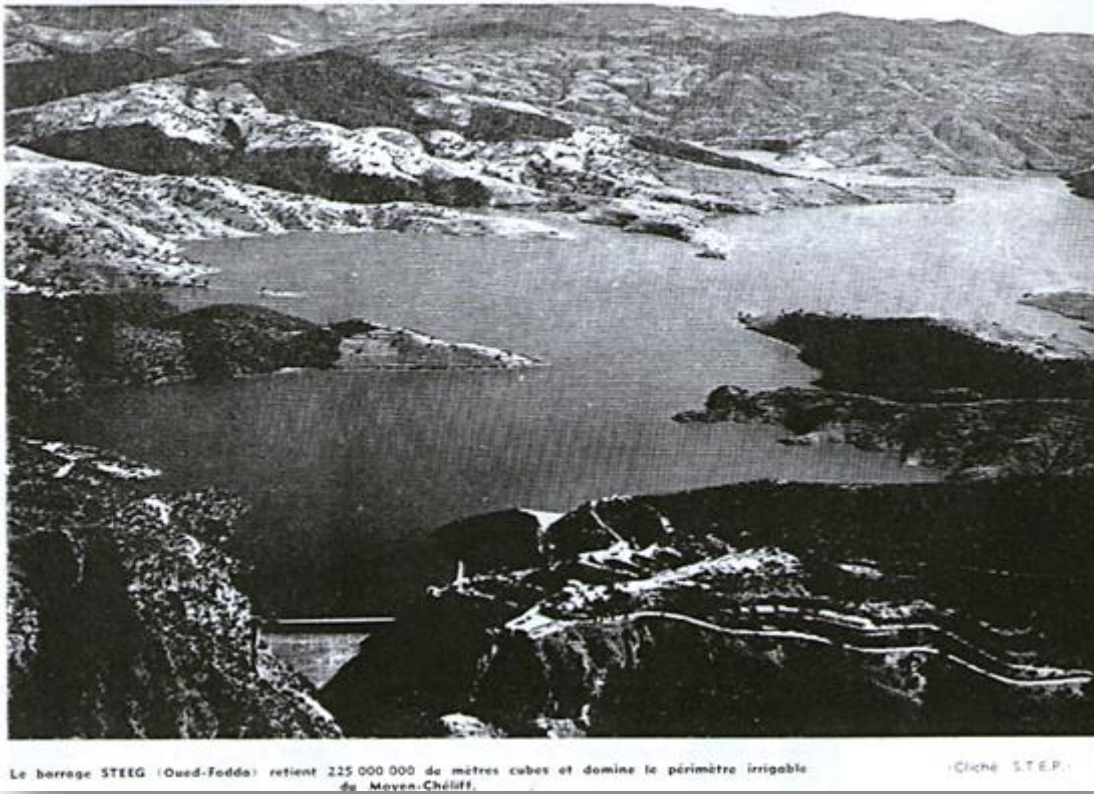
9 - Camille Boudet	1870 - 1871 (un grand désordre régnait pendant son mandat - nommé sans être élu)
10 - Annet Guinette	1871 - 1873 (nommé sans être élu)
11 - Michel Comprédon	1873 - 1874 (ancien conseiller, depuis 1856)
12 - Camille Boudet	1874 - 1875 (2ème fois)
13 - Valesqui	1875 - 1875
14 - Hippolyte Géoffroy	1875 - 1880
15 - Anatole Rey	1880 - 1882
16 - Adrien Fruchier	1882 - 1883
17 - Auguste Morand de la Genevraye	1883 - 1884
18 - Dr. Henri Fourier	1884 - 1894 (le premier qui a introduit l'électricité en 1890 en ville, inventée en 1878)
19 - Chassaing	1894 - 1894 (intérimaire, adjoint au maire)
20 - Joseph Casanova	1894 - 1902
21 - Albert Attard	1902 - 1903
22 - Pierre Mino	1903 - 1904 (ancien conseiller, depuis 1856)
23 - A. Morand de la Genevraye	1904 - 1904 (2ème fois)
24 - Paul Robert	1904 - 1910 (tué en duel à Alger le 08/04/1910)
25 - Louis Clément	1910 - 1919
26 - Joseph Robert	1919 - 1929 (mort à Alger en 1959, père du lexicographe)
27 - Louis Clément	1929 - ?
28 - Auguste Rencurel	? - 1941
29 - Dr. Georges Grall	1941- 1943 (Régime de Vichy)
30 - Plait	1943 - 1943
31 - Auguste Rencurel	1943 - 1953 (délégation spéciale)
32 - Ange Bisgambiglia	1953 - 1958
33 - Louis Nicolle	1958 - 1959
34 - Henri Rigaud	1959 - 1962

Jacques TORRES, d'après une recherche effectuée par M Mohamed TIAB, Administrateur à CHLEFF, en Janvier 2005.

1-المرجع : الموقع الالكتروني. www.histoire chlef.com.(google).

(زيارة الموقع بتاريخ 2022/01/15 على الساعة 16.30)

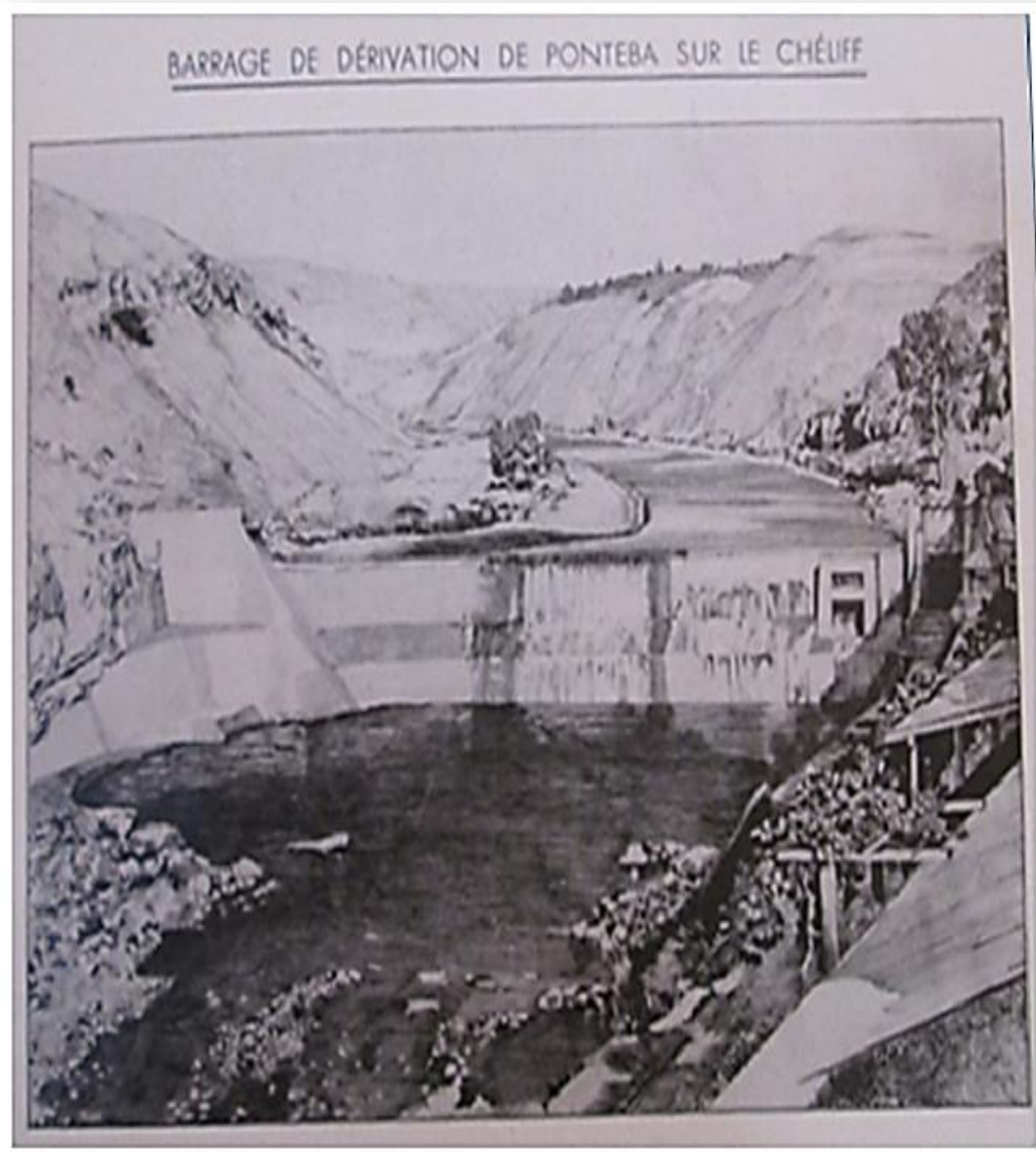
الملحق رقم 4 صورة لسد واد الفضة¹



-1.PAUL MOATI : Developpement Agricole Du Departement D'orleansville , Alger 1959

الملحق رقم 5 سد تحويل بام دروع¹

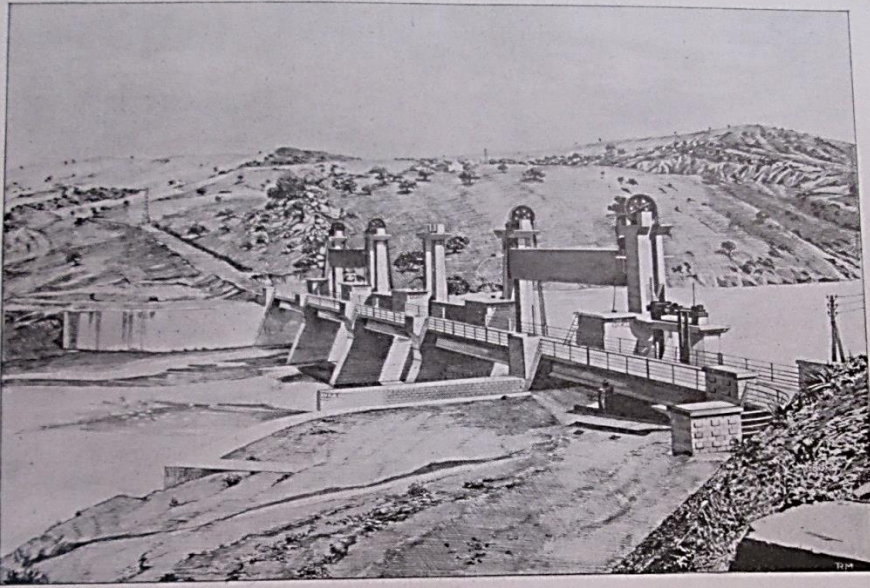
:



الملحق رقم 6 سد ابواب الحديد بواد الفضة¹

— 13 —

BARRAGE DES PORTES DE FER



liques passant sur des tambours de renvoi placés au sommet des piliers prolongeant les piles.

Le relevage du contrepois est assuré par deux treuils d'une force nominale de dix tonnes sur un brin, mouflés à quatre brins, attaquant chacun une des extrémités du contrepois. Ces deux treuils sont conjugués par un mécanisme unique à commande par moteur électrique.

La vitesse de manœuvre des vannes en commande électrique est de l'ordre de 0 m. 20 par minute ; la levée totale de la vanne sur 6 mètres dure environ une demi-heure.

La manœuvre à la main est assurée par six manivelles attaquant simultanément l'arbre de liaison des treuils.

La passe de 4 m. est équipée avec une vanne double métallique abaissante et levante, permettant d'effectuer des chasses de fond pour dévaser ou dégraver l'entrée du bassin de

décantation de la prise d'eau et d'évacuer les corps flottants qui pourraient se trouver dans la retenue.

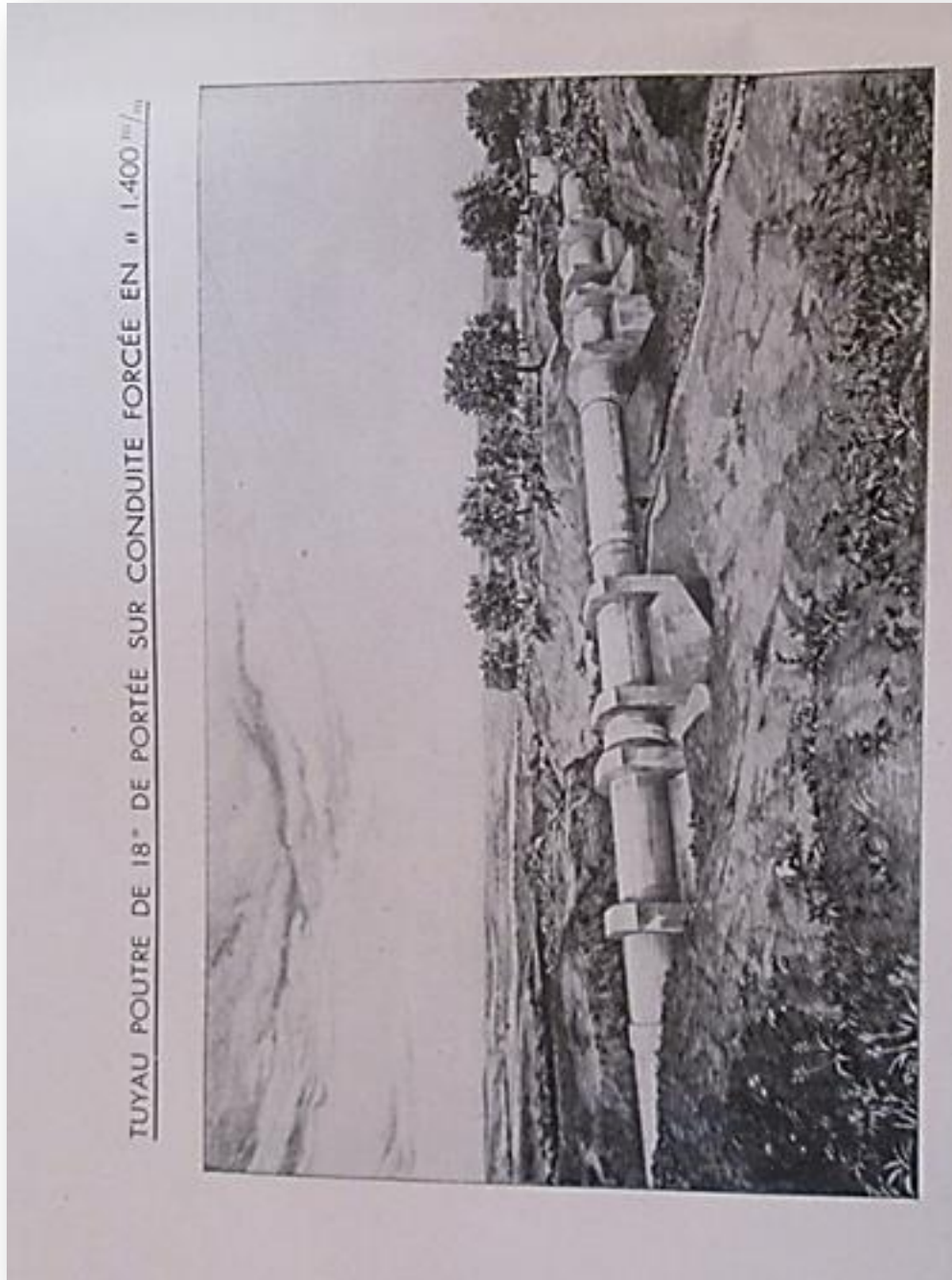
La vanne inférieure, d'une hauteur de 3 m. 50, est à roulement à chenilles ; elle est manœuvrée par deux crics à crémaillère, conjugués par un mécanisme central actionné par un moteur électrique ou manœuvré à main.

La vanne supérieure, d'une hauteur de 2 m., est une vanne wagon à commande semblable à celle de la vanne inférieure.

L'équipement particulier de la prise d'eau comprend :

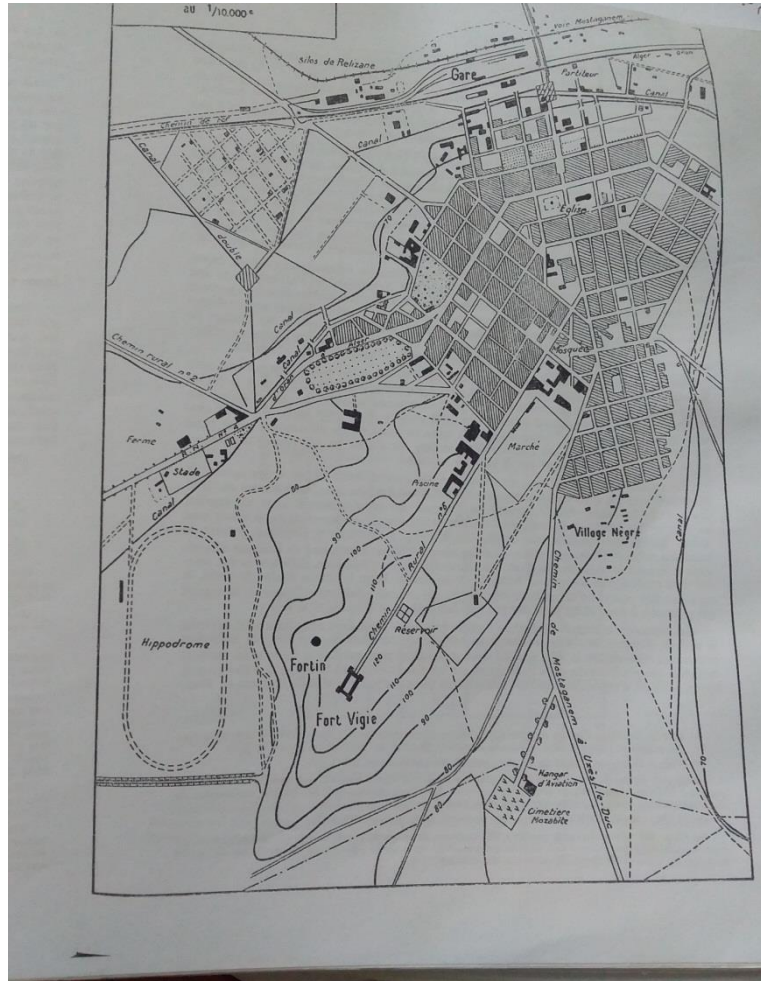
- Une grosse grille de 4 m. de largeur à l'entrée du bassin de décantation ;
- Une vanne de tête à chenilles de 1 m. 50 × 1 m. 50 à l'entrée de la conduite forcée ;
- Une vanne de décharge de 0 m. 80 × 1 m.

الملحق رقم 7: صورة لقنوات من الإسمنت المسلح محمولي على قنوات مدعمة¹.



صورة لقنوات من الإسمنت المسلح محمولي على قنوات مدعمة.

الملحق رقم 8: مخطط عمراني
لغليزان خلال العهد الاستعماري¹



1-xavier yacono,T2,op-cit,p250

الملحق رقم 9: مخطط عمراني لمدينة افروفيل
خلال العهد الاستعماري¹

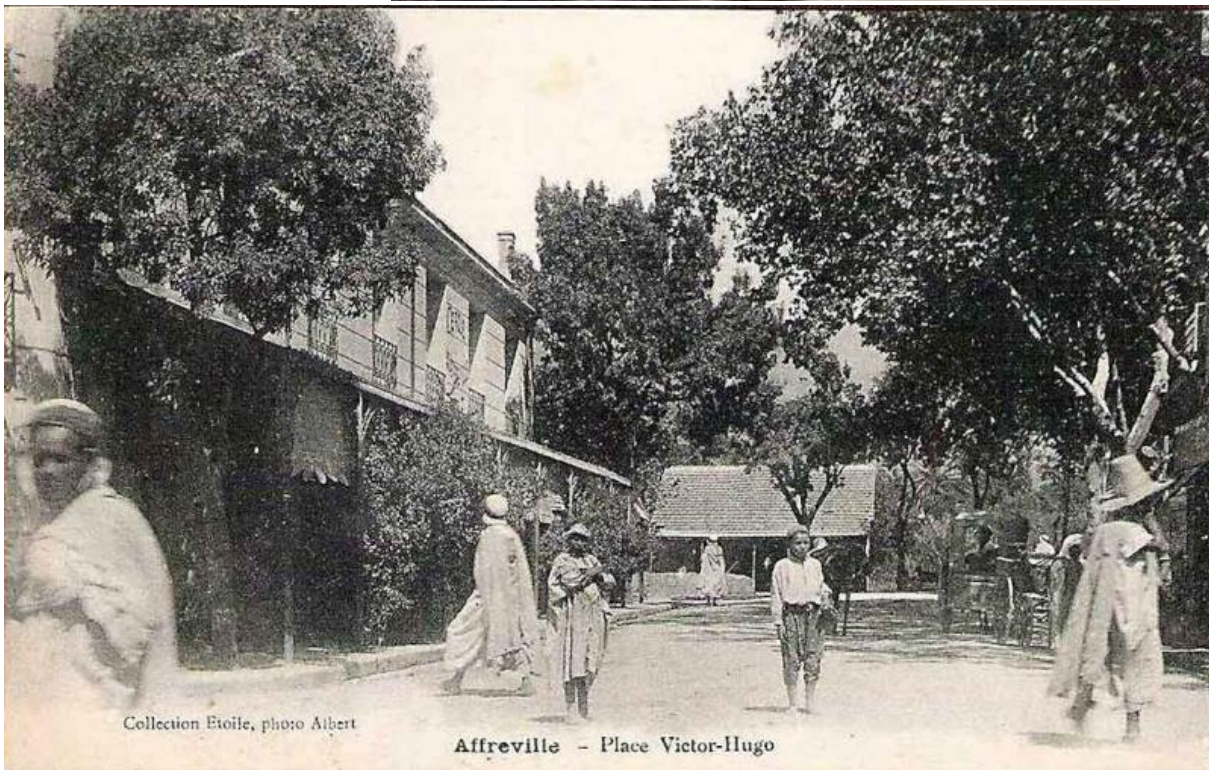


الملحق رقم 10: منظر عامة لشوارع مدينة افروفيل خلال العهد الاستعماري¹



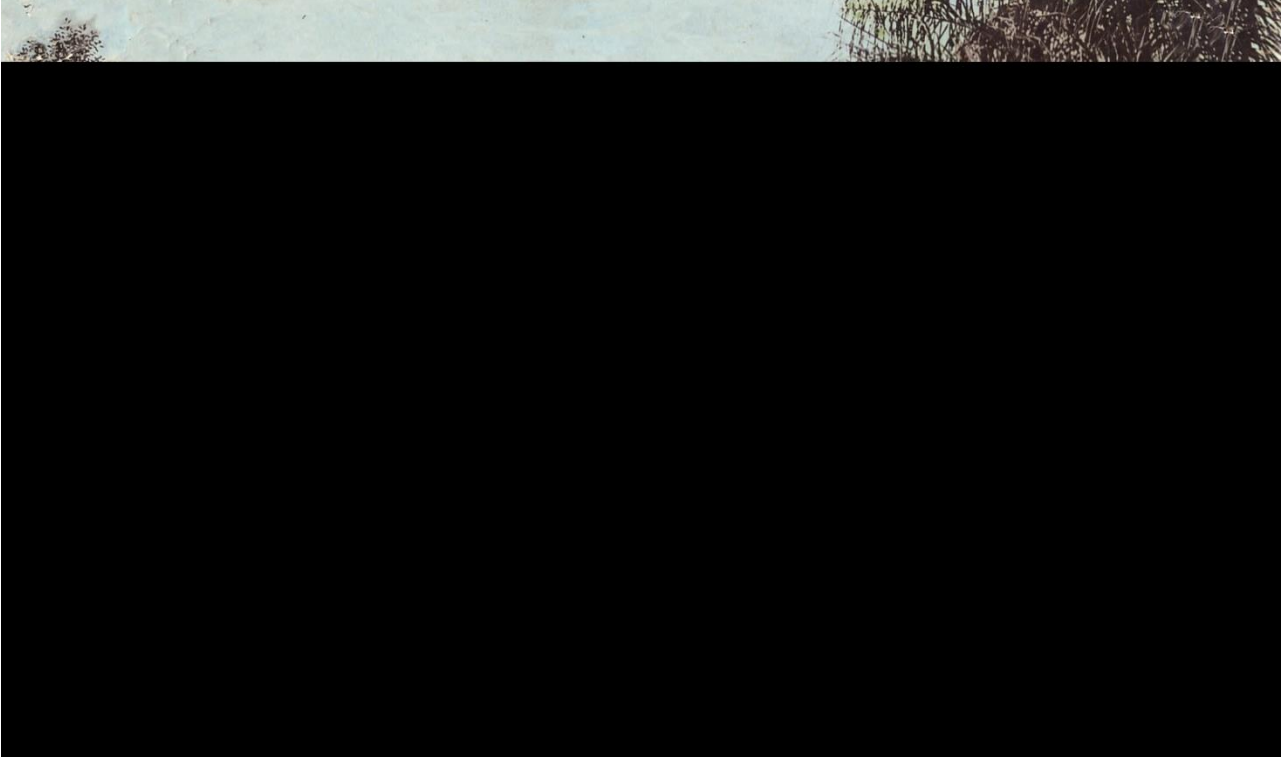
تم زيارة الموقع يوم 20/02/2022 على الساعة 22.20 - <http://alger-roi.fr> - 1

منظر للشارع الرئيسي لافروفيل يحمل تسمية شارع السيد افرو¹



تم زيارة الموقع يوم 20/02/2022 على الساعة 22.20 - <http://alger-roi.fr> - 1

الملحق رقم 11: للمركز الصحي المدرسي بافروفييل¹



الملحق رقم 12: لمدرسة في افروفيل خلال العهد الاستعماري¹



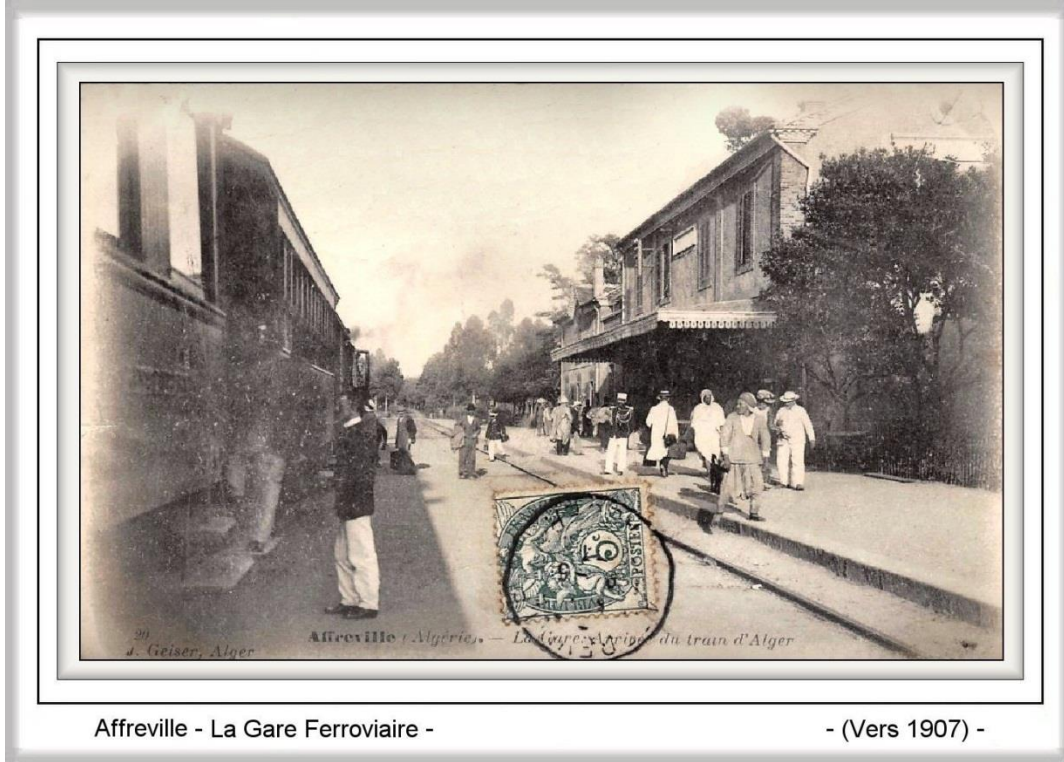
Affreville - La Récréation -

- (Vers 1910) -

الملحق رقم 13: منظر عام للشارع الرئيسي لمدينة افروفيل¹



الملحق رقم 14: منظر لمحطة القطار لمدينة افروفيل¹



تم زيارة الموقع يوم 2022/2/25 على الساعة 18.00 - <http://alger-roi.fr> - 1

الملحق رقم 15: منظر لمقهى وفندق بمدينة افروفيل خلال العهد الاستعماري¹



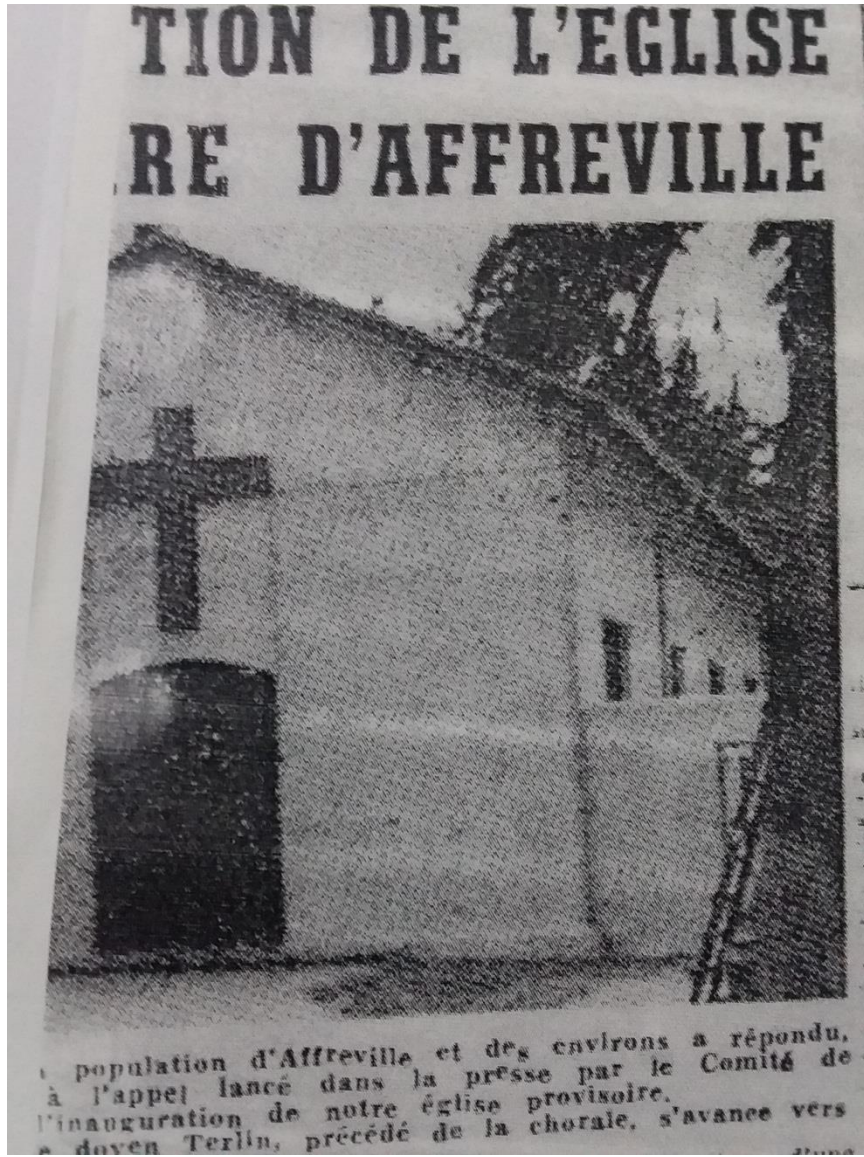
الملحق رقم 16: منظر لسوق في مدينة افروفيل²



1-<http://alger-roi.fr> 18.00 على الساعة 2022/2/25 تم زيارة الموقع يوم

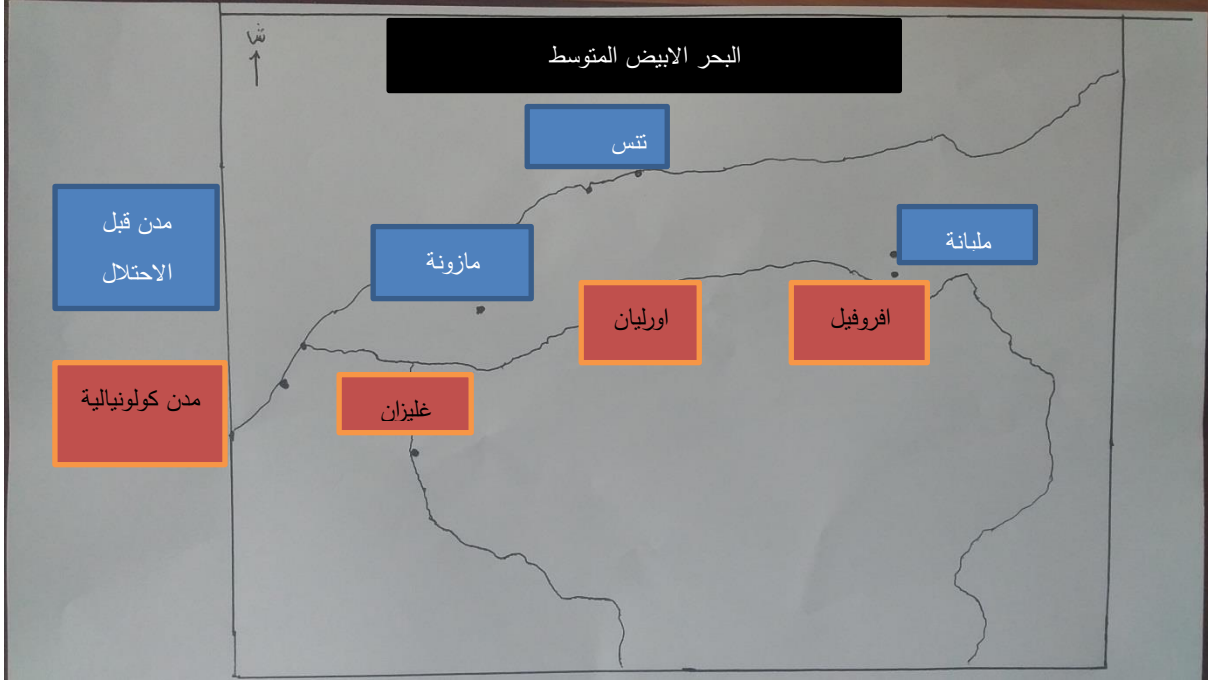
2 -Ibid

الملحق رقم 17: منظر لكنيسة في افروفيل خلال العهد الاستعماري¹



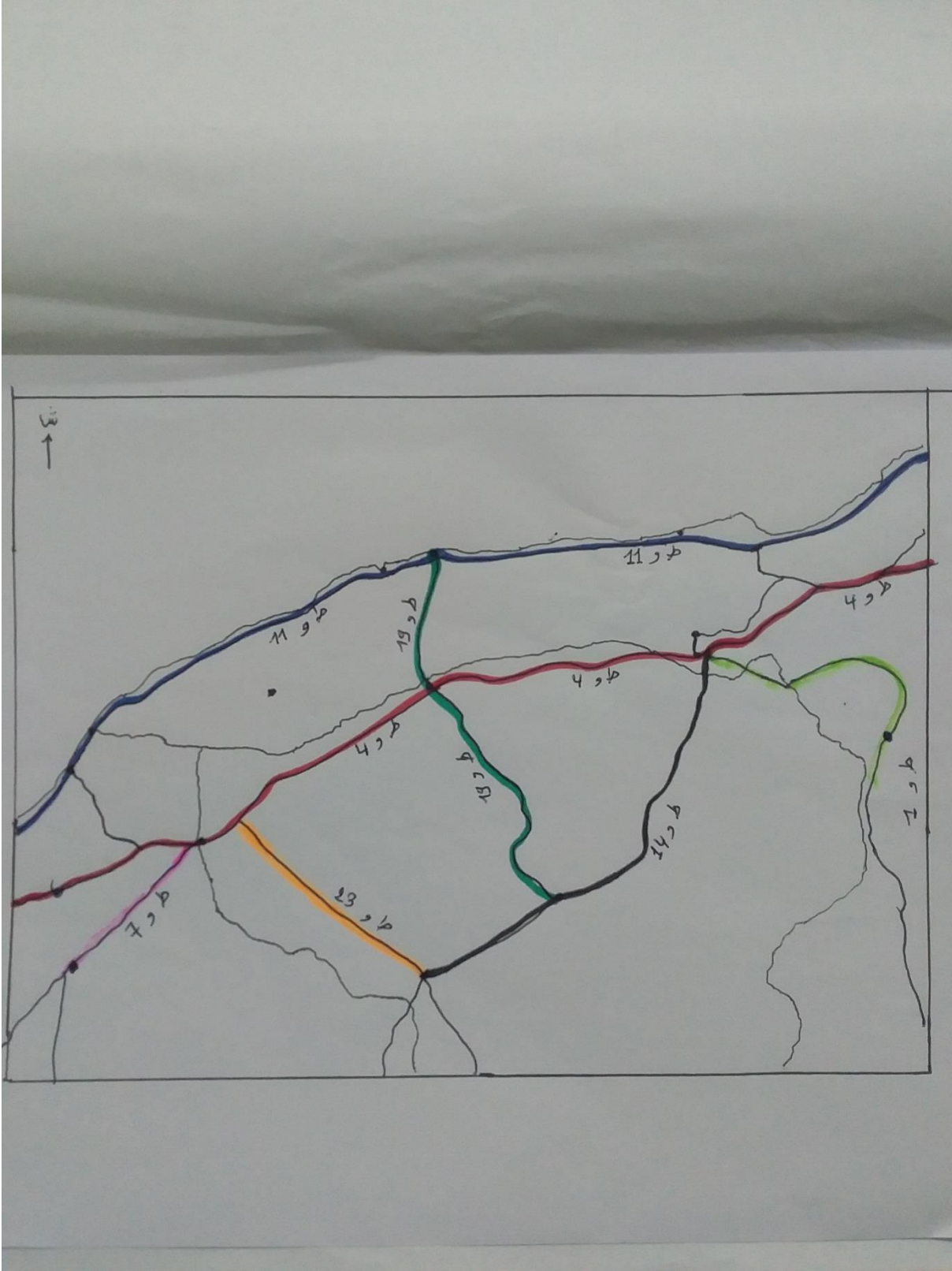
¹-<http://alger-roi.fr>.18.00 على الساعة 2022/2/25 يوم تم زيارة الموقع

الملحق رقم 18: خريطة تبين اهم المدن في منطقة الشلف نهاية العهد العثماني والمدن الكولونبالية



من انجاز الطالب

الملحق رقم 19: خريطة تبين اهم شبكة الطرق البرية في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري¹

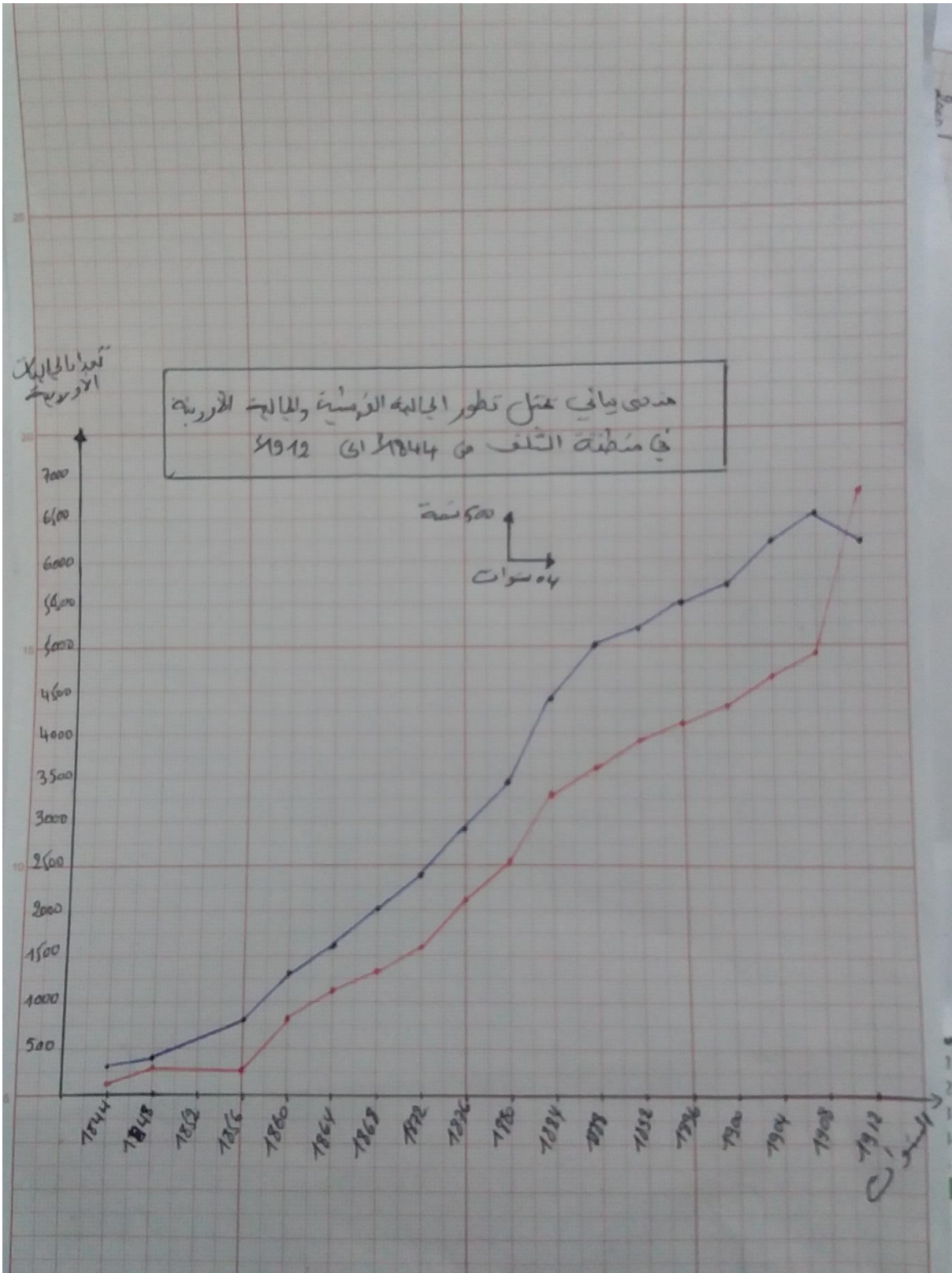


¹ - من انجاز الطالب

الملحق رقم 20: خريطة تبين شبكة سكة الحديد في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري¹

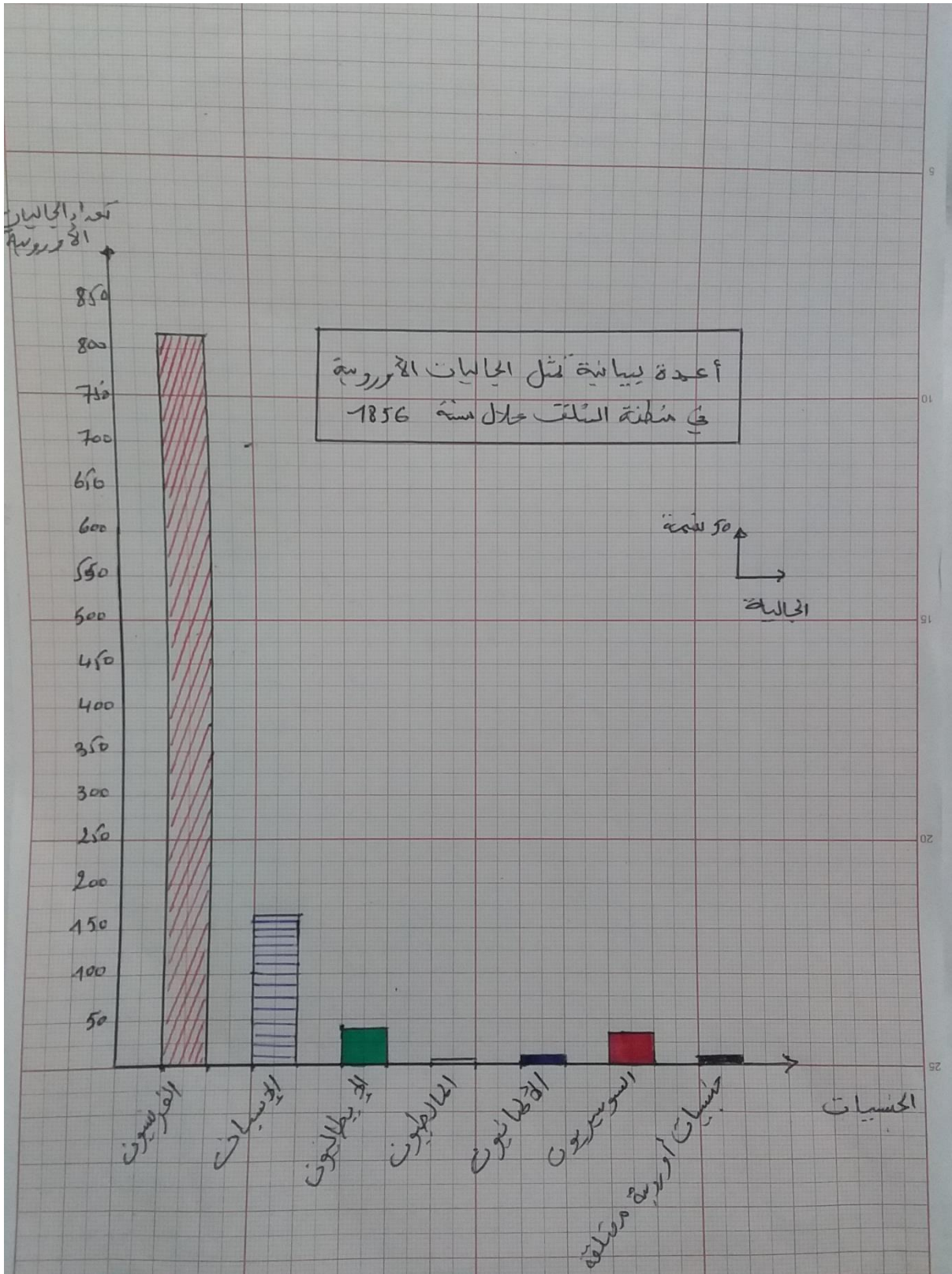


الملحق رقم 21: منحنى بياني يمثل تطور الجالية الفرنسية والجالية الأوروبية في منطقة الشلف من 1844 إلى 1912¹

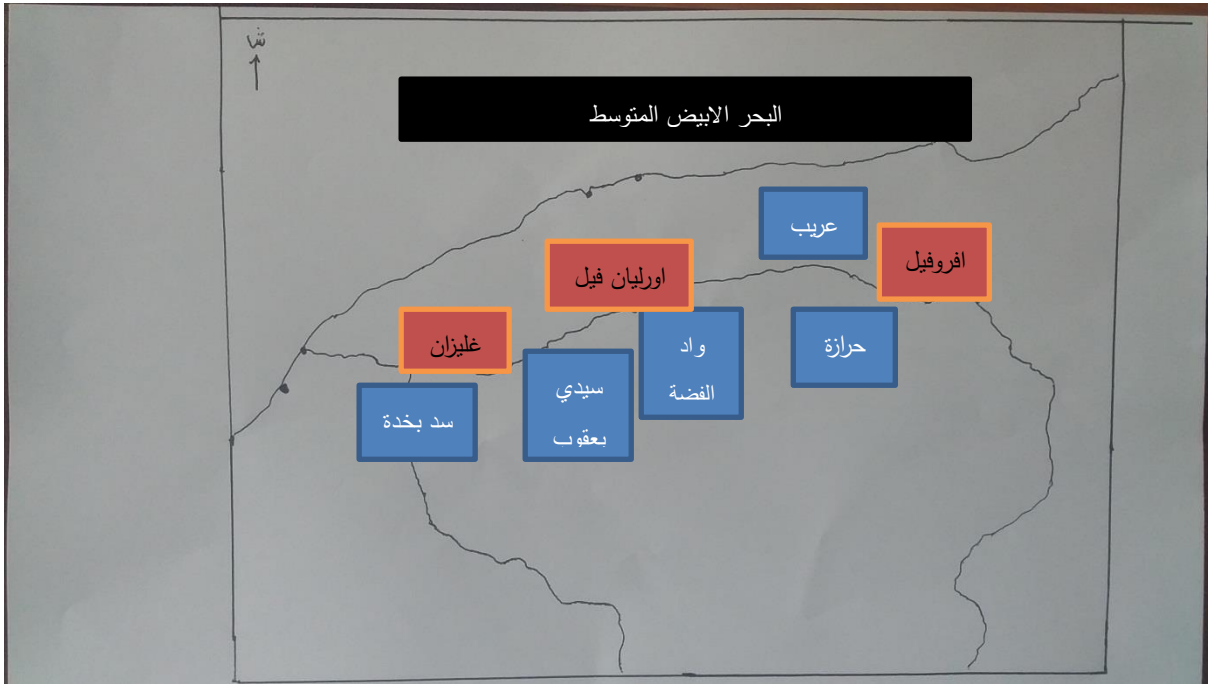


1 - من انجاز الطالب.

الملحق رقم 22 اعمدة بيانية تبين مختلف الجاليات الاوروبية في منطقة الشلف خلال سنة 1856¹



الملحق رقم 23: خريطة تبين اهم السودان في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري¹



المصادر والمراجع

والفهرس العام

ثبت المصادر والمراجع

اولا:باللغة العربية

1-المصادر العربية والمعربة:

- 1.أ ف دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- 2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ط3، صححه محمد يوسف، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
- 3)العالمي ابن السماك ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010.
- 4)المغربي ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970
- 5)المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
- 6)الافريقي ابن منظور ، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري، المجلد13حرف الميم، الطبعة الاولى 1408هـ/1988م.
- 7)البكريأبو عبيد الله ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثني، بغداد، د.ت. محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، ش و ن ت، الجزائر، 1978.
- 8)المعسكري ابوراس الناصري ،عجائب الاسفار ولطائف الاخبار،تقديم وتحقيق محمد غالم،ج1،منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية،وهران ،. 2005.

- 9) الراشدي احمد بن امحمد بن علي ابن سحنون ،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي ،ط1عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، المحمدية،2013.
- 10) (الكولونيل)، اسكوت ،مذكرات الكولونيل اسكوت عن اقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر و تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 11) المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، ت و د، يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990. هنري تشارلز تشرشل ، حياة الامير عبد القادر،تحقيق ابو القاسم سعد الله ،الدار التونسية للنشر،تونس،1974.
- 12)الصنهاجي البيدق أبو بكر بن علي ، اخبار المهدي ابن تومرت، تقديم وتحقيق حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 13)الوزان الحسن ، وصف افريقيا،ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ج2،ط2، الشركة المغربية للناشرين المتحددين ،الرباط،1983. مارمول كريخال، افريقيا ،ترجمة محمد حجي واخرون ، ج3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، -دار نشر المعرفة،الرباط ، 1989.
- 14) بن عثمان خوجة حمدان ، المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر
- 15) الإدريسي الشريف ، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم اسماعيل العربي، د م ط الجزائر 1983.
- 16) الإدريسي الشريف ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في القرن 6هـ/12م،تحقيق ونقل الى الفرنسية محمد حاج صادق ،د م ج ،الجزائر،.1983

- 17) الدرعي شهاب الدين أبو العباس الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ت .
- 18)البغدادي صفي الدين ، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر لمعجم البلدان لياقوت الحموي، تح: علي محمد البجاوي، المجلد 1، ط1، دار الجيل، لبنان، 1992.
- 19)الجامعي عبد الرحمان ، شرح ارجوزة الحلفاوي، مخطوط ورقة.
- 20)بن خلدون عبد الرحمن ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ت ح جليل شحادة ، ط2، ج7، دار الفكر بيروت ،، 1988 .
- 21) المشرفي الجزائري عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت
- 22)بن عبد الحكم عتبة بن الجيلاني ، المرأة الجليلة في ضبط ماتفرق من اولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية ، ط1 ، مطبعة ابن خلدون ،الجزائر ، 1953.
- 23) شوفالبيه كورين ،الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510/1541م، تر: حمادنة جمال، الجزائر، 1991 محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ، شرح وتعليق ممدوح حقي ، ط2 ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت ..1964
- 24) كاربخال مارمول ، افريقيا ، ج2، ترجمة محمد حجي واخرون ،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط ،1989. الونشريسي ابو العباس احمد ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ، ج 5، اخرجه مجموعة من الفقهاء تحت اشراف محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، 1981.

- 25) ابن بطوطة محمد ابن عبد الله ، " رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الامصار" شرحه وكتب هوامشه طلال حر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 26) التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ دولة الادارسة ،من كتاب نظم الدر والعقيان ،تح عبد الحميد حاجيات، موفم للنشر، الجزائر، 2011. مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين، المطبعة الثعالبية الجزائر 1934.
- 27) الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، مطبعة هيدلبرغ، مكتبة لبنان، 1975.
- 28) مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985،
- 29) الحموي ياقوت ، معجم البلدان، ط1، مج5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، 1993
- 30) بن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج2، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.

2-المراجع العربية والمعربة:

- 1.بحاز كبير ابراهيم ، الدولة الرستمية (160/296هـ، 777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث بغرداية، الجزائر، 1993.
2. الاضطخري ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ،دار الكتب العلمية ،الرباط، 2014.
3. بن يوسف ابراهيم ، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1992.

4. حركات ابراهيم ، جغرافية المغرب العربي والوطن العربي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1960.
5. عبد الباقي ابراهيم ، التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر الجديدة، مصر ، 1968.
6. لونسى إبراهيم ، بحوث في تاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي ،دار هومة ،الجزائر ،2013. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984،
7. لونسى ابراهيم ، بحوث في تاريخ الاجتماعي، والثقافي للجزائر، إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013.
8. مياسى ابراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م، دار هومة، الجزائر 2005.
9. الفاسى ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنال للطباعة والوراقة، الرباط ، 1972. خير الدين الزركلي، الاعلام ،ج2، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002.
10. ابن الأحمر ، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة المكتبية، الرباط ،1952.
11. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، 1218هـ.
12. أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985

13. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، عالم المعرفة، الجزائر، 2009
14. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر و 16-20، ج1، الجزائر. 1985
15. أبو عبد المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة، بريل، لندن، 1905
16. أحمد السليمانى، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1989.
17. بعلبكي أحمد ، المسألة الزراعية أو الوعد الرائد في ريف الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، 1985
18. العطار أحمد بن المبارك ، تاريخ حاضرة قسنطينة، تص وتحر نورالدين عبد القادر، المدرسة العليا للدراسات العربية، الجزائر، دت، ص 35.
19. بن بلة أحمد ، مذكرات احمد بن بلة، ط3، دار الألب، بيروت، 1981
20. المدني أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري، ط1، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2010.
21. احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ط1، دار النشر، بيروت، لبنان ، 1958
22. العربي اسماعيل ، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982. عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا، ط 1، المطبعة العالوية ، مستغانم، 1996.
23. العربي اسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

24. معوشي آمال ، يهود الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي 1830-1870، دار الإرشاد، الجزائر، ..2013
25. ايف لاكوست، اندري نوشي، اندري بريان، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبول رابح ومنصوري عاشور، د م ج، الجزائر،
26. بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج 1، دار المعرفة الجزائر.2006
27. البقري ابو العطاء عبد اللطيف، الموسوعة الهندسية المعمارية، المجلد الاول، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2006.
28. الدراجي بوزيان ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، د م ج، الجزائر، 1993.
29. بوضرساية بوعزة ، الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص 217.
30. أحمد طه جمال ، مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين (448هـ/1056م- 668هـ/1269م)، دراسة سياسية وحضارية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية 2011،
31. شاوس الحاج محمد بن رمضان ، باقة الفرسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، د م ج، الجزائر. 1995.
32. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004
33. بقطاش خديجة ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 - 1871، منشورات دحلب 2007

- 34.ديفولكس البير، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشييف العثماني، تح: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004..
- 35.الدليمي خلف، التخطيط الحضري أسس ومفاهيم، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2002.
- 36.رامول خالد، الاطار القانوني والتنظيمي للأماك الوقفية في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2004.
- 37.بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ في العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.1984
- 38.بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د م ج، الجزائر 1397 هـ / 1977 .
- 39.الزبيدي مها، وآخرون، مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية وفق المنظور الإسلامي، منشورات جامعة بغداد، العراق، 2011 علي عصام الدين، المعايير التخطيطية للمدينة العربية في ضوء المنهج الإسلامي، منشورات، جامعة أسيوط، مصر، 2001
- 40.سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 41.فويال سعاد ، المساجد الأثرية بمدينة الجزائر، د ط ، دار المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر.
- 42.سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارة حتى قيام الفاطميين، ج1، مج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999..

43. ناصف سعيد ، المدينة الاسلامية دراسة في نشأة التحضر ،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،
1999.

44. سعدي مزيان، النشاط التصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر 1867-1892، ط 1
2009، الجزائر دار الشروق للطباعة والنشر

45. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة
للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1982.

46. جوليان شارل اندري ، تاريخ افريقيا الشمالية، تونس -الجزائر-المغرب الاقصى من الفتح
الاسلامي الى 1830 ج2، تعر مزالي محمد، البشير بوسلامة، الدار التونسية للنشر، تونس،
1983.

47. اجيرون شارل روبير ،الجزائريون المسلمون وفرنسا 1870-1919، تر: حاج مسعود، ج1،
دار الكتاب، الجزائر، 2007.

48. اجيرون شارل روبير ، تاريخ الجزائر المعاصرة 1871-1954م، ج2، دار الامة
للنشر، الجزائر، 1973.

49. شارل هنري تشرشل، حياة الامير عبد القادر، تر: وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الشركة
الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

50. الشواورة علي، التخطيط العمراني الريفي والحضري، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،
عمان، الأردن، 2012

51. شوقي عبد المنعم، مجتمع المدينة -الاجتماع الحضري، ط7، دار النهضة العربية، بيروت،
1981.

52. العنتري صالح ، مجاعات قسنطينة ، تح : رابح بونار ، شركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974
53. بن قرية صالح ، المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986
54. عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830، دار هومة، الجزائر ، 2004.
55. جنان طاهر ، مازونة عاصمة الظهرة - ثغر حربي ومركز اشعاع حضاري ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،سيدي بلعباس ،.2005
56. العقيفي عبد الحكيم ، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، 1421هـ/2000م.
57. حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني، حياته واثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1989
58. حاجيات عبد الحميد ، خطر النصارى وانهييار الدولة الزيانية في كتاب الجزائر في العهد الاسلامي من الفتح الى غاية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،.1984
59. دليمي عبد الحميد ، دراسة في العمران، السكن والإسكان، منشورات مخبر الإنسان والمدينة، قسنطينة، 2007
60. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،، ج3 و4، ط6 دار الثقافة، بيروت، 1983.
61. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدينة، مليانة، ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر 1392هـ./1972

62. المجدوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقية الى قيام الدولة الزييرية، الدار التونسية لنشر 1395 هـ / 1975. ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، ط1 تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.
63. الملي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم، ج 2، تقديم و تصحيح محمد الملي ، مكتبة النهضة الجزائرية. 2004.
63. فيلالي، عبد العزيز ، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984. كريم فضيلة، الحمامات، ترجمة حضرية يوسف، دار النشر، حلب، الجزائر، 2007.
64. الريحاوي عبد القادر ، البيت في المشرق العربي الإسلامي، مجموعة أبحاث المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، وزارة الثقافة، تلمسان، 1982.
- 65 بوطبل. عبد القادر ،تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1986
66. حلومي عبد القادر ، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968.
67. حلومي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972
68. قرمان عبد القادر ، المنشآت المدنية في مدينة مليانة خلال العهد العثماني، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2015
69. نورالدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

70. جودت عبد الكريم ،الاضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري 10/09م، د م ج، الجزائر، دت
71. جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
72. بن اشهو عبد اللطيف ،تكون التخلف في الجزائر،ت ر مجموعة من الاساتذة ،ش و ن ت ،الجزائر، دت
73. المراكشي عبد الواحد ،المعجب في تلخيص اخبار المغرب من فتح الاندلس الى اخر عصر الموحيدين ، ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط 1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949.
74. غنيم عثمان ، معايير التخطيط (فلسفتها، أنواعها، منهجية إعدادها وتطبيقاتها في مجال التخطيط العمراني)، ط 1 ، دار الفضاء للنشر والتوزيع ،الأردن، 2011 .
75. بن داهة عدة ،الاستيطان والصراع حول ملكية الارض ابان فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962، ج1، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2008.
76. عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960، تر: جوزيف عبد الله، ط1، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص 126.
77. سامح التر عزيز ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1989م.
78. علوي عمار، الملكية والنظام العقاري في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2006.

79. ابن أبي زرع علي ، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصورة للطباعة والوراقة ، الرباط المغرب ،. 1972.
80. خلاصي علي ، القلاع والحصون في الجزائر ، مطبعة الديوان للطبع والتوزيع ، الجزائر ، سبتمبر 2008
81. خلاصي علي ، قصبة مدينة الجزائر ، ج2، ط1، دار الضارة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007.
82. عمورة عمار ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج 1، دار المعرفة ، الجزائر ، 2009.
83. عميرواي أميدة، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية الفرنسية في المجتمع الجزائري 1830-1954، دار القصبة، الجزائر، 2007.
84. غربي الغالي ، العدوان الفرنسي على الجزائر " خلفيات وأبعاد"، مطبعة دار الهدى، الجزائر،. 2007.
85. فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، دار القصبة، الجزائر، 2005
86. فواز مصطفى، مبادئ تنظيم المدينة، ط1، بيروت، لبنان، . 1980.
87. فون مالتسانهاينريتش، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، ج1، ترجمة ابو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ، الجزائر ،. 1979.
88. قديد محمود حميدان، التخطيط الحضري ودور التشريعات التخطيطية في النهوض بعملية التنمية العمرانية، إمارة دبي نموذجاً كلية الاقتصاد، إمارة دبي، الإمارات المتحدة، 2010
89. سامح كمال الدين ، العمارة في صدر الاسلام، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1971

90. غربي كمال ، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، . ابن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، ط10، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
91. مهيرس مبروك ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
92. قداش محفوظ ، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1993.
93. قداش محفوظ ، جزائر الجزائريون ، تاريخ الجزائر ، 1830-1854،ت محمد المعراجي ،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار ،الجزائر ،2008
94. قداش محفوظ ، جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر 1830/1954)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008.
95. الطيب عقاب محمد ، لمحات عن العمارة والفنون الاسلامية في الجزائر ،ط1، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
96. شنياتي محمد البشير ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريتانيا 146 ق.م - 40م، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1985.
97. الطمار محمد ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، د م ج، الجزائر، 2010
98. الطيب عقاب محمد ، قصور مدينة الجزائر في آواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009.

- 99.العربي ولد خليفة محمد ، الاحتلال الاستيطاني للجزائر ، مقارنة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، دار تالة، الجزائر، 2005.
100. الملا محمد ، المعايير التخطيطية لطرقات المدينة الاسلامية في الماضي والحاضر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2002.
- 101.محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
102. الصلابي محمد بن علي ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، بيروت، 2009
103. القزويني محمد بن محمود زكريا ، اثار البلاد واخبار العباد ،دار صادر ،بيروت ،2019
104. جندي محمد ، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا في العصر الحديث، ج2، د ط ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2008. علي حجيج وسعيدة مفتاح، المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1830-1999م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر. 2011.
- 105 حاج صادق . محمد ، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د ط ، د م ج، بن عكنون، الجزائر، 1989.
106. دراج محمد ، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة برباروس 1512 – 1543، دار الأصاله، الجزائر، ط1، 2011 .
- 107.صغير غانم محمد ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2006.

108. عادل عبد العزيز محمد ، التربية الاسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987
109. عبد الستار عثمان محمد ، المدينة الاسلامية، ط1، دار الافاق العربية، القاهرة، 1999.
110. محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، ط 1، القاهرة 1384هـ/1964م.
111. فاروق عبد الحميد محمد ، التطور المعاصر لنظرية الأموال العامة في القانون الجزائري، د م ج ، الجزائر، 1991.
112. بن حسين محمد لخضر ، الازمات الاقتصادية، تر: أحمد سفير ،منظمة العمل العربية، مطبعة التجلة، الجزائر، 1995
113. السيد محمود ،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، 1999، ص 27.
114. الأشرف مصطفى ، الجزائر الامة والمجتمع ،تر حنفي بن عيسى، دار القصبه ،الجزائر 2007.
115. خياطي مصطفى ، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والاشهار وحدة الطباعة الروبية، 2014
116. الأزرق مغنية ، نشوء الطبقات في الجزائر،تر سمير كرم،مؤسسات الابحاث العربية،بيروت، 1980.
117. الموسوي هاشم، العمارة وحلقات تطورها في القديم، دار دجلة، ط1، العراق ، 2011.

118. بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
119. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، ط2، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس 1392.
120. سعيدوني ناصر الدين ، "الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي في كتاب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989
121. سعيدوني ناصر الدين ، انطباعات حول علاقة الامير عبد القادر بإنجلترا والباب العالي سنة 1840-1841م، في كتاب بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، تونس، الجزائر، ليبيا ، من 1816 إلى 1871م، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس،
122. سعيدوني ناصر الدين ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
123. سعيدوني ناصر الدين ، وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات الضابط هيبوليت
124. براهيم نصر الدين ، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، تعليق علي تابلت، منشورات ثالة، الجزائر، 2010
125. النميري ابن الحاج، بن ابراهيم بن عبد الله (ت774هـ/1372م)، فيض العباب وافاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة محمد بن شقرون، د ت، تح: محمد بن شقرون الرباط، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1990

126. اليسيف نيكيتا ، المدينة الإسلامية التخطيط المادي، تر: أحمد تغلب، نشر سرجنت اليونيسكو، 1983
127. يوعزيز يحي ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر. 2009.
128. يوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر، 1 و2 دار البصائر، الجزائر، ط. 2009.
129. يوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، الجزائر القديم والوسيط ، د م ج ، الجزائر 1999.
- 130 يوعزيز. يحي ، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب، وهران ، 2002.
131. يوعزيز يحي ، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع حسين داي ، الجزائر ، 2009.
132. يوعزيز يحي ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، د م ج ،الجزائر، 1984.

3-المذكرات والرسائل والاطاريح الجامعية:

- 1- شرايف سحنون ،دراسة مونوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني 146-429م،مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم ،جامعة الجزائر ،2011م.
- 2-سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب واثرها على مقاومة الامير عبد القادر 1832-1847،اطروحة دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر ،جامعة وهران الموسم 2010-2011.
- 3- شحادة زياد، أثر التنظيم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، مذكرة ماجيستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010
- 4- معاوية صبرينة ، التطوير الحضري والتنمية المستدامة في المدن الصحراوية، مدينة بسكرة نموذجا، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع البيئية، جامعة بسكرة ، الموسم 2015./2016
- 5- لعرج عبد العزيز ،المدارس الاسلامية دواعي نشاتها وظروف تطورها وانتشارها ،اطروحة دكتوراه(القسم الاول) كلية العلوم الانسانية جامعة الجزائر ،1421هـ/2001م، ص ص 119-120.
- 6- بن داهة عدة ، الاستيطان والصراع على ملكية الارض 1830-1962 ، ج 2 ، اطروحة دكتوراه ،جامعة وهران ، 2010-2011. صالح كليل، خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط ، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007.
- 7- عبود علي ، الاستيطان والصراع حول ملكية الارض 1830-1899م القطاع الوهراني نموذجا، مذكرة ماجيستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ وعلوم الاثار، جامعة وهران، 2013
- 8- عمريوي فهيمة، الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر ، 2008 -2009.

- 9- لواتي فاطمة ، أثر اللغة البونيقية في المنطوق اللهجي الجزائري، مذكرة ماجستير في علم اللهجات، قسم الثقافة الشعبية ،كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الموسم: 2007.-2008
- 10- بوحسون فايزة ،الاضاع الاقتصادية لحوض الشلف من خلال جريدة المبشر 1848-1851،مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الاقتصادي والاجتماعي 1815-1962،جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الانسانية،الموسم2015-2016م.
- 11-بحري أحمد ، حاضرة مازونة -دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900،اطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية ،قسم الحضارة الاسلامية ،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ،جامعة وهران ،الموسم 2012-2013..
- 12- الواليش فتيحة ، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،الموسم 1993-1994 .
- 13- آراب فهيمة ، التراث والسياحة من خلال مدينة قسنطينة ،مذكرة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري بقسنطينة 2010.-2011
- 14- قدور منصورية، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرن السابع والعاشر هجرية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2012
- 15- مجذوب كريمة ، الاستعمار وانعدام الأمن وإشكالية المقاومة الشعبية والاجتماعية بالغرب الجزائري 1881 - 1920، اطروحة دكتوراه،تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران،،الموسم 2009-2010

- 16- بلقاسم ليلي ، المراكز الاستيطانية وتطورها في منطقة غليزان 1850 - 1900، مذكرة ماجستير غير منشورة الموسم 2012 - 2013، جامعة وهران.
- 17- عيساني محمد ، تطور النشاط الاستيطاني الاوروبي والفرنسي في منطقة الشلف 1843-1962، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر،.2012.
- 18- عيساني محمد ،الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للاستيطان الاوروبي في حوض الشلف، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر3،الموسم 2017-2018
- 19- قريشي محمد ، الاوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى اندلاع الثورة التحريرية 1949-1954، مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،الموسم 2002-2003.
- 20- مشومش محمد ، مساجد مدينة تنس، دراسة تاريخية أثرية معمارية، مذكرة ماجستير في علم الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- 21- مدور يحي، التعمير واليات استهلاك العقار الحضري في المدينة الجزائرية، مذكرة ماجستير ،كلية الهندسة المدنية والري والهندسة المعمارية، قسم الهندسة المعمارية، جامعة باتنة،2011-2012 .
- 22- حداد أحمد ، الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره 1915 - 1998م، مذكرة مقدمة لنيل ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي.-2008.
- 23- بن عتو بلبروات ،المدينة والريف بالجزائر في اواخر العهد العثماني ،اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ،قسم التاريخ والاثار ،جامعة وهران ،الموسم 2007-2008

- 24- درقاوي منصور ، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16م و19م، بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014 / 2015.
- 25- يزير عيسى، السياسة الفرنسية تجاه الملكية العقارية في الجزائر 1830-1914، مذكرة ماجستير في التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم 2007-2008.
- 26- بن نعمان اسماعيل، مدينة تنس دراسة أثرية وعمرانية، اطروحة دكتوراه في علم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006/2007
- 27 - تليجاني خديجة، الحقائق العامة في البيئة الحضرية بقسنطينة، مذكرة ماجستير في علم اجتماع البيئة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.
- 28- صالح توفيق ، المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية 1838-1962م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009
- 29- حمومي أحمد، ظاهرة المسرح في الجزائر، تجربة وهران، دكتوراه دولة، جامعة وهران ، 2007-2008، ط1، شركة بانتيت، باتنة 2006،
- 30- سكاكو حورية ، التحولات الاقتصادية وفي المغرب الأوسط خلال العهدين الموحي والزياني من القرنين (06-10هـ/12-16م)، دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان ، 2013-2014.
- 31- سعيداني سحنون ، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو 183-1930، مذكرة ماجستير معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008

4-المقالات والدوريات:

1- التلمساني ابن رقية ، " الزهرة النائرة فيما جرى بالجزائر حين أغارت عليهم جنود الكفرة"،
نشر وتحقيق سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب الجزائرية ،
العدد3، الجزائر،1977.

2-بوشعال أحمد ، فاجعة الأصنام، جريدة البصائر، السنة الرابعة، السلسلة الثانية،
العدد275، 20محرم1374هـ/17سبتمبر.1954

3-حماني أحمد ، وفاة العلامة الشيخ الجيلالي الفارسي رزه عظيم، يومية المساء، يوم 30
جوان 1994

4-بن مصطفى ادريس،"الواقع الاقتصادي للمغرب الاوسط في عهد الدولة الزيانية"،مجلة
متون ،العدد4 ديسمبر2010،الجزائر

5-بوركبة محمد، الشيخ أبو طالب علم من أعلام المدرسة الفقهية من خلال مخطوط الكوكب
الثاقب في أسانيد الشيخ أبو طالب، "المجلة الجزائرية للمخطوطات"، مجلة علمية محكمة
تصدر عن مخبر المخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا، العدد 5، 2007-
2008.

6-جريدة البصائر ،العدد 35، في 18 ديسمبر. 1936.

7-جريدة الشعب، العدد5271، 13 أكتوبر.1980.

8-جريدة المبشر ،العدد 92 الصادر بتاريخ 1851/07/01

9-جريدة يومية عدد 05-02 ذي الحجة 1263، الموافق لـ 15 نوفمبر، 1847

- 10-الجنحاني الحبيب ، " المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية"، مقال ضمن مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، سبتمبر 2005، العدد.319
- 11- جيلالي بن فرج الحسين، "استغلال الكنيسة الكاثولوكية للمجاعة 1868 في نشر المسيحية في حوض الشلف، وردود الفعل المحلية"، الملتقى الوطني الأول الأمن الغذائي في الجزائر، عبر التاريخ، مدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة ، 2013.
- 12-بورغدة رمضان ، "جوانب من تطور السياسة القضائية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة 1830-1962م"، مجلة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ،العدد4،جانفي 2009
- 13- بولرياس سجية ، أثر الزلزال على مدن الشمال الجزائري مدينة الشلف نموذجا، حوليات التاريخ والجغرافيا الصادرة عن مخبر التاريخ والجغرافيا بالمدرسة العليا للأساتذة ، العدد5، جوان 2012..
- 14-اجيرون شارل روبيير ، تنمية الاستيطان في الجزائر 1870-1930، تر: محمد الطاهر العمودي، مجلة المصادر ع2، م و د ب ح و ث اول نوفمبر 1954 ، 1999.
- 15- بوعمران الشيخ ، التنصير في سهل الشلف، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، عدد نوفمبر 2007
- 16- بن خرف الله طاهر، "التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري 1830-1962م"، مجلة الذاكرة ،العدد الثاني، 1995.
- 17-عباس كبير يوسف، "مليانة"،مجلة الوكالة الوطنية للآثار وحماية المباني والمباني الاثرية،الجزائر 2000

- 18- عبد الستار عثمان محمد، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 23، أوت 2001، تونس.
- 19- الدولاتي عبد العزيز ، "المدينة العربية التقليدية بين الاصاله والمعاصرة" ، الندوة العالمية الأولى للأثار الفلسطينية، مجلة نصف سنوية مارس سبتمبر 1402هـ/1982م، جامعة حلب ، م ع ت ث ع ، 1401هـ/1981م
- 20- لعرج عبد العزيز ، "العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية"، الحوليات، العدد 34، جامعة الجزائر، 2002،
- 21-المبشر جريدة يومية، يوم 17 جانفي .1867
- 22-المبشر، العدد 12.81 ربيع الأول، الموافق ل 15 ماي 1851
- 23-المبشر، عدد 22.39 جمادى الأول 1267، الموافق ل 15 أبريل 1851
- 24- بوركبة محمد ، "جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمران القلعي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس .2003
- 25- عيساني محمد ، "الحياة الثقافية ببعض مدن حوض الشلف خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي"، مجلة تاريخ المغرب العربي ،مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعدالله، الجزائر، العدد السابع ، جوان2017.
- 26- البوعبدلي المهدي ، "الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"، مقالة بمجلة الأصالة، العدد 08 ماي/ جوان 1978م العدد الممتاز.

- 27-مهديد إبراهيم، "الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن 19م والرأسمالية الاستعمارية، إشكالية الاندماج الاجتماعي"، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، العدد 04، جانفي . أبريل 1998
- 28- بلحميسي مولاي ، "الذكرى الألفية لتأسيس مدينة مليانة" مجلة الأصالة، العدد8، ربيع الثاني 1392/جوان 1972، الجزائر
- 29- سعيدوني ناصر الدين ،"الاندلسيون الموريسكيون بمقاطعة الجزائر دار السلطان اثناء القرنين 17/16م"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، 1993.
- 30-ودان بوغوفالة، "المدينة في مراة الرحلة العربية الجغرافية والتاريخية لمدينتي المدينة ومليانة نموذجاً" ، العدد 1 جوان المجلد الاول المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطة ،مجلة فصلية علمية محكمة، جامعة سيدي بلعباس جوان . 2015.
- 31-وزير يحي ،"العمارة الاسلامية والبيئة"، مجلة عالم المعرفة ،العدد 304،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2004.

ثانيا بالغة الفرنسية:

1-الوثائق ارشيفية:

- 1-A.N.O.M , Ouled Khouidem , 2 N 87 , 03 – 03 – 1868
- 2-A.N.O.M , Série O/139 , Service Economique ,Le Matiriel Agrecole .
- 3-A.N.O.M ,F/80, Raport Sur L'Afrique Du Nord ,15-08-1924. S A ,
- 4-A.N.O.M ,GGA, Le Matiriel Agricole Etudié Par La Culture Indigène.
- 5-A.N.O.M ,GGA, Statistiques De L algerie ,1914
- 6-A.N.O.M ,GGA,Moodernisation De La Charue Indigene ,N2573.
- 7-A.N.O.M ,GGA,Moodernisation De La Charue Indigene ,N2573.
- 8-A.N.O.M, op-cit, Affaires Civils Au Sujet De Relizane ,
Mostaganem, 26-08-1857.N.1724
- 9-A.N.O.M, Série O/139 , Service Economique ,Le Matiriel Agrecole.
- 10- A.N.O.M, Serié O/139, Trent M , Modernisation de la charue indigene,N2573 .
- 11- A.N.O.M,, Boyer Banse M, 24-03-1922
- 12- A.N.O.M,, Boyer Banse M, 24-03-1922.
- 13- A.N.O.M,, GGA, 0139, Statistique Industrielle, 1926 .
- 14- A.N.O.M,, GGA, 0139, Statistique Industrielle, 1926 .

- 15- A.N.O.M., GGA, Boulier (M), Rapport Sur Le Sujet De Loi Publique Des Sociétés De Prévoyance, Chambre Parlementaire Des Députés, 1890, N° 1860 .
- 16- A.N.O.M., 2m16, Cm, Ammi Moussa , Arrondissement De Mostaganem , Beni Ourag, Beni Teghrin, Beni Meslem , Ouled Khoudem, Fraction Renseignements, Statistique
- 17- A.N.O.M., Buletin Des Etudes Algeriennes , 1905 .
- 18- A.N.O.M., GGA 0193, Léon Rousset , L introduction A la Culture Des Céréales , 1922..
- 19- A.N.O.M., GGA 0193, Léon Rousset , L introduction A la Culture Des Céréales , 1922 .
- 20- A.N.O.M., GGA 0139 Service Economique , P. Perrenin, La Methode De Sous-Solage Killefer A.N.O.M., GGA, Annuaire Statistique De L'Algérie , Compagne 1922-1923 ..
- 21- A.N.O.M., GGA, O/139 , Matériel Agricole.
- 22- A.N.O.M., GGA, 0139 Service Economique , P. Perrenin, La Methode De Sous -Solage, Killefer. A.N.O.M., GGA, 0139 Service Economique , P. Perrenin, La Methode De Sous -Solage, Killefer. A.N.O.M., GGA 0193, Léon Rousset , L introduction A la Culture Des Céréales , 1922 .

- 23- A.N.O.M,GGA,O139, ALBERT Margo,l'Art De Labourer ,Modernisation De La Charue Indigene,N2573. A.N.O.M,GGA, O139 , Concour De La Charue Arabe ,mai 1933.
- 24- A.N.O.M,IN/4 Propriété Indigène ,GGA Service Topographique
- 25- A.N.O.M,Tableau d'Assemblage Du Territoire ,Relizane,23-04-1857 .
- 26- A.N.O.M.GGA.1L 158-169.20-11-1856 A.N.O.M,F/80,Fond ,L introduction A La Culture Des Céréales,1922.
- 27- A.N.O.M.GGA.IL carton 158-196,03-11-1865
- 28- A.N.O.M:GGA,1L Carton 158-169,14/10/1857
- 29- Collection complete des Lois , décrets ,ordonances,reglements de 1788a 1830, Sur Avis du conseil d etat Tome 3, 2eme edition; edit Guyot et Scribe , Paris ,1834.
- 30- courrier de mostaganem , 28 septembre 1876,N:800.
- 31- Gouvernement General D algerie ,Tableau Général Des communes de plein exercice ,mixtes et indigènes des trois province ,territoire civil et militaire avec indication du chiffre la population et de la superficie ,imp de l association ouvriere ,Alger ,1884 .
- 32- -Journal Asiatique ,Socité Asiatique, paris,1835 .
- 33- Les Cerieals Exotiques En Algerie ,in RAAN,15-10-1920 .
- 34- Ministere de la Guerre ,T.E.F.1838
- 35- Ministere de la Guerre, T.E.F,1843.1844

36- Ministere de la Guerre,T.E.F, 1852.1854 ,

37- Somibar ,Une Page De La Mine De Boucaid–Ouarsenis ,Boucaid
2003

a. Tableau des situations d etablisement francais en algerie au
1840,imprimerie royale paris , 1841.

2-المراجع بالفرنسية:

Annie Rey, Goldzeigeur ,Le Royaume Arabe , La Politique Algerienne De Napoléon III, 1861–1870

Arduin Du Mazé , Etudes Algeriennes, L algerie Politique Et Economique A Travers Le Pont , Lettres Sur L insseruction Dans Le Sud Oranais , libraire guillaumien et cie ,paris 1882.

Ballongue J,La Banque D algerie ,Son Origin, Son But ,In BSGAO,1931

Balout L,La Préhistoire De L afrique Du Nord ,Paris ,1955

Basset A,Etude sur La Zenata de l'Ouarsenis Et Du Maghreb Central, paris , 1985,

Benevolo Léonardo,Histoire De La Ville , E Parentheses , Marseille , 1994 .

Bequet M,l algerie en 1848–Tableau Geographique Et Staistique Et Historique,libraire de HACHETTE Et Cie,paris 1849

Berard M, Description Nautique des Cotes de l'Algérie , paris ,imprimerie royale,1873

Berard M, Discriptions Nautiques Sur Les Cotes de L Algerie ,paris , imp royale ,1837.

Bernard Maurice Antoine, Les Chemins De Frer Algeriens, adolphe jourdin editeur, Alger, 1913

Berthier A, L Algerie Et Son Passé , ed A et J.PICARD, paris , 1951 .

Besedik.N , Les Troupes Auxiliaires De L Armee Romaineen Mauritanie Césarienne Sous Le gaut empire , societe nationale d editionet de diffusion, alger , 1975.

Betuil Arséme , L algerie fransaise Histoire– Moeurs–Coutumes–Industrie –Agriculture, T2, detnu–libraire–edition, paris, 1856

Bloch A, Etude sur le nom de Miliana, Bulletin d'archéologie algérienne , TVI, 1975–1976, societe nationale d'édition et diffusion, Alger, 1980

Bosworth C.E, , Vandozel C, heinrichs W P, and the late C.H, Miliana, The encyclopaedia of Islam, vlume VII , Leiden–new york, E.J, Brill, 1993

Bouba Mohamed Tabti , La Société Algerienne Avant L independence Dans La Littérature , opu alger, 1986

Boudicour, La Colonisation de l algerie s l m p , paris , 1860. Charle Gourlier, Notice Historique Sur Les Services Des Travaux Des Batiments Civils a Paris Et Dans Les Departements De Paris , 2eme edition revue et augmenté par Charles Questel , 1886

- Charle.André .Julien,Histoire de l'afrique Du Nord,Tunisie,Algerie ,Maroc,
Des Origines a la conquete Arabe1830,édition Payot paris 1964 ,
- De Bomel M , Raports De L'empereur Sur La Colonisation De L'algerie
Au Point De Vue De Pratique , poitier imprimeur de henri audin , sd
- DE Grammont .H,Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 1515-
1830, Léroux ,paris ,1887
- Démontés V ,L'algerie Agricole , Collection Du Centenaire 1830.
- Djebari Youcef , La France En Algerie Bilan Et Controverses ,T1,opu,
Alger ,1995.
- Djilali Sari , La Deprivation Des Fellah ,SNED,Alger ,1975
- Djilali sari ,L'homme et l'érosion dans l'Ouarsenis algerien
,S.N.E.D,alger,1977.
- Jaques lizot, Mitidja Un Village Algerien De
l'Ouarsenis,S.N.E.D,alger.1973
- Djilali Sari ,Les Villes Précoloniales De L'Algérie Occidentale , Nedroma
Mazouna Kalaa , sned ,Alger
- Driouche Kamel,Réinterpréter Et Valoriser Les Héritages Culturels Dans L'
urbanisme Et L'architecture , Edition PUPS,paris , 2010 .

Duval Jules , L'algerie Tableau Historique , Descriptif Et Statistiques , 1^{er} edition, librairie de HACHETTE Et Cie paris , 1859

Ernest Mercier , Histoire De L'Afrique Septentrionale Depuis Les Temps Les Plus Recules Jusqu'a La Conquete Francaise 1830, T3, ed , Ernest Leroux, paris

Esclapez Vincent , Relizane surnommée la petite Cayenne d'algerie , sa creation en un siècle de colonisation 1853–1856, oran , 1957

Gorguou A , Histoire D'un Bey De Mascara Et De L'Oranie, editions G.A.L Alger , 2006

Gorguou, Notice sur le bey d'Oran Mohamed el kebir, revue africaine 1856/1857, offices des publications universitaires , Alger

Govlin L, Le Maghreb Central a l'époque Des Zirides Recherche D'Archeologie Et D'Histoires Arts Et Métiers Graphiques, paris , 1957.

Gugnement Louis , Félix, L'histoire Des Villes Coloniales , séminaire d'histoire de l'Amérique coloniale , SHAC, France , 1985

Haedo F.D, Histoire Des Rois D'Alger , traduit et annoté par HD grammont , in revue africaine , N°:24, année 1880, office des publications universitaires , alger 1986.

Henri Ahmed , La Colonisation Agraire Et Le Sous-Developpement En
Algerie , Sned 1981.

.46 Heurgeon J, Le Tresor De Ténès,Arts et Metiers Graphiques
,paris

Jaques Leroy De Saint-Arnaud, Lettres du maréchal de Saint -Arnaud,
Michel Lévy Frères- Libraire- Editeur, Paris 1855

Jules Gerard , L’afrique Du Nord , 2ed , Paris 1861

Jusseau Paul,Chemin De Fer Algeriens,compte rendu de gestion
exercice,Alger,1958

Lahouari Addi,De L algerie Pre-colonial A L algerie coloniale , Entreprise
National Du Livre ,Alger ,1985 .

Lahouri Aadi , De L Algerie Precoloniale A L algerie Colonial , E N de
livre, Alger , 1985

Le General Lapasset,Algerie –Metz 1864–1917,T1,2 eme edition
,ARMAND COLIN Et Cie,paris,1889

Le lieutenant Guiter , Inscription d affreville ,revue Africaine 1858–
1859,office des publications unversitaires,Alger

Le Pelley C , Rome et l Integration de l empire, 44avj , T2,PUF,1998

Lebrun A ,l Algérie et son passé ,edition A et J ,Picard , paris ,1951

Lecq.M.H , Commission D'étude Des Amelioration A Apporter Dans La Situation Agricole De La Vallee Du Cheliff , Rapport A Monsieur Le Gouverneur General De L'algerie , Alger , Imprimerie Orientale 1898

Lorcin J ,Les Situation Préhistoriques Du Cap De Ténès ,in revue libyca ,1961-1962 .

Louis Hamel, Chemins De Fer Algeriens Le Classement De 1857 Etude Sur La Constitution Du Reseau ,Adolphe Jourdan Libraire editeur , alger

Loukil Youcef ,Mazouna Ancienne Capitale Du Dhahra ,imprimerie algerienne,alger,1912

M,Kaddache ,l Algérie médevale,2 eme edition, entreprise nationaledu livre , Alger 1992

Malverti Xavier ,Aleth Picard, Les Villes Traces Des villes Et Le Savoir Des ingénieurs Du Genie , Travaux Des recherches , Ecole d Architecture de Grenoble , Ministere de l Equipement et du Logement , Direction de l Architecture et de l Urbanisme , Grenoble ,1988

Mandeville Et Demontes, Etude De Démographie Algerienne ,s l m p ,paris ,1900

Marcel Emeric,L algerie A L époque D abd-El-Kader,paris,1951

- Marcier,Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T 5, Paris 1927
- Marou H.I, Mosaiques Chritiene De Ténès, bulletin d archeologique algerienne, T1,1962 .,
- Max marchon, petite histoire du département de chélif, Oran, 1959 .
- Moulay Belhamissi, Mazouna Une Petite Ville Une Longue Histoire,sned:Alger,1981
- ,paris,1931 .
- Paul Moati,Development Agricole ,Departement D orleansville,paris ,1959
- Paul Azan ,Par L epee Et Par La Charue , paris,1948.
- Paul Azan,Conquête Et Pacification De L algerie ,paris ,1931.
- Payen Et Ladreit,Les Richesses Minères De L afrique Du Nord , In Parcoure,1929 .
- Pelissier Eugene De Reynaud,Annales Algerienne,2eme Edition T2, Alger,1854
- Poggi Jaques,Les Chemins De Fer D intérêt General De L algerie ,larose,paris,1931

Pourcher Charle,Souvenir Et Impressions Recuilles Au Cours D'une Période D'action Coloniale De Cinquante ans 1867–1922,nouvelle edition,paris, 1924

Raynal R et.Despois J, Geographiede l Afrique de Nord –ouest , payot,paris ,1975.

Renie Pentie,Souvenir De L algerie Ou Notice Sur Orleans Et Ténès, Im De Boucher Moreau ,Valanciennes,1850

Reuss L.M,A Travers L algerie,librairie Generale De Vulgarisations,paris 1884.

Riviere Et Lecq,Manuelle Pratique De L'Agriculture Algerienne ,Ed CHallamel,paris ,1900.

Robert G, Les Chemin De Fer Algeriens ,in l explorateur vol.2,annee 1887

Robert .G , Voyage a Travers L Algérie , éditeur E.DENTU,S.L,1887 .

Robert.G,Les Chemins De Fer Algeriens,in: l explorateur,vol2,annee 1887

Rocca Emile,Histoire De La Ville De Setif , imp,artistique Emile Rocca,setif , algerie , 1903

Rojet et Carette, Algerie Atlas Tripolitains, 2 eme edition , edition
Bousslama, paris,1980

Rozet et Varette ,Algérie , 2 eme edition ,Bousslama, Tunis ,1980

S A,Principales ,Tribus Septentrionale Et Particulièrement De L algerie
,imp impéria ,paris ,1853,

Sahraoui Rachid,aperçu sur la ville algerienne ,ed D.A.C , Constantine ,
2005

Shaw Thomas , Voyage Dans La Regence D Alger , Ou Description
Géographique , Physique , Philologique ,etc. De Cet Etat , trad. de
l'anglais par , J. Mac Carthy , ed :MDCCXLIII

ST Gsell, Atlas Archéologique de l'Algérie , 2 eme Edition ,Alger
1977,F,XIII,N70.

Teissier Octave , Napoleon III , En Algerie , Paris 1865.

Theodore Steeg,Inauguration Des Travaux De Construction Du Barrage –
Reservoir De l Oued Fouda Alger,1879

Thintoin R,La Plaine De Relizane Avant L irrigation,B.S.G.A,1950.

Vacher Hélène ,Projection Colonial Et Ville Rationalisee, publication de
department of langages and architectural studies , alger university ,
1997.

Xavier Yacono, Les Bureaux Arabes Dans L'ouest Du Tell Algerie

Dahra, Chélif, Ouarsenis, Sersou, edition Larose paris , 1953.

Xavier Yacono, La colonisation des plaines du chélif (de l'ouest au confluent de Mina), T1.2 imp E. Lemberg, Alger, 1955.

3- المذكرات والرسائل والاطاريح الجامعية:

Bofenara Khadija Le Rôle Du Génie Militaire Dans La Production Des Villes Coloniales , thèse de doctorat , Constantine , 2010.

Bouraoui Ibtissem , Croissance De Petites Villes Algeriennes , cas de El Harouche, memoire de magister , université de Constantine, 2007.

Malverti Xavier , Villes Et Colonisation vol 2 , thèse de 3 eme cycle en aménagement , institut d'urbanisme , paris, 1987.

Tomas Faugeras, Reseau Feroviaire Algerien Et Ambitions Coloniales 1844 a 1962, memoire de dea , universite de provence , annee 1991-1992.

Touati Lahouari , L Oranie Colonisee, Societé Et Acculturation , 1881-1937, these pour doctorat , 3 eme cycle, université de nice, T1, 1984.

4-المجلات والدوريات:

Berbrugger A, Sous Miliana – Afreville– ,revue africaine ,1865

Berbrugger G, Antiquités Du Cercle De Ténès ,in revue,1857

Boudjemaa Hichour ,Trubuts ET Mode de vie dans la vallee du chelif,
Article de presse Apparut au Journal El Moudhahid du 20/07/1997.

Bourdon G ,Etude Géographique Sur Le Dahra ,T3,in B.S.G.6eme série ,
Librairie de ch.Delagrave et cie, paris, 1872

Camps G,Chronologie Absolue Et Succession Des Civilisations
Préhistoriques Dans Le Nord d Afrique , in revue libyca n:21,1968

Cherif Rokia ,Elévation D un Langage Documentaire Pour La Description
De L'architecture Néo-mauresque En Algérie , colloque international
"Arabisation et néo-mauresque " Tunis ,2010

Isman P, Pratique De La Culture Des Céréales En Lignes À Fakrounia",
In R.A.A.N , 05-12-1926

Lecovet A ,De La Colonisation De L algerie ,in la revue nouvelle
,T08,2eme annee , au berau de la revue nouvelle , paris , 1846

Louis Rinn , in B.S.G.A.NA, 8eme serie , 1903

5-المواقع الالكترونية:

www.alger.fr

www.histoire chlef.com

الفهرس العام

1- فهرس الجداول:

- 1) جدول يبين أهم الهزات الزلزالية بمنطقة الشلف 1846-1980 ص 12.
- 2) خريطة لمنطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري ص 17
- 3) جول يبين احصائيات للقبائل والمساحة في منطقة حوض الشلف حلال سنتي 1845 و1848م ص 27
- 4) خريطة لاهم اعراش منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري ص 30
- 5) جدول يبين أهم القبائل و تعداد جنودها من الخيالة و المشاة ص 32
- 6) جدول مقارن يبين أهم القبائل و تعداد جنودها من الخيالة و المشاة ص 33
- 7) جدول يمثل مقارنة لتعداد سكان اهم القبائل في حوض الشلف خلال سنتي 1845 و1848 ص 35
- 8) جدول يبين جدول إحصائي يمثل الثروة الحيوانية سنة 1848 ص 38
- 9) جدول يبين الملكيات العقارية في الجزائر خلال العهد العثماني ص 90
- 10) جدول يبين تطور عدد المستوطنين الاوروبيين بالجزائر من 1831-1872 ص 106
- 11) جدول يبين تطور عدد المستوطنين الاوروبيين بالجزائر من 1871-1954 ص 107
- 12) جدول يبين معدل الزيادة في صفوف المستوطنين الاوروبيين في الجزائر 1876-1954 ص 107
- 13) جدول يبين الملكيات العقارية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ص 118
- 14) جدول بين الملكيات العقارية في الجزائر غداة الاستقلال ص 119
- 15) جدول يبين تطور نقل البضائع بالسكك الحديدية في الجزائر من 1914-1919 ص 131
- 16) جدول يبين جنسيات المستوطنين الاوروبيين وتطورهم في منطقة الشلف 1844-1856 ص 237
- 17) جدول يبين تعداد المستوطنين العسكريين في منطقة الشلف سنة 1850 ص 240

- 18) جدول يبين توزيع حرف ومهن المستوطنين الاوروبيين في منطقة اورليان فيل سنة 1850
ص 240
- 19) جدول يبين حجم الاراضي المستغلة في مجال الزراعة لاهم قبائل سهل الشلف الاوسط ص
243
- 20) جدول يبين اهم المحاصيل الزراعية في منطقة الشلف 1938-1939 ص 257
- 21) جدول بين رؤوس الماشية لدى قبائل سهل الاوسط من خلال احصاءات 1845 و 1848
ص 258
- 22) جدول بين اهم رؤوس الماشية لدى المستوطنين الاوروبيين في اورليان فيل سنة 1851
ص 259
- 23) جدول بين حجم الحمولة لمحطة اورليان فيل بين 1938-1951م ص 266
- 24) جدول بين نسبة متوسط الرياح في منطقة غليزان 1876 ص 272
- 25) جدول بين التحليل الفيزيائي للتربة في غليزان ص 273
- 26) جدول بين التحليل الكميائي للتربة في غليزان ص 273
- 27) منحنى بياني لتطور السكان في غليزان من 1856 الى 1948 ص 281
- 28) جدول بين معلومات حول بعض قبائل سهل الشلف الاسفل لتاتارو 1833 ومرسال
1835م ص 283
- 29) جدول بين معطيات ديموغرافية لاهم القبائل في سهل الشلف الاوسط من خلال وثيقة
وارني 1838 ووثيقة سنة 1839م ص 283
- 30) جدول بين تعداد سكان اهم القبائل في منطقة غليزان حسب تعداد سنة 1845 وتعداد سنة
1848م ص 284
- 31) جدول بين تطور المساحة المزروعة بالكروم المسقية في منطقة مينا وحوض الشلف
الاسفل من 1937-1940م ص 287

- (32) جدول بين اهم المحاصيل الزراعية في منطقة مينا وشلف الاسفل سنة 1938-1939م ص 288
- (33) جدول بين تعداد رؤوس الماشية لاهم قبائل شلف الاسفل من خلال وثيقتي سنة 1845
وسنة 1848 م ص 289
- (34) جدول بين تطور التبادل التجاري في منطقة غليزان بين 1938 -1951م ص 292
- (35) جدول بين المساحة المخصصة للتشجير ونوعية التشجير في بلدية غليزان ص 1876م
ص 296
- (36) جدول بين المساحة المسقية الاجمالية الموزعة على المحاصيل في منطقة افروفيل سنة
1938م ص 308
- (37) جدول بين تعداد رؤوس الماشية لدى قبائل سهل الشلف الاعلى حسب وثيقة سنة 1845
وسنة 1848م ص 309
- (38) جدول بين تعداد رؤوس الماشية لدى المستوطنين الاوروبيين في منطقة افروفيل سنة
1951م ص 310
- (39) جدول بين اهم الصناعات في منطقة افروفيل بين الحربين العالميتين ص 312
- (40) جدول بين تعداد السكان لدى اهم القبائل في حوض الشلف الاعلى حسب تعداد
سنة 1845 وتعداد سنة 1848م ص 313
- (41) جدول بين تعداد الخيام لدى اهم القبائل في حوض الشلف الاعلى حسب تعداد سنة 1845
وتعداد سنة 1848م ص 314
- (42) جدول بين عينة عن حجم الاراضي المزروعة وادوات الزراعة في منطقة الشلف خلال
العهد الاستعماري ص.352
- (43) جدول بين اهم المحاصيل الزراعية لدى قبائل منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري ص
353

- (44) جدول بين عدد المطامير في منطقة الشلف قبل الاختراق الرأسمالي والنقدي ص 354
- (45) جدول بين قيمة الضرائب العامة المفروضة على قبائل منطقة الشلف من سنة 1867 الى سنة 1897م ص 354
- (46) جدول يبين تطور سعر القنطار من القمح بالفرنك الفرنسي من 1848 الى 1868م ص 366
- (47) جدول بين تعداد المهاجرين الجزائريين نحو مدينة الجزائر 1867-1868م ص 381
- (48) جدول بين عينة من المتجنسين الجزائريين في منطقة الشلف ص 388
- (49) جدول بين اهم قبائل منطقة الشلف(قبائل بني مسلم ،قبائل الظهرة،قبائل سهل الشلف ،قبائل بني وراغ، قبائل فليتا) ص 393-394-394-395

2- فهرس الاماكن

-اسبانيا:24-134.

-أفروفييل:ب-224-300-301-302-303-304-305-306-307-308-310-311-312-313-315-317-318-319-320-321-323.

-اكاد:49.

-الأصنام:ب-ه-11-21-153-154-229-230-231-232-233-240-242-266-348-349-366-367-371-376-377-404-405-406-407-419.

-الاندلس:24-144-175-176-180-202-204-205.

-البصرة:49.

-البلدية:101-102-124-128-130-131-133-210-367-369-371-380-381-382.

-الجزائر: أ.ب.ج.د.ه.و.ز-10-11-19-20-25-27-28-31-42-60-61-62-67-

68-70-75-79-80-82-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-99-

100-101-102-103-104-105-106-107-108-109-110-111-112-113-

114-115-116-117-118-120-121-122-123-124-126-127-128-129-

130-134-137-140-146-148-149-156-157-159-162-172-175-176-

177-180-181-184-196-196-197-203-229-232-235-236-238-242-

244-246-248-250-255-260-261-262-265-267-270-271-274-278-

293-298-300-305-308-314-315-316-318-319-320-326-328-329-

332-334-335-342-344-345-346-347-350-358-361-368-370-374-

377-379-380-381-385-398-401-402-406-410-411-412-413-418-

.419

- السرسو: ز-15-42-275-305-342-398-399-401-402.
- الشف: أ-ب-ج-د-ه-و-ز-10-11-12-13-14-15-17-18-19-23-24-25-26-27-28-29-30-33-34-36-37-38-42-43-104-125-126-137-140-142-146-150-153-155-161-162-164-165-172-175-177-180-181-196-198-208-209-211-224-227-228-229-230-231-235-237-238-242-243-244-251-256-257-258-260-261-263-266-267-268-270-271-272-277-284-285-287-290-292-293-300-302-303-309-311-314-315-317-323-324-328-330-332-346-347-348-349-357-358-361-365-368-369-371-374-380-381-382-383-384-387-388-393.
- .420-419-418-416-414-407-406-403-402-398
- الظهرة: ب-ز-10-11-13-14-15-18-19-21-26-36-141-151-154-155-180-196-224-227-228-230-271-272-352-382-387-389-391-393.
- .413-409-407-406-402
- القلعة: 13.
- المدينة المنورة: 57-
- المرسى: 13.
- الونشريس: ب-ز-10-11-14-15-16-21-23-26-36-42-155-175-177-208-227-228-230-267-271-272-300-301-302-352-371-385-386-387-391-398-399-402-403-406-407-410.
- أورليان فيل: ب-25-126-224-227-228-230-233-234-235-236-238-239-240-242-243-259-260-265-266-267-268-269-270-277-271.
- .419-371-323-318-317-306-275

- بابل:49-50.
- باتنة:94.
- بجاية:74-208.
- بغداد:59-218.
- تمدرارة:15-227.
- تنس:هـ-11-12-15-18-20-24-37-39-131-153-159-162-163-172-
- 175-177-178-179-180-196-197-198-199-200-201-203-204-205-
- 206-207-208-209-210-211-212-213-214-215-217-218-219-221-
- 222-224-230-231-232-233-267-323-345-347-368-371-376-405-
- .410-409-408-406
- تونس:74.
- ثنية الاحد:16.
- جديوية:11.
- جندل:-10-14-26-27-29-31-35-37-39-305-308-309-313-314.
- الحمادنة:14.
- خميس مليانة:18-36-40-251-267-384-346.
- دمشق:58.
- زكار:10-11-13-14-15-162-167-300-301-302-303-345-346-402.
- سنجاس:14-20-229-233-268-349.
- شرشال:10-12-24-125-165-169-180-182-213-231-233-317-376-
- .406

- العطاف: 12-14-18-26-27-32-35-38-40-208-227-243-263-284-366-371-382-384-
-عين الدفلى: 11-14-162-165-272-383.
-عين حمادي: 13.
-غليزان: ب-10-14-18-20-21-23-125-140-224-227-267-171-272-
-273-274-275-276-277-278-279-280-282-285-286-287-288-289-
-290-291-292-293-294-296-297-298-299-306-317-318-323-350-
367-384-385-390-391-392-396-413-414.
-فاس: 74-162-173-180-205.
-فرندة: 15.
-قسنطينة: 60-63-64-68-69-74-75-78-79-80-82-83-85-88-101-111-
-120-121-125-126-127-128-129-133-135-144-172-250-252-342-
369-398.
-قصر البخاري: 10-348.
-مارسيليا: 134-277.
-مجاة: 26-35-40-229-385.
-المدية: 125-165-172-177-179-181-182-208-209-210-300-302-303-
305-380-381-398-402-411.
-مستغانم: 10-14-15-27-34-125-146-154-157-159-229-274-277-286-
298-403-405-413.
-معسكر: 32-66-67-86-131-141-149-150-413-414.
-مكة المكرمة: 49.

-مليانة:ه-25-33-34-39-125-162-163-164-165-166-167-168-169-
-170-171-172-175-176-177-178-179-180-181-182-183-184-185-
-191-194-210-211-224-230-231-233-300-303-311-317-318-323-
.411-402-400-399-398-381-380-377-376-371-367-356-330

-مينا:15-19-20-23-37-38-125-275-276-279-285-287-292-294-295-
323-343-352-391.

-وادي الفضة:14-34-40-181-233-257-261-262-263-382. مازونة:29-24-
-26-36-39-70-140-141-142-143-144-145-146-147-148-149-150-
-151-152-153-155-156-157-159-160-161-177-178-224-230-277-
292-323-351-353-405-408-409.

-وادي رهيو:18-19-20-21-24-146-227-365-369-384-389-394-398-
413-414.

-وادي سلي:11-19-21-33-34-237-263-346-386-
-الولايات المتحدة الامريكية:255-330.

-وهران:و-10-13-31-34-42-64-65-70-94-99-101-111-121-123-126-
-128-129-137-140-146-147-148-149-150-162-175-196-205-209-
-229-261-266-267-268-271-274-275-277-286-292-293-297-298-
305-319-342-368-383-398.

2-الاعلام:

الاغا جلول بن فرحات: 398-399-400-401-402-409.

- 183-181-152-151-126-125-103-66-34-32-31-29: الامير عبد القادر
-401-400-399-398-389-361-303-284-271-230-224-213-185-184
409-407-406-403-402.
ايدمون:21.
بطليموس:21-169-196.
بومعزة:28-152-153-154-271-284-402-403-404-405-406-407-408-
420-416-409.
بيجو:31-101-103-104-105-106-114-151-152-155-182-213-229-
409-407-404-403-275-242-230.
جلدون:21.
الجيلالي الفرسي: 383.
الجيلالي بونعامة:386.
خير الدين بربروس 24-181-110-211-212-216.
دي بورمون:113.
سيدي لزرق بلحاج:271-389-411-412-413-414-416-420.
عبد الحميد بن باديس:383.
عبد الرحمن المغراوي:23.
عبد الرحمن بن رستم:22.
عبيد الله الفاطمي:22-171.
عروج:24-211.
فيرموس:21-170.
كالبيغولا:21-169.

كلوزيل: 101-113-123.

لافيجري: 366-367-380-382-383-387-388.

محمد بن خزر: 22.

محمد بن خير الدين: 23.

المعز بن باديس: 23.

موسى بن نصير: 22.

نابليون الثالث: 99-184-366-391.

يغمراسن بن زيان: 24-145-177-178.

يوسف بن تاشفين: 61-174-207-208.

3- القبائل:

اولاد قصير: 25-26-27-29-32-33-34-35-284-361-403-419.

بني زروال: 22-140-143-403.

بني سليم: 23.

بني هلال: 23-173.

عريب: 26-27-28-33-34-35-38-39-165-305-307-309-313-314.

مصالة: 22.

مطماطة: 22-354.

مغراوة: 21-24-26-28-141-142-145-156-172-177-179-181-182-208.

مكناسة: 22-354-389.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	شكر وتقدير الاهداء
ب	الاهداء
ج	قائمة المختصرات
ا-ز	مقدمة
40-10	مدخل
19-10	1-دراسة جغرافية
25-19	2-دراسة تاريخية
40-26	3-دراسة بشرية
43-41	خلاصة المدخل
137-44	الفصل الأول: المدينة في الجزائر بين العهدين العثماني والاستعماري
59-44	1-عموميات حول المدينة وتطورها التاريخي
91-60	2-المدينة في الجزائر خلال العهد العثماني
135-92	3-المدينة في الجزائر خلال العهد الاستعماري
137-136	خلاصة الفصل الاول
224-138	الفصل الثاني: مدن منطقة حوض الشلف قبل الاحتلال الفرنسي
161-140	1-مدينة مازونة
195-162	2-مدينة مليانة
222-196	3-مدينة تنس
224-223	خلاصة الفصل الثاني

327-225	الفصل الثالث:تأسيس المدن الكولونيالية في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري
270-227	1-تأسيس مدينة اورليان فيل 1843م
292-271	2-تأسيس مدينة افروفيل 1848م
325-293	3تأسيس مدينة غليزان 1857م
327-326	خلاصة الفصل الثالث
422-328	الفصل الرابع:انعكسات السياسة العمرانية في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري
333-330	1-الانعكسات في المجال العمراني
366-334	2-الانعكسات في المجال الاقتصادي
384-367	3-الانعكسات في المجال الاجتماعي
403-385	4-الانعكسات في المجال الثقافي
420-404	5-الانعكسات في المجال العسكري
422-421	خلاصة الفصل الرابع
426-424	خاتمة
450-428	الملاحق
493-452	قائمة المصادر والمراجع
498-495	فهرس الجداول
505-499	فهرس الأماكن والقبائل والاعلام
508-506	فهرس الموضوعات